د. حمود بن إبراهيم السلامة

النصارى الأقباط

دراسة عقدية

WESTT®
CENTER FOR WESTERN THOUGHT
مركز الفكر الغربي

النصارى الأقباط

دراسة عقدية

"أكبر طائفة نصرانية عربية. لم أقف - حسب علمي - على من بحث موضوع هذه الطائفة أو كتب حوله كتابة مستقلة شافية مع ما له من أهمية. ولهذا كانت هذه الدراسة التي بين يديك، دراسة موسعة تتناول أهم جوانب هذه الطائفة - وهو الجانب العقدي - بالإضافة إلى دراستها تاريخياً واجتماعياً وسياسياً، وأهم رموزها المؤثرين، مع تسليط الضوء على مظاهر القبطية المعاصرة."

المؤلف

د. حمود بن إبراهيم السلامة: أستاذ العقيدة والأديان والمذاهب المعاصرة بقسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك سعود. من مؤلفاته: "وسطية الإسلام في تشريع الطلاق مقارنة مع التشريع اليهودي."


ISBN 978-603-90778-2-4



مركز الفكر الغربي
P. O. Box 241526, Riyadh, 11322
Saudi Arabia
www.cwestt.com
Email: cwestt@cwestt.com

النصارى الأقباط

دراسة عقدية

إعداد

د. حمود بن إبراهيم بن سلامة

أصل هذا الكتاب رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل درجة الدكتوراه من قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الملك سعود، وقد أجيزت بتاريخ ٢٢/٠٦/١٤٣١ هـ

الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

بن سلامه، حمود ابراهيم

النصارى الأقباط: دراسة عقدية./ حمود ابراهيم بن سلامه - الرياض، ١٤٣٨هـ

٥٨٠ ص ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٤ - ٢ - ٩٠٧٧٨ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١ - الأقباط

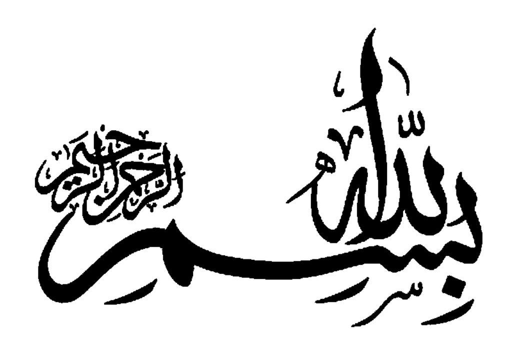
٢ - العقيدة النصرانية - نقد أ. العنوان

ديوي ٢٨١,٧٢ ١٤٣٨/٣٠٣

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٣٠٣

ردمك: ٤ - ٢ - ٩٠٧٧٨ - ٦٠٣ - ٩٧٨

تصميم الغلاف: كريم بن منصور


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، والصلاة والسلام على من بعثه الله مجدداً للنبوات، وخاتماً للرسالات، وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن علم توحيد الله وإفراده بالربوبية والعبادة من أشرف العلوم وأزكاها، فشرف العلم منوط بشرف المعلوم.

وقد هدى الله خلقه وفطرهم على الدين الحق، وعلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم: ٣٠].

ويقول النبي ﷺ: ((كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه))[١]، فالناس خلقوا وهم على معتقد سوي صحيح، ثم يضل أقوامٌ بأزٍّ من شياطين الإنس والجن.

ومن أعظم الضلال الذي ضلَّ به الإنسان؛ زعمهُ أن الله ثالث ثلاثة، فأنكر التوحيد الذي بعثت به الرسل، وجبلت عليه الفطر السليمة.

وهؤلاء النصارى وإن كانوا متفقين في الشرك، إلا أنهم اختلفوا في صوره، وتنوعت مذاهبهم وشعائرهم فيه، وعلى إثر ذلك ظهر النزاع بين كنائسهم.

ومن أكبر وأبرز طوائف النصارى الشهيرة في العالم العربي على الإطلاق؛ طائفة النصارى الأقباط، وغالبيتهم في مصر[٢].

ومصطلح «النصارى الأقباط» عند الإطلاق يراد به نصارى مصر الأرثوذكس، وهم في مصر ذوو عِرْقٍ وسلالةٍ قديمة، إلا أن ارتباط هذا المصطلح بالجانب الديني الاعتقادي صار هو الأشهر.

---

(١) أخرجه البخاري: ١/ ٤٦٥ رقم ١٣١٩، ومسلم: ٤/ ٢٠٤٧ رقم ٢٦٥٨.

(٢) انظر: دعوة التقريب بين الأديان: ٢/ ٥٤٠.

وقد رغبتُ أن يكون عنوان رسالتي لنيل درجة الدكتوراه في الآداب في العقيدة والمذاهب المعاصرة:

النصارى الأقباط (دراسةٌ عقديّةٌ)

أهميةُ البحث وأسباب الاختيار:

أما عن أهمية البحث وأسباب اختيار الموضوع فأُجملُ ذلك في عدة نقاط، كما يلي:

١. كون النصارى الأقباط أكبرَ وأشهرَ فرقةٍ دينيةٍ من فرق نصارى العرب، ولهم وجودهم في الحاضر والماضي، ولهم كنائسهم وبطاركتهم ورتبهم الدينية الخاصة بهم.

٢. الأثر السياسي والاجتماعي الداعم لوجود النصارى الأقباط.

٣. استقلال النصارى الأقباط بجملة كبيرة من شعائر الكنيسة الشرقية.

٤. افتراق النصارى الأقباط عن غيرهم من طوائف الكنيسة الشرقية، بما يتميزون به في عقيدتهم وشعائرهم.

٥. كونهم من العرب، والغالبية العربية هم من المسلمين[1]، فأثرهم على المسلمين - لاشك ولاريب - أقوى من أثر غيرهم ممن لا يتكلم العربية.

٦. أثر أقباط المهجر، ومواقفهم من المسلمين عموماً، ومسلمي مصر خصوصاً.

٧. لم أقف - حسب علمي - على من بحث هذا الموضوع، أو كتب حوله كتابةً مستقلة شافية، مع ما له من أهمية.

ولما كانت هذه الطائفة بهذه الأهمية، ولكونها فرقةً عقديةً تنطلق من أصول دينية مقدسة عندهم، ولعدم وجود دراسة أكاديمية متخصصة حولها؛ رأيتُ من اللازم دراستها.

حدود البحث:

نظراً لجدَّة البحث وتنوع مباحثه، ولوجود من ينتسب إلى النصارى الأقباط عرقاً

(١) على تنوع وتشتت في الفرق والمذاهب التي ينتمي إليها المسلمون، والله المستعان.

ونسباً ويخالف معتقداتهم الأرثوذكسية، ولتجنب هذا التشتت؛ حصرتُ البحث في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية الأم.

وقد تناولتُ عقائد النصارى الأقباط وشعائرهم من بداية ظهورهم حتى وقتنا المعاصر، كما ركَّزتُ الدراسة على الكنيسة الأم في مصر، دون الأقليات التي لا تكاد تذكر فيما عداها.

إجراءات البحث:

يتلخَّص عملي في الرسالة في عدة نقاط كما يلي:

١. سافرتُ مراراً إلى موطن الكنيسة الأم، وتنقلتُ بين بعض كنائسها، كما تيسَّر[(١)] لي زيارة المقر البابوي للكنيسة المرقسية للأقباط الأرثوذكس بكاتدرائية العباسية بالقاهرة، كما زرتُ عدداً من الجامعات والمكتبات، كجامعة الأزهر، وجامعة عين شمس، وجامعة القاهرة، وزرتُ مكتبات الجامعات، وعمادات الدراسات العليا في الجامعات المصرية، ومكتبة الإسكندرية الكبرى، والتقيتُ بعددٍ من الأساتذة الأكاديميين بمصر[(٢)]، للاستفادة من خبراتهم.

٢. زرتُ عدداً من مكتباتِ النصارى الأقباط؛ كمكتبة المحبة، والدار الأسقفية، ومكتبة الإخوة، ومكتبة الكاتدرائية المرقسية بالعباسية وغيرها، واقتنيتُ كثيراً من مراجعهم الدينية والتاريخية، كما زرتُ بعض المكتبات التابعة للكنائس الأخرى كالكاثوليك والبروتستانت.

٣. التقيتُ بأحد الإخوة[(٣)] كان نصرانياً ومن كهنة الكنيسة القبطية، ثم هداه اللهُ للإسلام، فبيَّن لي أموراً من الواقع العملي داخل الكنيسة مما لا يُمكن أن يظهر من خلال الكتب.

---

(١) بعد محاولات جاهدة مع سكرتير الكاتدرائية، الأستاذ/ ظريف.

(٢) ممن تواصلتُ معه: أ.د. سعد عزباوي رئيس قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر. وأ.د. حامد طاهر رئيس قسم الفلسفة بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، ود.سليمان الخطيب، ود.محمد الجندي، ود. عمر عبد العزيز، ود.محمد عمر، والشيخ محمد التلباني، ود.محمد يسري، ود.عبد الستار فتح الله.

(٣) هو عماد المهدي، ثبَّتنا الله وإياه على طاعته.

٤. حرصتُ على الالتقاء ببعضِ من لهم باعٌ في دعوة النصارى الأقباط ومن لهم احتكاك بهم، فقابلت مدير أحد أكبر غرف البالتوك - بالشبكة العنكبوتية - في دعوة النصارى، وهو الأخ الداعية: وسام عبد الله، وغرفته (Muslim Christian Dialogue)، وجالستُه وهو يدير أحد الحوارات مع بعض النصارى الأقباط عبر الإنترنت، كما التقيتُ مهندساً مصرياً[1] له تجربةٌ طويلة في دعوة النصارى الأقباط بمصر.

٥. أيضاً تابعتُ قناة (CTV) وهي القناة المعتمدة للكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وكان يُشرفُ عليها البابا شنودة الثالث، وقد أفادتني كثيراً في فهم معتقداتهم وطقوسهم التي لا يتسنى الوقوف المباشر عليها، كما استفدتُ منها في فهم كثيرٍ من مصطلحات البحث المتعلقة باللغة القبطية.

٦. تواصلتُ مع عددٍ من النصارى الأقباط عبر الإنترنت، وناقشتهم في بعض عقائدهم، وشاركتُ في منتدياتهم للقرب أكثر من مُحيطهم الفكري.

منهج البحث:

حرصتُ في هذه الرسالة على أمور:

١. اختصار المعلومة اختصاراً غير مخلٍ، ليسهل الاطلاع عليها، وتحصل الفائدة المرجوة منها.

٢. الاعتماد على مصادر النصارى الأقباط الأصلية في تقرير معتقداتهم وشعائرهم، وعدم النقل عنهم من غيرهم، حتى تتقرر الحجة ويُلزمَ بها أتباعُ الكنيسة القبطية[2]، أيضاً حرصتُ على النقل من كتب المذاهب النصرانية الأخرى عند ذكر الخلافات العقدية بينهم وبين النصارى الأقباط، بحسب ما تيسر لي من مصادر.

---

(١) هو المهندس: ماجد محمد.

(٢) وكان الدافع الأبرز في هذا الإجراء - إضافة لكون هذا ما تقتضيه المنهجية العلمية - أني كثيراً ما أسمع في وسائل الإعلام اتهاماتٍ من خصوم النصارى ونسبة عقائد أو شعائر لهم، ثم أفاجأ بنفي النصارى عموماً والأقباط خصوصاً لتلك الاتهامات، فكان إثبات كلامهم من كتبهم قطعاً للطريق عليهم.

٣. الالتزام بإرجاع الأقوال - قدر الاستطاعة - إلى مصادرها الأصلية، ولم أنقل بواسطة إلا في المواضع التي يتعذر معها الحصول على مصادرها الأصلية.

٤. اتبعتُ الطريقةَ المختصرة في الإحالة، وذلك بذكر اسم الكتاب، والجزء والصفحة، ولم أذكر اسم المؤلِّف إلا عند الكتب المتشابهة أو قريبة التشابه في اسمها، وأخَّرتُ كامل التفاصيل إلى قائمة المراجع.

٥. عزوتُ الآيات القرآنية الواردة في الرسالة إلى مواضعها من القرآن الكريم، بذكر اسم السورة، ورقم الآية.

٦. قمت بتخريج الأحاديث الواردة، وذلك بذكر اسم الكتاب، و الجزء والصفحة، فرقم الحديث، والاكتفاء عن ذكر كتاب وباب الحديث بالرجوع إلى طبعة الكتاب المذكورة في قائمة المراجع، مع بيان درجة الحديث - عدا ما ورد في الصحيحين -، وذلك بذكر أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه، قدر الإمكان.

٧. بيَّنتُ معاني الكلمات الغريبة الواردة في الرسالة، وذلك بالرجوع إلى مصادرها الأصلية من كتب المصطلحات القبطية والطقسية واللغة العربية.

٨. التعريفُ بالأعلام الوارد ذكرهم في الرسالة، وقد التزمتُ بتعريف النصارى الأقباط الذين كانٍ لهم دورٌ أو أثرٌ سلبي أو إيجابيٌ - فيما ظهر لي - على الكنيسة القبطية فقط، وقد أُعرِّف لغير النصارى الأقباط إذا ظهر لي أهميةُ شخصيَّته.

٩. عملتُ الفهارس اللازمة، وهي: فهرس الآيات، وفهرس الأحاديث، وفهرس فقرات الكتاب المقدس الواردة، وفهرس الأعلام، وفهرس الفرق والملل، وفهرس المصطلحات، وفهرس المراجع، وفهرس الموضوعات.

١٠. ميَّزتُ الآياتِ القرآنية بالبنط العريض، ووضعتها بين قوسين مُزهرين، هكذا: ﴿..﴾، أما الأحاديث النبوية فجعلتها بين أربعة أقواسٍ صغيرة، هكذا: «..»، وأما باقي الأقوال فبين قوسين عاديين، هكذا: (..).

١١. عند نقل النصوص من كتب النصارى الأقباط؛ أحياناً تكون العبارة ركيكةً، فأقوم بتعديلها وأضعُها بين معكوفين [..]، وأُشيرُ لها في الحاشية.

خطة البحث:

وضعتُ خطةَ البحث على النحو التالي:

المقدمة: وتحتوي على أهمية البحث، وأسباب اختياره، وإجراءاته، والمنهج المتبع في دراسته.

التمهيد: فرق النصارى الكبرى وعقائدها.

ويحتوي على:

أولاً: التعريف بالنصرانية وتاريخها.

ثانياً: أسباب الانشقاق النصراني، وأبرز فرقهم القديمة.

ثالثاً: أشهر فرق النصارى الحديثة.

الباب الأول: النصارى الأقباط: التعريف والنشأة، وبطاركة الكنيسة.

ويحتوي على فصلين:

الفصل الأول: التعريف والنشأة، وموقف النصارى الأقباط من الفتح الإسلامي والاستعمار الأجنبي.

ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالنصارى الأقباط ونشأتهم.

المبحث الثاني: الفتح الإسلامي وأثره على النصارى الأقباط.

المبحث الثالث: النصارى الأقباط وموقفهم من الاستعمار الأجنبي.

الفصل الثاني: درجات الكهنوت عند النصارى الأقباط، وأبرز بطاركتهم، وجهودهم تجاه كنيستهم.

ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: درجات الكهنوت عند النصارى الأقباط.

المبحث الثاني: أبرز بطاركة الكنيسة القبطية، وجهودهم تجاه كنيستهم.

الباب الثاني: العقائد والشعائر القبطية.

ويحتوي على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: عقائد النصارى الأقباط، ومناقشتها.

ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عقيدتهم في الإله والتثليث، ومناقشتها.

المبحث الثاني: عقيدتهم في الصلب والفداء، ومناقشتها.

المبحث الثالث: عقيدتهم في البعث واليوم الآخر، ومناقشتها.

الفصل الثاني: شعائر وعادات النصارى الأقباط.

ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الصلوات والأدعية.

المبحث الثاني: الصوم.

المبحث الثالث: الأعياد وطقوسها، والزيارات المقدسة.

الفصل الثالث: الفروق العقدية والطقسية بين النصارى الأقباط والطوائف النصرانية الأخرى.

ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الفروق العقديَّة والطقسيَّة بين النصارى الأقباط وباقي طوائف الأرثوذكس.

المبحث الثاني: الفروق العقدية والطقسية بين الأقباط الأرثوذكس والكاثوليك.

المبحث الثالث: الفروق العقدية والطقسية بين الأقباط الأرثوذكس والبروتستانت.

الباب الثالث: الواقع القبطي.

ويحتوي على فصلين:

الفصل الأول: دور الكنيسة القبطية في محاولة التأثير على المجتمعات المسلمة.

ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نشاط النصارى الأقباط في التنصير.

المبحث الثاني: النصارى الأقباط وأثرهم السياسي.

المبحث الثالث: النصارى الأقباط وأثرهم الاجتماعي.

الفصل الثاني: مظاهر القبطية المعاصرة.

ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: النصارى الأقباط وموقفهم من القومية العربية.

المبحث الثاني: أقباط المهجر.

الخاتمة

الفهارس، وتشتمل على:

١. فهرس الآيات القرآنية.
٢. فهرس الأحاديث النبوية.
٣. فهرس فقرات الكتاب المقدس.
٤. فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة.
٥. فهرس الأعلام المترجم لهم.
٦. فهرس الفرق والطوائف.

٧. فهرس المدن والبلدان.

٨. فهرس الموضوعات العام.

٩. فهرس الموضوعات التفصيلي.

وبعد فلا يسعني في هذا المقام إلا أن أشكر الله سبحانه قبل كل شيء، على ما منَّ به عليَّ من تيسير وإعانة على إتمام هذه الرسالة، فهو المحمود سبحانه، كما أشكر جامعتي الحبيبة **جامعة الملك سعود**، لإتاحتها فرصة الدراسة وإكمال مشواري العلمي فيها، وكذا دعمها غير المحدود لإنجاز هذه الرسالة، والشكر موصولٌ **لمركز البحوث بكلية التربية** لدعمه السخي لهذه الرسالة، فكان خير مُعينٍ على تغطية جزءٍ من تكاليف هذه الرسالة.

ثم أشكر والديَّ الكريمين على ما قدَّماه لي من دعم معنوي، وتشجيع على المواصلة في البحث، أطال الله عمرهما على طاعته وأشكر شيخي الأستاذ الدكتور/ سليمان بن قاسم العيد، الذي تفضَّل عليَّ بالإشراف على هذه الرسالة، رغم كثرة مشاغله وارتباطاته، فله مني وافر الدعاء، وأشكر شيخي وأستاذي ووالدي الدكتور/ محمد بن عبد الله الوهيبي، صاحبَ اللبنة الأولى، فقد كان له الفضل - بعد الله - في هذه الرسالة، جعلها الله في موازين حسناته، وكذا شيخي الدكتور/ عبد الله بن دجين السهلي الذي أكرمني بوقوفه إلى جانبي ومساعدته لي فشكر الله له سعيه وأجزل له الأجر والمثوبة. ولا أنسى أخويَّ الكريمين، الشيخ الفاضل/ محمد بن علي المطرود، والشيخ الأديب/ فهد بن عبد الله آل طالب، والدعاء موصولٌ لكل من أفادني بمعلومةٍ، أو تصويبٍ علمي، أو لغوي، فجزاهم الله عني خير ما جزى عباده الصالحين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

فرق النصارى الكبرى وعقائدها

ويحتوي على:

أولاً: التعريف بالنصرانية وتاريخها.

ثانياً: أسباب الانشقاق النصراني، وأبرز فرقهم القديمة.

ثالثاً: أشهر فرق النصارى الحديثة.

التمهيد: فرق النصارى الكبرى وعقائدها

أولاً: التعريف بالنصرانية وتاريخها

أ - التعريف بالنصرانية:

النصرانية لغة:

اختُلف في أصل هذه الكلمة، ويمكن إجمال ذلك فيما يلي:

١. أنها نسبة إلى نصران، وقيل: نصرانة، وهي قرية المسيح عليه السلام بفلسطين، ويقال: ناصرة، وهي المدينة التي ينسِبُ النصارى المسيحَ إليها، حيث يقولون: يسوع الناصري[١]، وقيل: إنها تعود إلى فرقة يهودية قديمة متنصرة، تسمى بالناصريين[٢].

٢. يذهب بعض المستشرقين إلى أن الكلمة تعود إلى أصل سرياني هو نصرايا (NASRAYA)، وهي تطلق على نصارى الشرق[٣].

٣. يذهب الرازي في تفسيره إلى أن النصارى أطلقوا على أنفسهم هذه التسمية نسبةً إلى نصرة الله، وإلى قول النصارى لعيسى: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢]، وهو مجرد ادعاءٍ منهم، إذ ليسوا موصوفين بها عند الله تعالى[٤]. وقيل: سموا بذلك لتناصرهم فيما بينهم[٥].

النصرانية اصطلاحاً:

بالنظر لما كتبه الشهرستاني في كتابه الملل والنحل، يُمكن أن نستخلص من كلامه تعريفاً للنصرانية بأنها: أمةُ المسيح عيسى ابن مريم، رسول الله عليه السلام وكلمته، القائلون بتجسد الكلمة، وأن لله ثلاثة أقانيم، وأنه لاهوتٌ وناسوت، وناسوته عيسى

(١) انظر: لسان العرب: ٥/ ١٢، تاج العروس: ١٤/ ٢٢٩.
(٢) انظر: المسيحية العربية وتطوراتها: ٢٧.
(٣) انظر: تباشير الإنجيل والتوراة: ٢٥٤.
(٤) التفسير الكبير: ١١/ ١٤٩.
(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم: ١/ ١٠٤.

ابن مريم عليه السلام، وهو ابنه الوحيد - تعالى الله عن ذلك -، وأن اليهود قتلوه وصلبوه[1].

ويُعرِّفُ بعض الباحثين النصرانيةَ على أنها الدِّيانة التي يزعم أتباعها أنهم يتَّبعون المسيح عليه السلام، وكتابهم الإنجيل[2].

وقد سمى اللهُ في كتابه أتباعَ هذه الملة، بثلاثة أسماء:

١. النصارى: كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة: ٦٢].

٢. أهل الكتاب: كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ..﴾ [النساء: ١٧١].

٣. أهل الإنجيل: كما في قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة: ٤٧].

ويُسمي النصارى أنفسَهم بالمسيحيين، نسبة إلى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، وهي تسمية ضعيفة، لأن التسمية لا تصح إلا باتباع من يُنْتَسَبُ إليه، وهم في واقع الأمر؛ حرفوا وبدلوا ما جاء به عيسى عليه السلام، ولو قيل: (البولسية) نسبةً إلى بولس الذي كان له الأثر البالغ في تحريف المسيحية - كما سيأتي - لكان ذلك أقرب، إلا أن التسمية الواردة في القرآن أولى.

ويُذكر أن أول ما دُعي النصارى بالمسيحيين في مدينة أنطاكية[3] سنة (٤٢م)، فقد

(١) هذا التعريف استخلصته من مُجمل كلامه - رحمه الله -. انظر: الملل والنحل: ١/ ٢١٩.

(٢) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: ١٦٥.

(٣) أنطاكية مدينة تاريخية تجارية قديمة تقع الآن في تركيا، من أعيان البلاد وأمهاتها، تقع في وادي العاصي الأدنى، وتبعد عن مدينة اللاذقية السورية نحو ١١٠كم، ومثلها عن مدينة حلب، ويخترقها نهر العاصي، تمتاز بطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير. معجم البلدان: ١/ ٢٦٧-٢٧٠، والموسوعة العربية العالمية، مادة «أنطاكية».

جاء في سفر أعمال الرسل: (وفي أنطاكية تَسَمَّى التلاميذُ أولَ مرة بالمسيحيين)[1].

ب - تاريخ النصرانية:

الحديثُ عن النصرانيةِ وتاريخها حديثٌ شائكٌ، يصعب على الباحث أن ينقل تفاصيله التي مرَّ بها من طريق قطعي يقيني، سوى ما ورد في شرعنا من بعض التفصيلات.

فقد ظل المدخل إلى معرفة تاريخ النصرانية الأولى محرماً تحريماً قطعياً على عامة المنتسبين للنصرانية حتى منتصف القرن التاسع عشر، فدراسة تاريخ النصرانية ساحة لا يجول فيها إلا رجال الكنيسة وعلماء اللاهوت[2].

ويُقسِّم شارل جينيبر الباحثين في تاريخ النصرانية - من وجهة نظره - إلى ثلاثة فرق:

أ- فريقُ الجهلاء والبسطاء:

وهؤلاء على قناعةٍ تامةٍ بما تمليه عليهم الكنيسة من تعاليم، دون النظر في صحتها أو ضعفها، وهم على يقين بأن الإقدام على البحث أو النظر دون إذن الكنيسة يُعدُّ رجزاً من عمل الشيطان.

ب- فريقٌ اتجه إلى الشك:

وهؤلاء جددوا القول بأن الدين حاجة لازمة للشعوب، تقمع جماح الشهوات وتضمن حياة الأخلاق، فالمساس بأُسس الكنيسة؛ إنما هو مساسٌ بأُصول المجتمع القويم.

ت- فريقٌ من أصحاب الفكر الكسول:

وهؤلاء يرون أن الأديان كلها إنما هي للدجل والاستغلال، ومن ثَمَّ فلا يرون في النصرانية شيئاً يُستَحَق أكثر من السخرية.

---

(١) أعمال الرسل: ١١/ ٢٦، وانظر: معجم الإيمان المسيحي: ٤٦٠.

(٢) انظر: المسيحية نشأتها وتطورها: ١٥.

ثم يبين أن هذه الأمور جعلت كثيراً من الناس تُعرض عن دراسة تاريخ النصرانية[1].

ومما يزيدُ الأمرَ صعوبةً في دراسة تاريخ النصرانية؛ أن تاريخ الأديان عموماً يعتمد على سياق النصوص والروايات المحفوظة، والانقطاع في السند، والتحريف والكذب؛ غالبٌ على كثيرٍ من روايات الكتاب المقدس التي تدور حول تاريخ النصرانية.

ومع هذه الصعوبات، سأحاول عرضَ شيءٍ من ذلكم التاريخ على وجه الإجمال والاختصار، حسب ما يتاحُ لي من مصادرَ تاريخية.

الحياة الدينية في عهد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام:

أرسل الله رُسُلَه تترى إلى بني إسرائيل يدعونهم إلى الهدى، ويقوّمون اعوجاجهم، ويُصلحون ما انحرف من عقائدهم وأخلاقهم.

وآخرُ رسولٍ أُرسِلَ إلى بني إسرائيل خاصة هو عيسى عليه السلام، وقد كانت رسالته امتداداً لرسالة موسى عليه السلام، والأنبياء قبله، جاء في إنجيل متّى: (لا تظنوا أني جئت لأبطل الشريعة وتعاليم الأنبياء، ما جئت لأُبطل بل لأُكمل)[2].

كانت اليهودية هي الديانة السائدة قبل مبعث المسيح عليه السلام، فالوسط اليهودي هو محلّ دعوة المسيح عليه السلام وطريق انتشارها.

وقد سَبَقَ مبْعثَهُ لهم تركُ بني إسرائيل لشريعة موسى عليه السلام، وإهمالهم للجانب الروحي التشريعي، وكان همُّهم الأول المادّة وجمع المال، وكان ذلك شائعاً على مستوى العامة، بل حتى العلماء والرهبان من جهة حثهم الناسَ على تقديم القرابين والنذور للهياكل.

ولعل أبرز الأسباب التي جعلت بني إسرائيل في موجةٍ من الانحراف والتغيّر؛ العهود المستمرة للغزاة والمستعمرين الإغريق، إضافة إلى تأثير وفود الحجاج اليونان إلى القدس في المواسم والأعياد، إذ كان لهم الأثرُ البارزُ في انحراف عقيدة بني إسرائيل[3].

---

(١) انظر: المسيحية نشأتها وتطورها: ١٦.

(٢) متّى: ٥/ ١٨.

(٣) انظر: المسيحية نشأتها وتطورها: ٣٠، المسيحية لشلبي: ٦٣، النصرانية تاريخاً وعقيدة: ٣١.

ويَذكر جيمس هاستنكز - أحد المؤرخين الإنجليز - وصفاً لحال اليهود فيقول: (إن هذا المجتمع بدأ يتفلّت من تطبيق القوانين والتشريعات التي جاءت بها التوراة، وإن طقوس المعبد قد قوطعت بواسطة الوثنيين غير اليهود المسيطرين، وإن المدينة المقدسة قد وقعت تحت حكم الأجنبي.. هذا بالإضافة إلى أن الكثيرين لا زالوا يتطلعون إلى تلك الساعة التي تتحقق فيها الأحلام والرؤى القديمة، ويعود إسرائيل ليأخذوا الإنصاف كشعب الله المختار)[١].

ويقول شارل جنيبر: (ومن الجدير بالذكر أن البيئة اليهودية في عصر هيرودوس الأكبر.. كانت غايةً في التعقيد، ظاهرها وحدة الجنس والعادات والتقاليد والدين، وباطنها فُرْقةٌ أهليةٌ في صفوف أهل فلسطين)[٢].

ويقول أيضاً: (ولكن هذا الشعب لا يجد لدى حكامه من القساوسة مشاركة في أمله، بل يجدهم على حذر من المشاكل التي قد تترتب عليه فيما يتعلق بصِلاتهم بالمستعمر الأجنبي، بل نستطيع القول بأن إطارات العلماء التي كانت تسوس الشعب لم ترحب كثيراً بأي حركةٍ نابعةٍ من أعماق الجماهير)[٣].

وقد جاءت البشارةُ بمبعث المسيح عليه السلام وإنقاذه للبشرية عند اليهود في العهد القديم، ففي سفر أشعيا: (ولكن السيّد الرب نفسه يعطيكم هذه الآية: هاهي العذراء تحبلُ وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل)[٤]، و«عمانوئيل» معناها: الله معنا، أو ليكن الله معنا[٥].

وفي الجملة؛ كان مبعث عيسى عليه السلام لبني إسرائيل تطهيراً لما عَلِقَ باليهودية من الانحرافات والشوائب المادية.

---

(١) نقلاً عن: النصرانية من التوحيد إلى التثليث: ٣٦، وكتاب جيمس باللغة الإنجليزية.
(٢) المسيحية: نشأتها وتطورها: ٣٢-٣٣.
(٣) المسيحية: نشأتها وتطورها: ٣٦.
(٤) أشعيا: ٧/ ١٤.
(٥) الكتاب المقدس: ٨٥٨، حاشية: ١٤.

مولد المسيح عيسى عليه السلام[1]:

قصَّ الله علينا في محكم تنزيله تفاصيل قصة ميلاد المسيح عليه السلام، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ [مريم: ١٦- ٢٦].

وقد شرح المفسرون معاني هذه الآيات الكريمات، وساقوا في ذلك الآثار الواردة حول ولادة عيسى عليه السلام[2].

ويُجمل لنا ابن كثير قصةَ الحمل بالمسيح عليه السلام فيقول: إن الله بعث جبريل عليه السلام إلى مريم، فتمثل لها في صورة بشر سوي، وأَمَرَه تعالى أن ينفخ بفيه في جيب درعها[3]، فنزلتْ النفخةُ فولجت في فرجها، فكان منه - أي بسببه - الحمل بعيسى عليه السلام[4].

وبعد فترة بدأ الجنين يتخلق في بطنها، فخرجت إلى مكانٍ قصيٍ، قيل: هو الناصرة[5]،

(١) انظر: تاريخ اليعقوبي: ١/ ٦٨، تاريخ الطبري: ١/ ٣٤٥، تاريخ دمشق: ٤٧/ ٣٤٨، الكامل في التاريخ: ١/ ٢٣٦، البداية والنهاية: ٢/ ٥٦.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٨/ ١٦١، الجامع لأحكام القرآن: ١١/ ٨٩، تفسير القرآن العظيم: ٥/ ٢١٨، فتح القدير: ٣/ ٣٢٧، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٤٩١.

(٣) درع المرأة: قميصها، وقيل: ما تلبسه فوق القميص. انظر: لسان العرب: ٨/ ٨٢، المغرب في ترتيب المعرب: ١/ ٢٨٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٣٩٥ بتصرف.

(٥) الناصرة: قريةٌ بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلاً، وهي مكان ميلاد المسيح عيسى ابن مريم. انظر: معجم البلدان: ٥/ ٢٥١.

وأقامت في بيتٍ صغيرٍ معزول عن الناس، ثم خرجت مع يوسف النجار إلى بيت لحم [1]، ودفعها المخاض إلى جذع نخلة، ووضعت عندها المسيحَ عليه السلام، ثم قالت بعد ذلك: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾﴾.

ولما رأى قومُها الطفلَ تجمعوا حولها واستنكروا ولادته، فسألوها عنه، فلم ترد عليهم، وإنما أجابهم عيسى عليه السلام بما أخبر الله عنه في قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم: ٢٩- ٣٣].

نشأ عيسى عليه السلام بعد ذلك مع أمه مريم عليها السلام، وكان يزاول التجارة، وقد تنقل معها بين الناصرة وبيت لحم، كما ألمَّ بالتوراة، وقد ساءه ما آلت إليه حال بني إسرائيل من ضلال وعمى [2].

بُعث عليه السلام وهو في الثلاثين من عمره، فكان يعظ الناس في مجامعهم، ويدعوهم دائماً إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٧].

بل جاءت دعوته عليه السلام للتوحيد في الإنجيل أيضاً، ففي إنجيل لوقا: (فأجابه يسوع: يقول الكتاب: للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد) [3].

---

(١) بيت لحم: بلد قرب بيت المقدس، فيه سوق وبازارات، وتسمى أيضاً بيت لحم بالخاء المعجمة. معجم البلدان: ١/ ٥٢١.

(٢) انظر: المسيحية لشلبي: ٦٣.

(٣) لوقا: ٤/ ٨.

وفي يوحنا: (والحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحق وحدك، ويعرفوا يسوع المسيح الذي أرسلته)[1].

وكان عليه السلام سائراً في دعوته على شريعة موسى عليه السلام مكملاً لها، يقول تعالى: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٠ - ٥١].

وفي متّى: (لا تظنوا أني جئت لأبطل الشريعة وتعاليم الأنبياء، ما جئت لأُبطل بل لأكمل)[2].

وكانت دعوته عليه السلام خاصةً في أوساطِ اليهود، ولم يتجاوزهم في دعوته، كما جاء ذلك صريحاً في إنجيل متّى حيث يقول: (وأرْسَل يسوعُ هؤلاء التلاميذ الاثني عشر وأوصاهم، قال: لا تقصدوا أرضاً وثنيةً، ولا تدخلوا مدينةً سامريةً، بل اذهبوا إلى الخراف الضالة من بني إسرائيل)[3].

وفي متّى أيضاً: (ما أرسلني الله إلا إلى الخراف الضالة من بني إسرائيل)[4].

وقد أيد الله المسيح عليه السلام في دعوته بعدد من المعجزات، كما أخبر سبحانه عنه في قوله تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٤].

وقد تضمنت الآية ذكرَ أربع معجزات هي: خلق الطير من الطين، وشفاء الأكمه

(١) يوحنا: ١٧/ ٣.
(٢) متّى: ٥/ ١٧.
(٣) متّى: ١٠/ ٥-٦.
(٤) متّى: ١٥/ ٢٤.

والأبرص، وإحياء الموتى، والإنباء بما هو مجهول، وكلٌّ ذلك بإذن الله تعالى[1].

ولما كانت دعوة المسيح عليه السلام إنما جاءت لمواجهة شغف اليهود بالمادة وبعدهم عن الجانب الروحي؛ أحسَّ اليهود بخطر تلك الدعوة عليهم وعلى مصالحهم، فقرروا منابذتها وإظهار العداوة لها، وحاولوا تأليب الحاكم الروماني ضد المسيح، فاختلقوا لذلك أكاذيب لفَّقوها، فأصدر الحاكم أوامره بالقبض على المسيح عليه السلام، وقتْلِه وصلْبِه.

يقول ابن كثير: (فحصروه في دارٍ ببيت المقدس، وذلك عشية الجمعة ليلة السبت، فلما حان وقت دخولهم؛ أُلقي شبهه على بعض أصحابه الحاضرين عنده، ورُفع عيسى من روزنةٍ[2] ذلك البيت إلى السماء، وأهل البيت ينظرون، ودخل الشُرَطُ، فوجدوا ذلك الشاب الذي أُلقي عليه شبهه، فأخذوه ظانين أنه عيسى، فصلبوه، ووضعوا الشوك على رأسه إهانةً له)[3].

وتذكر بعض المصادر أن الرجل الذي دلهَّم على المسيح عليه السلام هو أحد الحواريين، إلا أنه كان خائناً، ويقال له: يهوذا الأسخريوطي[4].

جاء في سفر أعمال الرسل أن المسيح عليه السلام ظهر لأتباعه ثانية، وأخبرهم أنه حي، وبقي معهم أربعين يوماً[5].

بعد رَفْعه عليه السلام إلى السماء، يقول تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ ﴾ [النساء: ١٥٧]، وقد اختُلف في صفة الرفع وكيفيته[6].

---

(١) انظر: المسيحية لشلبي: ٦٤، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: ١٧٥.

(٢) الروزنة هي الكَوَّة، والكَوَّةُ الخَرْقُ في الحائط والثَّقْب في البيت ونحوه، انظر: لسان العرب: ١٣/ ١٧٩، ١٥/ ٢٣٥.

(٣) البداية والنهاية: ٢/ ٩٢.

(٤) انظر: مقدمة ابن خلدون: ٢/ ١٦٧.

(٥) انظر: أعمال الرسل: ١/ ٣.

(٦) انظر: البداية والنهاية: ٢/ ٩٢ وما بعدها، المسيحية لشلبي: ٧٠ وما بعدها.

بعد رفع المسيح عليه السلام تولى تلاميذه من بعده أمور الدعوة إلى التوحيد والإيمان بين أوساط اليهود، كما كانت عليه دعوة المسيح، وقد سعى اليهود في إيذائهم والنيل منهم، نظراً لتزايد عددهم.

جاء في أعمال الرسل: (وآمن كثير من الذين سمعوا الكلمة، فبلغ عدد المؤمنين من الرجال نحو خمسة آلاف)[1].

ونتيجة لذلك؛ قُبِضَ على (بطرس) أحد أولئك التلاميذ، وقِيدَ إلى المحكمة، ثم جُلد وأطلق سراحه، وبعد زمنٍ قِيدَ شخصٌ آخرٌ يقال له (استفانوس) ورُجم حتى الموت، وقد أورد سفر أعمال الرسل قصة اعتقاله ثم رجمه وقتله، ومما ورد فيه: (فلما سمع أعضاء المجلس كلام استفانوس؛ ملأ الغيظُ قلوبهم وصرفوا عليه بأسنانهم.. وهجموا عليه كلهم دفعة واحدة، فأخرجوه من المدينة ليرجموه.. وأخذوا يرجمون استفانوس)[2].

وعلى إثر هذا الاضطهاد، اضطُر أتباع المسيح عليه السلام إلى الهروب من بيت المقدس إلى السامرة والمناطق المجاورة[3].

سعى تلاميذ المسيح إلى نشر دينهم على مستوى أوسع من نطاق اليهود فقط، لأن اليهود والحكّام هم أكثر من حارب المسيح وتلاميذه ودعوتهم.

لم ينفك اضطهاد أتباع المسيح من قِبَل الحكام على طول التاريخ، ويذكر سفر أعمال الرسل أن الملك (هيرودس) قتل أحدَ رُسُلِ المسيح عليه السلام يقال له يعقوب، طلباً لاسترضاء اليهود[4]، ومع هذا الاضطهاد فإن انتشار تلك الدعوة كان سريعاً، حيث

(١) أعمال الرسل: ٤/ ٤.

(٢) أعمال الرسل: ٧/ ٥٤-٦٠.

(٣) حول ما تقدم؛ انظر: الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ١٤-١٥، محاضرات في النصرانية: ٣٤-٣٨، تاريخ الأمة القبطية: ١٥، المسيحية لشلبي: ٤٧-٤٩، تحريف رسالة المسيح: ٧٧-٧٨، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: ١٨٠-١٨١.

(٤) انظر: أعمال الرسل: ١٢/ ١-٥.

بلغت قبرص وإيطاليا[١].

جاء في أعمال الرسل: (وأما المؤمنون الذين شتتهم الاضطهاد، والذي نزل بهم بعد مقتل استفانوس فانتقلوا إلى فينيقية، وقبرص، وأنطاكيا)[٢].

وتعتبر أنطاكية أول مدينة دخلت في النصرانية، ونُسبَ التلاميذ فيها إلى المسيحية، وكان ذلك سنة (٤٤م)[٣].

أرسل التلاميذُ برنابا إلى أنطاكية ليدعو الأجانب، فآمن به بولس اليهودي (شاؤول)، وساهم مع برنابا في الدعوة.

وعند بولس ينبغي على كلِّ متحدثٍ عن تاريخ النصرانيةِ أن يتوقف لدراسة هذه الشخصية، لأن له شأناً كبيراً في تحريف النصرانية إلى وضعها الحالي الذي انتهت إليه، من القول بألوهية المسيح، والتثليث، وغيرها[٤].

بولس وأثره على النصرانية:

كان بولس يُسمى - قبل دخوله في النصرانية - بـ(شاول بن كيساي)، واستمر على اسمه حتى بعد اعتناقه للنصرانية بزمن، ثم غيره إلى بولس، وكان يسمي نفسه بولس الرسول.

كانت ولادته بمدينة طرسوس، في السنة العاشرة بعد الميلاد، على خلاف في ذلك.

كان يهودياً، وقيل: غير ذلك، والأول أظهر، لأنه قال عن نفسه: (أنا رجل يهودي، ولدت في طرسوس)[٥].

لم ير بولسُ المسيحَ عليه السلام، ولم يكن من تلاميذه[٦]، وقد كان قبل دخوله في النصرانية متباهياً بيهوديته، معادياً للمسيح وأتباعه، بل كان له الدور الرئيس في اضطهاد

---

(١) الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ١٥.

(٢) أعمال الرسل: ١١/ ١٩.

(٣) انظر: تحريف رسالة المسيح: ٨٠.

(٤) انظر: النصرانية تاريخاً وعقيدة: ١٤٣.

(٥) أعمال الرسل: ٢٢/ ٣.

(٦) انظر: النصرانية تاريخاً وعقيدة: ١٤٣.

أتباع المسيح، جاء في أعمال الرسل: (وكان شاول يسعى إلى خراب الكنيسة، فيذهب من بيت إلى بيت، ويخرج منه الرجال والنساء، ويلقيهم في السجن)[1].

وقد حصل على إذنٍ من الحاكم باضطهاد أتباع المسيح عليه السلام، وملاحقتهم في أرجاء البلاد، إلا أن بولس تحوَّل فجأةً من عدو مُضْطَهِدٍ للنصرانية وأتباعها، إلى داعية من دعاتها!

ويُبَيِّنُ ابن حزم أمراً هاماً في تحوله المفاجئ إلى النصرانية، وأن تحوله لم يكن عن قناعةٍ، وإنما كان لإفساد القوم، وإضلالهم عن عقيدة التوحيد.

قال ابن حزم: (وفيما سمعنا علماءهم يذكرونه ولا يتناكرونه معنى، أن أحبارهم الذين أخذوا عنهم دينهم، والتوراة، وكتب الأنبياء عليهم السلام، اتفقوا على أن رشوا بولس البنياميني لعنه الله، وأمروه بإظهار دين عيسى عليه السلام، وأن يُضل أتباعهم ويدخلهم إلى القول بإلهيته، وقالوا له: نحن نتحمل إثمك في هذا، ففعل)[2].

قصة تحوله:

ذُكرتْ قصة تحول بولس في سفر أعمال الرسل، فقد جاء فيه: (أمّا شاول فكان لم يزل ينفث تهدّداً وقتلاً على تلاميذ الرب، فتقدم إلى رئيس الكهنة، وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات، حتى إذا وجد أناساً من الطريق، رجالاً أو نساءً يسوقهم موثوقين إلى أورشليم، وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق، فبغتةً أبرق حوله نور من السماء، فسقط على الأرض، وسمع صوتاً قائلاً له: شاول شاول. لماذا تضطهدني؟ فقال: من أنت يا سيد؟ فقال الرب: أنا يسوع الذي أنت تضطهده، صعب عليك أن تقاومني. فقال وهو مرتعد ومتحير: يا رب، ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب: قم وادخل المدينة، فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل. وأمّا الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً. فنهض شاول عن الأرض، وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحداً.

(١) أعمال الرسل: ٨/ ٣.

(٢) الفصل في الملل والنحل: ١/ ١٦٤.

فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق، فبقي ثلاثة أيام لا يبصر، ولا يأكل، ولا يشرب)[1].

بهذه القصة أعلن بولس عن نفسه، فصدَّقه بعضُ تلاميذ المسيح، وجعلوه واحداً منهم، داعيةً كمثلهم، وفي هذا يذكر سفر أعمال الرسل أن بولس (سارع إلى التبشير في المجامع بأن يسوع هو ابن الله)[2].

ثم يأتي التأكيد بعد ذلك: (وأما شاول فكان يزداد قوةً ويحيِّر اليهود الساكنين في دمشق محققاً أن هذا هو المسيح)[3].

بقي بولس في دمشق ثلاث سنين، وبعدها ذهب إلى القدس ليجتمع مع تلاميذ المسيح عليه السلام، ولكنهم رفضوه ولم يقبلوه بينهم. (ولما وصل شاول إلى أورشليم، حاول أن ينضمَّ إلى التلاميذ، فكانوا كلهم يخافون منه، ولا يصدقون أنه تلميذ، فجاء به برنابا إلى الرسل، وروى لهم كيف رأى شاولُ الربَّ في الطريق، وكلَّمه الرب، وكيف بشر الشجاعة باسم الرب)[4].

سعى بولس سعياً حثيثاً في نشر مبادئه وبثِّها على أنها جزء من الدين، فأضاف إضافات للمسيحية لم يكن عليها المسيح عليه السلام ولا أتباعه، ويمكن أن نجمل تلك الإضافات فيما يلي:

١. القول بألوهية المسيح.

٢. القول ببنوة عيسى عليه السلام، واختراع قصة الفداء لتخليص الناس من خطيئة آدم عليه السلام.

٣. القول بقيامة المسيح، وصعوده ليجلس على يمين أبيه - أي الله -[5].

---

(١) وقد جاءت القصة بروايات مختلفة، انظر: أعمال الرسل: ٢٢/ ٦-١١، وأعمال الرسل: ٢٦/ ١٢-١٦، والأشهر ما ذكرته.

(٢) أعمال الرسل: ٩/ ٢٠.

(٣) أعمال الرسل: ٩/ ٢٢.

(٤) أعمال الرسل: ٩/ ٢٦-٢٨.

(٥) انظر: المسيحية لشلبي: ١٣٠، النصرانية من التوحيد إلى التثليث: ١٤٦-١٤٧، مقارنة الأديان للخطيب: ٢٤٦-٢٤٧، النصرانية تاريخاً وعقيدة: ١٤٤-١٤٥.

٤. تقريرُ عموم رسالة المسيح، وأنها ليست لبني إسرائيل خاصة، ولذا تساهل بولس في بعض التشريعات التي تضَايقَ منها الوثنيون، فأبطلَ الختان، ونقل عيد الأسبوع ليوم الأحد بدل السبت.

ولما كان بولس قد أعلن عن فِكْرِهِ الذي يتنافي مع المسيحية الحقة، وبدَّل دين المسيح، وأتى بشرائع جديدة؛ خالفه بعض التلاميذ ولم يوافقوه الرأي، ولم يبق معه سوى تلميذه لوقا، وكان من أشد الناس إيماناً بما جاء به، لذا كتب رسالة أعمال الرسل، وغالبها في قصة بولس وحياته[١].

أما عامة التلاميذ فقد كانوا معارضين لتلك العقيدة التي جاء بها بولس، وكانوا ينفون ألوهية المسيح، وكذا صلبه[٢]، فما كان من بولس إلا أن هاجمهم هجوماً عنيفاً، حتى إن برنابا لم يوافقه على هذا الهجوم، فطال برنابا ما طال السابقين[٣].

وترتب على ذلك تَفَرُّقُ التلاميذ بين الشعوب التي آمنت بالمسيحية، ليُبَيِّنُوا لهم أن تعاليم المسيح تختلف عن تعاليم بولس المزعومة، وقد تمكنوا من إقناع كثير من الناس، فانقلبوا على بولس وتعاليمه، مما جعل بولس يغضب منهم أشد الغضب[٤].

ونتيجةً لهذه المصادمة من التلاميذ لبولس؛ لجأ بولس إلى أتباعه وتلاميذه مستغيثاً بهم ضد تلاميذ المسيح[٥].

كان هذا الصراع يحصل في جوٍّ رومانيِّ الحكم، حيث كان أباطرة الرومان على سدة الولاية، فاتهموا أتباع المسيح ببذر الشقاق في المجتمع الروماني، والسعي لزعزعته، لأنهم - تلاميذ المسيح - كانوا يذيعون تنبؤاتٍ صريحةٍ حول كوارث ومحن تنتظر الرومان ودولتهم، ولذا اشتد سخط الرومان عليهم، خاصة عندما رفضوا عبادة الإمبراطور وتأليهه، كما يفعل الرومان.

(١) انظر: المسيحية لشلبي: ١٢٧-١٢٨.
(٢) انظر: مقارنة الأديان للخطيب: ٢٤٦-٢٤٧.
(٣) انظر: غلاطية: ٢/ ١١-١٤.
(٤) انظر: غلاطية: ٣/ ١-٣.
(٥) المسيحية لشلبي: ١٣٣-١٣٤.

وبمجمل ما تقدم؛ يمكن معرفة وإدراك سرِّ محاربة الرومان للنصارى والنصرانية بعمومها.

في مقابل هذا الموقف الحازم من جانب النصارى مع الرومان؛ كان اليهود يُقدِّمون قرباناً سنوياً في الهيكل من أجل الإمبراطور، وكان هدفهم من ذلك المحافظة على وطنهم داخل الإمبراطورية[1].

هذا التمايز بين الموقف اليهودي والنصراني؛ دفع الرومان إلى معاداة النصارى واضطهادهم، ومن أعظم الاضطهادات التي عانوا منها؛ اضطهاد نيرون الذي كان في عام (٦٤م) أو (٦٦م)، عندما نكَّل بالنصارى وفتك بهم.

وتذكر المصادر النصرانية أن نيرون قد جال (في خاطره ذات يوم أن يتمتع بشكل حالة مدينة طروادة[2] أثناء حريقها، فأمر بحرق روما تحقيقاً لهذه الفكرة الذميمة، ولما ارتفعت ألسنة النيران، وبدأ الدمار بالديار؛ صعد المجنون إلى برج عالٍ ليتسلى ويفرح بهذا المنظر المحزن، وتناول بيده آلة طرب، وجعل يترنم بالأشعار التي قالها الشعراء في وصف حريق طروادة.

وقد استمرت النيران في روما مدة تسعة أيام، حتى دمرت ثلاثة أرباع المدينة، فلما أفاق نيرون من سكرته.. رأى أن ينفض عن هامته غبار العار، ويجدد من ماله الخاص ذلك الدمار، ولما لم يتم ترميم كل الديار؛ ألصق التهمة بالمسيحيين)[3].

كما قبض نيرون على بطرس وبولس، فَصَلَبَ بولس منكس الرأس، وأرسل للإسكندرية بقتل مار مرقس، فقُتل[4].

---

(١) انظر: تحريف رسالة المسيح: ٨٤-٨٦.

(٢) طروادة مدينة قديمة في آسيا الصغرى (تركيا الآن)، ذاعت شهرتها من خلال أساطير الإغريق الأوائل. وتُدعى أيضًا «إلْيوم». انظر: الموسوعة العربية العالمية، مادة «طروادة».

(٣) الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٥٣- ٥٤.

(٤) حول اضطهاد نيرون، انظر: تاريخ الطبري: ١/ ٣٥٧، الكامل في التاريخ: ١/ ٢٤٧ - ٢٤٩، ومقدمة ابن خلدون: ٢/ ١٧٥، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٥٣ - ٥٤، الأقباط النشأة والصراع: ٤٦، محاضرات في النصرانية: ٣٥.

وفي سنة (٧٠م) هاجم الرومانُ بقيادة القائد الروماني تيطس (طيطش) القدسَ، ودَمَّرُوا الهيكل[١]، وقضوا على كثيرٍ من اليهود، (ولاشك أن عملية القتل والإبادة هذه طالت أكبر عدد من النصارى في ذلك التاريخ.. فالبلاء والقتل والإبادة كان شبه عام لجميع المناطق)[٢].

ويزعم بعض مؤرخي النصارى أن أتباعهم لم ينلهم سوء لطاعتهم للمسيح، يقول الأسقف إيسوذورس: (وإذا سألتني عن حال المسيحيين في أورشليم أثناء هذه المصائب التي حلت باليهود، فأقول: إن الله حفظهم من كل مكروه، لأنهم أطاعوا المسيح، الذي دعاهم بالهرب من المدينة المقدسة)[٣].

وتُعتبر الفترة التي بعد تدمير الهيكل فترة غامضة، بل هي من أكثر فترات التاريخ غموضاً وأشدها خطراً، إذ فيها ظهرت الأناجيل المزعومة التي يعتمد عليها النصارى في دينهم وشعائرهم.

يقول حبيب سعيد: (من (٧٠م) إلى (١١٠م) تبقى أكثر فترات التاريخ غموضاً وإبهاماً؛ لأن هذه الفترة حفلت بكثير من معالم التغير في الكنيسة نفسها، وفيها برز كثير من دعاة المسيحية المجهولين بعد بولس، وظهر كثير من الأفكار التي حملها بلا شك المتنصرون الوثنيون من مصادر غير مسيحية، وخاصة حول العقائد والممارسات المسيحية)[٤].

ومن أبرز الأحداث التي يُشار إليها في تاريخ المسيحية في القرن الثاني؛ حادثة تدمير القدس وطرد بني إسرائيل منها، وكان ذلك عام (١٣٥م)، وفي حينها فقدتِ الجماعة الأولى مركزها وسلطتها لمعاداة الرومان لها، وأصبح التمكين للنصارى من غير بني إسرائيل، البعيدين عن الأصول التي جاء بها موسى عليه السلام، مما كان له أكبر الأثر في ضياع رسالة المسيح بين المتأخرين، وفي المقابل انتشرت الكنائس البولسية بين

(١) انظر: مقدمة ابن خلدون: ٢/ ١٦٤.

(٢) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: ١٨٣.

(٣) الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٦٢.

(٤) تاريخ المسيحية: ١/ ٤٧.

أوساط الوثنية لقربها من مبادئهم[1].

ومما تجدر الإشارة إليه؛ أن كثيراً من الاضطهادات التي عانى منها النصارى، غالبها وقع على نصارى (الأقباط)، لذا سأرجئ الحديث عنها إلى تاريخ النصارى الأقباط.

هذه لمحةٌ سريعةٌ لأبرز أحداث تاريخ النصرانية بشكل عام، والأطوار التي مرت بها.

(١) انظر: تحريف رسالة المسيح: ٩٧ - ٩٨.

ثانياً: أسباب الانشقاق النصراني، وأبرز فرقهم القديمة

أ - أسباب الانشقاق النصراني:

تمهيد:

مرَّت النصرانية بأطوارٍ متعددةٍ - كما تقدم -، كانت بدايتها بدعوة المسيح عليه السلام لبني إسرائيل، بعدما تحول الدِّين عندهم إلى جانب ماديٍّ لا روح فيه، فكانت دعوته عليه السلام دعوةً خالصة إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، قال تعالى مخبراً عنه: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [المائدة: ١١٧-١١٨].

وقد استمر أَثَرُ هذه الدعوة على تلاميذ المسيح عليه السلام وأتباعه من بعده حتى المنتصف الثاني من القرن الأول، عندما أُحرق بيتُ المقدس ودُمِّرَ التدمير الأول[١]، ثم جاء التدميرُ الثاني[٢] فزاد الأمرَ شدةً وظلمة، وكان قد أشعل ذلك من قبل دخول بعض اليهود الحاقدين في النصرانية، وتحويل مسارها التوحيدي إلى الشرك بالله، ويتمثلُ ذلك في بولس «شاول».

كان الخلاف النصراني منذ بدايته يدور حول طبيعة المسيح عليه السلام، هل هو رسولٌ فقط؟ أم له مع الرسالةِ صفةُ البنوة من الله؟ فيكون له طابعٌ وجانبٌ إلهيٌّ[٣].

فمن قال بأنه رسول؛ قال: هو إنسان كباقي الناس لا يستحق شيئاً من العبادة، ومن قال إنه ابن الله؛ حَكَم بألوهيته وعبادته.

وكان القولُ بألوهيّة عيسى عليه السلام وبنوّته هو الأظهر والأقوى كلما ابتعدنا عن زمن المسيح، ومع ذلك كانت دعوة التوحيد تظهر بين الفينة والأخرى، حتى وُجِّهت لها الضربة القاصمة، وذلك في مجمع نيقية عام (٣٢٥م)، والذي عُقد لمحاربة التوحيد

(١) كان في عام (٧٠م)، كما تقدم.

(٢) كان في عام (١٣٥م).

(٣) انظر: مُرْفقات البحث؛ المرفق رقم: ١١.

الذي دعا له آريوس[1]، فكانت النتيجة لَعْنَ آريوس وطرده وأتباعه، وإقرار التثليث.

نتيجة لتلك الخلافات؛ دبَّ التفرُّق والتحزُّب داخل النصرانية في عهدها القديم والحديث، وسأذكرُ في هذه الفقرة شيئاً من أسباب ذلك الانشقاق، وأبرز الفرق التي ظهرتْ على إثره.

أسباب الانشقاق:

بالنظر في الانشقاق الحاصل في الصفِّ النصراني؛ يمكن أن نُجمل أهمَّ وأبرز أسبابه وعوامله في عدة أمور كما يلي:

أولاً: الأسباب العقدية:

تُمثِّلُ العقائدُ ركيزةً وأساساً تقوم عليه كل الأديان، وإذا ما حصل خللٌ أو لبسٌ في عقيدة ما؛ فإن ذلك - ولاشك - يكون له أكبر الأثر في زعزعة أتباعها ومريديها.

وباستقراء أبرز العوامل العقديّة التي أثرت في الديانة النصرانية، يمكن أن نجملها فيما يلي:

١. الزعم بأن عيسى عليه السلام ابن الله:

عاش المسيح عليه السلام بين تلاميذه وحوارييه يأكل كما يأكلون، ويشرب مما يشربون منه، ولم يكن أحد منهم يعتقد أنه إله، أو ابنٌ لله، وظلَّ أتباعه وتلاميذه على هذا المعتقد.

ولما دخل بولس في النصرانية، تبنّى القول ببنوة عيسى عليه السلام، وأنه إله، يدلُّ على ذلك ما ورد في سفر أعمال الرسل: (وأقام شاول بضعة أيام مع التلاميذ في دمشق، ثم سارع إلى التبشير في المجامع بأن يسوع هو ابن الله)[2].

---

(١) ولد آريوس في ليبيا، عام (٢٧٠م) وقيل: (٢٥٦م)، وألمَّ بعلوم كثيرة، وكان مخالفاً للنصارى في القول بألوهية المسيح عليه السلام، فقد كان يؤمن بالوحدانية ويقر بنبوة عيسى عليه السلام، لا بألوهيته. انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٢٠٨-٢٠٩، الموسوعة العربية العالمية، مادة «آريوس».

(٢) أعمال الرسل: ٩/ ١٩ - ٢٠.

ويقول بولس في رسالته لرومه: (من بولس عبد المسيح يسوع، دعاه الله ليكون رسولاً، واختاره ليعلن بشارته التي سبق أن وعد بها على ألسنة أنبيائهم في الكتب المقدسة في شأن ابنه الذي في الجسد)[1].

وقد كان القول ببنوة عيسى عليه السلام سبباً رئيساً في انشقاق النصارى واختلافهم فيما بعد.

٢. القول باللاهوت والناسوت، والحلول والاتحاد:

وهذا العامل من العوامل التي ظهرت في النصرانية، وكان سبباً في حصول الشقاق والتفرق بين أتباعها.

ويرجع سبب تأليه النصارى لعيسى عليه السلام إلى فكرة الخطيئة الموروثة، لأن الله لما أحب الإنسان؛ أراد أن يخلِّصه من تلك الخطيئة التي ارتكبها آدم بالأكل من الشجرة، لذا أرسل الله ابنه ليحتمل عناء الصلب، ويفدي البشرية بنفسه[2].

وقد اختلف النصارى في كيفية اتحاد اللاهوت بالناسوت، ويحدثنا الشهرستاني عن ذلك الخلاف فيقول: (ولهم في كيفية الاتحاد والتجسد كلام؛ فمنهم من قال: أشرق على الجسد إشراق النور على الجسم المُشف، ومنهم من قال: انطبع فيه انطباع النقش في الشمع، ومنهم من قال: ظهر به ظهور الروحاني بالجسماني، ومنهم من قال: تدرَّع اللاهوت بالناسوت، ومنهم من قال: مازجت الكلمة جسد المسيح ممازجة اللبنِ الماءَ، والماءِ اللبنَ، وأثبتوا لله تعالى أقانيم ثلاثة)[3].

ومما يدل على قولهم هذا؛ ما جاء في إنجيل يوحنا: (في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله، هو في البدء كان عند الله، به كان كل شي، وبغيره ما كان شيء مما كان)[4].

---

(١) روميه: ١/١ - ٣.

(٢) انظر: النصرانية من التوحيد إلى التثليث: ٢٢٧.

(٣) الملل والنحل: ١/ ٢٢٠.

(٤) يوحنا: ١/١ - ٣.

وفي متّى: (ستحْبلُ العذراء، فتلد ابناً يدعى عمانوئيل، أي الله معنا)[1].

ومن مظاهر قولهم هذا؛ وصفُ المسيح عليه السلام بأوصاف الله، كوصفهم له بأنه أزليٌّ إلى الأبد، ففي رسالة بولس إلى العبرانيين، يقول: (أما يسوع فهو هو، بالأمس واليوم وإلى الأبد)[2].

وكذا وصفهم له عليه السلام بالعلم بكل شيء، كما في إنجيل يوحنا: (ونرى الآن أنك تعرف كل شيء، وأنك لا تحتاج إلى أن يسألك أحد عن شيء، فلذلك نؤمن بأنك جئت من عند الله)[3].

وهو عندهم يغفر الخطايا: (فلما رأى يسوع إيمانهم، قال للكسيح[4]: يا ابني، مغفورةٌ لك خطاياك)[5].

وهو الذي يحيي الموتى: (وصاح بأعلى صوته: (لعازر[6] اخرج)، فخرج الميت مشدود اليدين والرجلين بالأكفان، معصوب الوجه بمنديل)[7].

واضطرابهم في مسألة اللاهوت والناسوت مهَّد لاختلافهم في مشيئة المسيح، هل هي مشيئة واحدة أم مشيئتان؟ وترتب على ذلك اختلافهم في أصل العقيدة، ومن ثم أدى إلى تفرقهم إلى فرق كل بحسب قوله[8].

٣. اختلافهم في الروح القدس:

اختلف النصارى بدايةً في الروح القدس، هل هو إله أم لا؟ ثم انتهوا إلى أنه إله،

---

(١) متّى: ١/ ٢٣.

(٢) العبرانيين: ١٣/ ٨.

(٣) يوحنا: ١٦/ ٣٠.

(٤) الكسيح: من كَسَحَ، وهو مرض يُصيبُ اليدين والرجلين، وأَكثر ما يستعمل في الرجلين، وقيل: الكَسَحُ ثِقَلٌ في إحدى الرجلين إذا مَشَى جَرَّها جَرّاً. انظر: لسان العرب: ٢/ ٥٧١.

(٥) مرقس: ٢/ ٥.

(٦) لعازر: اسم دارج في أيام يسوع ومعناه: الله يُعين. انظر: حاشية الكتاب المقدس، العهد الجديد: ١٦١.

(٧) يوحنا: ١١/ ٤٣-٤٤.

(٨) انظر: الكنيسة أسرارها وطقوسها: ٧٩.

ثم اختلفوا بعد ذلك في انبثاقه، فمنهم من يقول: إن الابن والروح القدس مساويان للآب في وحدة اللاهوت المقدس، وأنهما - الابن والروح القدس - منبثقان من الآب، فالابن له الأزلية كالأب، ويزيد بعضهم أن الروح القدس منبثق من الابن أيضاً، ويخالفهم آخرون في أنه منبثق من الآب فقط.

ومجمع القسطنطينية الأول الذي عقد عام (٣٨١م) كان لإثبات ألوهية الروح القدس، وأنه خالق وليس بمخلوق، وكان ذلك رداً على (مقدونيس) الذي قال بأن روح القدس مخلوقٌ وليس إلهاً.

وأما مجمع القسطنطينية الرابع الذي عقد في عام (٨٦٩م)، فكان بعد إعلان بطريرك القسطنطينية أن انبثاق الروح القدس كان من الآب وحده، فخالفه بطريرك روما إلى القول بأن روح القدس منبثق من الآب والابن معاً، فأقرَّ المجمع انبثاق روح القدس من الآب والابن معاً[1]، إلا أن القائلين بالانبثاق من الآب وحده عقدوا مجمعاً سنة (٨٧٩م) وأقرّوا فيه قولهم، وحصل من ذلك - لاحقاً - انشقاقُ الكنيسةِ إلى أرثوذكسية شرقية، وكاثوليكية غربية.

ويُعتبر هذان المجمعان الأخيران سببين رئيسيين في انقسام الكنيسة إلى شرقية، وغربية[2].

٤. الاختلاف في مريم عليها السلام:

نادى نسطور أسقف القسطنطينية إلى القول بأن مريم والدة الإنسان، وليست والدة الإله كما تزعمه الأكثرية من النصارى، ومنهم كيرلس أسقف الإسكندرية، (فعقد الأنبا كيرلس مجمعاً مع الأساقفة، ثم وضع مقدمةً لدستور الإيمان.. وهي التي تبدأ بكلمات: (نعظِّمك يا أم النور الحقيقي، ونمجّدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله)[3].

(١) انظر: مقارنة الأديان للخطيب: ٢٩٧، النصرانية من التوحيد إلى التثليث: ٢٣٥ وما بعدها، وتحريف رسالة المسيح: ١٨٥ وما بعدها.

(٢) انظر: الكنيسة أسرارها وطقوسها: ٨٠.

(٣) الأقباط النشأة والصراع: ٢٤٢.

يقول ابن القيم: (أما قولهم في مريم؛ فإنهم يقولون: إنها أم المسيح ابن الله في الحقيقة، ووالدته في الحقيقة، لا أمَّ لابنِ اللهِ إلا هي، ولا والدةَ له غيرها، ولا أب لابنها إلا الله، ولا ولد له سواه، وإن الله اختارها لنفسه ولولادةِ ولده وابنه من بين سائر النساء، ولو كانت كسائر النساء؛ لما ولدت إلا عن وطء الرجال لها، ولكن اختصت عن النساء بأنها حَبَلَتْ بابن الله، وولدت ابنه الذي لا ابن له في الحقيقة غيره، ولا والد له سواه، وإنها على العرش جالسة عن يسار الرب تبارك وتعالى والد ابنها، وابنها عن يمينه)[1].

ويرى النصارى أن نسطوراً في موقفه من ولادة مريم إنما أراد أن يمهِّد الطريق إلى القول بإنكار ألوهية المسيح[2].

وقد كان مجمع أفسس الأول عام (٤٣١م) حاوياً لتلك المناقشات والمناظرات التي نشبتْ[3].

٥. **الموقف من الصور والتماثيل:**

كان الموقف من الصور والتماثيل يُشكِّلُ جزءاً من أسباب الخلاف التي طالت النصرانية، وكانت نشأة (عبادة الصور والتماثيل كأية بدعةٍ أخرى، محدودة النطاق، ثم نمت تدريجياً، وانتشرتْ في أرجاء واسعة، لكنها لم تدخل في صلب الديانة المسيحية بصفة رسمية إلا في مجمع نيقية الثاني)[4].

ولما أدرك الإمبراطور (ليو الثالث) أن عبادة الصور والأصنام وتقديسها أصبحتْ من الخزعبلات، ومن أسباب الشقاء السائد بين أرجاء إمبراطوريته؛ دعا إلى محاربتها، فأصدر في سنة (٧٢٦م) مرسوماً يقضي بمنع عبادة التماثيل، وأردف ذلك بتحطيمها، واضطهاد من يتمسك بها، فحدث جرَّاء ذلك نزاعٌ بين الكهان والرهبان مع الإمبراطور ليو.

(١) هداية الحيارى: ١/ ١٣٩.

(٢) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٢٥٧.

(٣) انظر: محاضرات في النصرانية: ١٦٠-١٦١، النصرانية من التوحيد إلى التثليث: ١٨٤-١٨٥، المسيحية لشلبي: ٢٠٩.

(٤) العلمانية: ١٠٠.

ولما جاء قسطنطين بن ليو الثالث، دعا إلى عقد مجمع للنظر في شأن الصور والتماثيل، فكان ذلك بين عامي (٧٥٣ -٧٥٤م)، واستمرتْ جلسات المجمع قرابة ستة أشهر، وكان من أبرز قراراته؛ الحكم بأن عبادة الصور تجديدٌ للوثنية، وإفسادٌ للمسيحية، وقضوا بتحريم تصوير المسيح في أي شكل من الأشكال[1].

وفي عام (٧٨٧م) دُعيَ الناسُ لمجمع آخر للنظر في مسألة الصور، فاجتمع المعنيون في نيقية، واتخذوا قراراً بإثبات عبادة الهياكل والصور، وإبطال قرارات المجمع السابق[2].

وفي عام (٧٩٤م) عُقد مجمعٌ ثالث في فرانكفورت لتحطيم الصور والتماثيل، رداً على المجمع السابق، وإبطالاً لقراراته.

ثم جاءت من بعده مجامع تُجيز الصور، وأخرى تُحرِّمها، وكان كل مجمع يلعن الآخرين[3]، وترتب على ذلك انشقاقٌ بين النصارى[4].

ثانياً: الأسباب المتعلقة بالتشريع والأحكام:

تقدم في أطوار النصرانية التي مرت بها؛ أن هناك من عبث بأحكامها وشرائعها، كالختان وشرب الخمر وغيره، ولاشك أن هذا العبث من شأنه أن يُحدث نزاعاً داخل الصف النصراني.

ومن أهم الشرائع والأحكام التي أثّرت في حصول الانشقاق النصراني، ما يلي:

١. **التعميد:**

يمثلُ التعميدُ شعيرةً من شعائر النصارى المقدَّسة، وهو في الأصل مأخوذٌ من

---

(١) انظر: الكنيسة طقوسها وأسرارها: ٨٢.

(٢) انظر: العلمانية: ١٠٢.

(٣) انظر: محاضرات في النصرانية: ١٧٠-١٧١، العلمانية: ١٠٠-١٠٣، الكنيسة أسرارها وطقوسها: ٨١-٨٢، تحريف رسالة المسيح: ٣٨١، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: ٢٥٨-٢٦٠.

(٤) بلغ الأمر بصورة المسيح وأمه إلى حد الامتهان، فقد قامتْ شركة إنتاج سينمائي بإنتاج فيلم عن حياة المسيح الجنسية، وكان ذلك في عام (١٣٩٧هـ)، والعجيب في الأمر أن النصارى أنفسهم كان موقفهم سلبياً تجاه هذه الحادثة، بينما أعلنت المنظمات الإسلامية شجبها واستنكارها لهذا العمل. انظر: العلمانية: ١٠٣.

المعمودية، وهي كلمةٌ سريانيةٌ تعني الغطس، ويراد بها في النصرانية: غسل الجسم بماء مخصوص في الكنيسة بواسطة القسيس، ويوضع مع الماء أشياءُ أُخرى، كالملح مثلاً، فيقوم القَسيس بقراءة بعض الأدعية على ذلك الماء ثم يرشّ به أو يغسل[1] جسم من يريد الدخول في النصرانية، ويتم فيها غسل الجسم ثلاث مرات، ويقول القسيس: عمدتّكَ باسم الآب والابن والروح القدس[2].

وقد اختلف النصارى في تفاصيل التعميد، فمن حيث الطريقة والكيفية؛ ذهب بعضهم إلى أن التعميد لا يصح إلا بالتغطيس الكامل، وذهب آخرون إلى أنه يكفي فيه الرش دون التغطيس.

كما اختلفوا في الطفل هل يُعمَّد أم أن التعميد خاص بالكبار فقط؟ وقد ذهبت الغالبية العظمى منهم إلى أن التعميد واجب على الصغار والكبار على حدٍّ سواء[3].

٢. أكل لحم الخنزير وشرب الخمر:

جاء تحريم لحم الخنزير صريحاً في الكتاب المقدس، ومصداق ذلك ما جاء في سفر اللاويين، بعد ذكر المحرمات من الحيوانات: (..والخنزير لأنه مشقوق الظفر، ولكنه لا يجتر، من لحمها لا تأكلوا، ولا تمسوها ميتةً، فهي نجسةٌ لكم)[4].

ومثله كذلك شربُ الخمر، فقد جاء تحريمه في الكتاب المقدس في قوله: (لا تسكروا بالخمرة، ففيها الخلاعة)[5]، كما يُقرّر الكتاب المقدس أن شرب الخمر غباوة، ولذا اتُّخِذتْ احتياطات كثيرةٌ في العهد القديم لوقاية الناس من الإفراط في شربه، كما نهى الكتاب المقدس عن السُكْرِ به، وبيّن أنه خطيئةٌ[6].

ومع هذه النصوص الصريحة في تحريم لحمِ الخنزير وشربِ الخمر؛ إلا أن النصارى

---

(١) هناك من يُوجب الغسل كالأقباط ولا يُجيزون الرش، وهناك من يُجيز الرش ويكتفي به، كما سيأتي بيانه.

(٢) انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ٣/ ٢٣٣، معجم الإيمان المسيحي: ٤٧٢، النصرانية تاريخاً وعقيدة: ١١٥.

(٣) انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ٣/ ٢٣٣وما بعدها، تحريف رسالة المسيح: ٢٠١-٢٠٢، المسيحية لشلبي: ١٨١.

(٤) اللاويين: ١١/ ٧-٨.

(٥) أفسس: ٥/ ١٨.

(٦) انظر: الكنيسة أسرارها وطقوسها: ٨٣.

عدلوا عنها ومالوا إلى استباحتها، بعد أن تبنى هذا القول كل من بولس وبطرس كما في المجمع الأورشليمي، الذي كان في منتصف القرن الأول[1]، وغاية ما استدلوا به في الإباحة؛ رؤيا رآها بطرس في منامه[2]، ولضعف الدليل وتهاويه؛ حدث خلاف بين النصارى في هذه المسألة.

٣. الختان:

كان الختان من الأمور المقررة في الشرائع السابقة لشريعة موسى، فشريعة إبراهيم عليه السلام قد جاءت بالختان، ثم موسى عليه السلام من بعده، وكان الختان علامةً على الدخول في الملة، فقد جاء في سفر التكوين: (وقال الله لإبراهيم: احفظ عهدي أنت ونسلك من بعدك جيلاً بعد جيل، وهذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك: أن يختتن كل ذكرٍ منكم، فتختنون الغلفة من أبدانكم، ويكون ذلك علامة عهد بيني وبينكم)[3].

وجاء في سفر اللاويين: (وكلّم الربُّ موسى فقال: قل لبني إسرائيل إذا حبلتْ امرأةٌ فولدتْ ذكراً، تكون نجسةً سبعة أيام، كما في طمثها، وفي اليوم الثامن يُختتن المولود)[4].

ولما جاء عيسى عليه السلام بعد ذلك أقرَّ ما كان عليه الأنبياء قبله من أمر الاختتان، فقد جاء في يوحنا: (فقال يسوع: ما عملتُ إلا عملاً فتعجبتم كلكم، أمَرَكم موسى بالاختتان، وما كان الختان من موسى بل من الآباء، فأخذتم تختنون الإنسان يوم السبت، لئلا تخالفوا شريعة موسى)[5]، وفيه دلالة على أن أوائل النصارى كانوا على شريعة الاختتان.

ولما دخل بولس النصرانيةَ؛ حرَّم الاختتان استمالةً للوثنيين، وكسباً لودِّهم، مع أنه كان مختوناً!! فقد جاء في رسالته إلى كنيسة فيلبي، عند حديثه عن نفسه: (لأني مختون

(١) انظر: الكنيسة أسرارها وطقوسها: ٨٣-٨٤، تحريف رسالة المسيح: ٢٠٥.
(٢) انظر: محاضرات في النصرانية: ١٤٠.
(٣) التكوين: ١٧/ ٩-١١.
(٤) اللاويين: ١٢/ ١-٤.
(٥) يوحنا: ٧/ ٢١-٢٣.

في اليوم الثامن لمولدي)[1].

وإلغاء بولس لشريعة الختان مخالف لما عليه تلاميذُ المسيح، وقد سعى بولس لصرف الختان عن معناه الحقيقي المحسوس إلى معنىً آخر طبعَ عليه طابع الروحانية، حيث يقول: (والختان هو ختان القلب بالروح، لا بحروف الشريعة، هذا هو الإنسان الذي ينال المديح من الله لا من البشر)[2].

ولما أقرَّ مجمع أورشليم سنة (٥٠م) إلغاء عقيدة الختان؛ كان لذلك الأثرَ الأكبرَ في حصول الانشقاق بين النصارى، ولذا يُعتبر هذا المجمع من المجامع المتقدمة التي سنَّت سُنَّةَ التحريف في النصرانية[3].

٤. **العشاء الرباني:**

يُعرِّفُ النصارى العشاءَ الرباني بأنه سرٌّ مقدّسٌ، يتناول فيه المؤمنُ من جسد المسيح ودمه الأقدسين، تحت شكلَي الخبز والخمر[4].

ويذكر متّى في إنجيله أن عيسى عليه السلام (أخذ خبزاً وبارك وكسره، وناول تلاميذه، وقال: خذوا كلوا، هذا جسدي)[5]، وبعد رفع المسيح عليه السلام كان أتباعه وتلاميذه من بعده يجتمعون في بعض الدور، ويقتسمون الخبز، ويرددون بعض العبارات.

ويمثل العشاء الرباني جزءاً من الخلافات التي حصلتْ بين النصارى، وعُقدَ لأجله العديد من المجامع[6].

والصحيح أن العشاء الرباني لم يكن سراً مقدساً في عهد المسيح عليه السلام، وإنما أدخله بولس إلى النصرانية، وإلا فهذا العشاء في أصله من الوثنيات التي نُقلت إلى النصرانية.

---

(١) فيلبي: ٣/ ٥.

(٢) روميه: ٢/ ٢٩.

(٣) انظر: الكنيسة طقوسها وأسرارها: ٨٣.

(٤) انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣٢٨.

(٥) متّى: ٢٦/ ٢٦.

(٦) انظر: تحريف رسالة المسيح: ١٩٣، الكنيسة أسرارها وطقوسها: ١٩١.

يقول شارل جنيبر: (واجتماع القربان الذي عرفته الجماعة الأولى أصبح منذ القرن الثاني قُدَّاساً، أي سلسلةً منتظمةً من القراءات والصلوات الجماعية والدروس والتراتيل.. والظاهرة المؤكَّدة لدينا على أي حال؛ هي أن القربان كان يُعتبر منذ ذلك الحين سرّاً)[1].

ثالثاً: العوامل السياسية:

تمثل العوامل السياسية جزءاً من أسباب الانحراف والانشقاق التي عرَضتْ للنصرانية، ولعل أبرز ما يشار إليه في الجانب السياسي أمران، هما:

١. اضطهاد الحكّام والأباطرة للنصارى:

يُعتبر الموقف العدائي من قبل اليهود تجاه النصارى أبرز سببٍ في اضطهاد الحكّام والأباطرة للنصرانية وأهلها، إضافةً لانتشار النصرانية داخل الإمبراطوريات الرومانية، مما جعل أباطرة الرومان يشعرون بمدى خطورة النصرانية على ملكهم.

وقد كان اضطهاد الأمم للنصارى في وقت مبكرٍ من تاريخ النصرانية، وكان له الأثر البالغ في تحريف المسيحية الحقة، وضياع وتحريف نصوص الإنجيل الذي جاء به المسيح عليه السلام.

وأوّل اضطهادٍ قام به اليهودُ كان لعيسى عليه السلام، عندما حاولوا قتله، ولما رُفع عليه السلام تعرَّض أتباعه من بعده للاضطهاد، ويُعتبرُ اضطهاد نيرون من أبرز الاضطهادات التي مرّت بأتباع المسيح - كما تقدم -، ومن بعد نيرون جاء تراجان، ثم ديسيوس، ثم دقلديانوس وغيرهم، فحركة الاضطهاد التي كانت موجهةً ضد المسيحيين خرجتْ منتصرةً لنصرانيةِ بولس، وهي التي قد ابتدعت أشياء لا يوافِق عليها النصارى أنفسهم[2].

ومما يدل على تأثير الاضطهاد في الديانة النصرانية؛ ما حصل من رِدَّةٍ ملحوظة بعد اضطهاد ديسيوس، ويُذكر أن بعض النصارى نبذوا دينهم قرابة العشرين سنة، كما دخل عددٌ منهم في الوثنية، وهذا بدوره أدّى إلى ضعفِ عامٍ في التدين[3].

(١) المسيحية نشأتها وتطورها: ١٦٠.

(٢) انظر: تحريف رسالة المسيح: ٣٤٢.

(٣) انظر: إظهار الحق: ٢/ ٦٠٩وما بعدها، المسيحية لشلبي: ٩٦، النصرانية بين التوحيد والتثليث: ١١٦.

٢. حبُّ الباباوات للرئاسة والتصدر:

في مستهل القرن التاسع والعاشر دبَّ فسادٌ في أوساط الباباوات، تمثَّل في ميلهم لكثيرٍ من الشهوات وحب الظهور، ويرى بعضُ المؤرخين أن ذلك الفساد ابتدأ من سنة (٨٩٠م)، وذلك عندما وصلتْ حالة البابوية إلى درجة متدنيةٍ، وأصبح مركز البابا محلَّ نزاعٍ بين القادة السياسيين، ويشهد لذلك الحروب التي قامت لأجل الحصول على منصب البابا، وقد عُرف عن كثير من أولئك السمعة السيئة التي تتنافى مع المنصب الديني، بل وكان المنصب في فتراتٍ زمنيةٍ بين بعض النسوة! وكنَّ يعطينه لمن أردن، وهذا ما جعل الإمبراطور (أوتو الأول) يعمل على إنقاذ منصب البابا من هذه الإشكالية، فحصره على نفسه وجعله من حقوقه[1].

وقد أدّى هذا الوضع المتردي للبابوية إلى تمكين الحكام من السيطرة على الكنيسة، حتى دعا نيقولا الثاني في عام (١٠٥٩م) إلى عقد مجمع ديني لتنظيم اختيار البابا، وإنقاذ البابوية من الانحطاط الذي آلتْ إليه، واتفق أهل المجمع على أن يتولى أساقفة روما انتخاب البابا أولاً، ثم يُدعى الناس للموافقة على هذا الاختيار[2].

ب - أبرز فرق النصارى القديمة:

تقدم أن المسيحية الحقة التي جاء بها عيسى عليه السلام كانت على توحيد الله وإفراده بالعبادة، وأن أتباعه وحوارييه كانوا على مثل ذلك، وإنما طرأ الشرك والقول بالتثليث لاحقاً، وهو ما استقر عليه النصارى والنصرانية بجميع فرقها.

وتُعتَبر المجامع الكنسية هي الواضع الحقيقي للنصرانية بعقيدتها المُثلِّثة، ولما كان مجمع نيقية (٣٢٥م) هو أول من وَضَعَ أُسُسَ العقيدة النصرانية بشكلها المعاصر، ولأن ماعدا الآراء القائلة بالتثليث قد اندثرت من النصرانية؛ فسيكون الحديث حول الفرق النصرانية القديمة القائلة بالتثليث، اعتباراً من تاريخ مجمع نيقية.

(١) انظر: المسيحية في العصور الوسطى: ٤٠.
(٢) انظر: الكنيسة أسرارها وطقوسها: ٧٠.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن هذه الفرق التي اختلفت فيما بينها، كان محل خلافها يدور حول طبيعة المسيح عليه السلام: هل هي بشرية أم إلهية؟ وهل هو من طبيعةٍ واحدةٍ أم من طبيعتين؟ وهل مشيئته واحدةٌ أم مشيئتان؟

ويمكن أن نحصر أبرز الفرق النصرانية القديمة في ثلاث فرق، يقول ابن حزم: (وعمدتهم - النصارى - اليوم ثلاث فرق، فأعظمها فرقة الملكانية)[1]، ويقول الشهرستاني: (ثم افترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة، وكبار فرقهم ثلاثة: الملكانية، والنسطورية، واليعقوبية)[2]، ويقول ابن تيمية: (ثم فرقهم الثلاثة المشهورة: النسطورية، والملكية، واليعقوبية، كل طائفة تكفِّر الأخرى..)[3]، وإليك شيئاً مما يخص كل فرقة:

١. الملكانية:

ويُسمَّون أيضاً بالملكية[4]، وقد اختُلف في سبب تسميتهم بهذا الاسم، فيرى الشهرستاني أنهم سموا بذلك نسبةً إلى رجل يقال له: (مَلَكا) الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها[5]، ويخالفه ابن القيم في ذلك، فيقول: (الملكية: وهم الروم نسبة إلى دين الملك، لا إلى رجل يُدعى «ملكانيا» هو صاحب مقالتهم، كما يقوله بعض من لا علم له بذلك)[6]، وإلى هذا القول مال ابنُ كثير[7]، ويذهب بعض الباحثين إلى أن سبب التسمية راجعٌ لحضور زوج الملكة مجمع خلقيدونية[8].

والملكانية دين مُعْظَمِ ملوك النصارى وأهل ممالكهم، ماعدا الحبشة وأهل

(١) الفصل في الملل والنحل: ١/ ٤٨.

(٢) الملل والنحل: ١/ ٢٢٢.

(٣) الجواب الصحيح: ١/ ٤١٢.

(٤) انظر: الفصل في الملل والنحل: ١/ ٥١، الملل والنحل: ١/ ١٧٥، الإعلام بما في دين النصارى: ١/ ٢٤٣، الجواب الصحيح: ٢/ ١٢، هداية الحيارى: ١/ ١٦٥.

(٥) انظر: الملل والنحل: ١/ ٢٢٢.

(٦) هداية الحيارى: ١/ ١٦٥.

(٧) أعني القول بأن التسمية راجعةٌ إلى دين الملك. انظر: البداية والنهاية: ٢/ ١٥١.

(٨) انظر: المسيحية لشلبي: ٢٠٣.

النوبة[1][2]، وتعتقد الملكانية أن الكلمة اتحدت بجسد المسيح، وتدرَّعت[3] به، ويقولون بأن الله - تعالى وتقدس عن قولهم - عبارة عن ثلاثة أقانيم[4]: الآب، والابن، وروح القدس، كلها لم تزل، وأن عيسى إله تامٌ وإنسان تامٌ، ليس أحدهما غير الآخر، وأن الذي وقع عليه الصلب هو الناسوت دون اللاهوت، فإنه لم يُصبه شيءٌ، وأن مريم ولدت إلهاً وإنساناً، وهما شيءٌ واحدٌ[5].

فالمسيح عندهم على طبيعتين: لاهوتية وناسوتية، وقد تَبِعَهم على هذا القول الكاثوليك - كما سيأتي - الذين يقولون بالطبيعتين، والمشيئتين.

وتؤمن الملكانية بالقيامة وبحشر الأبدان، ومنهم من يقول بحشر الأرواح دون الأبدان، وأن عاقبة الأشرار في القيامة غمٌّ وهمٌّ وحزنٌ، وعاقبة الأخيار سرور وفرح، لكنهم ينكرون أن يكون في الجنة نكاح وأكل وشرب[6].

٢. النسطورية:

نسبةً إلى نسطور، بطريرك القسطنطينية سنة (٤٢٨م)، وهذا رأي الأكثرية[7]، خلافاً لما ذهب إليه الشهرستاني أنه كان موجوداً أيام المأمون!

يقول الشهرستاني: (النسطورية: أصحاب نسطور الحكيم، الذي ظهر في زمان المأمون، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه)[8].

---

(١) النوبة: بلادٌ واسعةٌ عريضةٌ في جنوبي مصر، وهم نصارى يعاقبة، أهلُ شدةٍ في العيش، أول بلادهم بعد أسوان، صالحهم عثمان بن عفان ﷺ على أربعمائة رأس في السنة، وقد امتدحهم النبي ﷺ، وتُسمى النوبة «دمقلة»، وطول بلادهم مع النيل ثمانون ليلة. انظر: معجم البلدان: ٥/ ٣٠٩.

(٢) انظر: الفصل في الملل والنحل: ١/ ٤٨.

(٣) التدرع هو التلبس بالشيء. انظر: لسان العرب: ٨/ ٨٢، المعجم الوسيط: ١/ ٢٨٠.

(٤) الأقانيم: الأصول، واحدها أقنوم. انظر: لسان العرب: ١٢/ ٤٩٦، مختار الصحاح: ١/ ٢٣١.

(٥) انظر: الفصل في الملل والنحل: ١/ ٤٨.

(٦) انظر: الملل والنحل: ١/ ٢٢٣، الكنيسة أسرارها وطقوسها: ٩٣-٩٤.

(٧) انظر: الفصل في الملل والنحل: ١/ ٤٨، البداية والنهاية: ٢/ ١٠٢، تحريف رسالة المسيح: ٣٠٨.

(٨) الملل والنحل: ١/ ٢٢٤.

ومما يدل على صحة القول الأول؛ أن مجمع أفسس المنعقد سنة (٤٣١م)، إنما عُقد للحكم على أفكار نسطور[١].

ولد نسطور بسوريا بمدينة مرعش[٢]، وكان مذهبه الذي نادى به محاولة للقرب من التوحيد[٣]، حيث إنه يرى (أن مريم لم تلد الإله، وإنما ولدت الإنسان)[٤]، فالجسد لا يولد منه إلا جسد، وهو بهذا القول يرى أن أقنوم الابن لم يتجسد ولم تلده مريم، وإنما ولدت مريمُ الإنسانَ فقط، وبعد ذلك اتحد هذا الإنسان بالأقنوم الثاني اتحاداً مجازياً وليس حقيقياً، لأن الإله منحه المحبة، ووهبه النعمة، لذا فهو بمنزلة الابن، وينبني على قوله هذا أن المسيح الذي حصل له ما حصل - في زعمهم - من المحاكمة والعقاب..إلخ، لم يكن فيه عنصر إلهيٌ قط[٥]، فالذي وقع عليه الصلب هو الناسوت وليس اللاهوت، لأن الإله لا تحله الآلام[٦].

وقد خالف النساطرةُ المتأخرون قول إمامهم نسطور، فذهبوا إلى القول بامتزاج اللاهوت مع الناسوت حقيقةً لا على سبيل المجاز كما يقوله نسطور[٧].

(ومن النسطورية قوم يقال لهم: «المصلين»، قالوا في المسيح مثل ما قال نسطور، إلا أنهم قالوا: إذا اجتهد الرجل في العبادة، وترك التغذي باللحم والدسم، ورفض الشهوات الحيوانية والنفسانية؛ تصفّى جوهره حتى يبلغ ملكوت السماوات ويرى الله تعالى جهرة، وينكشف له ما في الغيب، فلا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء[٨].

---

(١) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٢٥٦-٢٥٧، تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ٧٢-٧٤.

(٢) مَرْعَش: مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم، لها سوران وخندق، وفي وسطها حصن عليه سور يعرف بالمرواني، بناه مروان بن محمد، الشهير بمروان الحمار. انظر: معجم البلدان: ٥/ ١٠٧. وهي اليوم داخل تركيا.

(٣) مع ملاحظة كفره في معتقده الذي يعتقده، إلا أن قوله أقرب للتوحيد من قولهم.

(٤) الفصل في الملل والنحل: ١/ ٤٨.

(٥) انظر: محاضرات في النصرانية: ١٦٨.

(٦) انظر: الملل والنحل: ١/ ٢٢٥.

(٧) انظر: محاضرات في النصرانية: ١٨٨.

(٨) وليس بعيداً عن هذا اعتقاد الصوفية في أئمتهم وأوليائهم.

ومن النسطورية من ينفي التشبيه، ويثبت القول بالقدر خيره وشره من العبد)[1].

وتنتشر هذه الفرقة في الموصل والعراق وفارس[2]، ولهم وجود الآن على حدود إيران، وكذا في سوريا، يقول جاد المنفلوطي: (وفي القرن الثالث عشر الميلادي، كان هناك سبعون إيبرشية[3] خاضعة للبطريق النسطوري.. لكن بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر، خسرت الكنيسة النسطورية الكثير من مناطق نفوذها بسبب هجمات المغول.. ولا زالت في بلاد الفرس وإيران وسوريا بعض الكنائس النسطورية)[4].

٣. اليعقوبية:

نسبةً إلى يعقوب البرذعاني[5]، وقيل: البرادعي[6]، وقيل: البرذعي[7]، سمي بذلك لأن لباسه كان من خرق برادع[8] الدواب، يرقِّع بعضها ببعض ويلبسها، ويرى النصارى أنه سُمي بذلك نسبةً إلى الدعة والمسكنة بالروح والملبس، لأنه منسوب إلى البردع[9].

كان يعقوبُ راهباً بالقسطنطينية، مكثراً من السفر رغبةً في ضم نصارى الشرق إلى عقيدته، وتذْكرُ بعض مصادر النصارى أنه رَسَمَ[10] العديد من الكهنة والأساقفة[11]، ولم يكن يعقوبُ مؤسساً لهذه الفرقة، لكنه أبرزُ من تبنَّى أقوالها وأشْهَرَها، لأن قول

---

(١) الملل والنحل: ١/ ٢٢٥.

(٢) انظر: الفصل في الملل والنحل: ١/ ٤٨.

(٣) الإيبرشية هي: مقاطعةٌ أو إقليمٌ يُمثِّلُ مقر الأسقف لتلك المقاطعة، دون العاصمة، ويتم تحديد نطاق الإيبرشية الجغرافي من البابا أو المجمع المقدس، وتختلف حدود الإيبرشية عن الحدود الإدارية الحكومية. انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ١/ ١٤٠-١٤١، معجم الإيمان المسيحي: ٦، دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ١١.

(٤) المسيحية في العصور الوسطى: ١٥٥-١٥٦.

(٥) انظر: الفصل في الملل والنحل: ١/ ٤٨.

(٦) انظر: هداية الحيارى: ١/ ١٦٤.

(٧) انظر: محاضرات في النصرانية: ١٨٨.

(٨) البردع: هو الكساء الذي يلقى تحت الرحل. انظر: لسان العرب: ٨/ ٨-٩، الأفعال: ١/ ٢١٨.

(٩) انظر: الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٢٣٩.

(١٠) الرسم في المصطلح الكنسي يعني إعطاء الدرجة الكهنوتية لمن يستحقها. انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ٢/ ١٢٢، معجم الإيمان المسيحي: ٢٣٤، وانظر: مُرْفقات البحثِ؛ المُرفق رقم: ٢.

(١١) انظر: الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٢٣٩، تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ١١٢.

اليعقوبية كان موجوداً قبل يعقوب[1].

يعتقد اليعاقبة أن المسيح له طبيعة واحدة، هي مزيجٌ بين طبيعتين؛ فطبيعة اللاهوت امتزجت بطبيعة الناسوت، ومن هذا الامتزاج تكوَّنت طبيعةٌ واحدةٌ جامعة بين اللاهوت والناسوت[2][3].

ويقولون: إن مريم ولدتِ الله، وأنه تألم وصُلب متجسداً، ودُقَّت المسامير فيه فمات، ودفن وقام من بين الأموات بعد ثلاثة أيام، وصعد إلى السماء، وأن القتل والصلب وقع على الجوهر الذي هو من جوهرين. قالوا: ولو وقع على أحدهما لبطل الاتحاد[4].

وتجدر الإشارة إلى أن الأقباط النصارى يؤكدون أنه من الخطأ الدارج إطلاق اليعاقبة عليهم، لأن وجودهم - الأقباط النصارى - كان قبل ظهور اليعاقبة، وقبل دعوة يعقوب لتلك العقيدة[5]، يقول القس منسى يوحنا: (دعا الخلكيدونيون - الخلقيدونيون - الكنيسةَ القبطيةَ بالكنيسةِ اليعقوبية، وهو قولٌ ملقى على عواهنه، يدل على جهل قائله)[6].

لكن نسبة الأقباط النصارى إلى اليعاقبة وإلى الأرثوذكسية إنما هي لاشتهار تلك المصطلحات، ولشمولها أفراداً متعددةً تشمل الأقباط وغيرهم[7]، وإلا فوجود الكنيسة

---

(١) انظر: هداية الحيارى: ١/ ١٦٤، محاضرات في النصرانية: ١٨٨.

(٢) انظر: محاضرات في النصرانية: ١٨٨.

(٣) يرى ابن القيم أن قول اليعاقبة والملكانية واحد، وأن الخلاف أقرب إلى الصوري منه للحقيقي، يقول: (وإذا تدبرت قولهم - الملكانية -، وجدته في الحقيقة هو قول اليعقوبية مع تنازعهم وتناقضهم فيه، فاليعقوبية أطرد لكفرهم لفظاً ومعنى) هداية الحيارى: ١/ ١٦٥، مع أنه - كما تقدم - هناك فرقٌ بين قوليهم، والذي يظهر أن ابن القيم أراد في التشابه بينهما أن كلتيهما تقولان بألوهية المسيح، والتنازع والتناقض بينهما في كيفية الاتحاد والممازجة بين الله والمسيح، أما كون اليعاقبة أطرد لكفرهم؛ فذلك لاعتقادهم أن الذي وقع عليه الصلب هو الله، وليس الناسوت كما تقوله الملكانية، والله أعلم.

(٤) انظر: الملل والنحل: ١/ ٢٢٧، الكنيسة أسرارها وطقوسها: ٩٧.

(٥) انظر: تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ١١٣، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٢٧٤-٢٧٥، وانظر: تحريف رسالة المسيح: ٣٢٥.

(٦) تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٢٧٤.

(٧) كالسريان والأرمن.

القبطية متقدمٌ على كثير من الكنائس، والذي يظهر في عدم نسبة غيرها إليها، لأن الكنيسة القبطية بجميع مسمياتها[1] التي تُطلق عليها، مرتبطةٌ بالجانب الإقليمي، فعُدل عنه إلى جنسٍ يَشْتركُ فيه أصحاب المعتقد الواحد، بعيداً عن التمايز الإقليمي.

هذه أشهر الفرق النصرانية القديمة، وأبرز ما يتعلق بها، وينبغي أن يُعلم أن هذه الفرق على اختلافها فيما ذكرنا من العقائد، إلا أنها مُجمعةٌ (على أن القديم لا يجوز أن يتحد بالمحدث.. وأجمعوا كلهم على أن المسيح عليه السلام ولد من مريم، وقتل وصلب)[2]، وهم مجمعون أيضاً على القول بالتثليث، والله أعلم.

(١) تُسمى بالكنيسة القبطية، وبالكنيسة المصرية، وبكنيسة الإسكندرية، وكما هو ظاهر ارتباط التسمية بالجانب الإقليمي، مما لا يصلح معه النسبة إليها.

(٢) الملل والنحل: ١/ ٢٢٦.

ثالثاً: أشهرُ فرق النصارى الحديثة[1]:

تقدم الكلام عن الفرق النصرانية القديمة، وموقفها تجاه طبيعة المسيح، وأسباب الاختلاف فيما بينها، إلا أن تلك الفرق لم تثبت على طريقة واحدة، نتيجةً للاضطهاد الذي كانت تمرّ به، سواءً من طوائف النصارى أنفسهم، أو من غيرهم كاليهود والرومان، مما أدى إلى فناءِ فرق، وميلادِ خليطٍ جديدٍ من العقائد النصرانية.

وقد اشتهر في زماننا المعاصر عدد من الكنائس النصرانية، تكاد لا تخرج كنيسة نصرانيةٌ في العالم عنها، مع وجود فوارق واختلافات متفاوتة فيما بينها - كالفرق التي كانت في السابق - وهذا التفرق والتشرذم الحاصل بينهم هو نتيجةٌ حتميةٌ لكل من أعرض عن دينِ الله، وابتغى الهدى من غيره، ومهما حاولوا لَمَّ شملهم، ورأب صدعهم، فلن يتمَّ لهم ذلك إلى يوم القيامة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤ ﴾ [المائدة: ١٤].

ويمكن حصر أبرز فرق النصارى الحديثة، فيما يلي:

١. الأرثوذكس:

الأرثوذكس في أصلها كلمةٌ يونانيةٌ، وتعني عندهم المذهب المستقيم، أو الرأي الحق[2]، وقيل: إنها تعني المتعصبون أو المتشددون[3]، والقول الأول أشهر، والذي يظهر أن من عرّفها بالتعصب أو التشدد، إنما عرّفها بما ظهر له من حال أهلها المنتسبين إليها.

وعند إطلاق «الأرثوذكسية» فإنها تشمل طائفتين:

(١) ما سأذكره في هذه الفقرة إنما هو لأبرز فرق النصارى وما تفرع عنها وانبثق في العصر الحديث، وليس المقصود هنا حصر واستقصاء كل ما يتعلق بالفرق والطوائف التي انبثقت، فإن ذلك مما يُطيلُ البحث، ويخرجه عن مقصوده، لاسيما إذا عُلم أن هذه الفرق قد أُفردت كل واحدةٍ منها بأطروحةٍ علميةٍ، بل حتى بعضُ الطوائف التي انبثقتْ منها أُفردت لها رسائلُ علمية، وحسبي أني ذكرتُ مراجع لكل فرقة لمن أراد الاستزادة.

(٢) انظر: كنز النفائس في اتحاد الكنائس: ١٣، معجم المصطلحات الكنسية: ٦١، معجم الإيمان المسيحي: ٢٨.

(٣) انظر: مقارنة الأديان للخطيب: ٣٧٤.

١/ الأرثوذكسية اللاخلقيدونية:

وهم الرافضون لقرارات مجمع خلقيدونية، المنعقد عام (٤٥١م)، وهم مُجمعون على القول بالطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة للمسيح، ويرفضون القول بالطبيعتين، وأبرز من يُمثِّلهم: الكنيسة القبطية، والكنيسة السريانية، والكنيسة الأرمينية، والكنيسة الهندية، والكنيسة الأثيوبية، والكنيسة الإريتريَّة[١].

٢/ الأرثوذكسية الخلقيدونية:

وهم الموافقون لقرارات مجمع خلقيدونية، القائلون بالطبيعتين والمشيئتين للمسيح عليه السلام، وقد برزتْ[٢] هذه الكنيسة بعد مجمع القسطنطينية الخامس، والذي كان عام (٨٧٩م)، عندما تبنى بطريرك القسطنطينية أن الروح القدس منبثق من الآب فقط، وأن مرجعية الكنيسة ليست لروما وإنما للقسطنطينية، مخالفاً بذلك قرارات المجمع السابق لهذا المجمع، والذي عُقد سنة (٨٦٩م)، حيث أقروا فيه بأن الروح القدس منبثق من الآب والابن معاً، إضافةً إلى الإقرار بوجوب الرجوع لكنيسة روما في كل ما يتعلق بشؤون الكنيسة.

وعلى إثر مجمع القسطنطينية الخامس؛ لم يأت عام (١٠٥٤م)[٣] إلا والكنيسة قد أتمَّت انقسامها إلى كنيسة شرقية أرثوذكسية خلقيدونية، مقرها القسطنطينية، وأخرى غربية كاثوليكية خلقيدونية، مقرها روما[٤].

وتسمى الكنيسة الأرثوذكسية بالكنيسة الشرقية، وبكنيسة الروم الأرثوذكسية، وبكنيسة اليونان، لأن أكثر أتباعها من الروم الشرقيين، ومن البلاد الشرقية بالجملة، كروسيا، والبلقان، واليونان، وقد كان مقرها الأصلي بالقسطنطينية[٥].

---

(١) انظر: الكنائس الشرقية وأوطانها: ١/ ٢٢-٢٦، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: ٥٥-٥٦.

(٢) لأن أصولها موجودة في السابق، وتتمثل في الموافقين لمجمع خلقيدونية، وبروزها هنا بعد القول بانبثاق الروح القدس من الآب فقط، وبمرجعية القسطنطينية بدلاً من روما.

(٣) انظر: الكنائس الشرقية وأوطانها: ١/ ٢٧-٣٠، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٣٤١، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: ١٢٢.

(٤) انظر: محاضرات في النصرانية: ١٩١-١٩٢، المسيحية لشلبي: ٢١٠، الكنيسة أسرارها وطقوسها: ٩٨، تحريف رسالة المسيح: ٣٢٩.

(٥) انظر: الكنيسة أسرارها وطقوسها: ٩٨.

ويعتقد الأرثوذكس بأن الله واحدٌ في ثلاثة أقانيم، هي الآب والابن والروح القدس، ويقولون: إن الله لما نزل من السماء؛ اختبأ في بطن مريم تسعة أشهر، ثم خرج طفلاً اسمه يسوع، وفي سن الثلاثين بلَّغ الرسالة، ثم قتله اليهود وصلبوه، وبعد دفنه بثلاثة أيام؛ قام وصعد إلى السماء. وأنه يسمى (الآب) قبل التجسد، ويسمى (الابن) بعد التجسد، ويسمى الروح القدس قبل إنشاء العالم[1]- تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً -.

وعندما يقولون عن الأقنوم الثاني: إنه ابن، لا يريدون بذلك أن يكون مولوداً الولادة التي تقتضي خروج كائن من كائن، وإنما يريدون بذلك أن أقنوم الآب أعطى أقنوم الابن وأفاض عليه من طبيعته.

كذلك الروح القدس لا يقال عنه: ابن، وإنما له طبيعة الآب، وجوهره كجوهر الابن، وهو صادر عن الآب، يقول البابا شنودة الثالث: (لقد أُطلق على السيد المسيح لقب «ابن الله الوحيد»، لتمييزه عن باقي أبناء الله الذين دعوا أبناءً بالمحبة، بالإيمان، بالتبني، أما هو فإنه الابن الوحيد، الذي من نفس طبيعة الله وجوهره ولاهوته)[2].

ولغموض هذه العقيدة؛ فإنهم يجعلونها سراً من الأسرار اللاهوتية الغامضة، التي لا يمكن إدراكها بالعقل البشري، ولا يصح السؤال عنها، وإنما ينبغي الإيمان بها كما جاءت في الأناجيل[3].

ويُمكن أن نجمل أبرز معتقدات وشعائر الأرثوذكس فيما يلي:

أ- الروح القدس منبثق من الآب فقط.

ب- لا يجوز للرهبان أكل الدم، والمخنوق، ودهن الخنزير.

ت- التسلسل للرتب الكنسية في الأرثوذكسية يبدأ من (البطريرك)، يليه في المرتبة (المطران)، يليه (الأسقف)، يليه (القس) ويسمى أحياناً (القمص)، وأخيراً

(١) انظر: إيماننا المسيحي صادق وأكيد: ٤١، مقارنة الأديان للخطيب: ٣٧٤-٣٧٥.

(٢) لاهوت المسيح: ٢٢.

(٣) انظر: تاريخ الأقباط: ١/ ٢٤٠ وما بعدها.

(الشمّاس).

ث- تحريم الطلاق إلا في حالة الزنا، فيجوزونه.

ج- لا يجتمعون تحت لواء كنيسة معينةٍ أو بطريركٍ معين، بل لكل كنيسة استقلالها الخاص بها.

ويترجح لي - والعلم عند الله - أنه من الخطأ المُنتشرِ والدارج في كثيرٍ من كتب العقائد التي كَتَبَتْ عن الأرثوذكسية[1]، والتي ينقل عنها كثيرٌ من الباحثين؛ القول بأن الأرثوذكس مطلقاً يقولون بالطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة للمسيح عليه السلام، دون تفريقٍ بين الأرثوذكسية اللاخلقيدونية، والأرثوذكسية الخلقيدونية، فالأولى هي التي تقول بالطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة، أما الثانية فيقولون بطبيعتين ومشيئتين[2].

وتنتشر العقيدة الأرثوذكسية في أوروبا الشرقية، وروسيا، ومصر[3].

ويرتبط بالكنيسة الأرثوذكسية بعضُ الكنائس الأخرى، التي لكل منها مذهبها وعقيدتها التي تميزها عن غيرها، ومن أبرز تلك الكنائس ما يلي:

أ- الكنيسة القبطية:

تُعتبر الكنيسة القبطية المعاصرة من أشهر وأكبر الفرق التي ترتبط بالكنيسة الأرثوذكسية الأم، القائلة بالطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة للمسيح عليه السلام، هذه العقيدة التي كان عليها النصارى في السابق، ولم تُنقض إلا في مجمع خلقيدونية المنعقد عام (٤٥١م)، حين قرّر المجمع أن للمسيح طبيعتين: إلهية وبشرية، فخالف الأقباطُ قرارات المجمع، وبقوا على القول بالطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة.

ومقرّها الرئيسي في الوقت الحالي مصر، ولها عدة كنائس تابعةٌ لها، منتشرة في أنحاء العالم، مرتبطةٌ بها من حيث المرجعية الكنسية.

---

(١) انظر: المسيحية لشلبي: ٢٥٢، مقارنة الأديان للساموك: ١٨٤، مقارنة الأديان للخطيب: ٣٧٥.

(٢) انظر: الكنائس الشرقية وأوطانها: ١/ ٢٢-٣١، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: ٥٥-٥٦، وإن كان هناك من يُرجّح أن قولهم صار - فيما بعد - قريباً من قول أصحاب الطبيعة الواحدة.

(٣) انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: ٣٧٥.

وتتبع الكنيسةَ القبطيةَ كنيسةُ الحبشة في المرجعية والأصول العقدية.

ب- الكنيسة الأرمنية:

تمثل الكنيسة الأرمنية الأكثرية النصرانية في أرمينيا[1]، ولهم أتباعٌ في العراق، ومصر، وسوريا، وتركيا، ولبنان، إلا أن موطنها الأم في أرمينيا.

وللأرمن بطاركتهم وكنائسهم المستقلة مسمًى وإدارةً، وبرغم أنهم لا يندمجون مع أية كنيسة أخرى؛ إلا أنهم يَعدّون أنفسهم جزءاً من الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية[2].

ومما يتميز به الأرمن عن غيرهم من الأرثوذكس؛ أنهم لا يستخدمون زيت الزيتون في التقديس، بل يستبدلون به زيت السرج، وكذلك يخالفون في الأدعية التي تقال أثناء أداء السر، وسيأتي بيانها[3].

ت- الكنيسة السريانية:

اختُلف في أصل اشتقاق كلمة السريان، فقيل: اشتقت من اسم الملك «سورس» الذي حكم سوريا قبل الآشوريين، وقيل: نسبة إلى الآشوريين أنفسهم، بعدما تطرق التحريف للفظ آشور إلى آسور.

ويُعتبر القرن الرابع الميلادي قرناً ذهبياً للوعي النصراني السرياني، وقد تأثر السريان بالخلافات المتكررة في صُلب ديانتهم، فخرجوا عن الكنيسة الأم، وتأثر بعضهم بالفرق النصرانية الغربية كالكاثوليكية والبروتستانتية، فقامت مذاهب بين السريان متأثرين بتلك العقائد، مع الإبقاء على الانتماء العرقي السرياني.

ويتميز السريان الأرثوذكس عن غيرهم، ببعض التلاوات والترانيم الكنسية.

ويُعتبر نسطور أحدُ أعمدة الكنيسة السريانية، ويحيطه السريان بكثير من عبارات

---

(١) أرمينيا دولة تقع في إقليم جبال القوقاز، وعاصمتها يريفان، وهي أكبر مدنها، استقلت عام (١٩٩١م) بعد أن كانت جزءًا من الاتحاد السوفييتي. انظر: الموسوعة العربية العالمية، مادة «أرمينيا».

(٢) انظر: مقارنة الأديان للساموك: ١٨٥.

(٣) انظر: الكنيسة أسرارها وطقوسها: ١٠١.

التبجيل، وتشمل ولاية البطريركية السريانية: سورية، ولبنان، والعراق، والكويت، وتركيا، والهند، وإيران، والجزيرة العربية، إلا أن الكنيسة الأم بسوريا، ويرأسها البابا زكا الأول عيواص، راعي الكنيسة السريانية الأرثوذكسية في الوقت الحالي[١].

٢. الكاثوليك:

الكاثوليكية كلمة لاتينية، تعني الجامعة أو الشمولية[٢]، وسمّت الكنيسةُ الكاثوليكيةُ نفسها بذلك لادّعائها أنها أم الكنائس ومعلمتها، ويذكر أحد الباحثين أنها الكنيسة الوحيدة التي تنشر وتبشّر بالنصرانية في العالم[٣]، وهذا بعيد، لأن كثيراً من الإرساليات التنصيرية في العالم، تتبناها الكنيسة البروتستانتية وتدعمها.

تسمى الكنيسة الكاثوليكية بالكنيسة الرومانية الغربية، لامتداد نفوذها إلى الغرب، خاصة في أوروبا الغربية، وتسمى أيضاً بالكنيسة البطرسية أو الرسولية، نسبةً إلى بطرس كبير الحواريين، الذي يزعم الكاثوليك أنه مؤسس كنيستهم، وأن الباباوات من بعده خلفاء له.

وتتبع الكنيسة الكاثوليكية النظام البابوي، الذي يرأسه البابا والكرادلة[٤]، أصحاب الحق الكامل في الكنيسة وتنظيمها، والبابا عندهم تلميذٌ للمسيح على الأرض، وإرادته لا تقبل النقاش!

وجميع الكنائس الكاثوليكية ترجع إلى بابا روما، وقد صدر عن مؤتمر الكنائس مرسوم بعصمة بابا روما، وذلك في أواخر القرن التاسع عشر[٥]، وفي حال موت البابا؛ يتم الانتخاب عن طريق الكرادلة، وبعد أن يتم الانتخاب؛ يكون المُنتخَبُ صاحب الأحقية في إبرام القوانين الملزمة للكاثوليك بعمومهم.

---

(١) انظر: السوريون والحضارة السريانية: ٤٣-٥٣، الكنيسة السريانية الأرثوذكسية: http: //ar.wikipedia.org

(٢) انظر: معجم الإيمان المسيحي: ٣٩٠.

(٣) انظر: المسيحية لشلبي: ٢٤٩-٢٥٠.

(٤) الكرادلة هم أعضاء المجمع المقدس، الذين ينتخبون البابا ويُشكّلون مجلسه. انظر: معجم الإيمان المسيحي: ٣٩٥.

(٥) انظر: المسيحية لشلبي: ٢٤٩-٢٥٠، مقارنة الأديان للخطيب: ٣٧٠، مقارنة الأديان للساموك: ١٨٢.

وقد مارست الكنيسة الكاثوليكية أبشع أنواع الاضطهاد مع من يخالفها ويرفض قراراتها، ولا أدلّ على ذلك من محاكم التفتيش[1].

كما أدَّتِ الكنيسة الكاثوليكية دوراً كبيراً في تاريخ أوروبا، من حيث السلطة على الحكومات.

و من أبرز عقائد الكاثوليك ما يلي:

أ- أن الله واحد بثلاثة أقانيم متساوية في الجوهر والصفات، هي: الآب والابن والروح القدس، وهي كلها آلهة.

ب- للمسيح طبيعتان: لاهوتيةٌ وناسوتيةٌ.

ت- الروح القدس منبثق من الآب والابن معاً.

ث- للكنيسة الحق في مغفرة الخطايا للأحياء والأموات من غير توبة، ولذا فإنها تبيع صكوك الغفران للناس، حتى لو لم يتوبوا بإرادة من أنفسهم.

ج- تحريم الطلاق بتاتاً، ولو في حالة الزنا.

ح- تحريم الزواج على جميع رجال الدين.

خ- إباحة الدم، ولحم المنخنقة.

إلى غير ذلك[2].

وفي العهود المتأخرة انبثق عن الكنيسة الكاثوليكية عدة كنائس، يمكن أن نجمل أبرزها فيما يلي:

أ- الكنيسة الإنجليكانية:

نشأت هذه الكنيسة عام (١٥٣٤م)، بقرار من الملك هنري الثامن بفصل السلطة الكنسيّة الإنجليزية عن سلطة روما، بعد ذلك قامت هذه الكنيسة بتأليفِ قانونِ إيمانِ

---

(١) انظر: مقارنة الأديان للخطيب: ٣٧١.

(٢) انظر: الكنيسة أسرارها وطقوسها: ١٠٣-١٠٤.

خاصٍ بها، يميل إلى البروتستانتية أكثر منه للكاثوليكية.

ونشأةُ هذه الكنيسة في الأصل قائمٌ على أفكارِ رجل يقال له: (يوحنا وكلف)، الذي رفض تعاليم الكنيسة الغربية البابوية، وكان ينادي بأن الملكية حقٌّ مشروع لكل فرد صالح، وقد حُورب يوحنا وأتباعه، وطُردوا من أكسفورد.

وأبرز عقائد هذه الكنيسة؛ أن المجامع المسكونية التي عقدتها الكنيسة يجوز عليها الخطأ.

ولا يعترف الإنجليكانيون من أسرار الكنيسة السبعة[1] إلا بسرّي المعمودية والعشاء الرباني فقط، كما أنهم ينكرون عصمة البابا، وكذا صكوك الغفران[2].

ب- كنيسة الكاثوليك القدماء:

نشأت هذه الكنيسة بعد مجمع روما سنة (١٨٦٩م)، وذلك عندما قرر المجمع عصمة البابا، وعليه فيلزم جميع النصارى في كل البلدان، أن يكون خضوعهم وتبعيتهم لبابا روما، فهم وطنيون بالاسم فقط، لا يتبعون بلدانهم، وإنما هويتهم الحقيقية عائدة لبابا روما!

ترتب على هذا الأمر انشقاق الكنيسة الكاثوليكية إلى كنيستين، كنيسة قبلت هذا القرار وعملتْ به، وأخرى رفضته، وهجرتْ كنيسة روما، وسموا أنفسهم بالكاثوليك القدماء، تعبيراً عن تمسكهم بالكتاب المقدس الرافض لهذه الفكرة، وقد حصل أن دعوا إلى الاتحاد مع الأرثوذكس كردةِ فعلٍ مضادة، إلا أن اختلافهم مع الأرثوذكس في الانبثاق والطبيعة حال دون ذلك.

ومما تعتقده هذه الكنيسة؛ رفض القول بأن مريم وُلدت بلا خطيئة[3]، وهي بهذا تُخالف

---

(١) أسرار الكنيسة السبعة هي: سرُّ المعمودية، وسرُّ الميرون، وسرُّ التوبة والاعتراف، وسرُّ العشاء الرباني أو الأفخارستيا، وسرُّ مسحة المرضى، وسرُّ الزيجة المقدسة، وسرُّ الكهنوت. انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣١٥-٣٤٢.

(٢) انظر: المسيحية في العصور الوسطى: ١٧٢-١٧٥، الكنيسة أسرارها وطقوسها: ١٠٦.

(٣) انظر: المسيحية لشلبي: ٢١٠-٢١١، الكنيسة أسرارها وطقوسها: ١٠٥، تحريف رسالة المسيح: ٣٣١.

عامة الكاثوليك الذين يعتقدون أن مريم عليها السلام وُلدت بغير دَنَس ولا خطيئة[1].

٣. البروتستانت:

البروتستانت كلمةٌ لاتينيةٌ تعني الشهادة العلنية، وقد أُطلق هذا الاسم على مجموعة الكنائس المنتمية إلى الإصلاح، والتي ظهرت في القرن السادس عشر الميلادي بألمانيا، عندما نادى الراهب مارتن لوثر[2] بإصلاح الكنيسة، وتخليصها من الفساد الذي لحق بها[3].

وقد تقدم أن الكنيسة الكاثوليكية سلكت مسلك القهر والإلزام لاتِّباع قوانينها، وتحريم الخروج عليها، حاربت كل الآراء التي تخالفها، بل وحاربت كل العلوم التي لا ترتبط بالدين مباشرةً، كعلوم الطبيعة ونحوها، وأوقعت العقوبات التي تصل إلى الإحراق لكل من يتعلمها، كما اعتمدت الكنيسة على التنقيب والتفتيش عن كل من يحاول كشف تلك المسائل والعلوم، وقبضت عليهم، وأصبحوا ضحيةً لما يسمى بمحاكم التفتيش.

على إثر ذلك؛ ظهر من ينادي بإصلاح الكنيسة وتخليصها مما علق بها، وكان مارتن لوثر أول من أدخل حركة الإصلاح إلى مرحلة الثورة والتمرد على الكنيسة، فنادى ببطلان صكوك الغفران، كما أبطل كثيراً من الاعتقادات السائدة[4].

وتسمى البروتستانتية بالكنيسة الإنجيلية، لأن أتباع هذه الكنيسة لا يتَّبعون شيئاً غير الإنجيل، ويرون أن كل واحد منهم قادر على فهم الكتاب المقدس دون الحاجة للرجوع للبابوات ورجال الكنيسة، لأنهم جميعاً متساوون أمامه - الكتاب المقدس -،

---

(١) المسيحية في عقائدها: ٢٠٥.

(٢) وُلد مارتن لوثر عام (١٤٨٣م)، وعُين قسًا عام (١٥٠٧م)، حصل على درجة الدكتوراه في اللاهوت، كما عُين أستاذاً له، وهو زعيم حركة الإصلاح الديني الكنسي التي أدت إلى ميلاد البروتستانتية، قام بترجمة الكتاب المقدس إلى الألمانية، وفي عام (١٥١٧م) أعلن لوثر مبادئه التي هاجم بها ما يسمى بصكوك الغفران، هلك عام (١٥٤٦م). انظر: الموسوعة العربية العالمية، مادة «لوثر مارتن».

(٣) انظر: معجم الإيمان المسيحي: ١٠٤، تحريف رسالة المسيح: ٣١٢-٣١٣.

(٤) انظر: مقارنة الأديان للخطيب: ٣٧٨-٣٨٠.

ولذا فهم مستغنون عن كل ما يصدر عن البابا[1].

ومن أبرز عقائد البروتستانت ما يلي:

أ- للمسيح طبيعتان بعد الاتحاد، إحداهما لاهوتية، والأخرى ناسوتية.

ب- روح القدس منبثقٌ من الآب والابن معاً.

ت- لا يعترفون بغير الكتاب المقدس، فتعاليم الرسل وآباء الكنيسة المتقدمين ليس لشيءٍ منها قيمة ما لم ترد في الكتاب المقدس، ويعتبرون الأسفار المحذوفة غير قانونية، ويحق لكل شخص أن يقرأ الكتاب المقدس، وأن يفسره دون الرجوع للآباء.

ث- ليس لكنائسهم رئاسة عامة، فلكل كنيسة رئاسة مستقلة، وليس للكنيسة سوى الوعظ والتوجيه وبيان ما يحتاجه البروتستانتي من أمور دينه.

ج- ليس للكنيسة حق مغفرة السيئات والذنوب، بل الأمر يرجع فيه إلى توبة المذنب وعفو الإله.

ح- الأعمال غير ضرورية للخلاص.

خ- لا يؤمنون بنظام الكهنة، ولا بوجوب إقامة الهياكل والبخور وغيرها، مما يتعلق بذلك النظام.

د- لا تعترف الكنيسة البروتستانتية بالنظام البابوي، ولا بالدرجات الكنسية، فكلها عندهم درجة واحدة.

ذ- يحرمون إقامة الصلاة بغير اللغة المفهومة[2].

ومن أبرز الفرق المنبثقة من البروتستانت ما يلي:

---

(١) انظر: المسيحية لشلبي: ٢٥٢-٢٥٣، مقارنة الأديان للخطيب: ٣٧٧، مقارنة الأديان للساموك: ١٨٥.

(٢) انظر: الكنيسة أسرارها وطقوسها: ١٠٩-١١٠، مقارنة الأديان للخطيب: ٣٨٢-٣٨٤.

أ- طائفة المينونيين:

وهم طائفةٌ نشأت في أوروبا الشمالية خلال القرن السادس عشر، تُنسب إلى مؤسسها مينون سيمونس، ولا تعترف هذه الطائفة بمعمودية الكنائس الأخرى، كما لا تؤيد وجود محاكم وحكومات مدنية.

ويتواجد المينونيون اليوم بكثرة في الولايات المتحدة الأميركية، وفي كندا(١).

ب-طائفة المورمونية:

مؤسس هذه الطائفة هو جوزيف سميث، الذي ظهر في القرن التاسع عشر، وأعلن عن نبوته، وأنه رسول الله للقارة الأمريكية.

وتعتبر ولاية يوتا(٢) المقرَّ الرئيسي لكنيسة المورمون، ويدين ٧١٪ من سكان يوتا بالمورمونية، وقد كان وجود الطائفة المورمونية مقتصراً على الولايات المتحدة، والمملكة المتحدة، وبعض الدول الإسكندنافية، ثم ما لبثت أن انتشرت في دول العالم.

ومن أبرز ما تعتقده هذه الطائفةُ: أن الرجال سيعاقبون بسبب ذنوبهم، وليس بسبب خطيئة آدم، ويعتقدون أنه من خلال كفارة المسيح قد خلصت البشرية، كما يدينون ويعتقدون بكتابٍ مقدسٍ آخر خاص بهم، إضافةً للكتاب المقدس المعروف، كما يؤمنون بتعدد الزَوجات، ويعتقدون أن التعدد يمكِّنهم من القيام بواجباتهم الدينية في التبشير على أكمل وجه، إضافةً لذلك فإنهم يحرِّمون المشروبات الكحولية(٣).

---

(١) انظر: موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة: ٢٢/ ٢٣٤، والموسوعة العربية على الشبكة العنكبوتية:
http: //www.kl28.com/encr.php?search=-1043729371

(٢) هي ولاية في الولايات المتحدة الأمريكية، تقع في غرب البلاد، وعاصمتها سالت لايك سيتي، وهي أيضاً أهم مدنها، ومن مدنها الكبيرة أيضاً مدينة أغدن، وتعتبر معقلاً لمذهب النصارى المورمون. انظر: الموسوعة العربية العالمية، مادة «يوتا»، والموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية، تحت كلمة: «يوتا»:
http: //ar.wikipedia.org

(٣) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم: ٢٩٦ وما بعدها، مقارنة الأديان للخطيب: ٣٨٤-٣٨٥، الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية، تحت كلمة «مورمون»:
http: //ar.wikipedia.org

وللاستزادة حول فرق البروتستانت، انظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم: ٢٤٣ وما بعدها.

٤. المارون:

تُنسبُ المارونيةُ إلى رجلٍ يُقال له: يوحنا مارون، كان راهباً بدير مارون في جبال لبنان، خرَج مارونُ برأيٍ جديدٍ على من سبقه، وهو أن المسيح عليه السلام له طبيعتان ومشيئةٌ واحدةٌ، وهو مذهبٌ بين مذهبي الأرثوذكس والكاثوليك، أعلنه في عام (٦٦٧م).

على إثر إعلانه وإفصاحه برأيه؛ عُقد مجمع القسطنطينية الثالث عام (٦٨٠م)، فقرروا حرمان مارون وتكفيره، والتأكيد على القول بالطبيعتين والمشيئتين للمسيح، وكان من آثار هذا المجمع؛ إنزال العقوبات والاضطهاد بمارون وأتباعه، مما جعلهم يفرون إلى جبال لبنان ويستوطنونها، وبعد أعوام استمالهم أساقفة روما، وقربوهم إليهم، فخضعوا للرئاسة البابوية في روما، وحصل الاتحاد بينهم عام (١١٨٢م)، مع أن المارون يخالفون باباوات روما ومذهبهم - الكاثوليك - في الآراء والاعتقادات، ومن ذلك:

أ- القول بالطبيعتين والمشيئة الواحدة في المسيح عليه السلام.

ب- إباحتهم لزواج الكهنة.

ت- لهم كتاب (الهدى)، ويُسمى (الناموس)، وكتاب (الكمال)، الذي ينسبونه إلى المطران داود الماروني، وهو في حقيقته مجهول المؤلف، بل حتى المطران داود لا يُعرف!

ولا تزال هذه الطائفة موجودة في لبنان، وهي تتبع كنيسة روما بالهوية، ولهم معتقداتُهم وبطاركتُهم المستقلون، ويختلفُ الكُتَّاب كثيراً حول مرجعية هذه الطائفة، فمنهم من يرجعها إلى الأرثوذكسية، وآخرون يرجعونها إلى الكاثوليك، بناءً على أوجهٍ معينة من التشابه، لكن الأظهر - والله أعلم - أن يُقال: إنها فرقة مستقلة، لمخالفتها باقي الفرق في القول بالطبيعتين والمشيئة الواحدة، وما سبق ذكره من بعض الأمور[1].

(١) انظر: محاضرات في النصرانية: ١٨٩، المسيحية لشلبي: ٢٠٤، مقارنة الأديان للخطيب: ٣٦٩، مقارنة الأديان للساموك: ١٨٣، الكنيسة أسرارها وطقوسها: ١٠٢، الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية، تحت كلمة: «مارونية»: http: //ar.wikipedia.org

وبعد هذا العرض الموجز لشيءٍ من فرق النصارى في القديم والحديث؛ يظهر لنا مدى التحريف الحاصل في هذه الديانة، وأن ما طرأ عليها من تغيير وتحريف إنما هو راجع لأهواء الكنيسة وبطاركتها، وبناءً على ما تمليه عقولهم، ويُمكن أن نقول: إنه لا توجد ديانةٌ أشد اختلافاً في إلهها الذي تعبده، ولا دينها الذي تدين به من دين النصارى.

كما تجلى لنا أن أمرَ الصراع بين الكنائس، ولعنَ كلٍّ من يخالف الآخر؛ أمرٌ مألوفٌ بينهم ومعتاد، وهذا بلا شك له أكبر الأثر في الزعزعة والاضطراب الحاصِلَيْن لدى كثير من المنتسبين للنصرانية، وهو ما يفسر كثرة المهتدين منهم.

الباب الأول

النصارى الأقباط: التعريف والنشأة، وبطاركة الكنيسة

ويحتوي على فصلين:

الفصل الأول: التعريف والنشأة، وموقف النصارى الأقباط من الفتح الإسلامي والاستعمار الأجنبي.

الفصل الثاني: درجات الكهنوت عند النصارى الأقباط، وأبرز بطاركتهم، وجهودهم تجاه كنيستهم.

الفصل الأول: التعريف والنشأة، وموقف النصارى الأقباط من الفتح الإسلامي والاستعمار الأجنبي

ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالنصارى الأقباط ونشأتهم.

المبحث الثاني: الفتح الإسلامي وأثره على النصارى الأقباط.

المبحث الثالث: النصارى الأقباط وموقفهم من الاستعمار الأجنبي.

الفصل الأول: التعريف والنشأة، وموقف النصارى الأقباط من الفتح الإسلامي والاستعمار الأجنبي

من المعلوم أن المسيح عليه السلام أُرسل إلى بني إسرائيل خاصةً، ولم تكن رسالته عامةً كنبينا محمد ﷺ، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى بذلك، كما في محكم التنزيل: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [آل عمران: ٤٩].

فإذا كانت رسالته عليه السلام خاصة لبني إسرائيل ومَنْ كانوا بفلسطين، فكيف وصلتِ النصرانية ودعوتها إلى مصر؟

أيضاً، لما كانت مصرُ - في الوقت الحاضر - دولةً إسلامية، فكيف دخلها الإسلام؟ وما موقف المسلمين الفاتحين من النصارى الأقباط؟ وكيف تعاملوا معهم؟ وفي المقابل: ما هي ردة الفعل من قبل النصارى الأقباط تجاه المسلمين الفاتحين؟

أيضاً، تعرَّضت مصر للاستعمار الأجنبي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، على يد الفرنسيين والإنجليز النصارى، فما موقف النصارى الأقباط من ذلك الاستعمار؟ وما موقف المستعمر منهم ؟

هذه جملة من المسائل التي تحتاج إلى بيان وإيضاح، وهو ما سأتناوله بالبحث في هذا الفصل، والله وحده المستعان.

المبحث الأول: التعريف بالنصارى الأقباط ونشأتهم

أ - التعريف بالأقباط:

الأقباطُ في اللغة جمع قبط، يُقال: قَبَطَ الشيءَ يَقْبطُه قَبْطاً، إذا جمعه بيده، والقبط هم أهل مصر الأصليون، وقيل: القبطُ جبلٌ بمصر[1]، والقبطية ثيابٌ من كتان أبيض تنسج بمصر، والجمع قِباطي وقَباطي، والقِبطية قد تُضم، إلا (أن الكسر أكثر وهو القياس، والضم قليل)[2]، وتسمى مصرُ - أحياناً - ببلاد القبط، نسبةً إلى الجيل الذي كان يسكنها[3].

وقد اختُلف في أصل هذه الكلمة على عدة أقوال، نجملها فيما يلي:

الأول: أن كلمة (قبط) تعني مصر، لأنها تحريف من الكلمة اليونانية (إيجبتوس - AIGUPTUS)، وقد كان اليونان يطلقونها على مصر والنيل، وهي مركبةٌ من كلمتين، (إي) وتعني الأرض أو الدار، و(جيبت) أي القبط، فيكون معناها أرض القبط أو بلاد القبط، ويذكر المؤرخ زكي شنودة أن العرب حوّروا هذه الكلمة إلى قبط، بحذف (إي) وإبدال الجيم بالقاف، فأصبحت قبط[4].

الثاني: أن كلمة (قبط) مأخوذةٌ من لفظ فرعوني مصري قديم، هو (هاك بتاح - HA KA PTAH) وهو اسمٌ لإله كان يُعبد في بلدة (منف) عاصمةُ مصر في وقتها، ثم أُطلق هذا الاسم على كلِّ مصر[5].

الثالث: أن كلمة (قبط) تعود في أصلها إلى كلمة (قفط)، و(قفط) مدينة من مدن

---

(1) انظر: لسان العرب: ٧/ ٣٧٣، المعجم الوسيط: ٢/ ٧١١، المحكم والمحيط الأعظم: ٦/ ٢٩٠-٢٩١، المغرب في ترتيب المعرب: ٢/ ١٥٦.

(2) تاج العروس: ٢٠/ ٥.

(3) انظر: معجم البلدان: ٤/ ٣٠٦.

(4) انظر: موسوعة تاريخ الأقباط: ١/ ٥ وما بعدها، تاريخ الكنيسة القبطية لباتريك: ٥٥، وانظر حول هذه الفقرة: مصر لكل المصريين: ٣٣، دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ١.

(5) انظر: الأقباط النشأة والصراع: ١٤، الأقباط والقومية العربية: ١٥.

مصر بالصعيد، قريباً من أسوان، سُميتْ بهذا الاسم نسبةً إلى قفط بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام[1].

الرابع: أن كلمة (قبط) تعود في أصلها إلى الكلمة الإغريقية (كوبتوي - COPTOI)، وهي كلمة تطلق على من يَخْتَتِن، ولما كان أهل مصر يُختِّنون أولادهم، أُطلق عليهم القبط[2].

الخامس: أن (القبط) لفظٌ أطلق على «مسيحيي» مصر خاصةً، بعد دخول النصرانية لمصر[3]، وأن من ينتسب إليهم في الوقت الحاضر من النصارى، قد شملته العناية الإلهية بإبقائه على ذلكم الأصل الذي فُقد، وهذا القول يُحاول كثيرٌ من النصارى الأقباط إثباته، وهم يريدون بذلك أن يجعلوا من أنفسهم أصلاً لمصر، وأما المسلمون فوافدون[4]!

يقول القس بيشوي حلمي: تُستخدم كلمة قبطي للتعبير عن مسيحيي مصر فقط[5].

وتؤكد المؤرخة الإنجليزية لويزا بوتشر ذلك المعنى فتقول: (.. لاشك فإنهم هم وحدهم - النصارى الأقباط - سلالة المصريين القدماء العظماء، وهؤلاء الأقباط المسيحيون قد أبقتهم العناية الإلهية، وهي معجزةٌ حقيقية)[6]، وفي ردٍّ قولهم هذا؛ يُنصف الأنبا غريغوريوس فيقول: (الأقباط والمصريون بمعنى واحد، فالكلمة لا تدل على الديانة، وإنما تدل على الجنسية)[7].

ومن مجمل هذه الأقوال؛ يظهر أن مصطلح «الأقباط» مصطلح إقليمي خاص بمصر وأهلها، سواء منهم المسلم أو النصراني، فنسبة أحدٍ إلى الأقباط - على الصحيح - لا تعني بحالٍ نسبته إلى النصرانية، وإن كان المشهور عند إطلاق مصطلح «الأقباط» تخصيص نصارى مصر، إلا أن الأمور المشتهرة لا تغير من الحقائق شيئاً.

(١) انظر: معجم البلدان: ٤/ ٣٨٣، الأقباط النشأة والصراع: ١٤، الأقباط والقومية العربية: ١٥.

(٢) انظر: الأقباط والقومية العربية: ١٥.

(٣) انظر: المجتمع القبطي في مصر: ١، دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ١.

(٤) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لباتريك: ٥٥.

(٥) كنيستي الأرثوذكسية: ٣٠٢ بتصرف.

(٦) تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ١٢٨.

(٧) الأعياد المسيحية: ٢٨٩.

ومن أعظم ما ساعد على انتشار هذا المفهوم وحصره في نصارى مصر؛ الإعلام بجميع أشكاله، المسموع والمقروء والمرئي.

ويؤيّد هذا أن النبي ﷺ عندما راسل المقوقس والي مصر في زمانه، خاطبه ﷺ قائلاً: (من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى..)[1]، فسماه عظيم القبط إشارةً إلى ولايته السياسية الإقليمية على مصر دون الدينية، فإن المقوقس إنما أرسله هرقل ليكون بطريركاً وحاكماً على مصر، فرفضه نصارى الأقباط، لأن البابا الشرعي عندهم في ذلك الوقت كان بنيامين[2]، فما كان من المقوقس إلا أن سعى في قتله، ففر هارباً إلى جبل النطرون، وظل نصارى الأقباط غير معترفين بمكانة المقوقس الدينية - كبطريرك -، فإنه في الأصل كان ملكانياً ولم يكن على مذهبهم، ولذا نجد النصارى الأقباط يحكمون بغلط المقولة السابقة لنبينا ﷺ، ويعللون ذلك بأن المقوقس لم يكن معظّماً عندهم[3]، والحقُّ الذي لا مرية فيه؛ أن نبينا ﷺ لم يُخطئ - وحاشاه -، وإنما أراد بمقولته ﷺ الولاية الإقليمية على مصر.

ومما يدل على عدم ولاية المقوقس الولاية الدينية المعتبرة عند نصارى الأقباط؛ أنه جاء في بعض الروايات التي أوردت القصة السابقة، أن المقوقس كتب جواباً إلى النبي ﷺ وقال لرسولِ رسولِ الله: (ارجع إلى صاحبك، ولا تسمع منك القبط حرفاً واحداً، فإن القبط لا يطاوعوني في اتباعه)[4]، ومعلومٌ مدى طاعة نصارى الأقباط لباباواتهم وبطاركتهم، فلو كان بطريركاً معتبراً عندهم لما نفي طاعتهم له.

يقول المفكر هاني لبيب: (فإن مصطلح «الشعب القبطي» لا يعني إطلاقاً أيَّ نوعٍ من أنواع الفصل بينه وبين الشعب في مصر)[5].

ومما يُستأنس به في هذا المقام؛ الكلمةُ الإنجليزية المقابلة لكلمة مصر، وهي

---

(١) زاد المعاد: ٣/ ٦٩١، الإصابة في تمييز الصحابة: ٦/ ٣٧٦.

(٢) تأتي ترجمته لاحقاً، عند الحديث عن أبرز بطاركة الكنيسة.

(٣) انظر: تاريخ البطاركة: ٨١، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٢٥٥.

(٤) نصب الراية: ٤/ ٤٢٢.

(٥) المواطنة والعولمة؛ الأقباط في وطن متغير: ١٤٩.

(EGYPT) فإنها تُطلق للدلالة على عموم مصر، وهي في أصلها راجعةٌ إلى كلمة (قبط)[1]، أي أنها مصطلح إقليمي بحت، لا يدل إطلاقه على تخصيص ديانة بالمصطلح دون غيرها، والله أعلم.

ب - نشأة الأقباط:

الحديث عن نشأة الأقباط يجُرُّنا إلى الحديث عن مصر وشيءٍ من تاريخها الأول.

اختلف في سبب تسمية مصر بهذا الاسم على أقوال، أبرزها ثلاثة:

الأول: نسبةً إلى مصريم بن مركائيل بن دوابيل بن غرياب بن آدم، وهو مصر الأول.

الثاني: نسبةً لمصر الثاني، وهو مصرام بن نقرواش الجبار بن مصريم الأول.

الثالث: نسبةً لمصر الثالث بعد الطوفان، وهو مصرايم بن حام بن نوح[2]، ورجحه ابن عدي[3]، وابن خلدون[4] وهو الأظهر[5].

يرى بعض المؤرخين أن تاريخ مصر الأول يبدأ مع إقامة أول حكومة نظامية فيها، وعند هذه النقطة خلاف كبير في تحديد أول حكومة قامت على أرض مصر، ولكن غالب المراجع التاريخية تشير إلى أن الدولة الملكية الأولى أو القديمة هي أول دولة قامت في مصر، وكان ذلك عام (٥٠٠٤ق.م) تقريباً، أما قبلَ ذلك؛ فيَفْتَرِضُ المؤرخون أن هناك ثلاث عائلات تسلَّطت على مصر بالتوالي، ودَعوا العائلةَ الأولى بعائلة المعبودات، ويقال لها: العائلة المقدَّسة، والثانية تدعى بالشبيهة بالمقدَّسة، أما الثالثة فهي عائلة الكهنة أو كما يشتهرون بـ(الحورشسو)، ويزعمون أنهم أجدادهم، بعد ذلك بدأ النظام الملكي ممثلاً بالدولة الملكية القديمة، وكان ذلك عام (٥٠٠٤ق.م)[6]،

---

(١) انظر: الأقباط وطنية وتاريخ: ٣٠.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ١/ ٤٨، تاريخ الطبري: ١/ ١٢٧، الأقباط النشأة والصراع: ١٤.

(٣) انظر: الكامل في التاريخ: ١/ ٦٣.

(٤) انظر: مقدمة ابن خلدون: ٢/ ٨٩.

(٥) انظر: فتوح مصر وأخبارها: ١/ ٦١، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: ١/ ٣٢٢.

(٦) انظر: تاريخ مصر الحديث: ٢٥.

وبعض المؤرخين يجعلها من تاريخ (٣٢٠٠ق.م)(١)، وعلى أية حال؛ فالعصور الأولى لمصر وتحديد تواريخها ليست يقينية ولا مقطوعاً بها.

ومن أبرز الحضارات والعصور التي مرت بمصر؛ عصر الهكسوس عام (١٧٢٠ق.م)، ثم جاء من بعدهم الآشوريون عام (٦٧٠ق.م)، ثم جاء الفرس واستولوا على مصر عام (٥٢٥ق.م)، ثم جاء البطالسة(٢) عام (٣٢٣ق.م) فورثوا الإسكندر في حكمه لمصر، وكانوا - إلى حدٍ ما - قريبين من الفراعنة في جانب العادات الاجتماعية، والدينية، والتي كانت في أصولها تعود إلى الوثنية(٣)، كما أنه في عصر البطالسة دخلت اليهودية إلى مصر(٤).

انتهى عصر البطالسة في عام (٣٠ق.م) لتدخل مصر بعد ذلك عصراً جديداً، ألا وهو عصر الرومان، وقد اعتبرَ الرومانُ جميع الشعوب الخاضعة لهم أجانب عنهم.

من جانبٍ آخر؛ يذهب بعض المؤرخين إلى تقسيم تاريخ مصر قبل المسيحية إلى عددٍ من الأدوار، كما يلي:

١. الدولة الملكية الأولى أو القديمة، وتمتد من (٥٠٠٤-٣٠٦٤ق.م).

٢. الدولة الملكية الوسطى، وتمتد من (٣٠٦٤-١٧٠٣ق.م).

٣. الدولة الملكية الأخيرة، وتمتد من (١٧٠٣-٣٣٢ق.م).

٤. الدولة اليونانية، وتمتد من (٣٣٢-٣٠ق.م).

٥. الدولة الرومانية، وتمتد من (٣٠ق.م - ٣٨١م)(٥).

(١) انظر: مصر في العصور الوسطى: ١١.

(٢) بعض المصادر تسميهم بالبطالمة، والأغلبية بالبطالسة نسبة إلى اسم بطليموس، وهو من أسماء ملوك الرومان، ويعني اسم بطليموس: الأسد في الحرب. انظر: تاريخ ابن الوردي: ١/ ٥٠.

(٣) انظر: مصر في العصور الوسطى: ١٣، ويرى بعض الباحثين أن الفراعنة الأوائل لم يكونوا وثنيين، فغاية ما يستدل به من يقول بأنهم كانوا وثنيين؛ ما شاهدوه من تماثيل عظيمة أقيمت للعبادة. انظر: تاريخ مصر الحديث: ٢٠.

(٤) انظر: الآثار القبطية والبيزنطية: ٣.

(٥) انظر: تاريخ مصر إلى الفتح العثماني: ٤، تاريخ مصر الحديث: ١٠.

ولما كانت مصر ذات موقع إستراتيجي، ولها موارد غنية؛ لم يسمح ملك الرومان لأي رئيسٍ بدخولها إلا بإذنه، لأنه يرى في ذلك إغراءً بالثورة ضده للاستقلال بمصر وخيراتها.

لقد كان الحكم الروماني على مصر حكماً تسلطياً، فقد عانى المصريون بصورة لم يسبق لها مثيل في أيِّ حكم سابق، فالفلاح المصري - مثلاً - ملزمٌ بدفع ضريبة كانت تُعرف بضريبة (الرأس)، وهي عبارة عن ضريبة تُدفع عن البالغين بين سن الرابعة عشرة حتى سن الستين سنة، وفي المقابل كان يُعفي منها أصحاب الطبقات العليا من الرومان[1]!

وفي العصر الروماني كانت ولادة المسيح عليه السلام في فلسطين.

ولسائل أن يقول: لما كان التاريخ المصري طاعناً في القدم بالصورة السالفة؛ فكيف وصلتنا معرفة تاريخهم؟ ولاسيما مع تطاول العصور، واختلاف الثقافات واللغات واللهجات!

وللجواب على هذا التساؤل، يُقال: إن تاريخ مصر وقدمائها مستمد من مصدرين أصليين:

١. آثارهم القديمة، وما عليها من الكتابات والنقوش.

٢. ما وصل إلينا مما كتبه الأقدمون في تاريخهم[2].

هذه لمحةٌ موجزةٌ لشيءٍ مما يتعلق بمصر وتاريخها الذي مرت به في زمانها القديم وحتى ولادة المسيح عليه السلام، وليس المجال هنا للحديث عن ذلكم التاريخ، فإنه طويل بطول زمانه، وإنما المراد إعطاءُ تصورٍ عن الحقبة التي كانت عليها مصر قبل دخول النصرانية[3]، والذي يهمّنا معرفة بدايات النصرانية في مصر.

(١) انظر: مصر في العصور الوسطى: ١٤.

(٢) انظر: تاريخ مصر إلى الفتح العثماني: ١.

(٣) حول تاريخ مصر القديم، انظر: مقدمة ابن خلدون: ٢/ ٨٤، تاريخ ابن الوردي: ١/ ٤٨، النجوم الزاهرة: ١/ ٥٧، مصر في العصور الوسطى: ١١-٢٣، تاريخ مصر إلى الفتح العثماني: ٥ وما بعدها، من القبطية إلى الإسلام: ١٠-١١، المختصر في تاريخ مصر: ٧-١٠٧، تكوين مصر عبر العصور: ٧٦-٧٩، الآثار القبطية والبيزنطية: ٤.

دخول النصرانية لمصر:

تشير بعض المصادر التاريخية إلى أن مصر قد عرفت النصرانية قبل دخول الإسلام إليها بحوالي ستة قرون، في وقت كانت فيه أفكار الناس مشتتة بين عشرات المعبودات التي خلَّفتها لهم الديانات الفرعونية واليونانية.

أما بداية النصرانية في مصر؛ فأغلب المصادر تميل إلى أنها كانت على يد مرقس الرسول، ويُسمى مار مرقس[1]، وكان ذلك عام (٥٥م)، وقلةٌ ترجح أن دخول النصرانية إلى مصر كان في عهد نيرون، في عام (٦٤م) وقيل: (٦٦م)، ثم تختلف المصادر النصرانية بعد ذلك؛ هل كان بطرس بجانب مرقس أم لا؟ وهل التقيا في بابليون بمصر، أم لا؟

يرى بعض باحثي النصارى أن بطرس قد سبق مرقس إلى مصر لتبشير اليهود، ثم إنه التقى بعد ذلك بتلميذه مرقس في بابليون[2][3].

و يرى آخرون أن بطرس لم يأت إلى مصر أصلاً، وما ورد حول بابليون لا يراد به بابليون مصر، بل المراد بها (رومية) عاصمة المملكة الرومانية[4].

اتخذ مرقس من الإسكندرية مقراً لنشر النصرانية، وقد كانت المدينة مركزاً إستراتيجياً عالمياً، وتُعتبر هي المدينة الثانية بعد (رومية)، وتتلمذ على يديه هناك العديد من المصريين رجالاً ونساءً، ولكي يرشدهم ويوجههم؛ كتب لهم إنجيله الذي عُرف باسمه، وكانت كتابته في ذلك الحين باللغتين اليونانية والقبطية.

كثر أتباع مرقس في الإسكندرية، فساء ذلك الكهنة والوثنيين بالمدينة، فعمدوا إلى مناظرات ومجادلات واسعة مع مرقس، ولما كان مرقس يظهر عليهم في مناقشاتهم؛ تآمر

---

(١) انظر: قصة الدين والنبوة في مصر قبل الإسلام: ٢٧٤، المختصر في تاريخ مصر: ٩٥، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ١٣، الأقباط النشأة والصراع: ٢٨، من القبطية إلى الإسلام: ٢٠، تاريخ الكنيسة القبطية لباتريك: ١٢، مصر والعرب عبر التاريخ: ٢١، الفتنة الطائفية في مصر: ٣٩، تاريخ مصر إلى الفتح العثماني: ١٤٩.

(٢) بابليون، ويقال: أليون بالضم ثم السكون وآخره نون، والأول أصحُّ، وهو حصن كان بمصر فتحه عمرو بن العاص، وبنى في مكانه الفسطاط. انظر: معجم البلدان: ٥/ ٤٥٣.

(٣) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ١٣، موسوعة تاريخ الأقباط: ١/ ٨٥ -٩٥.

(٤) انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٣٥.

عليه الوثنيون، فاستخلف مرقسُ على أتباعه أحد التلاميذ، وخرج من عندهم إلى المغرب[1].

وتذكر بعض مصادر النصارى الأقباط أنه بعد وصوله المغرب، أخذ ينشر النصرانية هناك، وأنه قد ظهرت على يديه عجائب كثيرة، كشفاء المرضى، وإخراج الشياطين وغيرها، ولذا فقد آمن به جمع من المغاربة، ورفضوا ما كانوا عليه من الوثنية.

عاد مرقس بعد ذلك إلى الإسكندرية، وكان ذلك في عام (٦٧م) تقريباً، فرأى ازدهار النصرانية بين شَعْبِها، فأنشأ بها المدرسة اللاهوتية، وكانت مهمتها في أولِ نشأتها قاصرةً على دراسة الكتاب المقدس، وتعليم المسيحية على طريق السؤال والجواب، ثم اتسع نطاقها بعد ذلك[2].

وفي يوم عيد الفصح[3]- الذي يحتفل به النصارى - كان الوثنيون يحتفلون بعيدهم (سيرابيس)[4]، فأخذ مرقس يقبّح عبادة المخلوق دون الخالق، ونهى سامعيه عن هذا الضلال، وكان الوثنيون يبغضونه بغضاً شديداً، فلما سمعوا مقالته هذه هاجوا في المدينة طالبين قتله، فتربصوا به، وتمكنوا من القبض عليه، وقيَّدوه بحبالٍ في عنقه، وأخذوا يطوفون به في شوارع المدينة، ويجرونه فوق الصخور، حتى مات، وكان ذلك بعد منتصف القرن الأول الميلادي[5].

بعد ذلك زاد أتباع مرقس في الإسكندرية، فامتد إليهم اضطهاد الرومان، وقُتل من النصارى جمع غفير، بينهم عددٌ من البطاركة.

---

(١) انظر: الجواب الصحيح: ٤/ ١٨٦، هداية الحيارى: ١/ ١٦٩، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ١٤-١٥.

(٢) تختلف المصادر النصرانية في تحديد تاريخ نشأةِ هذه المدرسة، فقيل: إنها أُنشئت قبل رحيل مرقس للمغرب، وقيل: إنها أسسها بعد قدومه من المغرب. انظر على سبيل المثال: الأقباط النشأة والصراع: ٣٩، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ١٥.

(٣) يراد بالفصح عيد الفصح، وأصله عند اليهود، وعنهم أَخَذَه النصارى، ويُسمى عيد القيامة. انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ٣/ ١٠٤.

(٤) سيرابيس: إله الشفاء عند قدامى المصريين، انتشرت عبادته في العهدين البطليموسي والروماني. انظر: الموسوعة العربية العالمية، مادة «سيرابيس»، والموسوعة العربية على الشبكة العنكبوتية:

http: //www.kl28.com/enc.php

(٥) انظر: من القبطية إلى الإسلام: ٢٠-٢١.

منذ ذلك الحين والنصارى الأقباط يتعرضون لمزيد من الاضطهاد والتعذيب، بتوالي الملوك عليهم، حتى جاء الفتح الإسلامي.

أحداث تاريخ النصارى الأقباط:

تعرَّض النصارى الأقباط للعديد من الحوادث بتوالي الملوك والأباطرة عليهم، منها ما كان بالاضطهاد والتعذيب - وهو الغالب -، ومنها ما كان بالتودد والتقرب، واستمر هذا الحال حتى جاء الفتح الإسلامي، ولعلي أُشير سريعاً إلى أبرز الحوادث التاريخية للنصارى الأقباط، والاضطهادات التي مرت بهم.

القرن الأول الميلادي:

أول الاضطهادات التي عانى منها النصارى الأقباط اضطهاد الرومان في عهد مرقس، جاء بعده اضطهاد نيرون[1] وكان ذلك عام (٦٤م)، وتشير بعض المصادر التاريخية والنصرانية إلى أن سبب ذلك الاضطهاد اشتعالُ نارٍ عظيمة في روما، وُجِّهت التهمة فيها إلى النصارى، وعلى إثر ذلك قام نيرون بقتل بطرس الإنجيلي وكان بالإسكندرية، ثم طال الاضطهاد بقية النصارى[2].

وفي عام (٨١م) تولى دوميتان حُكْمَ الرومان، فاعْتَبَرَ اعتناقَ النصرانيةِ جريمة في حق الدولة الرومانية! ولذا فقد حكم على أكثر النصارى الأقباط بالموت - حتى بعض أقاربه - ومن لم يقتله منهم نفاه، وصادر ممتلكاته[3].

القرن الثاني الميلادي:

مع مطلع القرن الثاني الميلادي، كانت كنيسة الإسكندرية تمثل أقليةً - وإن كانوا في تزايد - وكانوا محتقرين، ولذا ارتفعت أصواتُ كثيرٍ منهم مطالبةً بحقها في الحرية والمساواة مع باقي اليونان، واستخدموا في ذلك الدعوة إلى بيان سماحة النصرانية وقدرتها على التعايش مع الآخرين في بلد واحد، إلا أن ذلك لم يغير شيئاً في موقف

---

(١) الأصل في اضطهاد نيرون أنه كان لنصارى روما، إلا أن آثاره طالت نصارى الإسكندرية.

(٢) انظر: قصة الدين والنبوة في مصر قبل الإسلام: ٢٧٥.

(٣) انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٤٧.

أباطرة الرومان من النصرانية في الإسكندرية، بل إن القيصر تراجان الذي كان أول إمبراطور يعلن أن النصرانية دين محترم؛ عاد ثانيةً واضطهد النصارى الأقباط، فقتل منهم خلق، وممن قُتل في ذلك البابا كرذونوس بطريرك كنيسة الإسكندرية الرابع، لأنه - القيصر تراجان - رأى أن عدد النصارى قد ازداد في الإسكندرية، فكان لزاماً أن يعمل على تصفيتهم[١].

جاء بعد ذلك القيصر أدريانوس من عام (١١٧- ١٣٥م)، وكانت الإشاعات عن النصارى قد بلغت مبلغها، وكان أدريانوس قد زار الإسكندرية، وأخذ يتجول فيها، فشاهد نمو النصرانية وازدهارها، فسارع باضطهاد الأقباط، وأباد عدداً كبيراً منهم، حتى خُيِّل للناظر أنه أفناهم جميعاً، ثم أمر بتعميم عبادة الأوثان، وإرغام النصارى - بشكلٍ خاص - على السجود لها.

وتشير بعض المصادر القبطية أن الذي حمل أدريانوس على ذلك؛ أنه وجد بين علماء المدرسة اللاهوتية النصرانية وعلماء المدرسة الوثنية الأولى علاقات اتحاد متينة العرى[٢]، فخشي على ديانة قومه[٣].

وبعد أدريانوس تولى جملةُ قياصرة لم يكن لهم اهتمام يُذكر بأقباط مصر، حتى استولى على العرش ساويرس سبتيموس عام (١٩٣م)، ولما استتب له الملك؛ وفد على مصر، وأخذ يتجول في أنحائها حتى وصل إلى بلدة الطيبة[٤]، فهاله ما شاهده من الانتشار السريع الذي أحرزته النصرانية - كما تذكره مصادر النصارى الأقباط -، وأوجس خيفة من كثرة عددهم، وخشي منهم على المملكة الرومانية نفسها، فأصدر

---

(١) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ١٨، المختصر في تاريخ مصر: ٩٤، الأقباط النشأة والصراع: ٥٤.

(٢) الجدير بالذكر؛ أن هذه العلاقة أشارتْ إليها مراجع النصارى الأقباط أنفسهم، مما يؤكِّد العُمق التاريخي، ويُظهرُ مدى تأثر النصرانية الأولى بالوثنية، كما أنه يُمثِّل أيضاً أحد جوانب التحريف عند النصارى عموماً، والأقباط منهم على وجه الخصوص.

(٣) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٤٩، الأقباط النشأة والصراع: ٥٥، تاريخ البطاركة: القرن الثاني، على موقع كنيسة مار جرجس:

http: //www.stgeorgecz.org

(٤) الطيّبة بتشديد الياء، قرية بالصعيد. معجم البلدان: ٤/ ٥٣.

أوامره لوالي مصر الروماني بمحاربتهم، ومحو آثار دينهم، فبذل الوالي جهده ليجعل الاضطهاد قاسياً، فعمَّ جميع أنحاء مصر، إلا أن الاضطهاد الأشدَّ كان على مدينة الإسكندرية خصوصاً، لأنهم كانوا يعتبرونها مركز الديانة النصرانية، وبلغ الاضطهاد أن أُقفلت المدرسة اللاهوتية، وتشتّتَ شملُ تلاميذها، وكان ساويرس يأمر بمهاجمة الرجال والنساء في بيوتهم فجأة، ويجرّهم إلى القتل وقطع الرؤوس[1].

وكان اضطهاد ساويرس دون باقي القياصرة منحصراً بالأخص على أقباط مصر، لأنه لم يك يخشى من غيرهم.

القرن الثالث الميلادي:

وفي عام (٢١١م) تولى كاركلا العرش الإمبراطوري، ومع تمسكه بآلهة روما؛ إلا أنه رحب بآلهة الشرق، وبدين النصارى، وتذكر بعض مصادر الأقباط التاريخية أن كاركلا قد خطر له أن يزيد دخله، فضاعف الجزية التي كان يدفعها له نصارى مصر وسنَّ قانوناً يُعاقَبُ به كلُّ نصراني يقاوم الحكومة في أيةِ أمرٍ، وتتفاوت العقوبة ما بين الصلب، والإلقاء للحيوانات والسّباع لتأكله.

تناول ظلم القيصر جميع طبقات المصريين فضجوا ونقموا عليه، فأراد أن ينتقم منهم، فدبَّر لهم مكيدة بأن أعلن عزمه على اختيار كتيبةٍ من المصريين ليكونوا جنوداً ضمن حرسه الخاص، وعين يوماً لانتخاب أولئك الشبان، فخرج جميع أهالي الإسكندرية لمشاهدة الاختيار في مكانٍ عيَّنَه القيصرُ خارجَ المدينة، فلما اجتمعوا أشار إلى عساكره، فجردوا أسلحتهم، وقضوا على جميع المشاهدين، ولم ينج منهم إلا القليل[2].

بينما تذكر مصادر أخرى أن الذي حمل كاركلا على اضطهاد الأقباط، ما بلغه من أحد رجاله أن الإسكندريين سخروا منه ومن والدته، فترك والدته في أنطاكية، وأسرع

(١) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٥٠-٥١، الأقباط النشأة والصراع: ٦٥، تاريخ البطاركة: القرن الثاني، على موقع كنيسة مار جرجس:

http: //www.stgeorgecz.org

(٢) انظر: تاريخ الكرازة المرقسية، عشرون قرناً: نسخة إلكترونية.

إلى الإسكندرية ليبطش بأهلها[١].

ثم جاء الحاكم دسيوس (٢٤٩-٢٥١م)، وكان إمبراطوراً نشطاً، ذا وطنيةٍ رومانيةٍ عاليةٍ، فقرر استئصال النصرانية كعقيدة دينية، وأصدر قراراً لجميع حكام الأقاليم، بضرورة إعادة الدولة الوثنية مهما كلّف الأمر، وكان التركيز بدرجة أولى على القيادات من الباباوات.

وفي سبيل تنفيذ هذا الأمر؛ استخدم حكامُ الأقاليم كلَّ الوسائل المتاحة لصدِّ النصارى عن دينهم[٢].

وفي عام (٢٥٣م) تولى فالريان الإمبراطورية الرومانية، فأصدرَ أمراً يقضي بإعدام رجال الكنيسة على الفور، وتجريد كل من ينتمي إلى النصرانية من المجالس الشرفية، وسلب ممتلكاتهم، فإن أصروا على عقيدتهم قُطعت رقابهم[٣].

وفي عام (٢٨٤م) تولى دقلديانوس زمام إمبراطورية الرومان، فمال في بداية الأمر إلى الجانب الإصلاحي، فأصلح مالية البلاد، كما نظم ضريبة الغلال، وجعل جزءاً منها للأقباط بالإسكندرية، إعانة لهم على ما نالهم من الفاقة، فعظَّم أهل الإسكندرية ذلك الجميل، ورأوا أن يقيموا عموداً[٤] في المدينة تذكاراً للملك دقلديانوس[٥].

إلا أن دقلديانوس انقلب رأساً على عقب في تعامله معهم، فأنزل بهم أنواع الاضطهاد.

وتختلف المصادر في بيان سبب تغير موقف دقلديانوس واضطهاده للنصارى الأقباط:

---

(١) انظر: المختصر في تاريخ مصر: ٩٤، الأقباط النشأة والصراع: ١١٠، تاريخ مصر إلى الفتح العثماني: ١٤٨.

(٢) انظر: الأقباط النشأة والصراع: ١١٥-١١٦، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٣٧، الكنيسة القبطية فكرها ومنهجها التنصيري: ١٣.

(٣) انظر: الأقباط النشأة والصراع: ١١٧-١١٨، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٩٠.

(٤) لا يزال هذا العمود موجوداً بالإسكندرية، ويُعرف بعمود السواري.

(٥) انظر: قصة الدين والنبوة في مصر قبل الإسلام: ٢٧٥-٢٧٦.

١ - يرى بعض المؤرخين أن دقلديانوس رغب من الرعايا الإسكندريين أن يضعوه موضع الآلهة، فلما لم يخضعوا له، وقاوموه على ذلك، اضطهدهم وعذبهم لذلك[١].

٢ - تذهب مصادر أخرى إلى القول بأن سبب اضطهاده يرجع إلى أن عامله على مصر، واسمه أخليوس حاول الاستقلال بمصر، ونادى بالملك لنفسه، وأقام بطيبة أربعة أعوام لم يتمكن أحد من الوصول إليه، مما اضطر دقلديانوس أن يأتي بنفسه في جيشٍ، ويحاصر الإسكندرية حصاراً دام ثمانية أشهر، حتى فتحها عنوةً، فأحرق المدينة، وفتك بأهلها[٢].

ويُعتبر عصر دقلديانوس من أشد عصور الاضطهاد على النصارى الأقباط، يقول القس منسى يوحنا واصفاً ذلكم الاضطهاد: (استعمل معهم الظلم والعسف، وتجاوز الحدود في ذلك، وارتكب ما لا يخطر على بال أحد من المآثم والمظالم.. وكان القيصر أينما حلَّ يوقع بهم - النصارى الأقباط - ويقتلهم، ويهدم كنائسهم، ويخرِّب معابدهم، ويعذِّب رؤساءهم، ويسبي نساءهم وأولادهم، وسبى كثيرين من مدينة الإسكندرية، وأباح لجنوده باقي أهلها ليفعلوا بهم ما يشاؤون، فعاثوا في الأرض، وأهلكوا الحرث والنسل، وقتلوا، وفتكوا، ونهبوا، وسبوا، وأراقوا الدماء أنهاراً، واشتدوا شدةً لم يسبق لها مثيل)[٣][٤].

ويُذكر أن دقلديانوس ركب فرسه، وأمر جنده ألا يتركوا القتال حتى تسيل الدماء على الأرض، وتعلو حتى تصل إلى ركبة فرسه[٥]!

ولأثر عصر دقلديانوس في نفوس النصارى الأقباط؛ أسموه بعصر الشهداء، وجعلوا

---

(١) انظر: المختصر في تاريخ مصر: ٩٥.

(٢) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ١٧٧.

(٣) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ١٧٧.

(٤) يستدل بعض المؤرخين على شدة تعذيب دقلديانوس، وعدم تهاونه في ذلك، أن من بين من ألحَّ عليهم دقلديانوس بالارتداد عن النصرانية؛ فتاة حسناء، كان قد أحبها حباً شديداً، تُعرف بالسيدة دميانة، فلم تجبه لذلك فعذبها، ثم أمر بذبحها، ولا يزال قبرها في تلك الجهة مقدساً، ويزوره النصارى الأقباط كل عام. انظر: المختصر في تاريخ مصر: ٩٥.

(٥) انظر: الكنيسة القبطية فكرها ومنهجها التنصيري: ١٣، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ١٧٨.

أوله عام (٢٨٤م)، وهو مبدأ تقويمهم القبطي، الذي يحسبون به التواريخ والأحداث[١].

القرن الرابع الميلادي:

مع مطلع القرن الرابع جلس على العرش الروماني قسطنطين، وكان مشهوراً بمحبة الديانة النصرانية، وكان يعاون النصارى ضد أعدائهم، بل أصدر قسطنطين في عام (٣١٢م) مرسوماً يقضي بالاعتراف بالديانة النصرانية دينًا رسميًّا للدولة، ولذا أصبحت الخلافات بينهم وبين الإسكندريين قليلة، وأصبحت كنيسة الأقباط الإسكندريين هي السائدة على كنائس الإمبراطورية الرومانية[٢]، كما أصبح من حق المصريين تملك الأراضي، ولذا حصل توسع كبير في الأديرة والكنائس القبطية، وانتظم كثير من الناس في سلك الرهبنة[٣].

في عام (٣١٨م) ألقى البابا ألكسندروس[٤] خطاباً يؤكد فيه القول بالتثليث، فعارضه الرأيَ آريوس، وأعلن وحدانية الله، وأن المسيح لم يكن سوى كلمة الله المخلوقة التي أرسلها الله للبشر، فعيسى عليه السلام ليس إلا رسول.

وتمكن آريوس من جذب الأنظار إليه، وإقناع الناس بجانب عقلي فطري، يتمثل في منع التساوي بين الخالق والمخلوق، وكان كثيراً ما يُعلِّم أتباعه في نهاية كل مزمور يقرؤونه أن يقولوا: (المجد للآب بالابن[٥] في الروح القدس) إشارة إلى التوحيد، مخالفاً بذلك عبارتهم المشتهرة بينهم وهي: (المجد للآب والابن والروح القدس)[٦].

نتيجةً لانتشار مقولة آريوس، وقبول الناس لها؛ كتب بابا الإسكندرية إلى الملك قسطنطين طالباً منه عقد مجمع مسكوني، لفضِّ هذا النزاع الحاصل بين الآريوسيين

---

(١) انظر: المختصر في تاريخ مصر: ٩٥-٩٦، تاريخ الكنيسة القبطية لباتريك: ٢٤.

(٢) انظر: تاريخ اليعقوبي: ١/ ١٥٤، الأقباط والقومية العربية: ٣٣، المختصر في تاريخ مصر: ٩٦.

(٣) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لباتريك: ٢٦.

(٤) تأتي ترجمته، عند ذكر أبرز البطاركة.

(٥) لا يُشْكِل وصفُ آريوس للمسيح بالابن، لأنه هنا يخاطب القوم باعتقادهم وماهو دارج في أذهانهم، وإلا فهو ينفي صراحةً كون المسيح مولود لله، ويؤكد أنه مخلوق، وأنه بشر، وهذا ما اتفق على ذكره المصادر النصرانية والإسلامية.

(٦) تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٢٠٩.

وبين البابا وأتباعه، فكتب قسطنطين منشوراً إلى الأساقفة للاجتماع، فاجتمع (٢٠٤٨) أسقفاً بمجمع نيقيَّة عام (٣٢٥م)، واشتد الخلاف بينهم حول القول بألوهية المسيح، وكانت الأغلبية على القول بقول آريوس، وهو القول بالتوحيد، فما كان من الإمبراطور إلا أن فضَّ الاجتماع، ثم أمر باجتماع القائلين بالتثليث وبألوهية المسيح[١]، فاجتمع (٣١٨) أسقفاً، وقرروا عقيدة التثليث، وأصدروا قانون الأمانة المشهور، وهو الذي يمثل صُلْبَ العقيدة النصرانية في الوقت الحاضر[٢]، ثم لعنوا آريوس وطردوه وأتباعه[٣].

وتذكر بعض المصادر أنه عند كتابة نصِّ قرار المجمع، كانت الأكثرية معارضة لقرار المساواة بين الآب والابن، ولكن لخوفهم من أن يحلّ بهم ما حلّ بآريوس وأتباعه، أمضوا على القرار[٤].

وفي عام (٣٣٧م) تولى الملك قسطنس، فأعز الآريوسيين وناصرهم، واضطهد أقباط الإسكندرية، وعَزَل بابا الإسكندرية في وقته أثناسيوس[٥][٦].

وفي عام (٣٦٤م) تولى الملك فالنص، فأذلَّ نصارى الأقباط أشدّ الإذلال، ونفي قساوستهم، وحدث اضطراب كبير في الإسكندرية[٧].

وفي عام (٣٨١م) عُقد مجمع القسطنطينية، وسبب انعقاده، أن البطريرك

(١) من الملاحظ أن المصادر القبطية لا تذكر هنا سوى اجتماع المؤيدين للتثليث، القائلين بألوهية المسيح عليه السلام، وهم (٣١٨) أسقفاً، وتتجاهل الاجتماع الأول، الذي كان أغلبيته مؤيدين لقول آريوس.

(٢) يأتي ذكر القانون عند الحديث عن عقائدهم.

(٣) انظر: الكامل في التاريخ: ١/ ٢٥٣، مقدمة ابن خلدون: ٢/ ١٧٦-١٧٧، الجواب الصحيح: ٤/ ٢١٥، هداية الحيارى: ١/ ١٧٣-١٧٤، من القبطية إلى الإسلام: ٢٣، الأقباط النشأة والصراع: ١٦٢-١٦٦.

(٤) انظر: المسيحية لشلبي: ١٤٧، ١٤٨، ١٩٨، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ١٩٦-١٩٧.

(٥) هو البطريرك العشرون بالكنيسة القبطية، ولد بالإسكندرية في نهاية القرن الثالث، كان أبوه وثنياً، مات ولا يزال أثناسيوس صغيراً، فتولتْ أمه تربيته، تدرج في سلك الرهبنة، ولما بلغ مرتبة رئيس الشمامسة؛ أخذ يرُدُ على دعوة آريوس للتوحيد، رُسم بطريركاً وكان عمره (٢٨) عاماً، وهلك في عام (٣٦٤م). انظر: تاريخ البطاركة: ٣٩-٤٥، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ١٨٤-١٨٥، الأقباط النشأة والصراع: ١٧١-١٧٣.

(٦) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ١٨١.

(٧) انظر: الأقباط والقومية العربية: ٣٥.

مقدونيوس[1] أنكر ألوهية روح القدس، وبيّن أنه مخلوق وليس أقنوماً إلهياً، وأنه يشبه الملائكة، لكنه ذو رتبة أعلى.

وعلى إثر ذلك بادر الملك ثيودوسيوس بجمع البطاركة في مدينة القسطنطينية، فناقشوا مقدونيوس في مقولته، فلم يرجع عنها، فأنزلوه من درجة البطريركية، وأكدوا على قانون الإيمان الذي قالوا به في نيقية، وزادوا: (نؤمن بالروح القدس، الرب المحيي الكل، المنبثق من الآب، الذي هو مع الآب والابن..)[2].

القرن الخامس الميلادي:

مع مطلع القرن الخامس تولى الأنبا كيرلس[3] زعامة كنيسة الإسكندرية، أما كنيسة القسطنطينية فكان عليها الأسقف نسطور، وكان نسطور قد أنكر القول بأن مريم والدة الإله، وأثبت أن في المسيح أقنومين[4]، ولذا فقد بعث كيرلس خطاباً للإمبراطور ثيئودوسيوس يبيّن فيه حقيقة الأمر، فما كان من الإمبراطور إلا أن أمر بعقد مجمع مسكوني في أفسس[5]، وكان ذلك عام (٤٣١م)[6].

حضر هذا المجمع (٢٠٠) أسقف لمحاكمة نسطور على مقولته، فحكم المجمع بحرمة قول نسطور، وأثبتوا قولهم السابق؛ أن المسيح أقنوم واحد، وطبيعة واحدة من بعد الاتحاد، بدون اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة، ووضعوا دستوراً للإيمان، نصوا فيه على القول بـ: (نعظمكِ يا أمَّ النور الحقيقيِ، ونمجدكِ أيتها العذراء القديسة والدة الإله، لأنكِ ولدتِ لنا مخلِّص العالم، أتى وخلَّص نفوسنا..)[7].

---

(١) كان بطريركاً للكرسي القسطنطيني، وقد تأثر كثيراً بآريوس، واشتهر بمقولته في إنكار ألوهية الروح القدس. انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٢١١-٢١٢.

(٢) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٢٠٢، الأقباط النشأة والصراع: ١٩٩.

(٣) تأتي ترجمته لاحقاً، عند الحديث عن أبرز بطاركة الكنيسة.

(٤) اتحادهم مجازيٌ كما تقدم.

(٥) من أعظم المدن الإغريقية في الأناضول، وهي مدينة قديمة في آسيا الصغرى على بحر إيجة بتركيا، وتقع في منطقة تاريخية غرب الأناضول عند نهر يُسمى نهر «كيستر» الذي يصب في بحر إيجة (في تركيا حالياً). انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل: ٣/ ١٤١، الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية، تحت كلمة: «أفسس»: http: //ar.wikipedia.org

(٦) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٢٥٦، الأقباط النشأة والصراع: ٢٤١-٢٤٢.

(٧) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٢٥٦.

وكان ممن قاوم نسطور في مقولته؛ الراهب أوطاخي، ولكنه جانبَ قرار مجمع أفسس، حيث تبنى القول بأن طبيعة المسيح الناسوتية قد تلاشت وذابت في طبيعته اللاهوتية، وأنكر ناسوت المسيح، وعلى إثر موقفه هذا عُقد مجمع أفسس الثاني، وكان ذلك عام (٤٤٩م)، وتذكر بعض المصادر القبطية أن أوطاخي تراجع عن مقولته[(١)][(٢)].

كان البابا الروماني ليو الأول قد تأثر بالقول بالطبيعتين، فأرسل إلى بطريرك القسطنطينية رسالةً أصرَّ فيها على القول بالطبيعتين للمسيح بعد الاتحاد، وكان يريد أن تُقرأ في مجمع أفسس الثاني، ولكن البابا ديوسقورس[(٣)] بابا الإسكندرية، تجاهل هذه الرسالة البابوية، وأقرَّ المجمع من دون عرضها، مما أدى إلى تهميش دور البابا الروماني، كما تجاهل بابا الإسكندرية كلاً من بطريرك القسطنطينية وأنطاكية[(٤)].

كان تصرف ديوسقورس بمثابة شرارة الانفصال بين الكنائس، وتحدٍ واضح للبطاركة الثلاثة في روما وأنطاكية والقسطنطينية، مما حدا بهم للدعوة لمجمع آخر بعدَ سنتين، في مدينة خلقيدونية.

عُقد مجمع خلقيدوني أو خلكيدوني في عام (٤٥١م)، وكان زعماء كنيستي روما والقسطنطينية معاً ضد الإسكندرية، بل وحُرِمَ بطريرك الإسكندرية من الحضور في اليوم الثاني من المجمع، وأصدروا قراراً بنفيه.

ومن أهم قرارات هذا المجمع؛ إقرار القول بأن في المسيح طبيعتين ومشيئتين،

---

(١) يصرِّح نسطور بأن في المسيح عليه السلام طبيعتين، وأنهما منفصلتان حقيقةً، واتحادهما مجازي، بينما يذهب أوطاخي إلى القول باختلاط وامتزاج الطبيعتين في طبيعةٍ واحدةٍ، فهي طبيعة واحدة بعد الاتحاد، أما قبله فهو من طبيعتين، أما النصارى الأقباط فيقولون باتحاد الطبيعتين بدون امتزاج ولا اختلاط ولا استحالة، ولتقارب قول النصارى الأقباط مع قول أوطاخي؛ نجدُ بعض الكتاب يميل إلى أن انشقاق الكنيسة القبطية في مجمع خلقيدونية، هو في الواقع عودةٌ إلى قول أوطاخي، وأن خلاف النصارى الأقباط في ذلك المجمع إنما كان هدفه الانفراد بالسيطرة السياسية للبطريرك المصري. انظر: أقباط ومسلمون منذ الفتح العربي: ١٣-١٤، اللاهوت المقارن لغريغوريوس: ٢٠١-٢٠٢، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٢٥٧.

(٢) تجدر الإشارةُ هنا إلى أنه في تلك الفترة انسحبت الكنيسة النسطورية من الحكم الروماني، وانضوت تحت الحكم الفارسي بإيران والعراق، وهي ما تعرف الآن باسم الكنيسة السريانية الشرقية. انظر: الكنائس الشرقية وأوطانها: ١/ ٢٢.

(٣) تأتي ترجمته لاحقاً، عند الحديث عن أبرز بطاركة الكنيسة.

(٤) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٢٥٧، الأقباط الصراع والنشأة: ٢٤٧، المسيحية لشلبي: ١٩٩.

وإلغاء قرارات مجمع أفسس الثاني، كما قرروا لعن نسطور وديوسقورس بطريرك الإسكندرية وطردوه[1].

هذا المجمع والمجامع بعده لا يعترف بها النصارى الأقباط، ولا يقرّون بما جاء فيها، بل تولَّد عداءٌ بين الكنيسة القبطية وكنيستي روما والقسطنطينية بعد هذا المجمع[2].

يقول ثيؤدور هول باتريك: (وكان مجمع خلقيدونية سنة (٤٥١م) واضحاً في فصل الكنيسة المصرية عن باقي العالم المسيحي، واستمر ذلك إلى الآن)[3].

وبعد مدةٍ يسيرة من هذا المجمع، انضمتِ كنيسة أرمينيا، ثم كنيسة أثيوبيا، ثم كنيسة الهند، إلى كنيسة الإسكندرية[4]، ومع هذا لم يَعُدْ بطاركة الإسكندرية قادةً للعالم النصراني، ولا لهم تأثير عليه[5].

بعد مجمع خلقيدونية أصبحت الحكومة تفرض بطريركاً من قِبلها على كنيسة الإسكندرية، الأمر الذي رفضه النصارى الأقباط، مما سبب عنفاً وعوداً إلى الاضطهاد مرةً أُخرى[6].

وفي عام (٤٩١م) تولى الإمبراطور أناستاسيوس، وكان عالماً بأحوال مصر، وقد عمل على إرجاع السلام للأقباط، ونفي الأساقفة الغربيين عن مصر، فرحب الأقباط به كثيراً[7].

القرن السادس الميلادي:

في عام (٥١٩م) ظهر خلاف بين أصحاب الطبيعة الواحدة، فذهب بعضهم إلى القول بأن الطبيعة الإلهية اتحدت بجسد المسيح منذ حمَلت به أمه، فيستحيل عليه الفساد، وآخرون قالوا بأن جسد المسيح كان كأجسادنا قابلاً للفساد، وأن ناسوته يجهل

(١) انظر: المسيحية لشلبي: ١٩٩، من القبطية إلى الإسلام: ٢٣.

(٢) انظر: الكنائس الشرقية وأوطانها: ١/ ٢٢، تاريخ الكنيسة القبطية لباتريك: ٣٤.

(٣) تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٣٤.

(٤) انظر: الكنائس الشرقية وأوطانها: ١/ ٢٢، تاريخ الكنيسة القبطية لباتريك: ٣٥.

(٥) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لباتريك: ٣٤.

(٦) انظر: من القبطية إلى الإسلام: ٢٤، الكنيسة القبطية فكرها ومنهجها التنصيري: ١٥-١٦.

(٧) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٢٧٦-٢٧٧.

أموراً كثيرة كباقي الناس. وتشير المصادر القبطية إلى أن هذا القول لم يدم طويلاً، لأن لازمه تجهيل الرب، إذ هما طبيعة واحدة.

كما اختلفوا أيضاً في ماهية الأقانيم الثلاثة، فمنهم من ذهب إلى أن للثلاثة وجوداً خاصاً لكل واحدٍ منهم، ولهم وجود رابع عام يجمعهم، وآخرون عارضوهم في ذلك الوجود الرابع[1].

وفي عام (٥٢٧م) تولى الإمبراطور يوستنيانوس، فاضطهد النصارى الأقباط بشدة، قاصداً أن يرغمهم على الاعتراف بقرارات مجمع خلقيدونية، والإيمان بالطبيعتين[2].

وفي عام (٥٨٢م) حدثت ثورة للأقباط بالوجه البحري، بقيادة ثلاثة من الأقباط، وهاجم النصارى الأقباطُ رجالَ السلطة، فأمر الامبراطور باعتقال القيادات الثائرة، وانتهى الأمر بقتل الثائرين[3].

القرن السابع الميلادي:

في عام (٦١٦-٦١٧م) هجم الفرس على مصر، وانتزعوها من الرومان، وهاجموا الأديرة والكنائس فهدموها، وأتوا على النصارى الأقباط، فقتلوا منهم خلقاً، وأعلن القائد الفارسي استعداده لدعم كل شابٍ مصري، فلما خرج أقباط مصر، غدر بهم وقتل منهم ثمانين ألف رجل[4].

ولتصور درجة الانهزام والإحباط التي وصل إليها أقباط مصر؛ أنقل قول أحد المؤرخين للأقباط بنصّه، يقول باتريك: (وماذا سيحدث ببساطة لو استرد البيزنطيون مصر؟[5] وهل سيكون هناك أي فرق بين الحكمين الاستعماريين؟!)[6].

(١) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٢٨٠-٢٨١.
(٢) انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٢٦٩-٢٧٠، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٢٧٧.
(٣) انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٢٧١.
(٤) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لباتريك: ٤٧، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٣٠٣-٣٠٤.
(٥) أي لو استردوها من الفُرس.
(٦) تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٤٧.

وفي عام (٦٢٩م) عاد الروم بقيادة هرقل واستردوا مصر من الفرس، فأرسل هرقلُ بطريركاً ليكون حاكماً وبطريركاً في ذات الوقت على مصر، يقال له المقوقس، وقد أراد هرقل أن يوحِّد المذاهب النصرانية على القول بالمشيئة الواحدة، دون الإشارة إلى مجمع خلقيدونية، الذي هو موضِعُ بغض وكراهيةٍ بالنسبة لأقباط مصر، ولكن بطريرك الأقباط بنيامين رفض ذلك رفضاً قاطعاً، بحجة أنه لا يهتم بمثل هذا الاتفاق، الذي يريده ملكٌ كل همّه أموره ومصالحه السياسية.

ولذا فقد بدأت حملةُ اضطهادٍ واسعةٍ على النصارى الأقباط، لرفضهم هذا الأمر، وفرَّ كثير منهم خارج الإسكندرية، ومن وقع في قبضة الروم عُذِّب عذاباً شديداً[1].

استمر هذا الاضطهاد حتى جاء الفتح الإسلامي لمصر في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه، وهو ما سأتناوله في المبحث التالي.

من خلال هذا العرض السريع لتاريخ النصارى الأقباط؛ يتبيّن لنا مدى الاضطهاد الذي تعرضوا له على طول التاريخ، وسنلحظ جلياً الفرق بين تلك الأوضاع التي عاشها النصارى الأقباط مع إخوانهم في الدين الرومان، وبين تعامل المسلمين معهم بعد فتح مصر.

(١) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٣٠٤-٣٠٥، وتاريخ الكنيسة القبطية لباتريك: ٤٨.

المبحث الثاني: الفتح الإسلامي وأثره على النصارى الأقباط

تقدم في المبحث السابق عرضُ الفترة التاريخية التي عانى منها نصارى الأقباط، على مرِّ العصور واختلاف الولاة والحكام، وأنه قلَّ أن يأتي حاكمٌ - من أي جنسٍ كان أو ديانة - إلا ويسوم أقباط مصر النصارى سوء العذاب.

كما مرَّ بنا أيضاً الأعداد الهائلة من الأنفس البشرية التي كان الأباطرة يتنافسون في إهلاكها، وإراقة دمها.

مع تلك الصورة الدموية؛ ها هنا سؤالٌ يطرح نفسه: ماذا عن المسلمين وفتحهم لمصر؟ هل كانوا كما الغزاةُ السابقون لمصر في تعاملهم مع أهلها؟ أم أن هناك تعاملاً آخرَ عامل به المسلمونَ أقباطَ مصر النصارى؟

معلومٌ أن الإسلام دينُ العدالة والإنصاف حتى مع الأعداء، وقد جاء مصداق ذلك في كتاب الله - عزَّ وجل - حيث يقول سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة: ٨]

كما كان نبينا محمد ﷺ حسَنَ التعامل مع غير المسلمين، يشهد لذلك الكثير من الأحاديث الواردة في السنة النبوية.

وقد جاء عنه ﷺ الوصية - خاصةً - بإحسان التعامل مع النصارى الأقباط، وفي ذلك عددٌ من الأحاديث، منها:

عن أبي ذرٍّ الغفاريّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيراً، فإن لهم ذمّةً ورحماً، فإذا رأيتم رجلين يقتتلان في موضع لبنة، فاخرج منها))[1]، قال النووي: (قال العلماء: القيراطُ جزءٌ من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما، وكان أهل مصر يكثرون من استعماله، والتكلم به)[2].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: ٤/ ١٩٧٠ رقم٢٥٤٣.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم: ١٦/ ٩٧.

وعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا افتتحتم مصراً، فاستوصوا بالقبط خيراً، فإن لهم ذمةً ورحماً)) قال الزهري: فالرحم أن أم إسماعيل منهم[1]. وكذا منهم مارية أم إبراهيم رضي الله عنها.

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أوصى عند وفاته فقال: ((الله الله في قبط مصر، فإنكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عدةً وأعواناً في سبيل الله))[2].

وعن أبي عبد الرحمن الحبلي وعمرو بن حريثب أن رسول الله ﷺ قال: ((إنكم ستقدمون على قوم جعد رؤوسهم فاستوصوا بهم، فإنهم قوة لكم وبلاغ إلى عدوكم، بإذن الله)) قال ابن حبان: يعني قبط مصر[3].

لمجمل مادلَّت عليه هذه الأحاديث، وللتشريع المستقر في الإسلام في أحكام التعامل مع أهل الذمة؛ كان تعامل المسلمين مع النصارى الأقباط تعاملاً مغايراً لما كان عليه الحكام السابقون لمصر.

وقبل بيان ذلك التعامل، وذكر الحالة الاجتماعية السائدة بين المسلمين والنصارى الأقباط؛ يجدر أن أُشير إلى أسباب فتح المسلمين مصرَ، وأبرز أحداثه التي مرَّ بها، ولو على وجه الإيجاز.

أسباب فتح مصر:

تقدَّم أن مصر مرَّت بعددٍ من الحضارات والثقافات، بدايةً بعصر الهكسوس، ثم جاء بعدهم الآشوريون، ثم البطالسة، واستمروا في الحكم حتى عام (٣٠ق.م) لتدخل مصر بعد ذلك عصر الرومان، وفي القرن السابع أصبحت مصر دولة بيزنطيةً، وظلت فريسةً للتدهور، لأن البيزنطيين كانوا ينظرون لمصر نظرةً استغلاليةً لمصالحهم الشخصية، بعيداً

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٢/ ٦٠٣ رقم٤٠٣٢، وعبد الرزاق في مصنفه: ٦/ ٥٨ رقم٩٩٩٦، وقال الحاكم: (على شرط الشيخين، ولم يخرجاه).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير: ٢٣/ ٢٦٥ رقم٥٦١، وقال الهيثمي: (رواه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح). مجمع الزوائد: ١٠/ ٦٣.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه: ١٥/ ٦٩ رقم٦٦٧٧، وقال الهيثمي: (رجاله رجال الصحيح).مجمع الزوائد: ١٠/ ٦٤.

عن مصلحة البلد وأهلها، حتى جاء الفتح الإسلامي في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه، فتبدل حال مصر وأهلها، وتنفسوا الصعداء بعد الضيق والشدة، بفضل الإسلام وشريعته السمحاء، ثم حَمَلَتُهُ في ذلك الوقت.

وقد كان فتح المسلمين لمصر لأسباب متنوعة، منها الديني، والاقتصادي، والاجتماعي.

الأسباب الدينية:

تُمثِّل الجوانبُ والعواملُ الدينية أصلَ الأسباب في فتح مصر من جهة المسلمين والنصارى على حدٍ سواء.

فمن جهة المسلمين؛ معلومٌ أن الإسلام أمر بنشر الدين وتبليغه للعالم أجمع، حتى يكون الإسلام هو الدين السائد، ولذا شُرِعَ الجهاد إعلاءً لراية التوحيد، وإخراجاً للناس وإنقاذاً لهم من براثن الشرك والكفر، قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٩].

ومن جهة النصارى؛ كان اضطهاد النصرانية في مصر سبباً في انحسارها، وقتل كثير من أتباعها، ومن أشدِّ الأمور تأثيراً في عقائد المصريين النصارى؛ الخلاف الذي حصل بين الكنائس في تقرير طبيعة المسيح عليه السلام، والذي من نتائجه ما حصل بعد ذلك من التنازع والخلاف بين النصارى أنفسهم - كما تقدم -، ولذا تطوَّر موضوع النصرانية لدى النصارى الأقباط حتى أصبح عند بعضهم قضيةً وطنية أكثر من كونه ديناً يدينون به[١]!

الأسباب الاقتصادية[٢]:

قبل بيان الأسباب الاقتصادية، ينبغي أن يُعلم أن الفتح الإسلامي لم يكن في أصله يهدف لجانب اقتصادي أو مادي، بقدر هدف نشر الدعوة الإسلامية، يوضح ذلك المقولة الخالدة التي سطرها الخليفة عمر بن عبد العزيز في مقولته لحيان بن شريح،

---

(١) انظر: مصر في العصور الوسطى: ٥٧، مصر والعرب عبر التاريخ: ٤٧، تاريخ وآثار مصر الإسلامية: ١٣-١٦.

(٢) يرى أستاذي أ.د.خالد القاسم أنه لا يصح أن يكون العامل الاقتصادي سبباً من أسباب الفتح، ومرادي هنا أن الجانب الاقتصادي كان معيناً وليس سبباً رئيساً مستقلاً كما بيَّنته.

عندما كتب حيان لعمر - وكان حيان عاملاً على مصر -: ((إن الناس قد أسلموا فليس جزية، فكتب إليه عمر: أبْعدَ الله الجزية، إن الله بعث محمداً هادياً، ولم يبعثه جابياً للجزية))[1].

إلا أن الدافع الديني لا يتنافى ولا يتعارض - في الأصل - مع الدافع الاقتصادي، فالدافع الأول هو الدافع الديني، ثم تأتي الدوافع الأخرى تبعاً لذلك.

فمن أبرز الدوافع الاقتصادية لفتح مصر؛ الخيراتُ التي كانت مصر تتمتع بها، يقول كعب الأحبار: ((من أراد أن ينظر إلى شبه الجنة، فلينظر إلى مصر إذا أخرفت))[2].

وهذا ما جعل الدولة البيزنطية تحرص كثيراً على إخضاع مصر وأهلها بالقوة لسلطتها ونفوذها، فأثقلتْ بالضرائبِ المصريينَ، فالفلاح المصري الفقير يُضرب عليه ضريبة يُعفي عنها كبار التجار البيزنط، ولم يأت القرن السابع إلا ومصر قد أصبحت تحت نظام أشبه بالنظام الإقطاعي[3][4].

ومما يؤكد ذلك؛ المقولة التي لم يزل عمرو بن العاص رضي الله عنه يكررها على عمر بن الخطاب رضي الله عنه مُقنعاً له بفتح مصر، حيث كان يقول: ((يا أمير المؤمنين: ائذن لي أن أسير إلى مصر؛ إنك إن فتحتها كانت قوةً للمسلمين، وعوناً لهم، وهي أكثر الأرض أموالاً))[5].

---

(١) أخبار الحمقى والمغفلين: ١/ ٩٦.

(٢) انظر: فتوح مصر وأخبارها: ١/ ٥٥.

(٣) يقوم نظام الإقطاع على اقتطاع الملوك والأمراء مساحات من الأراضي إلى من يدينون لهم بالولاء، وذلك مدى حياتهم، حيث تكون وسيلة الإنتاج الرئيسية هي الأرض، وهي ملكٌ لشخصٍ واحدٍ، ويعمل الفلاحون في أرض هذا الشخص الذي يُسمى الإقطاعي، فالإقطاعي هو الحاكم المطلق في إقطاعيته، وهو المالك لكل شيء والباقون عبيد، لا يملكون حقَّ الانتقال من إقطاعية إلى أخرى. ويرجع النظام الإقطاعي إلى عهد الرومان، إلا أنه تبلور في صورته التي عرفتها أوروبا في القرن التاسع، وبلغ ذروته في أوروبا إبان القرون الوسطى، وتحديدًا في القرن الثالث عشر. انظر: قصة الحضارة: ١٤/ ٤٠٦ وما بعدها، الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية، تحت كلمة: «إقطاع»:
http: //ar.wikipedia.org

(٤) انظر: مصر في العصور الوسطى: ٥٧، تاريخ وآثار مصر الإسلامية: ١٦-١٧.

(٥) النجوم الزاهرة: ١/ ٥، فتوح مصر وأخبارها: ١/ ١٣١، تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٤٨.

الأسباب الاجتماعية:

من أبرز الأسباب الاجتماعية التي ساعدت على إضعاف مصر، ومن ثم فتحها؛ التشتت الواقع بين أهالي مصر، والطبقية الواضحة، فالإسكندرية - مثلاً - كانت بمثابة مدينةٍ يونانيةٍ أجنبيةٍ عن مصر، لدرجة أن سكان البلاد من المصريين كانوا يرون التوجه إلى الإسكندرية رحيلاً عن مصر، لأن أهلها اشتهروا بالثراء، وكأنهم في دولة أخرى، بخلاف باقي مناطق مصر.

هذا بدوره ساعد على تفكك الروابط الاجتماعية بين أهالي مصر، ومن شأنه - أيضاً - إضعاف الدولة بشكل عام[1].

التخطيط لفتح مصر:

اختلفت آراءُ المؤرِّخين حول بداية التخطيط، والفكرة الأولى لفتح مصر، ويمكن أن نجمل القول في ثلاثة آراء:

الرأي الأول:

أن أصل الفكرة كان من عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فهو الذي أشار على عمرو ابن العاص رضي الله عنه بعد فتح الشام بالتوجه إلى مصر لفتحها، وممن قال بهذا القول: ابن جرير الطبري، وابن الجوزي، وابن الأثير، وابن كثير، وعليه عامة المؤرخين[2].

الرأي الثاني:

أن عمرو بن العاص رضي الله عنه هو الذي اقترح على الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتحَ مصر بعد أن أتمَّ فتح الشام، وهو اختيار ابن خلدون[3].

---

(١) انظر: تاريخ وآثار مصر الإسلامية: ١٨.

(٢) انظر: تاريخ خليفة بن خياط: ١/ ١٤٢، تاريخ الطبري: ٢/ ٥١٢، المنتظم: ٤/ ٢٩١، الكامل في التاريخ: ٢/ ٤٠٥، البداية والنهاية: ٧/ ٩٧، النجوم الزاهرة: ١/ ٤.

(٣) انظر: مقدمة ابن خلدون: ٢/ ٥٥٤.

وتذكر بعض المصادر التاريخية سبب اختيار عمرو بن العاص رضي الله عنه لمصر دون غيرها، وطلبه من عمر بن الخطاب رضي الله عنه الإذن في فتحها؛ وهو أن عمرو ابن العاص رضي الله عنه قدم إلى بيت المقدس لتجارةٍ في نفر من قريش، فإذا هم بشمَّاس[1] من شمامسة الروم من أهل الإسكندرية، قدم للصلاة في بيت المقدس، فخرج في بعض جبالها، وبينما عمرو رضي الله عنه يرعى إبله؛ إذ مرَّ به ذلك الشمَّاس، وقد أصابه عطشٌ شديدٌ، فسقاه عمرو رضي الله عنه من قربةٍ له، فشرب حتى رويَ ثم نام، فجاءت حيةٌ عظيمةٌ، فبَصُرَ بها عمرو، فنزع لها بسهم فقتلها، فلما استيقظ الشمَّاس وعلم بالقصة؛ أقبل إلى عمرو رضي الله عنه فقبَّل رأسه، وقال: قد أحياني الله بك مرتين؛ مرة من شدة العطش، ومرة من هذه الحية، ثم إن الشمّاس ألحَّ على عمرو ابن العاص رضي الله عنه أن يصحبه إلى الإسكندرية، ولم يكن عمرو يومئذٍ يعرفها، فاستجاب لطلبه، وانطلق ومعه رجل من أصحابه مع الشمَّاس إلى مصر حتى انتهى إلى الإسكندرية، فرأى عمرو رضي الله عنه عمارتها، وكثرة أهلها، وما بها من الأموال والخير، فأعجبه ذلك، وقال: ما رأيت مثل مصر قط وكثرة ما فيها من الأموال.

ثم تأملَ عمارتها، وجودة بنائها، فازداد عَجَبَاً وإعجاباً بها، ثم إنه رجع وصاحبُه إلى أصحابهما، فبذلك عرف عمرو رضي الله عنه مدخل مصر ومخرجها، ورأى منها ما علم أنها أفضل البلاد وأكثرها مالاً، فكان ذلك سبباً لحرصه على فتح مصر[2].

الرأي الثالث:

أن عمرو بن العاص رضي الله عنه لم يستشر عمر بن الخطاب رضي الله عنه في فتح مصر، وإنما سار لها سراً دون أن يعلم عنه الخليفة عمر رضي الله عنه، فغضب عمر ابن الخطاب من تصرفه، وعاتبه عتاباً شديداً، وهذا رأي البلاذري.

يقول البلاذري: (ومضى - أي عمرو - إلى مصر من تلقاء نفسه، في ثلاثة آلاف وخمسمائة، فغضب عمر لذلك، وكتب إليه يوبخه ويعنفه على افتتانه عليه برأيه، وأَمَرَه

(١) يأتي تعريف الشماس، ودرجته الكهنوتية.

(٢) فتوح مصر وأخبارها: ١/ ١٢٧-١٣٠ بتصرفٍ كبير.

بالرجوع إلى موضعه..)[1].

وهو قولٌ بعيدٌ عن الحقائق التاريخية التي رواها المؤرخون، ويناقضها.

والذي يظهر - والله أعلم - أن عمرو بن العاص رضي الله عنه كان قد اقترح على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتحَ مصر عندما كان ببيت المقدس، إلا أن عمرَ رأى أن الوقت لم يحنْ بعدُ، حتى إذا ما فُتحت الشام؛ أمر عمرُ عمراً بالتوجه لمصر لفتحها[2].

فتح مصر[3]:

بعد فتح الشام في عهد عمر بن الخطاب؛ أرسل عمرُ إلى عمرو بن العاص أن يتوجه لمصر لفتحها، وكان ذلك عام (١٨هـ)، فسار عمرو رضي الله عنه بجيشٍ قوامه (٤٠٠٠)، وقيل: (٣٥٠٠) جندي، وسلك بهم طريق الصحراء الشرقية - وهو طريق أغلب الغزاة لمصر - حتى وصل إلى العريش[4] فاستولى عليها، وقضى عيد الأضحى فيها، ثم واصل المسير إلى مدينة الفرما[5]، وهي مفتاح مصر من جهة الشرق، وقد أظهر الروم مقاومةً أوقفتْ عَمْراً شهراً كاملاً، حتى استطاع أن يفتحها في عام (١٩هـ)، ثم واصل المسير إلى بِلْبِيس[6] وحاصرها شهراً كاملاً، واستطاع أن يفتحها بعد قتالٍ عنيفٍ مع الروم، فقُتِل من الطرفين عددٌ ليس بالقليل، وبعد سقوط بِلْبِيس انفتح الباب للمسلمين على مصراعيه.

---

(١) فتوح البلدان: ٢١٤، وقد نقلتُ هذا القول بنصه دون الأقوال قبله لغرابته.

(٢) انظر: فتح العرب لمصر: ٢٢٦، المختصر في تاريخ مصر: ١٢٦-١٢٧.

(٣) انظر: تاريخ خليفة بن خياط: ١/ ١٤٢، تاريخ الطبري: ٢/ ٥١٢، المنتظم: ٤/ ٢٩١، الكامل في التاريخ: ٢/ ٤٠٥، البداية والنهاية: ٧/ ٩٧، مقدمة ابن خلدون: ٢/ ٥٥٤، النجوم الزاهرة: ١/ ٤، فتح العرب لمصر: ٢٢٦، مصر الإسلامية: ٣٣، تاريخ مصر إلى الفتح العثماني: ١٧٥، تاريخ مصر الحديث: ٩٤، قصة فتح مصر: ٤٢، تاريخ وآثار مصر الإسلامية: ٢١، مصر في العصور الوسطى: ٥٥، المختصر في تاريخ مصر: ١٢٦.

(٤) مدينة في أول مصر من ناحية الشام على ساحل بحر الروم بوسط الرمل. معجم البلدان: ٤/ ١١٣.

(٥) مدينة على الساحل من ناحية مصر، يُنسب إليها أبو علي الحسين بن محمد بن هارون الفرمي. معجم البلدان: ٤/ ٢٥٥.

(٦) بِلْبِيس بكسر الباءين وسكون اللام وياء وسين مهملة، مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. معجم البلدان: ١/ ٤٧٩.

تنبه الروم إلى الخطر الذي يحيطُ بهم، فسارعوا بقيادة قيرس إلى حفر خندقٍ حول حصن بابليون، وتحصَّنوا فيه من المسلمين، فدارت معركة هي الأعنف منذ دخول المسلمين مصرَ، وأظهر الرومُ مقاومةً شديدةً خلف الحصن، ودافعوا عنه دفاعاً بالغاً، مما اضطر عَمْراً لطلب مددٍ من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والتراجع إلى الفيوم[1] حتى يأتي المدد.

أرسل عمرُ بن الخطاب جيشاً قوامه (٤٠٠٠) مقاتل، بينهم بعضُ كبار الصحابة المشهورين بقوتهم في القتال، كالزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو، وعبادة بن الصامت، وظلَّ الجميعُ تحت قيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه.

أمهل عمرو رضي الله عنه الرومَ خمسةَ أيام قبل أن يقتحم الحصن، وبينما عمرو ينتظر فاجأه الرومُ بالهجوم، فقاتلهم أشدَّ القتال وأعتاه، حتى استطاع أن يردّهم إلى الحصن.

تيقن عمرو رضي الله عنه بعد ذلك، أن الروم ماداموا تحت حماية الحصن؛ فإن حصارهم سيطول، لذا استدرجهم خارج الحصن، فنزل الروم وهُزِموا، وسارع من بقي منهم واحتمى بالحصن ثانيةً، فلم يكن بدٌّ من اقتحام الحصن، وتولى الزبير بن العوام هذه المهمة، فتسلق الحصن واستطاع أن يفتح الباب للمسلمين، فتمَّ اقتحام الحصن، وبهذا سقط حصن بابليون في أيدي المسلمين[2]، وبفتح بابليون صار الطريق مفتوحاً للوجه البحري والإسكندرية ، وهي عاصمة البيزنط.

توجه عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى الإسكندرية فاتحاً، وفرض الحصار عليها، لكن البيزنطيين قاوموه بشدة، إلا أن نبأ وفاة هرقل إمبراطور الروم جعل من سقوط الإسكندرية أمراً محتماً، فلم يجد المقوقس بدّاً من معاهدة المسلمين والصلح معهم، واشتهر هذا الصلح باسم صلح الإسكندرية، وكان ذلك عام (٢٠هـ)، ومما جاء

(١) الفيوم مدينة تقع شمال الصعيد، بينها وبين الفسطاط أربعة أيام، ويقال: إن النيل أعلى منها، كانت تدعى في السابق «الجوبة». انظر: معجم البلدان: ٤/ ٢٨٦-٢٨٨.

(٢) تاريخ الطبري: ٢/ ٥١٥، الكامل في التاريخ: ٢/ ٤٠٦، البداية والنهاية: ٧/ ٩٧، بتصرف.

فيه؛ التعهد بعدم التعرض للكنائس بسوء[1].

وفي عام (٢٥هـ) كان الخليفة عثمان بن عفان قد تولى الخلافة بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومما اتخذه عثمان؛ أن أرسل عبد الله بن أبي السرح والياً على مصر بدلاً من عمرو بن العاص رضي الله عنه، فرأى البيزنط أن تلك فرصة لاسترداد مصر، فأرسلوا أسطولاً بقيادة مانويل، واستطاع مانويل أن يسترد الإسكندرية، فبعث أهلُ مصر لعثمان بن عفان أن يرسل لهم مدداً بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه، لأنه أعلم بمواجهة الروم، فجاء عمرو بن العاص رضي الله عنه واستطاع أن يقتل مانويل، وهكذا استرد المسلمون الإسكندرية ثانيةً[2]، وبذلك اكتمل فتح مصر.

أثر الفتح الإسلامي على النصارى الأقباط:

تقدمت جملةٌ من الأحاديث التي أمر النبي ﷺ فيها بالإحسان للنصارى الأقباط، وأن يُستوصى بهم خيراً، كما تقدم - أيضاً - الحملاتُ التي غزتْ مصر - على تنوع دياناتها وعقائدها - إلا أنها تشابهت في اضطهاد نصارى الأقباط، وكيف أن القبطي يكون في تلك المجتمعات مواطناً من الدرجة الثانية أو دونها، مع أنه ابنُ البلد!

عَلِمَ النصارى الأقباط بالفتوحات الإسلامية، والعدل الذي كان يتعامل به المسلمون مع أهالي البلاد المفتوحة، ولذا ليس مستغرباً أن يرحب النصارى الأقباط بفتح المسلمين، وأن يؤازروهم ويناصروهم على الأعداء.

وسأنقل هنا شيئاً من المواقف التي تدلُّ على إنصاف المسلمين، وحسن تعاملهم مع النصارى الأقباط، مما كان له بالغ الأثر في نفوسهم، وكان سبباً لدخولهم الإسلام، مستشهداً بشيء من أقوال النصارى أنفسهم، أو أقوال من ارتضوه، ولنا أن نقارن بين تعامل المسلمين مع النصارى الأقباط وتعامل من سبقهم من أبناء ملّتهم من الرومان وغيرهم.

---

(١) انظر: مصر في العصور الوسطى: ٦٠.

(٢) انظر: تاريخ وآثار مصر الإسلامية: ٢٩، مصر في العصور الوسطى: ٦٠-٦١.

التعامل مع مغريات الدنيا والساسة:

فمن ذلك ما فعله عمرو بن العاص رضي الله عنه مع أرمانوسة بنت المقوقس، التي زوَّجها أبوها لقسطنطين بن هرقل، وذلك أنها وقعتْ أسيرةً في يده، فأكرمها ولم يمسَّها بأذى، ثم أرسلها معززةً مكرمةً إلى أبيها.

تقول المؤرخة الإنجليزية لويزا بوتشر[1]: (ووقعت أرمانوسه أسيرةً في يد ابن العاص، فأرسلها إلى أبيها باحترام)[2].

ويقول القس والمؤرخ القبطي منسى يوحنا: (وصل - عمرو بن العاص - إلى بلبيس، وفتحها بعد قتالٍ طال أمده نحو شهر، ولما استولى عليها؛ وجد بها أرمانوسة بنت المقوقس، فلم يمسَّها بأذى ولم يتعرض لها بشَرٍّ، بل أرسلها إلى أبيها في مدينة منف مكرَّمةَ الجانب، معززة الخاطر، فعدَّ المقوقسُ هذه الفعلة جميلاً ومكرمةً من عمرو، وحسبها حسنة)[3].

ومن المواقف أيضاً؛ تعفف المسلمين عن أنواع من الإغراءات، كالمال والنساء مع قدرتهم على تحصيلها، وتيسرها لهم، وهذا يبيِّن ويؤكد أنهم أصحاب مبدأ جاؤوا لتحقيقه، بعيداً عن المغريات الدنيوية.

يقول المؤرخ يوحنا النقيوسي[4]: (وساد المسلمون مصر، وكان عمرو يقوى في عمله، ويأخذ الضرائب التي حددوها، ولم يأخذ شيئاً من مال الكنائس، ولم يرتكب

---

(١) نقلتُ عنها مع أنها ليستْ من الأقباط، لأن كتابها مُعتمدٌ عندهم، ويتداولونه في مكتباتهم. يقول المؤرخ القبطي الدكتور ميخائيل مكسي إسكندر: تضم - يريد دراسةً في كتابها - معلوماتٍ كثيرة لا نجد لها مثيلاً في المصادر القبطية التاريخية، والتي سبق لنا نشر بعضها... لذا فهو مفيد للدارسين والباحثين، ومحبي تاريخ الكنيسة. مقدمة الكتاب: ٤ بتصرف. مع أنها كانت حاقدةً أشدَّ الحقد على الإسلام وتاريخه، ولا يخلو عرضها لتاريخ المسلمين من مغالطات وكذب على التاريخ والإسلام والمسلمين، وكثيراً ما تحمل تعامل المسلمين الحسن مع النصارى الأقباط على أنه نوع مكر ودهاء، لأجل مصلحةٍ يرقبها المسلمون! لا أنّ ذلك هو خُلُق الإسلام وسجيّته.

(٢) تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ١٢٤.

(٣) تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٣٠٦.

(٤) كان معاصراً للأحداث. انظر: تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ١٢٥، حاشية٢.

شيئاً ما سلباً أو نهباً، وحافظ عليها طوال الأيام)[١].

وتقول المؤرخة لويزا بوتشر: (وعندما جاء إلى مصر عَرَضَ - الإمبراطور - على ابن العاصي[٢] أمر المال، وأن يزوج أيدوشيا ابنة الإمبراطور بالخليفة عمر بن الخطاب، ولكن الداهية ابن العاصي لم يقبل العرض)[٣].

تنفيذُ وصيةُ رسول الله ﷺ:

أراد عمرو بن العاص رضي الله عنه قبل مهاجمة حصن بابليون أن يُعذر من نفسه، وأن يفصل بين الروم والأقباط، اتباعاً لوصية رسول الله ﷺ في إحسان التعامل مع أقباط مصر، فقال لأتباعه: لا تعجلوا حتى نُعذر، ليبرز إليَّ: أبو مريم، وأبو مريام، راهبا هذه البلاد، فبرزا إليه، فقال لهما عمرو: أنتما راهبا هذه البلاد فاسمعا؛ إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق وأمره به، وأَمَرَنا به محمد ﷺ، وأدَّى إلينا كل الذي أُمر به، ثم مضى وتركنا على الواضحة، وكان مما أمرنا به الإعذار إلى الناس، فنحن ندعوكم إلى الإسلام فمن أجابنا إليه فمِثْلُنا، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية وبذلنا له المنعة، وقد أَعْلَمَنا ﷺ أنا مفتتحوكم، وأوصانا بكم، حفاظاً لِرَحِمِنا منكم، وإن لكم إن أجبتمونا بذلك ذمةً إلى ذمة.

ومما عهد إلينا أميرنا: استوصوا بالقبطيين خيراً فإن رسول الله ﷺ أوصانا بالقبطيين خيراً.

فقالوا: قرابةٌ بعيدةٌ، لا يَصِل مثلها إلا الأنبياء، معروفة شريفة، كانت ابنة ملكنا، وكانت من أهل منف والمُلك فيهم، فأُديل عليهم، فاغتربوا وسُلبوا، فلذلك صارت إلى إبراهيم عليه السلام.

فكان لكلامه أثرٌ بالغٌ عليهما، وطلبا أن يمهلهما، فأمهلهما ثلاثاً لينظرا ويتناظرا مع قومهم، قالا: زدنا، فزادهم يوماً، فقالا: زدنا، فزادهم يوماً آخراً[٤].

---

(١) نقلاً عن: كنيسة مصر: ١٨٠.

(٢) هكذا تسميه، أو كما يُريده المترجم عنها، وهو معروف بحقده على الإسلام والمسلمين، إذ هناك فرق بين (العاص) من (عيص)، والتي تعني الأصل، أما (العاصي) فهي من المعصية. انظر: لسان العرب: ٧/ ٥٩-٦٠، ١٥/ ٦٦-٦٧.

(٣) تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ١٢٤.

(٤) انظر: تاريخ الطبري: ٢/ ٥١٣-٥١٤، البداية والنهاية: ٧/ ٩٧-٩٨.

ومن المواقف أيضاً؛ أنه لما فتح عمرو بن العاص رضي الله عنه مصرَ كتب أماناً لأقباطها، وصالحهم على حفظ أموالهم، وكنائسهم، وعباداتهم، وعدم الاعتداء عليهم[1].

تقول المؤرخة لويزا بوتشر: (وتعهد المسلمون بعدم اغتصاب كنائس الروم، وعدم التدخل في أمور دينهم)[2].

التعامل مع البطريرك:

من ذلك أن بنيامين بطريرك النصارى الأقباط في زمن الفتح، كان مختفياً ثلاث عشرة سنة، بسبب اضطهاد المقوقس له، ولما تولى المسلمون زمام الحكم؛ أذن عمرو ابن العاص رضي الله عنه له بالرجوع، وكتب له أماناً وعهداً، وأعاده إلى كرسيه[3].

يقول القديس الأنبا يوساب: (ثم أخذوا - النصارى الأقباط - للأنبا بنيامين أماناً، فعاد إلى الإسكندرية بمجدٍ عظيم)[4].

ويقول الأسقف إيسوذورس: (وبعد الفتح العربي؛ رخّص عمرو بن العاص للبابا بنيامين للعودة إلى الإسكندرية من مكان اختفائه.. فعاد البابا بنيامين، وقام بترميم الكنائس، وأديرة وادي النطرون، التي قد خرَّبها الفرس)[5].

وتقول المؤرخة لويزا بوتشر: (ولما أدرك ابن العاصي أهمية مهادنة[6] الأقباط.. طالب بعودة البابا لكرسيه)[7].

---

(١) انظر: تاريخ الطبري: ٢/ ٥١٥، الكامل في التاريخ: ٢/ ٤٠٦.

(٢) تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ١٢٨.

(٣) انظر: فتح العرب لمصر: ٤٥٤-٤٦١.

(٤) تاريخ البطاركة: ٨٢.

(٥) الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ١/ ٢٥٦.

(٦) وقوها في تبرير فعل عمرو يُؤكِّدُ ما ذكرتُهُ سابقاً من حقدها على الإسلام، وحملها تصرفات المسلمين الحسنة على الدهاء والسياسة، لا أن منطلق ذلك روحُ الإسلام.

(٧) تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ١٣٠.

ويذكر القس منسى يوحنا أن عمرو بن العاص (كتب أماناً وأرسله إلى جميع الجهات، يدعو فيه البطريرك للحضور دون أن يخاف مطلقاً، ولما حضر وذهب لمقابلته ليشكره على هذا الصنيع؛ أكرمه وأظهر له الولاء، وأقسم له بالأمان على نفسه وعلى رعيته.. ورجع البابا بنيامين إلى مركزه معززاً مكرماً، وهكذا عادت المياه إلى مجاريها)[١].

ويقول باتريك[٢]: (وبعد ٣ سنوات من استيلاء العرب على الإسكندرية، عاد البابا بنيامين إلى كرسيه، كرئيس للكنيسة المصرية، وبداية علاقة جديدة بين الكنيسة القبطية والحكومة العربية... إن المدائح التي أُطلقت على الغازي ابن العاص كان بدون شك يستحقها، فقد أعطى البابا بنيامين سلطةً على رعيته)[٣].

ويقول البابا شنودة الثالث: (إن عمرو بن العاص عندما أتى مصر، كان بطريرك مصر - بنيامين - البطريرك الثامن والثلاثون مختفياً في أرجاء مصر من إخوته المسيحيين المختلفين عنه في الإيمان[٤] ثلاثة عشر عاماً، لم يجلس في كرسيه، فلما أتى عمرو بن العاص؛ أمَّنه على نفسه وعلى كنائسه. والكنائس التي أخذها منه الروم أرجعها إليه عمرو بن العاص)[٥].

ويقول القس أثناسيوس المقاري: (فتح العرب مصر.. فكتب عمرو صكاً بالأمان، نشره في أنحاء مصر، يدعو فيه البابا بنيامين إلى العودة لكرسيه، ويؤمِّنه على حياته، فظهر البابا وذهب إلى عمرو، فاحتفى به وردَّه إلى مركزه عزيز الجانب، موفور الكرامة..)[٦][٧].

---

(١) تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٢٩٠.

(٢) كتابه معتمدٌ عند النصارى الأقباط.

(٣) تاريخ الكنيسة القبطية لباتريك: ٥٢، وقد قال ذلك مقراً وناقلاً.

(٤) من الملاحظ لكل مطلع على كتابات البابا شنودة الثالث - بابا النصارى الأقباط السابق -، أنه دائمُ التلطف في عبارته تجاه المذاهب النصرانية الأخرى التي تخالف الأرثوذكس.

(٥) نقله عنه القمص بولس باسيلي، الأقباط وطنية وتاريخ: ٤٢.

(٦) تاريخ الأمة القبطية: ٤٦.

(٧) ولكل نصراني مُنصفٍ أن يُقارن بين هذا التعامل من عمرو بن العاص رضي الله عنه مع بنيامين، وبين ذلك التعامل الذي كان يُسام به من المقوقس، لِيُبصر عدالة الإسلام وإنصافه، بعيداً عن أولئك الذين يحاولون تشويه صورة الإسلام كبعض المؤرِّخين الأقباط، وقد حرصتُ هنا أن أنقل كلام النصارى الأقباط بنصِّه؛ ليكون ذلك أدعى للحجة وأبلغ.

التعامل مع الرهبان والقساوسة:

من ذلك ما فعله عمرو بن العاص رضي الله عنه مع الرهبان الذي جاؤوا إليه، فمنحهم حريتهم الدينية وأكرمهم[1].

يقول باتريك: (جنى الأقباطُ فائدتين من الغزو العربي، هما: تقليل الضرائب، ومزيد من الحرية الدينية بالمقارنة بالعقد الأخير من الحكم البيزنطي، ووجد الأقباط أن النَّيْرَ عليهم قد خفَّ، وأزيل القيد الديني، فلم يعودوا يُعاملون على أنهم هراطقة[2]، بل أصبحوا من أهل الذمة)[3].

ويقول القس منسى يوحنا: (سمع رهبان وادي النطرون.. أن أمةً جديدةً ملكتِ البلاد، فسار منهم إلى عمرو سبعون ألفاً.. وطلبوا منه أن يمنحهم حريتهم الدينية، ويأمر برجوع بطريركهم من منفاه، فأجاب عمرو طلبهم، وأظهر ميله للأقباط، فازداد هؤلاء ثقةً به ومالوا إليه، خصوصاً لما رأوه يفتح لهم الصدور، ويبيح لهم إقامة الكنائس والمعابد)[4].

ويقول القس أثناسيوس المقاري بعد أن ذكر قصة الرهبان السابقة وقدومهم على عمرو بن العاص رضي الله عنه: (وهي شهادة تحسب لعمرو بن العاص، أجمع عليها المؤرخون)[5].

التعامل مع عامة الشعب:

من ذلك أن عمرو بن العاص رضي الله عنه أعطى النصارى الأقباط شيئاً من الوظائف وأكرمهم.

تقول المؤرخة لويزا بوتشر عن عمرو بن العاص رضي الله عنه: (كان داهيةً في

---

(١) انظر: فتح العرب لمصر: ٤٥٥.

(٢) الهرطقة في أصلها كلمةٌ يونانيةٌ انتقلت إلى القبطية، وتعني البدعة الجديدة في الدين، وصاحبها (هرطوقي) وهو صاحب الفكر الديني الخاطئ، الذي يُخرجه من إيمان وعقيدة كنيسته التي ينتسب إليها. انظر: معجم الإيمان المسيحي: ٥٢٥-٥٢٦، بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ٩٣.

(٣) تاريخ الكنيسة القبطية لباتريك: ٥٣.

(٤) تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٣٠٦.

(٥) كنيسة مصر: ١٨٢.

سياسته، فقد أبعد رجاله عن السكان، ولم يعيِّن واحداً منهم للإدارة والحكم.. فأقام الولاة والحكام من الأقباط)[1].

ويقول باتريك: (كانت للأقباط حقوقٌ للملكية، وبعض الحقوق لممارسة شعائر دينهم، وازدهروا في الأعمال الحرفية والتجارية والإدارة الحكومية.. كان لهم مستواهم المالي ومجتمعهم، وفُرَص في الحكومة والعمل)[2].

ويقول القس منسى يوحنا: (وقرّب عمرو إليه [كثيراً][3] من الأقباط، واعْتُمِدوا في إصلاح شؤون البلاد، ووظّفهم بوظائف عالية، فكان منهم الحكام، والرؤساء، والكُتَّاب، وجباة الخراج)[4].

ولذا فقد اعترف مُنصِفُو النصارى الأقباط بأفضلية الخلافة الإسلامية على غيرها من الفترات التي مرَّتْ بمصر، وعدّوها من أحسن العصور، يقول القس منسى يوحنا: (وكانت مدة ولاية عمرو بن العاص في مصر، وخلافة عمر بن الخطاب أحسن أوقات الراحة التي ذاقها الأقباط، وقيل: إن قبطياً فقيراً أتى عمر الخليفة، وشكا إليه أن ابن العاص لطمه، فاستدعى عمراً وقال له: وُلد الناس أحراراً فلماذا تستعبدونهم؟ وأمرَ القبطيَ أن يلطم الأمير)[5].

---

(1) تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ١٣٢.

(2) تاريخ الكنيسة القبطية لباتريك: ٥٤.

(3) في الأصل: كثيرين، وهو تعبير ضعيف.

(4) تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٣٠٨.

(5) تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٣١٠، والقصة في أصلها ذكرها ابن عبد الحكم في فتوح مصر وأخبارها، وهي بين القبطي وابن عمرو بن العاص وليس عمراً نفسه كما ذُكر هنا، يقول ابن عبد الحكم: (أتى رجل من أهل مصر إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: (يا أمير المؤمنين، عائذٌ بك من الظلم. قال: عذت معاذاً. قال: سابقتُ ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني بالسوط، ويقول: أنا ابن الأكرمين! فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم عليه ويقدم بابنه معه، فقدم فقال عمر: أين المصري؟ - يعني القبطي النصراني - خذ السوط فاضرب، فجعل يضربه بالسوط، ويقول عمر: اضرب ابن الأليمين.. ثم قال عمر للمصري: ضع السوط على صلعة عمرو. فقال - القبطي -: يا أمير المؤمنين إنما ابنه الذي ضربني، وقد اشتفيت منه. فقال عمر لعمرو: مُذْ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ قال: يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتني) فتوح مصر وأخبارها: ١/ ٢٩٠، ولنا أن نتصور موقف المُنصف من النصارى حينما يقرأ مثل هذه القصة.

أثر معاملة المسلمين:

لما كان المسلمون بهذا التعامل الكريم، والخُلُق الرفيع؛ لم يكن مستغرباً أن يُساعد النصارى الأقباطُ المسلمين في فتحهم لمصر، وقد شهد بمناصرتهم للمسلمين جمعٌ من مؤرخي النصارى الأقباط.

يقول باتريك عن هجوم البيزنطيين ثانيةً على مصر بعد أن انتصر عليهم عمرو بن العاص رضي الله عنه: (ولم يساعد الأقباطُ البيزنطيين الغزاة هذه المرة مثلما ساعدوا الغزاة العرب منذ خمس سنوات)[1].

ويقول القس منسى يوحنا: (وفي أثناء ذلك؛ أنفذ الروم حملة من جنودهم لاسترجاع مصر من المسلمين.. فخشي القبط استيلاءهم على البلاد مرةً ثانيةً، فناصروا العرب، وباء الروم بالخيبة والخذلان)[2].

إضافةً إلى أقوال النصارى السابقة؛ يؤكد المؤرخ ابن عبد الحكم ذلك، حيث يقول: (وكان بالإسكندرية أسقف للقبط، يقال له: أبو ميامين[3]، فلما بلغه قدوم عمرو ابن العاص إلى مصر، كتب إلى القبط يعلمهم أنه لا تكون للروم دولة، وأن مُلْكَهُم قد انقطع، ويأمرهم بتلقي عمرو، فيقال: إن القبط الذين كانوا بالفرما، كانوا يومئذ لعمرو أعواناً)[4].

ويؤكد الدكتور إبراهيم العدوي مناصرةَ النصارى الأقباط للمسلمين، وأنهم - بعد توفيق الله - سببٌ من أسباب دحض الروم، لأن النصارى الأقباط وقفوا مع المسلمين.

يقول العدوي: (واستطاع - أي عمرو بن العاص - بفضل مساعدة المصريين، أن يَحُولَ دون تقدم الروم إلى حصن بابليون، وأن يهزم قواتهم عند بلدة نيقيوس)[5].

---

(١) تاريخ الكنيسة القبطية لباتريك: ٥٥.

(٢) تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٣١٠.

(٣) هو نفسه بنيامين. انظر: مصر والفتح الإسلامي: ٤٦.

(٤) فتوح مصر وأخبارها: ١/ ١٣٤-١٣٥.

(٥) مصر الإسلامية: ٥١.

وينقل محمد حسنين هيكل إجماعَ المؤرِّخين على أن أقباط مصر استقبلوا الفاتحين العرب باعتبارهم مخلِّصين لهم من الطغيان[1]، وإلى هذا الرأي يميل بعض الباحثين[2].

أما من يخالف هذا الرأي، ويرى أن النصارى الأقباط لم يساعدوا المسلمين ولا الروم في ذلك القتال، بل وقفوا موقف المتفرج[3]؛ فالذي يظهر أن ذلك إنما كان في بداية الفتح، لأنهم لم يروا بعدُ حكم المسلمين وعدالتهم، وإنما سمعوا بذلك سماعاً، فلما تبين لهم شيءٌ من ذلك؛ ناصروهم، وأَمَرَ أسقفهم بنيامين بمناصرة المسلمين[4].

ولعدل الإسلام وإنصافه؛ رَغِب أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه أن يسترشد بآراء كبار النصارى الأقباط في بعض إدارته، فامتثل عمرو لأمر أمير المؤمنين، وسأل بنيامين - أسقف النصارى الأقباط - عن خير وسيلة لإدارة البلاد وتنظيم أمورها[5].

شهادة متأخري النصارى الأقباط على عدل الإسلام وسماحته:

شهد بعض النصارى الأقباط بعدل الإسلام وسماحته. يقول البابا شنودة الثالث: (يكفي أن السلام هو اسم من أسماء الله.. أول مرحلة من السلام كانت في تاريخ الإسلام؛ هي العهود والمواثيق الشهيرة، لعل في مقدمتها الميثاق الذي أُعطي لنصارى نجران، والميثاق الذي أُعطي لقبيلة تغلب، ووصية الخليفة أبي بكر الصديق لأسامة بن زيد، والوصية التي قدمها الخليفة عمر بن الخطاب قبل موته.. والميثاق الذي أعطاه عمرو بن العاص لأقباط مصر. وفي هذه المواثيق أَمَّن المسيحيين على كنائسهم، وصوامعهم، ورهبانيتهم، وأملاكهم، وأرواحهم.

ونذكر هنا في مصر أنه عندما أتى عمرو بن العاص إلى مصر، كان البابا القبطي بنيامين منفياً ثلاثة عشر عاماً بعيداً عن كرسيه، فأمَّنه عمرو بن العاص، وأعاده إلى

(١) انظر: خريف الغضب: ٢٦٤.

(٢) انظر: تاريخ وآثار مصر الإسلامية: ٢٨، مصر العربية والإسلامية: ١٨.

(٣) انظر: فتح العرب لمصر: ٢٨١، الأقباط النشأة والصراع: ٣٠٨، كنيسة مصر: ١٦٤.

(٤) انظر: مصر والفتح الإسلامي: ٦٣-٦٤.

(٥) انظر: مصر الإسلامية: ٥٣.

كرسيه، وأسلمهُ كنائسه التي أخذها منه الروم، وعاش معه في سلام.

نرى أيضاً من سماحة الإسلام:

ما قيل من كلمات طيبة عن أهل الكتاب في آيات القرآن، ففي سورة آل عمران: ﴿ ۞ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٣ - ١١٤].

ولاشك - والحديث لا يزال له - أن هذه الكلمات كان لها تأثير في المجتمع الإسلامي، وفي العلاقة الطيبة بين المسيحيين والمسلمين.. ومن التسامح الإسلامي أيضاً؛ الأحاديث التي وردت عن أهل الذمة..)[١].

وينقل القمص بولس باسيلي عن البابا شنودة الثالث أنه في يوم وضع حجر الأساس لمستشفي مار مرقس، ألقى كلمةً جاء فيها: (وهناك قصة طريفة تروى عن الخليفة عمر ابن الخطاب، أنه حينما كان خليفة المسلمين، اختلف مع علي بن أبي طالب - الذي صار الخليفة الرابع -، اختلف مع رجل يهودي، وجاء الاثنان أمام الخليفة عمر، فقال عمر لعلي: يا أبا الحسن اجلس إلى جوار خصمك لنبحث الأمر، فجلس علي وقد تأثر قليلاً، وبعد أن قضى بينهما، قال عمر لعلي: هل استأت لأني أجلستك إلى جوار خصمك؟ قال له: كلا، إنما استأت لأنك ناديتني بكنيتي يا أبا الحسن، وفي هذا نوع من التعظيم، خِفْتُ أن يشعر معه هذا اليهودي بأنه لا يوجد عدل بين المسلمين.. هكذا كان المسلمون يسلكون في العدل بين رعاياهم أياً كان مذهبهم)[٢].

موقف حاقدي النصارى الأقباط من الإسلام:

في مقابل الصورة السابقة والمنصفة من بعض النصارى الأقباط - سواءٌ رجال الدين أو المؤرخون -؛ نجد بعضاً من الكتَّاب والمفكرين الأقباط، لا يكادون يَفتُرون

(١) المؤتمر العام السادس عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر، في الفترة من ٨ - ١١ ربيع الأول سنة ١٤٢٥ هـ بعنوان: التسامح في الحضارة الإسلامية.

(٢) الأقباط وطنية وتاريخ: ٥٠-٥١.

عن سبِّ الإسلام، وقلب حقائق الفتح الإسلامي وما كان معه من صورة سمحة، تجلى بعضٌ منها فيما ذكرناه سابقاً.

ومن أشدِّ أولئك حقداً وبُعداً عن الإنصاف - في وقتنا المعاصر -؛ الكاتب: ملاك لوقا[1]، صاحب كتاب: الأقباط النشأة والصراع، فقد حشا كتابه مغالطات تاريخية، وتناقضات عجيبة، لا يُمكن تفسيرها إلا بهوى مُتبع، أعمى بصره وأصم سمعه.

والوقوف على الحقيقة يستلزم أن أنقل بعض أقواله وما تفوَّه به.

يقول عن فتح المسلمين لمصر، بعد أن يسميه غزواً، وينكر أن يكون فتحاً: (ولستُ أدري لماذا يمتعض البعض من كلمة غزو.. ومن خلال هذا الغزو سنعرف يقيناً أن هؤلاء الغزاة ليسوا أبطالاً، ولا يستحقوا إلا أن يكونوا مجرمي حرب، ويودعوا في مزبلة التاريخ)[2].

ويقول: (..وكأن الغزاة الجدد سمنٌ على عسل، أنارونا ونورونا وطبطبوا علينا، وعشنا معاهم أحلى الأيام[3]!! إن تاريخنا لم يُكتب بعدُ كما يجب، وعندما يُكتب ستتلاشى أسماء كثيرة، وستسقط مسميات كما تتساقط أوراق الخريف، إذ سيتحول مسمى «فتح» إلى غزو استيطاني، والقادة الغزاة سيكونون مجرد مجرمي حرب، ورؤساء عصابات، بما فيهم ولاتهم فيما بعد)[4].

ولما ذَكَرَ رفْضَ عمرو بن العاص رضي الله عنه الخروجَ من مصر، عندما طالبه المقوقس بذلك، قال: (طبعاً إزاي يسيب هذا العز اللي عمر أمته ولا هو شافوه)[5].

(١) إنما خصصته بالذكر؛ لرواج كتابه بينهم، ولأن كتابه (الأقباط: النشأة والصراع) لفتَ نظري كثيراً من بين الكتب التي اطلعتُ عليها للنصارى الأقباط، إذ كان سليط اللسان، فاحش القول، بعيداً كل البعد عن الحق والإنصاف، والمنهجية العلمية.

(٢) الأقباط النشأة والصراع: ٢٨٣.

(٣) كثيراً ما يكتب بلهجة عامية، خاصةً عندما يكون في موقف استهزاء بالصحابة أو بالمسلمين من بعدهم، بعيداً عن اللغة الفصحى والأسلوب العلمي الأكاديمي، الذي زعمَ في مقدمة كتابه أنه من ميزات هذا الكتاب!

(٤) الأقباط النشأة والصراع: ٢٨٢.

(٥) الأقباط النشأة والصراع: ٣١٨.

وحول مناصرة النصارى الأقباط للمسلمين عند الفتح؛ يتعصب لإنكار هذا الأمر، حيث يقول: (وقد زعم بعض المؤرخين أنه حينما علم الأنبا بنيامين بدخول العرب؛ وجه رسالةً إلى جميع الأساقفة يطلب إليهم فيها أن يناصروا الغزاة، ولكن الأحداث اللاحقة تكذب هذا الزعم بشكل واضح)[1]، ولأن كلامه مبنيٌ على تعصب ظاهر؛ نجده يناقض نفسه بنفسه، وفي ذات مصنَّفه، حيث يقول: (أربعة آلاف من عرب الصحراء[2] زحفوا على مصر .. فأعطوا - أي أن النصارى الأقباط أعطوا - الغزاةَ كل الثقة، ورصدوا لهم تحركات الخصم وقدراته ومقدراته، فأصبح الأربعة آلاف بمثابة مئات الألوف، بفضل صنعة المصريين معهم، حيث قدموا لهم كل عون)[3]، وهنا نلحظ أنه لما كان الحديث عن انتصار المسلمين وتفوقهم؛ أراد أن يسلب ذلك التفوق بنسبته للنصارى الأقباط، ولما كان الحديث عن ميل النصارى الأقباط للمسلمين بعد الفتح - كما في النقل الأول عنه - أنكر ذلك بشدة، مع أن الحادثة واحدة، والموقف ذاته!!

ولما كان موقف عمرو بن العاص رضي الله عنه مع البابا بنيامين موقفاً إيجابياً، أشاد واعترف به كثير من النصارى الأقباط؛ نجد أن هذا الكاتب يذكر القصة، ولا يشير من قريبٍ ولا بعيدٍ لفضل عمرو بن العاص رضي الله عنه على البابا بنيامين، خلافاً لمن سبقه من رجال الدين الأقباط ومؤرخيهم ممن كتب حول هذه القصة، يقول: (وأثناء اختفاء البابا بنيامين؛ هجم العرب على مصر بقيادة عمرو بن العاص، واستولوا عليها.

وبعد أن تم عزل البطريك الذي عينه هرقل، عاد البابا بنيامين وبدأ يوجه التفاته نحو الأديرة التي خربها الفرس أثناء تملكهم لمصر..)[4]، وكأن عودة البابا بنيامين كانت من تلقاء نفسه، أو عن قوة وتمكن!

---

(١) الأقباط النشأة والصراع: ٣٠٩.

(٢) يريد لمز المسلمين بأنهم أهل بادية.

(٣) الأقباط النشأة والصراع: ٢٨٣.

(٤) الأقباط النشأة والصراع: ٣٣٠، والمجال لا يتسع لذكر ولو نصف ما اتهم به المسلمين، فمغالطاته كثيرة، وسبّه وكلامه البذيء مبثوثٌ في كتابه. انظر على سبيل المثال الصفحات: ٢٨١-٣٤٦.

شبهة تاريخية وجوابها:

مادام الحديث متصلاً بالجانب التاريخي؛ فلعله من المناسب الإشارة إلى شبهةٍ تاريخيةٍ قبل ختام هذا المبحث، وهي قصة حرق عمرو بن العاص رضي الله عنه لمكتبة الإسكندرية، التي ذكرها بعض المؤرخين والمستشرقين، ووجدها بعض النصارى الأقباط سبيلاً للطعن في المسلمين، وعلى وجه الخصوص في عمرو بن العاص رضي الله عنه.

ومن أوائل من ذكر القصة المؤرِّخ عبد اللطيف البغدادي، حيث يقول: (رأيتُ أيضاً حول عمود السواري - بالإسكندرية - من هذه الأعمدة بقايا صالحة، بعضها صحيح وبعضها مكسور، ويظهر من حالها أنها كانت مسقوفة، والأعمدة تحمل السقف، وعمود السواري عليه قبة هو حاملها، وأرى أنه الرواق الذي كان يدرس فيه أرسطوطاليس وشيعته من بعده، وأنه دار المعلم التي بناها الإسكندر حين بنى مدينته، وفيها كانت خزانة الكتب التي أحرقها عمرو بن العاص بإذن عمر رضي الله عنه)[1].

ويقول أبو الفرج الملطي: (وعاش يحيى الغراماطيقي إلى أن فتح عمرو بن العاص مدينة الإسكندرية، ودخل على عمرو، وقد عرف موضعه من العلوم فأكرمه عمرو.. وكان لا يفارقه، ثم قال له يحيى يوماً: إنك قد أحطت بحواصل الإسكندرية، وختمت على كل الأصناف الموجودة بها، فما لك به انتفاع فلا نعارضك فيه، وما لا انتفاع لك به فنحن أولى به. فقال له عمرو: ما الذي تحتاج إليه؟ قال: كتب الحكمة التي في الخزائن الملوكية. فقال عمرو: هذا ما لا يمكنني أن آمر فيه إلا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب. فكتب إلى عمر، وعرَّفه قول يحيى، فورد عليه كتاب عمر يقول فيه: وأما الكتب التي ذكرتها فإن كان فيها ما وافق كتاب الله؛ ففي كتاب الله عنه غنى، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله؛ فلا حاجة إليه، فتَقَدمْ بإعدامها. فشرع عمرو بن العاص في تفريقها على حمامات الإسكندرية، وإحراقها في مواقدها، فاستنفدت في مدة ستة أشهر)[2].

---

(١) الإفادة والاعتبار: ٥٢.

(٢) تاريخ مختصر الدول: ١٧٥-١٧٦.

هذان المصدران هما أصل القصة، والبغدادي أول من ذكرها، وعنهما أخذ من قال بهذا القول من المتأخرين، سواءً من المسلمين أو من غيرهم.

المناقشة:

يمكن مناقشة هذه القصة، وبيان عدم صحتها من خلال النقاط التالية:

أولاً: أن فتح عمرو بن العاص رضي الله عنه لمصر كان في عام (٦٤٠م)، ولا نجد في المصنّفات المتقدمة التي صنّفت في التاريخ عموماً وتاريخ مصر خصوصاً، ذكر لهذه القصة، كالطبري واليعقوبي وابن عبد الحكم وغيرهم، وإنما أول من ذكرها البغدادي - كما تقدم -، وكان ذلك بعد الفتح بأكثر من خمسمائة سنة[١]!!

ثانياً: أن يحيى الغراماطيقي لم يكن حياً في سنة (٦٤٢م)، فإنه كان يكتب في عام (٥٤٠م)، وبالنظر في حياته؛ يظهر أنه لم يدرك القرن السادس وإنما هلك قبله، وعلى التسليم بإدراكه؛ فإنما أدرك بدايته، والذي يظهر أن موته كان قبل دخول عمرو بن العاص رضي الله عنه لمصر بثلاثين أو أربعين سنة[٢].

ثالثاً: المكتبة الملكية التي أشار إليها أبو الفرج، لم تكن موجودةً في زمن الفتح، لأن تلك المكتبة وما بها، قد أُتلف بالنار في سنة (٤٨ق.م)، بسبب الحريق الذي كان على يد يوليوس قيصر[٣].

رابعاً: لا يُعَقل أن عَمْراً أصرَّ على حرق المكتبة، وتوزيع كتبها على الحمامات لتكون وقوداً لستة أشهر! لأن هذه المدة تكفي لمن يريد الحصول على شيء منها، خاصة يحيى الغراماطيقي، الذي كان حريصاً عليها، كما تذكرُ القصة[٤].

خامساً: يظهر أن اتهام المسلمين بحرق مكتبة الإسكندرية، قد ظهر في فترة تحول الحروب الصليبية نحو مصر من أجل تبرير ذلك التحول لدى عامة الشعوب الأوروبية،

---

(١) انظر: فتح العرب لمصر: ٤١٩-٤٢٠، مصر في العصور الوسطى: ٦٣، مصر العربية: ٢٢، مصر الإسلامية: ٤٨.

(٢) انظر: فتح العرب لمصر: ٤٢٢.

(٣) انظر: مصر في العصور الوسطى: ٦٤، مصر العربية: ٢٢، مصر الإسلامية: ٤٨.

(٤) انظر: مصر في العصور الوسطى: ٦٥، مصر العربية: ٢٢، مصر الإسلامية: ٤٩.

وكذلك عند النصارى داخل العالم الإسلامي.

وعلى هذا تبطل هذه القصة من أصلها، لأن المكتبة في الأصل لم تكن موجودةً في ذلك الوقت، والله أعلم.

المبحث الثالث: النصارى الأقباط وموقفهم من الاستعمار الأجنبي

تُعتبر مصر من الدول العربية الأولى التي التفتَ إليها المستعمر الأوروبي، لأنها تتمتع بموقع جغرافي واقتصادي متميز، فهي تمثّل صلةً بين قارتي إفريقيا وآسيا، وتُعْتَبَرُ منفذاً تجارياً هاماً يربط بين القارتين، لذا ليس مستغرباً أن يطمع المستعمر الأجنبي في احتلالها ونهب خيراتها، ومصداق ذلك؛ الحملات الصليبية المتابعة على مصر.

يضاف إلى ذلك؛ أن كلاً من فرنسا وبريطانيا كانتا تتنافسان على مدِّ نفوذهما على العالم، والاستحواذ على ثرواته، مما جعل مصر مسرحاً لحملات غاشمةٍ توالت عليها من تلك الدولتين فرنسا وبريطانيا.

ومن المعلوم أن الاستعمار الأجنبي له أثره السلبي على البلاد المسلمة، من حيث طمس الهوية، وبذر الفتنة، والعمل على تجنيد البلد وأهلها لصالحة.

يقول المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي[1]، عن تلك السنة التي اقتحم فيها الفرنسيون مصر: (وهي أول سني الملاحم العظيمة، والحوادث الجسيمة، والوقائع النازلة، والنوازل الهائلة، وتضاعف الشرور، وترادف الأمور، وتوالي المحن، واختلال الزمن، وانعكاس المطبوع، وانقلاب الموضوع، وتتابع الأهوال، واختلاف الأحوال، وفساد التدبير، وحصول التدمير، وعموم الخراب، وتواتر الأسباب، وما كان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون)[2].

والسؤال الذي يهمنا؛ إذا كان النصارى الأقباط في مصر قد عانوا الويلات والنكبات في ظل الحكم السابق للإسلام، على اختلافه وتنوعه - كما مرَّ معنا -؛ فما هو موقفهم من الاستعمار الأجنبي الفرنسي والبريطاني ؟

---

(١) عبد الرحمن بن حسن برهان الدين الجبرتي، ولد بالقاهرة سنة (١١٦٨هـ)، وهو مؤرخ مصري كبير، عاصر الحملة الفرنسية على مصر، ووصف تلك الفترة بالتفصيل في كتابه (عجائب الآثار في التراجم والأخبار)، والمعروف اختصاراً بتاريخ الجبرتي، ويُعتبر هذا الكتاب مرجعاً أساسياً لتلك الفترة الهامة من الحملة الفرنسية على مصر، ويُضاف له كتاب (مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس). وتوفي بمصر سنة (١٢٤٠هـ). انظر: الأعلام للزركلي: ٣/ ٣٠٤.

(٢) عجائب الآثار: ٢/ ١٧٩.

وللجواب عن هذا السؤال؛ سأتناول شيئاً من الجانب التاريخي لتلك الحملات، وأبرز المواقف التي كان عليها نصارى الأقباط.

أولاً: الحملة الفرنسية على مصر:

اتجهت أطماع إمبراطور فرنسا نابليون[1] إلى غزو مصر عقب انتصاراته في حروب إيطاليا، فبدأ يفكر في تمهيد الطريق لإنفاذ حملةٍ كبيرةٍ في البحر الأبيض المتوسط واحتلال مصر، ليتخذها قاعدةً عسكريةً يصل منها إلى الأملاك الإنجليزية في الهند من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى ليستحوذ على أملاك الإمبراطورية العثمانية، التي أصبحت ضعيفة بشكلٍ ظاهرٍ.

كانت مصر تحت حكم العثمانيين والمماليك، وكانت تعاني شيئاً من سوء الإدارة والفوضى، مما أضعف تجارتها، وعَزَلَهَا عن العالم.

ومع هذا الضعف؛ طَرَد المماليكُ الجاليةَ الفرنسيةَ التي تمثِّلُ مصدراً من مصادر التجارة في مصر، كما منعوا الإنجليز من شقِّ طريقٍ بريّ، يصل بين مياه البحر الأحمر ومياه البحر الأبيض.

هذا كلّه خَلَقَ عذراً ومبرراً للمستعمر أن يقوم بغزوٍ واسع.

أعدّ نابليون جنده وسفنه، وجهز قرابة (٤٠) ألف مقاتل، وعدداً من العلماء والخبراء، ثم تحرَّك بهم في شهر ذي الحجة من عام (١٢١٢هـ) قاصداً مالطا[2]، فاستولى عليها دون عناء، ثم توجه خفيةً إلى مصر.

عَلِمَ الإنجليز بتحرك الفرنسيين، فأرسلوا مراكبهم بقيادة نيلسون ناحية الإسكندرية،

---

(١) هو نابليون بونابرت، ولد عام (١٧٦٩م)، في جزيرة كورسيكا التي احتلتها فرنسا، كان وطنيًا متطرفًا، وقائداً عسكرياً، وإمبراطوراً فرنسياً، وقد حَكَمَ غالب أوروبا، هلك عام (١٨٢١م). انظر: الموسوعة العربية العالمية، مادة «نابليون بونابرت».

(٢) بلدة تتكون من ثلاث جزر صغيرة، تقع في البحر المتوسط. انظر: معجم البلدان: ٥/ ٤٣، الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية، تحت كلمة: «مالطا»:

http: //ar.wikipedia.org

والتقى نلسون بالسيد محمد كريم[1] - محافظ الإسكندرية -، وأبلغه أنهم جاؤوا للتفتيش عن الفرنسيين الذين خرجوا بقوةٍ كبيرةٍ دون أن تُعرَف وجهتهم، وكان الإنجليز يخشون من أن تخطط فرنسا لاحتلال مصر، لأن ذلك يضرُ بمصالحها، خاصةً في الهند[2].

لم يقبل السيد محمد كريم من الإنجليز هذا القول وظن أنها مكيدة، فقال نيلسون: نحن نقف بمراكبنا في البحر محافظين على الثغر، لا نحتاج منكم إلا الإمداد بالماء والزاد بثمنه، فلم يجيبوهم لذلك، فغادر الإنجليزُ الإسكندريةَ[3].

بعد ثلاثة أيام من رحيل الإنجليز؛ وصلت الحملة الفرنسية إلى الإسكندرية، فأرسل محمد كريم إلى مراد بك[4] وإبراهيم بك[5] بالقاهرة يستنجدهم على وجه السرعة، فاستقر أمرهم على أن يسير مراد بك بجيشه إلى الإسكندرية، ويظلّ إبراهيم بك بالقاهرة للدفاع عنها إذا احتاج الأمر إلى ذلك[6].

استطاع نابليون أن يجتاح الإسكندرية[7]، فأنزل بها جيشه ومن معهم من العلماء والخبراء، وأظهر الودّ والأمان لأهل البلد، فاستسلم محمد كريم لقلة ما بقي معه من الذخيرة، فأكرمه نابليون، وأبقاه في منصبه تحت إشراف الجنرال كليبر، وقام نابليون بتوزيع المهام الإدارية في البلد.

---

(١) من أهل الإسكندرية، قُتل في عهد الاحتلال الفرنسي، وتقلد أمر الديوان والجمارك بالثغر، وتصدَّر لغالب الأمور، قاوم الحملة الفرنسية في الإسكندرية، فاعتقله الجنرال كليبر، وقتله الفرنسيون رمياً بالرصاص، ثم قطعوا رأسه، وكان ذلك عام (١٢١٣م). انظر: الأعلام للزركلي: ٧/ ١٤.

(٢) انظر: المختصر في تاريخ مصر: ٢٣٧.

(٣) انظر: عجائب الآثار: ٢/ ١٧٩.

(٤) كان مملوكاً لعلي بك الكبير، وكان من قادة جيوش علي بك التي ذهبت إلى الشام لضمها إلى الدولة المصرية، ولكنه خان سيده، وكان من أسباب خراب الإقليم المصري، لما صدر منه ومن مماليكه وأتباعه من الجور والقصور، مات سنة (١٨٠١م). انظر: الضوء اللامع: ١٠/ ١٥٢.

(٥) ولد عام (١٧٣٥م)، كان مملوكاً مصرياً من مماليك أبي الذهب، استولى على الحكم بعد وفاة سيده، فرَّ إلى بلاد الشام بعد الحملة الفرنسية على مصر، وعزله محمد علي عام (١٨٠٥م)، توفي عام (١٨١٦م). انظر: الضوء اللامع: ١/ ١٥٥.

(٦) انظر: عجائب الآثار: ٢/ ١٨٠، تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ٣٠٦.

(٧) انظر: الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي: ٣٢٣ وما بعدها، الحملة الفرنسية في مصر: ١٣١ وما بعدها.

تقدم نابليون بجيشه ناحية القاهرة من طريق دمنهور[1]، وفي تلك الأثناء كان المماليك يُعِدُّون جيشاً بقيادة مراد بك لمقاومة الجيوش الفرنسية، حيث التقى الجيشان بالقرب من شبرا[2] يوم ١٣ يوليو سنة (١٧٩٨م)، إلا أن الجيوش المملوكية هُزمت واضطرت إلى التقهقر، فرجع مراد بك إلى القاهرة، والتقى كلاً من الجيش الفرنسي والجيش المملوكي مرةً أخرى في موقعة إمبابة أو موقعة الأهرام، حيث هُزم جيش مراد بك مرة أخرى، في معركة فاصلة في ٢١ يوليو سنة (١٧٩٨م)، وفرَّ مراد بك إلى الجيزة[3]، أما إبراهيم بك ومن معه فانسحبوا جميعاً قاصدين بلبيس، وخلت القاهرة من قوة الدفاع، حيث استطاع نابليون احتلالها، ودخل القاهرة في ٢٤ يوليو سنة (١٧٩٨م)، مصحوباً بضباطه وأركان حربه، ونزل بقصر محمد بك الألفي بالأزبكية[4]، ثم قام بنهب أموال المماليك، وفرض عقوبات وغرامات على الأهالي الذين لم يستجيبوا لأوامره[5].

حاول نابليون العمل على بث الاستقرار، فأمر بتشكيل مجلس نيابي من العلماء، وطلب منهم اختيار عشرة مشايخ، فاختاروا عشرةً من العلماء، وجعلوا الشيخ عبد الله الشرقاوي رئيساً لهم، واستمر نابليون في محاولات عديدة لبث الإصلاح في البلد، في الجانب الصحي والاجتماعي وغيره، وفي المقابل حرص على تحصين القاهرة وحمايتها[6].

---

(١) دمنْهور: بلدة بينها وبين الإسكندرية يومٌ واحد، متوسطة في الصغر والكبر. انظر: معجم البلدان: ٢/ ٤٧٢.

(٢) هي جزء من نظام القاهرة الكبرى الذي يشمل القاهرة والجيزة وشبرا الخيمة. انظر: الموسوعة العربية العالمية، مادة «الجيزة».

(٣) الجيزة: إحدى محافظات مصر غربي النيل، وهي من المدن القديمة، التي أُنشئت وقت فتح العرب لمصر. انظر: معجم البلدان: ٢/ ٢٠٠، الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية، تحت كلمة: «الجيزة»:
http: //ar.wikipedia.org

(٤) تُعرف الأزبكية بسورها، وهي مكان شهير في القاهرة، قريباً من العتبة، وتشتهر في الوقت الحالي بالمحالّ الصغيرة لبيع وشراء الكتب المستعملة. انظر: الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية، تحت كلمة: «الأزبكية»:
http: //ar.wikipedia.org

(٥) انظر: عجائب الآثار: ٢/ ١٨٢-١٩٣، المختصر في تاريخ مصر: ٢٣٩-٢٤٠.

(٦) انظر: المختصر في تاريخ مصر: ٢٤١.

في ٢٢ أكتوبر من العام نفسه؛ قامت الثورة المصرية، بعد أن قتل الفرنسيون محمد كريم، وبالغوا في الضرائب على المصريين، فحثَّ علماء الأزهر على مقاومة المستعمر، والاعتصام بالأزهر، فكانت ثورةً عارمةً، قُتل فيها عددٌ من الفرنسيين، ثم تحصن المصريون في الأحياء الوطنية، إلا أن هذه الحماسة والشجاعة لم تستطع مقاومة القوة الفرنسية الحديثة، فإن نابليون قد أمر أتباعه بضرب المدافع على الأزهر، لذا اضطر المشايخ إلى التنازل عن هذه الثورة، والخضوع ثانيةً للفرنسيين، فأظهر نابليون احتقاراً للمسلمين، وأمر أتباعه بدخول الأزهر، فدخلوه بخيولهم، وأزالوا بعض الآيات القرآنية التي كانت معلقةً، وبالغوا في إهانة المسجد حتى جعلوه اصطبلاً لخيولهم[1]!

جاءت الأخبار بعد ذلك إلى نابليون، بأن النمسا وفرنسا عاودتا الحرب فيما بينهما، وأن النمسا استطاعت أن تسترد شمال إيطاليا، فقرر العودة إلى فرنسا سراً، وعهد بالجيش في مصر من بعده للقائد كليبر، وكان الجيش الفرنسي حينها قد ضعف وخارت قواه، لذا رأى كليبر أن يعقد صلحاً على أن يخرج من مصر بجميع جنوده ومعداته، ويسافر إلى فرنسا على نفقة الدولة العثمانية، وكان ذلك عام (١٨٠٠م)، إلا أن الإنجليز تدخّلوا ورفضوا أن يستلم الفرنسيون شيئاً من متاعهم وعدتهم، فانقطعت المفاوضات بين الطرفين، ونتيجةً لذلك حصلتْ موقعة عين شمس، انهزم فيها الترك، وتقهقروا إلى الشام، وفي ذات الوقت، ولانشغال الفرنسيون بالقتال في عين شمس؛ استغل أهل مصر ذلك الوضع واستولوا على القاهرة، فعاد كليبر ثانيةً إلى القاهرة، وعمد إلى دكِّ أسوارها واقتحامها عنوةً، وانتهى الأمر بإبرام صلح يخْرُجُ الأتراك على إثره، ويُغَرّمُ الأهالي[2].

وفي شهر فبراير من عام (١٨٠١م) أرسل الإنجليز جيشاً ناحية الإسكندرية، وانضم إليهم جيشٌ عثماني، وحصلت موقعة بوقير[3]، هُزم على إثرها الفرنسيين، وتراجعوا إلى الإسكندرية، فحوصروا بالإسكندرية حتى فُتِحَتْ، فتقدم الجيشان

---

(١) انظر: المختصر في تاريخ مصر: ٢٤١-٢٤٣، تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ٣٠٧-٣٠٨.

(٢) انظر: المختصر في تاريخ مصر: ٢٤٤، تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ٣٠٨-٣٠٩.

(٣) انظر: الحملة الفرنسية في مصر بونابرت والإسلام: ٣٩٠-٣٩٣.

العثماني والإنجليزي ناحية القاهرة، وانتهى الأمر بهزيمة الفرنسيين ورحيلهم من مصر[1]، وكان ذلك في ١٨ سبتمبر من عام (١٨٠١م)، وبذلك تنتهي الحملة الفرنسية على مصر[2].

ثانياً: الحملة البريطانية (الإنجليزية) على مصر:

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كان الخديوي إسماعيل باشا[3] يتربع على رئاسة مصر، ولم يكن له اهتمام ولا ميل للاختلاط بالمصريين أو العطف عليهم، وقد استخدم سياسة الإجبار للأهالي في كثير من الأعمال، إضافةً إلى زيادة الضرائب.

أنفق إسماعيل أموالاً كثيرةً - كان قد استدانها من إنجلترا وفرنسا - في سبيل حفر قناة السويس، مما أوقعه في دائرة الديون، فطالبتْ أوروبا بسداد ديونها من السلطان العثماني، وعلى إثر ذلك أُقيل إسماعيل الخديوي من منصبه في عام (١٨٧٩م)، وتولى بعده ابنه توفيق باشا[4]، وفي عهده قامت الثورة العُرابية[5]على يد أحمد عرابي[6][7]،

(١) انظر: الحملة الفرنسية في مصر بونابرت والإسلام: ٥٩٩-٦٠١.

(٢) لمزيد من التفاصيل حول الحملة الفرنسية على مصر، انظر: عجائب الآثار: ٢/ ١٧٩ وما بعدها، تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ٣٠٦-٣١٧، المختصر في تاريخ مصر: ٢٣٦-٢٦٠، خريف الغضب: ٢٦٦-٢٦٩.

(٣) إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي الكبير، خديوي مصر، ولد عام (١٢٤٥هـ) في القاهرة، وتعلَّم بها، وولي مصر سنة (١٢٧٩هـ)، وهو أول من أُطلق عليه لقب (الخديوية) من رجال أسرته، عُزل من ولايته عام (١٢٩٦هـ)، فقضى بقية أيامه في أوروبا وتركيا، إلى أن توفي في إسطنبول عام (١٣١٢ هـ). انظر: الأعلام للزركلي: ١/ ٣٠٨.

(٤) هو محمد توفيق باشا بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي، أحد الخديويين بمصر، ولد وتعلم بالقاهرة، وأجاد العربية، والتركية، والفرنسية، والإنجليزية، تقلَّد رئاسة الداخلية والأشغال، ثم رئاسة مجلس النظار، وهو أكبر أبناء إسماعيل، ولما عُزل أبوه عن الخديوية تولاها سنة (١٢٩٦هـ)، وفي أيامه أُنشئ نظام الشورى، وأنشئت المحاكم الأهلية، وتوفي في القاهرة سنة (١٣٠٩هـ). انظر: الأعلام للزركلي: ٦/ ٦٥.

(٥) حول أسباب الثورة العرابية ومقدماتها، انظر: الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي: ٦٣ وما بعدها.

(٦) أحمد عرابي بن محمد عرابي بن محمد وافي بن محمد غنيم، زعيم مصري، ولد عام (١٢٥٧هـ) في قرية هرية رزنة من قرى الزقازيق بمصر، وجاور الأزهر ستتين، ثم انتظم جندياً في الجيش سنة (١٢٧١هـ)، انتدبه المصريون للمطالبة ببعض الحقوق، فقررت حكومة الخديوي محاكمة عرابي واثنين من أصحابه، فقُبض عليهم، ونفوا إلى سريلانكا، توفي عام (١٣٢٩هـ). انظر: الأعلام للزركلي: ١/ ١٦٨.

(٧) يرى بعض الكُتَّاب أن المحرك الأول لهذه الثورة هو علي فهمي وليس أحمد عرابي، لكن عرابي بعد انضمامه مع علي فهمي أصبح أكثر ظهوراً منه، خاصةً وأنه تعلَّم في الأزهر، فكانت قدرته على الخطابة والإلقاء أكثر من غيره ممن سبقوه، ولذا نُسبت إليه. انظر: المختصر في تاريخ مصر: ٣٩٩.

وكانت الثورة ضد الخديوي توفيق باشا إثر قرارِ طردِ الضباط المصريين من الجيش المصري، وعدم ترقيتهم كما يُرقَّى الأتراك، فقد اتفق في البداية أحمد عرابي واثنان معه[1] على الاحتجاج على قرارات الإقصاء للضباط المصريين، ورفعوا عريضة احتجاج بذلك، كانت العريضةُ شديدة اللهجة[2]، فقُبِضَ على أحمد عرابي[3]، وهاج الضباط المصريون حتى نجحوا في الإفراج عنه، واحتشد نحو (٤٠٠٠) جندي في ميدان قصر عابدين، فنزل توفيق باشا لهم في ساحة القصر، وأعلن صراحةً رفضه لطلبات عرابي، إلا أن الضغط الشعبي وتأييده لعرابي؛ جعل الخديوي يرضخ لتلك الطلبات[4].

تدخلتْ بعد ذلك إنجلترا وفرنسا في شؤون البلاد، فتأزمت الأمور، وتشكلت حكومة جديدة برئاسة محمود سامي البارودي[5]، وشغل عرابي فيها منصب وزير الجهادية، وقوبلت وزارة البارودي بالارتياح والقبول، لأنها كانت تحقيقًا لرغبة الأمة، إلا أن هذه الخطوة تعثرت بعد نشوب الخلاف بين الخديوي ووزارة البارودي حول تنفيذ بعض الأحكام العسكرية، ولم يَجِدْ هذا الخلاف مَن يحتويه من عقلاء الطرفين، فاشتدت الأزمة، وتعقد الحل، ووجدت بريطانيا وفرنسا في هذا الخلاف المستعر بين الخديوي ووزرائه فرصة للتدخل في شؤون البلاد، فبعثت بأسطوليهما إلى شاطئ الإسكندرية بدعوى حماية الأجانب من الأخطار.

ولم يكد يحضر الأسطولان الإنجليزي والفرنسي إلى مياه الإسكندرية، حتى أخذت الدولتان تخاطبان الحكومة المصرية بلغة التهديد والبلاغات الرسمية، ثم تقدم قنصلا الدولتين إلى البارودي بمذكرة مشتركة، يطلبان فيها استقالة الوزارة، وإبعاد عرابي وزير

---

(١) هما علي فهمي، وعبد العال حلمي.

(٢) انظر: المختصر في تاريخ مصر: ٣٩٨-٣٩٩، تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ٣١٩-٣٢٠.

(٣) لمحاكمة عرابي ومن معه؛ انظر: الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي: ٤٦٠ وما بعدها.

(٤) انظر: كنيسة مصر: ٣٣٦-٣٣٧، المختصر في تاريخ مصر: ٣٩٨-٣٩٩.

(٥) محمود سامي باشا بن حسن حسين بن عبد الله البارودي المصري، ولد في عام (١٨٣٩م) بالقاهرة، لأبوين من أصل شركسي، ويُعتبر البارودي من رواد الشعر العربي الحديث، اهتم بالجانب العسكري، بذل الكثير من الكفاح والنضال من أجل استقلال مصر وحريتها، توفي البارودي في عام (١٩٠٤م). انظر: الأعلام: ٧/ ١٧١.

الجهادية عن القطر المصري مؤقتًا، وإلزام علي باشا فهمي وعبد العال باشا حلمي بالإقامة بالريف[1].

وفي ١١ يونيو من عام (١٨٨٢م)، قام أحد رعايا بريطانيا بقتل أحد المصريين، فشبَّ نزاعٌ تطور إلى قتال، سقط خلاله العشرات من الطرفين قتلى وجرحى، على إثره أعلنت بريطانيا تشككها في قدرة الحكومة على حفظ الأمن، وبدأت في اختلاق الأسباب للتحرش بالحكومة المصرية، ولم تعجز في البحث عن وسيلة لهدفها، فانتهزت فرصة تجديد قلاع الإسكندرية وتقوية استحكاماتها، وإمدادها بالرجال والسلاح، وأرسلت إلى قائد حامية الإسكندرية إنذارًا بوقف عمليات التحصين والتجديد، وإنزال المدافع الموجودة بها.

ولما رفض الخديوي ومجلس وزرائه هذه التهديدات؛ قام الأسطول الإنجليزي في اليوم التالي بضرب الإسكندرية وتدمير قلاعها، وواصل الأسطول القصف في اليوم التالي، فاضطرت المدينة إلى الاستسلام ورفع الأعلام البيضاء، وبدلاً من أن يقاوم الخديوي المحتلين؛ استَقْبَل في قصر الرمل بالإسكندرية قائد الأسطول البريطاني، وانحاز إلى الإنجليز، وجعل نفسه وسلطته الحكومية رهن تصرفهم، فعزل عرابي من منصبه بعد رفضه الانصياع للأوامر.

وفي ١٣ سبتمبر من عام (١٨٨٢م) فاجأ الإنجليزُ القواتَ المصرية، وأُلقي القبض على أحمد عرابي، وتم نفيه إلى سيلان، ثم واصلت القوات البريطانية تقدمها السريع إلى القاهرة التي استسلمت حاميتها بالقلعة، وهكذا أصبحت مصر مستعمرةً بريطانية لقرابة سبعين سنة[2].

موقف النصارى الأقباط من الاستعمار الأجنبي عموماً:

من غير الممكن أن يكون الحكم على هذه المسألة حكماً عاماً شاملاً لكل منتمٍ

(١) انظر: المختصر في تاريخ مصر: ٤٠١-٤٠٣، تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ٣٢١.

(٢) انظر: المختصر في تاريخ مصر: ٤٠٨-٤١٠، كنيسة مصر: ٣٣٦-٣٣٧، خريف الغضب: ٢٧٢-٢٧٤.

لهذه الطائفة، فكما أنه لا يمكن القول بأن كل المسلمين ضد المستعمر - لأنه لا بد من خيانات - فكذلك الموقف للنصارى الأقباط.

يذهب بعض الباحثين إلى أن النصارى الأقباط كانوا خير معين للمستعمر الأجنبي، وأنهم قدموا له ما لم يكن في الحسبان، ويخالف هؤلاء آخرون، إذ يرون أن النصارى الأقباط كانوا مع المسلمين في صفٍّ واحد ضد المستعمر، هو صفُّ الوطنية المصرية.

وبالنظر في تاريخ الاستعمار؛ يظهر لنا جلياً أن موقف النصارى الأقباط من المستعمر كان متبايناً، لم يكن موقفاً واحداً اجتمعت عليه قلوب النصارى الأقباط، فهناك مجموعةٌ منهم ساندوا المحتل ووقفوا معه، وكانوا عينه التي يبصر بها في البلد، وطائفةٌ أخرى وقفتْ ضد المستعمر إلى جانب المسلمين.

وسأعرض - بحول الله - لهذين الموقفين.

أولاً: موقف النصارى الأقباط المساندين للاستعمار الأجنبي:

يمكن تصوير موقف الموالين للاستعمار من نصارى الأقباط بذكر بعض الحوادث والمواقف التي تُبيِّن ذلك ومنها؛ أن أنطون أبا طاقية[1] - وهو من كبار تجار النصارى الأقباط - زاره نابليون في بيته بحارة السقائين بالقاهرة أيام الاحتلال ليستعين بأمواله، فأخذ أنطون طاقيته من فوق رأسه ليكيل بها الذهب لنابليون، حتى يستوفي مطلوبه[2]، وقد عينه الفرنسيون حاكماً لإقليم الشرقية[3].

ومن ذلك أيضاً؛ لما احتاج (استيف) المدير العام للإيرادات بالحملة الفرنسية إلى

---

(١) من أعلام النصارى الأقباط في القرن الثامن عشر، عُرف بأبي طاقية، لأن والده كان يشتغل بتجارة الطواقي، قبض عليه الفرنسيون وسجنوه في القلعة، ولما ترك الفرنسيون مصر قبض عليه محمد علي وقتله مع اثنين من كبار الأقباط سنة (١٨٠٢م). انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٥٤٣-٥٤٤، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٤٩٠-٤٩١، قاموس آباء الكنيسة وقديسيها من موقع البابا كيرلس على الشبكة العنكبوتية:
http: //popekirillos.net/ar/fathersdictionary

(٢) انظر: المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ٤٠.

(٣) انظر: المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ٤٤.

مبلغ من المال، فاوضَ يعقوب حنا[1] من تجار النصارى القبط، على أن يقرضهم مليوناً ونصف المليون، فاتفق يعقوب مع أربعة من زملائه[2]، على أن يقدم كل منهم (٣٠٠) ألف فرنك، وقد تم ذلك، وأعطاهم (استيف) سندات بقيمتها على الخزانة الفرنسية[3].

إضافةً إلى أنه لما زحفت الجيوش الفرنسية على مصر، انضم يعقوب إلى تلك الحملة مع قادتها، وأفادهم بخبرته المالية والحربية كل الفائدة، إذ دبر لهم مؤونةَ العسكر، كما دلّهم على بعض المواقع الحربية، واشترك معهم في كثير من المواقع الحربية، بل تولى القيادة بنفسه أثناء حملة الصعيد في وقعة عين القوصية، حيث هاجم عدداً من المماليك المسلمين، وقَتلَ منهم جمعاً ليس بالقليل، فما كان من القائد الفرنسي ديسيه إلا أن أقام حفلةً مساء تلك الليلة، وقلَّده فيها سيفاً، مكتوب على نصله اسم الواقعة[4].

كما أنه أنشأ للفرنسيين نظاماً بريدياً متقناً على الهجن، وصَلَ به ما بين فصائل الجيش المتفرقة على طول النيل، ما بين القاهرة وأسوان[5].

ولما ثار سكان القاهرة بعد انتصار الفرنسيين على الترك في واقعة عين شمس؛ أظهر قتالاً عنيفاً ضد المسلمين، ولذا كان الفرنسيون في جميع أدوار حملتهم يُجلُّونه ويقدِّرونه.

وبعد موت القائد الفرنسي كليبر، أُسند إليه لقب القائد العام للفيالق القبطية بالجيش الفرنسي[6].

---

(١) المعلم يعقوب حنا، من مشاهير النصارى الأقباط في القرن الثامن عشر، وهو أول قبطي يؤلِّف جيشًا قبطيًا بقيادته. تعرّف عليه الفرنسيون فترة الحملة على مصر، فنهض بأعباء تموينهم، وأُلحِق بخدمة الجيش الفرنسي، ومُنح رتبة جنرال (قائد). هلك في السفينة، في طريقه لفرنسا، عام (١٨٠١م). انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٤٩٩، قاموس آباء الكنيسة وقديسيها من موقع البابا كيرلس على الشبكة العنكبوتية:

http: //popekirillos.net/ar/fathersdictionary

(٢) وهم جرجس الظاهري، وأنطون أبو طاقية، وملطى، وفلتاؤس.

(٣) انظر: المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ٤٠.

(٤) انظر: كنيسة مصر: ٣١٨، تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ٣٠٩، تاريخ الأمة القبطية: ٦٠-٦١.

(٥) انظر: تاريخ الأمة القبطية: ٦١.

(٦) انظر: كنيسة مصر: ٣١٨، تاريخ الأمة القبطية: ٦١.

يقول عنه أحدُ كبار المؤرخين الأوروبيين: (وكان يركب إلى جوار ديزيه - وهو قائد فرنسي - رجلٌ فذ، لولا لباقته وكفايته وشجاعته لما استطاع ديزيه في أغلب الظن، أن ينال ما نال من أمجاد النصر رغم عبقريته كلها، وذلك هو المعلم يعقوب القبطي.. كان شريكاً لديزيه في قيادته حملته)[1].

فالاحتلال الفرنسي عند المعلم يعقوب (لا فترة نحس يرجى زوالها وعودة ما سبقها، بل بدءُ حياةٍ جديدة لمصر والمصريين، مهَّدت لها الحملة الفرنسية)[2].

ومما يدل على رضى المستعمر عن بعض النصارى الأقباط؛ أن الفرنسيين عندما احتلوا مصر، عهدوا بمناصب كبيرة للنصارى الأقباط، ومن أمثلة ذلك: جرجس الجوهري[3]، فقد جعله نابليون في منصب كبير المباشرين في شؤون الدولة المالية[4]، وكذا فعل الإنجليز عندما نصبوا بطرس غالي[5] رئيساً لمحكمة دنشواي، عام (١٩٠٦م)، عندما احترقت حقول فلاحي المنوفية، بسبب صيد بعض الجنود البريطانيين، ونتج عن ذلك أن قَتَلَ أحد الفلاحين ضابطاً بريطانياً، فكانت المحاكمة على إثرها، والتي صادق فيها بطرس غالي على إعدام ستة فلاحين مصريين، إرضاءً للإنجليز[6].

---

(١) المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ٤٣-٤٤.

(٢) المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ٩٥.

(٣) هو شقيق المعلم إبراهيم الجوهري، قلده إبراهيم بك منصب كبير كتبة مصر، ونُفي من القاهرة لمدة أربع سنوات ثم عاد في سنة (١٨٠٩م). قال عنه الجبرتي: (كان نافذ الكلمة، واسع الصدر، عظيم النفس)، هلك في سنة (١٨١٠م) ودفن بدير مار جرجس بمصر القديمة، بجوار أخيه المعلم إبراهيم الجوهري. انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٥١٣-٥١٤، قاموس آباء الكنيسة وقديسيها من موقع البابا كيرلس على الشبكة العنكبوتية:
http: //popekirillos.net/ar/fathersdictionary

(٤) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لباتريك: ١١٧، المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ٤٢-٤٣، وتاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ٣١٠.

(٥) بطرس باشا نيروز غالي، رئيس وزراء مصر أواخر سنة (١٩٠٨م)، كان وزيراً للخارجية، وحينها صاغ ووقَّع على اتفاقية الحكم الثنائي الإنجليزي المصري للسودان عام (١٨٩٩م)، ثم نُصِّب رئيساً للوزراء، وكان متهماً بمحاباة الإنجليز لمصادقته على أحكام محكمة دنشواي، اغتيل على يد إبراهيم الورداني عام (١٩١٠م). انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٥٧٥.

(٦) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لباتريك: ١٣٩، خريف الغضب: ٢٧٢.

ومن ذلك أيضاً؛ إلياس بقطر[1] - من نوابغ النصارى الأقباط - الذي اتخذه الفرنسيون مترجماً لهم في حملتهم، ولما رحلوا رحل معهم، ومن شدة وفائه لهم؛ عيَّنوه مترجماً في إدارة المحفوظات بوزارة الحربية، ثم مدرساً للغة العربية بمدرسة اللغات الشرقية بباريس[2].

ويعترف المؤرخ باتريك بفضل الحملة الفرنسية على النصارى الأقباط حيث يقول: (ومن أول النتائج - أي للحملة - تلك النهضة القبطية، التي وصلت إلى قمتها في منتصف القرن التاسع عشر)[3].

ويُرجِع المؤرِّخ الأمريكي كرستوفر هيرولد سبب اختيار الفرنسيين للنصارى الأقباط، وتعيينهم في جملةٍ من الوظائف الحكومية، إلى أن النصارى الأقباط كانوا أصحاب طاعةٍ مطلقةٍ للمستعمر الفرنسي بخلاف المسلمين، ولذا أوصى نابليون أن يستمر استخدام النصارى الأقباط في تلك المهام، حتى يحين وقت استبدالهم بأوروبيين[4]، ويؤكد المؤرخ باتريك هذا المعنى حيث يقول: (وكان الحكام يُفضلون الأقباط، لأنهم لم يكونوا في مواقع التحدي لهم، كما قد يفعل المسلمون العاملون في الحكومة)[5].

كما كان النصارى الأقباط يحتمون بالإنجليز إذا أرادوا حاجةً من الحاكم المسلم، ولذا ليس عجيباً أن يُظهر نصارى الأقباط إعجاباً كبيراً بالمستعمر الأجنبي[6].

ومما يبيِّن صورة إعجاب بعض النصارى الأقباط بالاستعمار وتأييدهم له؛ ما يقوله القس أثناسيوس المقاري: (في الحقيقة لولا الحملة الفرنسية على مصر؛ لظلت مصر

(١) ولد في أسيوط بمصر، ودرّس اللغة العربية في مدرسة اللغات، وله عدد من المؤلفات، منها: قاموس فرنسي عربي، ومختصر في علم الصرف، وشرح على كتاب لساويروس بن المقفع في قضايا الإيمان، هلك عام (١٨٢١م). انظر: الأعلام للزركلي: ٢/ ٩، معجم المؤلفين: ٢/ ٣١٢.

(٢) انظر: كنيسة مصر: ٣١٨، تاريخ الأمة القبطية: ٦٢.

(٣) تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ١١٥.

(٤) انظر: عبد الله جاك منو وخروج الفرنسيين من مصر: ١٤٣.

(٥) تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ١١٤.

(٦) انظر: تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ٣١٨-٣١٩.

ترزح تحت نير الجهل والتخلف، الذي بلغ منتهاه في العصر العثماني)[1].

وتقول إيريس حبيب: (أما القبط فكانوا في هذه المسألة الخطيرة - ثورة (١٩١٩م) - وما طالبت به من الاستقلال؛ يريدون ألا يضادوا رجال حكومتهم الدائمة معهم، ولا يضادوا الإنجليز الذين عطفوا عليهم وأنصفوهم، وزادوا راحتهم كثيراً، وألا يتدخلوا بالكلية، ولكن مواطنيهم المسلمين ألحوا عليهم في طلب المساعدة، وأخذوا أفراداً منهم في حزب الوفد ليساعدوهم، متعصبين لكونهم عائشين معاً دائماً كجارين، ومفاد هذا القول؛ أنه تعبيرٌ عن جناح من الأقباط، رأى أن يقف على الحياد في أحداث الثورة، بل كان يرى أن الصراع مع إنجلترا ليس في صالح القضية القبطية، فهذا التيار يمدح سياسة إنجلترا، وموقفها من الأقباط)[2].

ويؤكد محمد هيكل أثر الاستعمار على النصارى الأقباط قائلاً: (إن الاستعمار البريطاني لمصر، كان قد أدى إلى تغييرات في أحوال أقباطها، نتيجةً لفتح أبوابها للنفوذ الأوروبي.. ويمكن أن يقال: إن حظَّ الأقباط في هذه الظروف كان - لأسباب متعددة - أكثر ظهوراً، فقد أتيحت لهم لأول مرة ملكية مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية، كما أن عدداً كبيراً من الوظائف الرئيسية في الدولة تفتحت أمامهم، خصوصاً في عددٍ من وزارات الحكومة)[3].

يدلُّ على ذلك أيضاً؛ الجمعيات الأهلية القبطية التي أُذن لها في زمن الاستعمار الإنجليزي، ولم يكن لها وجود قبل الاستعمار، ومن ذلك:

١. جمعية التوفيق القبطية: تأسست عام (١٨٩١م).

٢. جمعية النشأة القبطية: تأسست عام (١٨٩٦م).

٣. جمعية المحبة القبطية: تأسست عام (١٨٩٨م - ١٩٠٢م).

٤. جمعية الإيمان القبطية: تأسست عام (١٩٠٠م).

(١) كنيسة مصر: ٣١٦.

(٢) تاريخ الكنيسة المصرية لإيريس حبيب: ١٨٢.

(٣) خريف الغضب: ٢٧٢.

٥. جمعية أصدقاء الكتاب المقدس: تأسست عام (١٩٠٨م).

٦. جمعية ثمرة التوفيق القبطية: تأسست عام (١٩٠٨م).

وغيرها كثير، لم تنشأ هذه الجمعيات إلا مع الاستعمار الإنجليزي، مما يدلُ على تأييد الاستعمار لها ووقوفه معها[١].

ثانياً: موقف النصارى الأقباط المناوئين للاستعمار الأجنبي:

من باب العدل والإنصاف الذي تقتضيه المنهجية العلمية؛ أن يقال: إن ما تقدم ذكره يمثل صنفاً من النصارى الأقباط، بينما هنالك صنفٌ وتوجهٌ آخر بين صفوف النصارى الأقباط، كان يُخالف المستعمر ويقفُ ضده، إذ شارك كثير من النصارى الأقباط المسلمينَ في قتالهم ضد الاستعمار والمستعمرين، ومن ذلك ما حصل في معركة إمبابة؛ فقد ذكر بعض المؤرخين أن أربعين مدفعاً كانت موجهةً ضد الفرنسيين بإمبابة، كان يُديرها كثيرٌ من المسلمين والنصارى الأقباط، كما أن كثيراً من النصارى الأقباط سُجن مع من سجن من المسلمين، لوقوفه معهم في قتال الفرنسيين[٢].

وينقل القمص بولس بسيلي جملةً من مقولات الغربيين تؤيد هذا الرأي، فمن ذلك؛ يقول الرحالة شارل ديديه: (لا يُفَضِّلُ الأقباطُ أبناء دينهم الأوروبيين على المسلمين أنفسهم، ويقال: إذا قامت حرب صليبية أخرى بين المسلمين والمسيحيين فإن الأقباط سينضمون إلى صفوف الأولين)[٣].

وينقل عن الرحالة إيزامبير قوله: (بأن كراهية الأقباط للأجانب تزيد بمراحل[٤] عن

---

(١) للاطلاع على مزيد من الجمعيات وأنشطتها؛ انظر: كنيسة مصر: ٣٥٠-٣٥٦، تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ٣٢٧، وسيأتي مزيدُ بيانٍ لها عند الحديث عن أثر النصارى الأقباط في الحياة الاجتماعية.

(٢) منهم على سبيل المثال المعلم القبطي نقولا، وقد كان رجلاً ذا مكانةٍ عند الأقباط. انظر: مصر في القرن الثامن عشر: ٢/ ١٣٥.

(٣) الأقباط وطنية وتاريخ: ٨٠.

(٤) مقارنته غير صحيحة؛ لأن علاقة المسلمين مع الكفار مبنية على أصل ديني وعقيدة إسلامية، هي عقيدة الولاء والبراء، فلا يصح ولا يجوز أن تتغير أو تتبدل مع تغير المصالح الدنيوية أو السياسية، أما النصارى الأقباط فعداوتهم قد تُمثّل جانباً دينياً، إلا أن الأصل فيها راجعٌ إلى الاضطهادات التاريخية التي عانى منها النصارى الأقباط من إخوانهم في الدين، يوضحه أن النصارى الأقباط لا يجدون في دينهم ما يمنعهم من محبة غيرهم متى ما تيسرت أسباب ذلك.

الكراهية التي قد يشعر بها المسلمون نحو الكفار)[1].

ويقول القمص باسيلي: (وجاء الاحتلال البريطاني بأساليبه الماكرة، وسياسته الخبيثة، فحاول أن يبذر بذور الفرقة بين عنصري الأمة، ويعمل بطريق أو بآخر في اتساع الهوة بينهما، بأن يعمل من وراء الكواليس على إبعاد كثير من الأقباط عن مراكزهم العليا، ليَحُسّوا بمشاعر الحقد والكراهية نحو المسلمين في الدولة، وبذلك يمكن للإنجليز - عن طريق غير مباشر - خلق روح التعصب بين العنصرين)[2].

ومما يُذكر في هذا المقام؛ أن مؤتمر أسيوط الذي عقده نصارى الأقباط، إنما كان نتيجةَ تعسّف الاحتلال الإنجليزي، وإهداره لحقوق الأقباط[3].

ويؤكِّد الدكتور محمد شكري هذا المعنى فيقول: (..فكتب منو إلى القنصل الأول: إن الأقباط باستثناء المعلم يعقوب، لا ينظرون إلينا بعين الرضا، بل يشعرون بأن أسباب السلطة قد أفلتت من أيديهم، ثم وَصَفَهُم منو بأعظم الناس ميلاً إلى المخاتلة والمكر في العالم.

وهو وصفٌ إن دلَّ على شيءٍ فإنما يدلُّ على عدم اطمئنان الفرنسيين إلى القبط، وأن الفرنسيين كانوا يتوقعون - إذا استثنيت جماعة المعلم يعقوب - اشتراك القبط مع سائر إخوانهم المصريين في الثورة ضد الفرنسيين عند سنوح الفرصة)[4].

وينقل أحد مؤرخيهم عن بعض الإنجليز قولهم: كانت سياسة حكومتنا التي مارستها هي رفع شأن المسلم، والوطء على المسيحي بالقدم، والتصريح للأكثرية[5]، وحرمان الأقلية[6].

ومما يدل على موقف بعض نصارى الأقباط المعادي للاستعمار؛ أنه لما قامت ثورة أحمد عرابي عام (١٨٨٢م) ضد الاستعمار، شارك معه المصريون بجميع أديانهم[7]،

---

(١) الأقباط وطنية وتاريخ: ٨٠.

(٢) الأقباط وطنية وتاريخ: ٥٦.

(٣) المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ٦٧.

(٤) عبد الله جاك منو وخروج الفرنسيين من مصر: ٤٧٨.

(٥) وهم المسلمون.

(٦) تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ١٣٨ بتصرف.

(٧) انظر: المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ١٠٨.

ولما أسَّس سعد زغلول[1] حزب الوفد الوطني المناهض للاستعمار، كان من أبرز أعضاء هذا الحزب كبار النصارى الأقباط، كويصا واصف، وجورج خياط[2]، ومكرم عبيد، وغيرهم.

ولما نُفي سعد زغلول، قامت الثورة عام (١٩١٩م)، وشارك النصارى الأقباطُ المسلمينَ في هذه الثورة. وتذكر بعض المصادر أن الكهنة الأقباط صعدوا منابر الجوامع، وخطبوا المسلمين حول الوحدة الوطنية، كخطبة القمص سرجيوس في الجامع الأزهر[3] سنة (١٩١٩م)، وخطبة مرقص بك حنا، وغيرهما من النصارى الأقباط[4].

ولما أغلق الإنجليزُ الأزهرَ، دعا القمص سرجيوس المسلمين للاجتماع بكنيسته بالقللي بشبرا[5].

ولما نُفي زعماء الثورة إلى جزيرة سيشيل عام (١٩٢١م)، أصدرت الكنيسة القبطية بياناً إلى الشعب، بالامتناع عن الاحتفال بعيد الميلاد في عام (١٩٢٢م)، وعدم جلوس البطريرك لاستقبال المهنئين، مشاركةً للبلاد في المواجهة ضد الاستعمار الأجنبي[6].

---

(١) سعد باشا بن إبراهيم زغلول، زعيم نهضة مصر السياسية، وأكبر خطبائها في عصره، ولد في (إبيانة) من قرى الغربية بمصر، وتوفي أبوه وهو في الخامسة، تعلم في الأزهر، واتصل بجمال الدين الأفغاني ولازمه مدة، كما شارك في الثورة العرابية، وسجن في عام (١٢٩٩هـ) بتهمة محاولة انقلاب، ثم أُخرج وتولى وزارة المعارف، ثم رئيساً للوفد المصري، ثم رئاسة مجلس الوزراء، توفي عام (١٣٤٦هـ). انظر: الأعلام للزركلي: ٣/ ٨٣.

(٢) ولد عام (١٨٦٢م)، تلقى تعليمه في أسيوط، كان من كبار المهتمين بالسياسة، وشارك في المؤتمر القبطي الذي عقد عام (١٩١١م)، كان من دعاة الاستقلال، هلك عام (١٩٣٢م). انظر: قاموس التراجم القبطية: ٦٨-٦٩.

(٣) اُختلف في حكم دخول الكافر المسجدَ، فذهب بعض الفقهاء إلى جواز ذلك، لعدم ورود ما يدل على منعه، وذهب آخرون إلى أنه لا يجوز، قياساً على المسجد الحرام، والأظهر - والله أعلم - جوازه للمصلحة الشرعية والحاجة، يدل عليه أن النبي ﷺ دخل عليه وفد عبد القيس وهو في المسجد، أيضاً ربَطَ ﷺ ثمامةَ بن أثال في المسجد. انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢/ ٧٦-٧٧)، فتوى رقم (٦٨٧٦).

(٤) انظر: صفحات من مواطنة الأقباط: ٣٨ وما بعدها.

(٥) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لباتريك: ١٤٦، تاريخ الأمة القبطية: ٦٩، خريف الغضب: ٢٧٤، المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ١٠٩-١١١.

(٦) انظر: دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ٣٣٠.

ولما أعلن الإنجليز احتفاظهم بحق حماية الأقليات في مصر؛ أعلنت الكنيسة القبطية رفضها لهذه الحماية، وأعلنت تكاتفها مع المسلمين[1].

ولِمَا تقدم؛ فلا يصح أن يقال عن موقف النصارى الأقباط وكنيستهم تجاه الاستعمار الأجنبي، أنهم كانوا معه مطلقاً، ولا ضده مطلقاً، لأن التاريخ حَفِظَ لنا كلا الموقفين، والأحداث شاهدةٌ على هذا وذاك.

ومما ينبغي على المسلم المنصف، في مثل هذا الموقف أن يستحضر قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة: ٨].

فلا تأخذه الحماسة والحمية فيعمم الحكم بأن جميع النصارى الأقباط كانوا أعواناً للمستعمر، فإن هذا يبعده عن العدل والإنصاف، وعن المنهجية العلمية المطلوبة.

(١) انظر: دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ٣٣١.

الفصل الثاني: درجات الكهنوت عند النصارى الأقباط، وأبرز بطاركتهم، وجهودهم تجاه كنيستهم

ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: درجات الكهنوت عند النصارى الأقباط.

المبحث الثاني: أبرز بطاركة الكنيسة القبطية، وجهودهم تجاه كنيستهم.

الفصل الثاني: درجات الكهنوت عند النصارى الأقباط، وأبرز بطاركتهم، وجهودهم تجاه كنيستهم

مُثّل رجال الكهنوت في الكنيسة القبطية سلطةً دينيةً قويةً، ويعتقدون أن هذه السلطة موروثةٌ عن المسيح عليه السلام، وقد أعطاها المسيحُ لبطرس، ويستدلون على ذلك بما جاء في متّى من حديث عيسى عليه السلام مع بطرس، وأنه قال له: (وسأعطيكَ مفاتيح ملكوت السماوات، فما تربطه في الأرض يكون مربوطاً في السماء، وما تحلّه في الأرض يكون محلولاً في السماء)[1]، وهذه القدرة لا تقف عند بطرس، بل تتجاوزه إلى جميع رجال الدين النصارى: (الحق أقول لكم: ما تربطونه في الأرض يكون مربوطاً في السماء، وما تُحلونه في الأرض يكون محلولاً في السماء.

الحق أقول لكم: إذا اتفق اثنان منكم في الأرض أن يطلبا حاجة، حصلا عليها من أبي الذي في السماوات، فأينما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي، كنت هناك بينهم)[2].

ولهذه النصوص؛ أَعْطَى رجالُ الدين أنفسَهم سلطةً عليا على من دونهم، وفي المقابل كان رجال الدين بالنسبة للنصارى الأقباط يمثلون كل ما يتعلق بحياتهم، ولا يصدرون إلا عنهم.

وفي هذا الفصل سأبيِّن شيئاً من الدرجات الكهنوتية لدى النصارى الأقباط، كما سأبيّن - بحول الله - أبرز بطاركة الكنيسة القبطية، وجهودهم تجاه كنيستهم.

---

(١) متى: ١٦/ ١٩.

(٢) متى: ١٨/ ١٨-١٩.

المبحث الأول: درجات الكهنوت عند النصارى الأقباط

يُمثِّلُ النظام الكهنوتي لدى النصارى الأقباط أساساً في إدارة الكنيسة، وتدبير أمورها، ويتمثل دور رجال الكهنوت - ويُسمَّون أيضاً الإكليروس[1] - في رعاية أتباع الكنيسة روحياً ومعنوياً، وغالباً ما تُؤكد المصادر القبطية على أن عمل الكهنوت يقوم على معاني الأبوة والحب والخدمة، وليس التسلط والاستبداد.

ويُخالف حبيب جرجس[2] هذا القول، حيث يقول: (.. وعلى هذا فإن هذا السر - سر الكهنوت - لا يخول فقط النعمة، بل يخول أيضاً السلطان لمباشرة الخِدَم الروحية الكنسية من أسرارٍ وغيرها)[3].

تعريف الكهنوت:

عُرِّف الكهنوت عند النصارى بأنه: وظيفةُ مَن لهم امتيازُ المقدَّسات، أو بعض الصلاتِ العامّة بالألوهة، إما لتقريب الذبائح والصلاة باسم الشعب، وإما لتبليغ الشعب بعض تعاليم الله وبركاته[4].

وعندهم أن الدرجات الكهنوتية لا تتم إلا بالحصول على السرِّ الخاص بها، وهو سر الكهنوت، ويعرّفون سرَّ الكهنوت بأنه: سرٌّ مقدّس، يضع فيه الأسقفُ يده على رأس الشخص المُنْتَخَب، ويصلي من أجله، فينسكب عليه الروح القدس، ويمنحه الدرجة

---

(١) أصل هذه الكلمة يوناني، وهي تعني حرفياً: ميراث، وهم يطلقونها على الرجال الذين اختارهم الرب، وأورثهم منه نصيباً، على حدِّ زعمهم. انظر: بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ١٨-١٩، معجم المصطلحات الكنسية: ١١٧-١١٨.

(٢) ولد في القاهرة في (١٨٧٦م)، وهو عميد مدرسة الإسكندرية في العصر الحديث، جمع أموالاً من مصادر كثيرة وأنشأ بها الكليةَ الإكليريكية، وهو أول من أنشأ مدارس الأحد في مصر، كما أصدر مجلة الكرمة، وأكثر من ثلاثين كتابًا في شتى العلوم الدينية الأرثوذكسية، هلك عام (١٩٥١م). انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٧١٢-٧١٤، قاموس التراجم القبطية: ٧١، قاموس أباء الكنيسة وقديسيها من موقع البابا كيرلس على الشبكة العنكبوتية:
http: //popekirillos.net/ar/fathersdictionary

(٣) أسرار الكنيسة السبعة: ١٥٧.

(٤) انظر: معجم الإيمان المسيحي: ٤٠٥.

الكهنوتية المتقدم لها، ويصبح له سلطانُ مباشرةِ الخدمات الكنسية بحسب رتبته[1]، ويعرِّفه آخرون بأنه: سرٌ يُقلِّدُ ولايةً روحيةً، ويخوِّل نعمةَ مباشرةِ الخِدَم الكنسية كما ينبغي[2].

ويَنْظُرُ نصارى الأقباط إلى سرِّ الكهنوت من جانبين:

١. الجانب الحسي المنظور: ويتمثل في وضع الأسقف يده على طالب السر والصلاة.

٢. الجانب المعنوي غير المنظور: ويتمثل في النعمة الإلهية التي ينالها الإنسان المُنْتَخَبُ، والسمةِ التي يتسم بها بعد إتمام السر، وهي سمة دائمة[3].

ويُرجِعُ نصارى الأقباط تأسيس الكهنوت وسرَّه إلى عيسى عليه السلام، وأنه الذي وضعه، ويستدلون لذلك من كتابهم المقدس ببعض النصوص، من ذلك:

١. (ودعا يسوعُ تلاميذه الاثني عشر، وأعطاهم سلطاناً يطردون به الأرواح النجسة، ويشفون الناس من كل داءٍ ومرض)[4].

٢. (وبعد ذلك اختار الرب يسوع اثنين وسبعين آخرين، وأرسلهم اثنين اثنين)[5].

٣. (فقال لهم يسوعُ ثانيةً: سلامٌ عليكم! كما أرسلني الآب أُرسلكم أنا. قال هذا ونفخ في وجوههم، وقال لهم: خذوا الروح القدس)[6].

ويؤكِّد البابا شنودة الثالث أن هذه الدرجات كلها كتابية، أي ذكرت في الكتاب المقدس[7].

---

(١) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ١٢٦، اللاهوت العقيدي في أسرار الكنيسة السبعة: ٢/ ٣١٦، الطقوس في الكنيسة: ٨١ وما بعدها.

(٢) انظر: أسرار الكنيسة السبعة: ١٥٧.

(٣) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ١٢٨.

(٤) متى: ١٠/ ١.

(٥) لوقا: ١٠/ ١.

(٦) يوحنا: ٢٠/ ٢١-٢٢.

(٧) الكهنوت: ١/ ٦٧.

ويعتقد النصارى الأقباط أن هذه الدرجات باقية إلى نهاية الدهر، يقول الأنبا غريغوريوس: (وكما أرسلَ الآبُ الابنَ؛ أرسلَ المسيحُ رسلَه الاثني عشر ليكرزوا[1]، ويقدسوا المؤمنين، وجعلهم رعاةً ومدبرين، وقد أراد أن يكون خلفاؤهم أيضاً رعاةً ومعلمين إلى نهاية الدهر)[2].

درجات الكهنوت:

ترجع درجات الكهنوت في الكنيسة القبطية إلى ثلاث درجات[3]، هي - من الأعلى رتبة إلى الأقل -:

1. الأساقفة.
2. القساوسة.
3. الشمامسة.

وتحت كل درجة من هذه الدرجات درجات أخرى[4]، وقد جاء في الدسقوليةِ[5] الحديثُ عن هذه المراتب باستفاضة، كما أُفرد فيها العديد من الأبواب للحديث عن الرُّتب الكنسية ومهام كل رتبة وواجباتها[6].

ويعود الأصل التاريخي لهذه الرتب الكهنوتية إلى الجماعات الوثنية واليهودية السابقة على النصرانية، والتسميات التي سُمِّي بها رجال الكهنوت إنما أُخذت من اللغة

---

(١) الكرازة من الكَرْز، وهي كلمةٌ سريانيةٌ، تعني وَعَظَ ونادى، وهي عندهم الوعظُ والتبشيرُ علانيةً بالحقائق المسيحية. انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ٣/ ١٦٢، معجم الإيمان المسيحي: ٣٩٥، بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ٧٦.

(٢) اللاهوت العقيدي في أسرار الكنيسة السبعة: ٢/ ٣٤٤.

(٣) انظر: مُرْفقاتُ البحثِ؛ المُرفق رقم: ١٢.

(٤) انظر: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٢٠٧.

(٥) الدسقولية: يزعمون أنه كتابُ تعاليم الرسل الاثني عشر وهم تلاميذ المسيح، وهو من الكتب المقدسة عند الأرثوذكس القدماء، ويتناول الكتاب جملةً من الشرائع والمسائل المتعلقة بديانة النصارى. انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ٢/ ٦٣، بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ٤٠.

(٦) انظر: الدسقولية: الأبواب: ٣-٤، ٧-٨، ١٠، ١٣.

الشائعة في ذلك الوقت، مثل: (بريسبيتيروس) وتعني شيخ، و(إيبسكوبوس) وتعني مشرف، و(دياكونوس) وتعني خادم، وقد تطورت معاني هذه الكلمات فيما بعد إلى: قس، وأسقف، وشمّاس.

ومن المتقرر أن النظام الكهنوتي لم يكن موجوداً في عهد المسيح عليه السلام، وإنما ظهر - على الأرجح - في القرن الثالث الميلادي[1].

شروط رجال الكهنوت:

تشترط الكنيسة القبطية في رجال الكهنوت (الإكليروس) لترشيحهم على مراتب الكنيسة، شروطاً تُرجعها إلى الكتاب المقدس، يمكن أن نجملها في النقاط التالية:

١. أن يكون بلا لوم، أي لا يكون معروفاً بملامة.

٢. أن يكون مشهوداً له بالخيرية ممن حوله.

٣. أن يكون عاقلاً محتشماً منتبهاً.

٤. أن يكون كريماً مع الغرباء، رحيماً بالفقراء.

٥. أن يكون صالحاً للتعليم.

٦. أن يكون حليماً غير مخاصم.

٧. أن يكون مديراً لبيته بالحسنى.

٨. ألا يكون سِكِّيراً.

٩. ألا يكون طامعاً في ربحٍ قبيحٍ.

١٠. ألا يكون حديث العهد بالإيمان، بل متعمقاً في الديانة.

وتتفاوت المصادر القبطية في تعداد شروط الكاهن، مما يدل على عدم انضباط

(١) انظر: المسيحية لجنيبر: ١٣٥ وما بعدها.

تلك الشروط، ولا مصداقيتها[1].

وفي هذا المبحث؛ سأتناول - بحول الله - كل درجة من درجات الكهنوت بشيء من البيان، موضحاً ما يندرج تحت كل درجة.

أولاً: الأساقفة:

الأسقفية هي الرتبة الأعلى في النظام الكهنوتي، وتكون خاصةً بالرؤساء الكبار، ويُدعون رؤساء لأنهم يرأسون الكهنة والرعية، الذين هم دونهم في الرتبة، ويُعتبرون معلمين لهم ومرشدين.

والأسقف كاهن ذو درجةٍ ورتبةٍ أولى، وهو في كنيسته ورعيته نائب المسيح، ومن ثم فله حق الرياسة على رعيته، وعلى بقية الكهنة الذين تحت إدارته، وهو الذي يعلِّم الشعب، ويدبره، ويقيم له الرعاة المدبرين والمعلمين[2].

يقول الأنبا غريغوريوس: (والأساقفة هم خلفاء الرسل، لتثبيت الكنيسة وقيادتها، ومهمتهم مثلثةٌ: تعليم شعب الله، وتقديسه، وقيادته.. والمسيح حاضرٌ في الأساقفة بصورة فريدة، ليحيي كنيسته بكلمة الإيمان، وبالأسرار المقدسة)[3].

ويعتقد نصارى الأقباط أن لقب «الأسقف» قد أُطلق أولاً على المسيح عليه السلام، يقول البابا شنودة الثالث: (وقد أُطلق لقب «أسقف» على السيد المسيح نفسه، وفي ذلك قال معلمنا القديس بطرس الرسول: لأنكم كنتم كخرافٍ ضالةٍ، لكنكم رجعتم الآن إلى راعي نفوسكم وأسقفها)[4].

---

(١) انظر على سبيل المثال: الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ٨٠، مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ١٩٦ وما بعدها، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ١١٣-١١٤، كنيستي الأرثوذكسية: ١٣٤، اللاهوت العقيدي في أسرار الكنيسة السبعة: ٩/ ٣٤٤وما بعدها.

(٢) انظر: موسوعة علوم الدين: ٢/ ٢٨٠، أسرار الكنيسة السبعة: ١٨٧، اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٢١٤-٢١٦.

(٣) اللاهوت العقيدي في أسرار الكنيسة السبعة: ٢/ ٣٤٤.

(٤) الكهنوت: ١/ ٦٧.

درجات الأسقفية:

تقدم أن درجات الكهنوت أو ما يُسمى بالإكليروس، يندرج تحت كل واحدة منها مراتب ودرجات، ومن ذلك درجة الأسقفية، إذ يندرجُ تحتها ثلاث درجات أو مراتب، هي كالتالي:

١. البطريرك (البابا):

بطريرك في أصلها كلمةٌ يونانيةٌ، مكونة من مقطعين: (باتري) وتعني أب، و(أرشى) وتعني رياسة، فيكون المعنى الكلي من هاتين الكلمتين؛ رئيس الآباء.

وقيل: مأخوذة من الكلمة اليونانية (باتريارشيس)، وهي مكونة من مقطعين؛ (باتريا) بمعنى العشيرة أو الطائفة، و(أرشيس) مأخوذة من الكلمة اليونانية (باباس)، وهو الرئيس الذي يُلقبُ بالبابا[١].

وأول من أُطلق عليه لقب البطريرك هو البابا ياروكلاس أسقف روما، وكان ذلك في القرن الخامس الميلادي، عندما أطلقه عليه الإمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير، أما قبل هذا الإطلاق، فقد كان البطريرك يُدعى رئيس الأساقفة[٢].

أما «البابا» فيرى بعضهم أنها كلمةٌ شرقيةٌ وليست لاتينية، وأن أول من تسمى بها أسقف الإسكندرية، وقد كانت كلمة بابا مركبة من أب آباء، ثم خففت إلى بابا[٣]، ويرى آخرون أن أصل كلمة «بابا» يوناني، مأخوذ من باباس، ومعناها الآب فقط، وأنه كان مستعملاً عند النصارى الشرقيين، إلا أنهم يتفقون على أن هذا الاسم استخدم أولاً لبطريرك الإسكندرية، ثم انتقل إلى باقي الكنائس الشرقية والغربية[٤].

---

(١) انظر: الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ٨٤-٨٥، بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ٢٦-٢٧، معجم الإيمان المسيحي: ١١١، معجم مصطلحات الكنيسة: ١/ ١٩٥-١٩٦، تفسير قداس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية: ١٦-١٧.

(٢) انظر: بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ٢٦-٢٧، معجم مصطلحات الكنيسة: ١/ ١٩٥-١٩٦، اللاهوت العقيدي في أسرار الكنيسة السبعة: ٢/ ٣٦٦.

(٣) يؤكد البابا شنودة الثالث أن رجال الكهنوت في كل الدرجات يُدعون آباءً. انظر: الكهنوت: ٥٩.

(٤) انظر: دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ١٠.

وتُعتبر رتبة البطريرك أعلى رتبة كهنوتية، ورئاسته على الكهنوت رئاسةٌ عليا، وهو عندهم خليفة الآباءِ الرسلِ من قبله، وهو الأب الأول في الكنيسة، وهو أيضاً الذي يرأس المجلس الملِّي العام، وجميع الهيئات القبطية الرسمية.

كما يتميز البطريرك عن الأسقف والمطران بأمرين رئيسيين:

أ - سيامة الأساقفة الجدد، وترقية الأسقف إلى مطران، مع لزوم وجود أسقفين معه، أو واحد على الأقل.

ب - عمل سر الميرون[1]، ويشاركه في عمله الأساقفةُ.

وقد أصدرتِ الكنيسة القبطية بمصر في عام (١٩٥٧م)، قراراً يقضي بعدم تعيين أحد بدرجة البطريرك دون سن الأربعين، وألا تقلَّ رهبنته عن خمس عشرة سنة[2].

٢. المطران:

المطران في أصلها تعريب للكلمة اليونانية (متروبوليتيس)، وتعني المدينة الأم، ويُراد بالمدينة الأم أي عاصمة المقاطعة، وهي في اصطلاحهم الديني تعني أسقف المدينة الأم، والذي تمتد سلطته ورئاسته الكنسية لأكثر من إيبرشية واحدة، أو لأكثر من مدينة واحدة مع تخومها[3].

ورتبة المطران في الوقت الحالي تعتبر رتبة شرفية، تُعطى للأسقف الذي يرعى إيبرشية متميزة[4].

---

(١) الميرون كلمة يونانية، معناها زيتٌ طيِّب، والمراد به هنا: الزيت المقدس الذي يُستخدم في سر المعمودية غالباً، وسر المعمودية يمثل طقساً من الطقوس المشتهرة عند النصارى، والتي تندرج تحت مسمى الأسرار السبعة. انظر: بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ٩٠، معجم الإيمان المسيحي: ٤٩٦، معجم مصطلحات الكنيسة: ٣/ ٢٥٦-٢٥٧.

(٢) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ١٣٩.

(٣) انظر: الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ٨٤-٨٥، معجم المصطلحات الكنسية: ٢/ ٢٣١، بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ٨٧، كنيستي الأرثوذكسية: ١٣٨، معجم الإيمان المسيحي: ٤٦٨، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ١١٥.

(٤) انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ٢/ ٢٣٢.

و يُعتبرُ المطران مقدماً على الأسقف في جميع الطقوس المتعلقة بالكنيسة القبطية، ويُخصص لسيامة المطران يوم الأحد[1].

والمطران عضو في المجمع الإكليريكي[2] المقدس عند النصارى الأقباط[3]، وله الحق في رسامة القساوسة، ومن دونهم في الرتبة الكهنوتية[4].

٣. الأسقف:

الأسقف في أصلها كلمة يونانية، مأخوذة من (إبيسكوبوس)، وهي تعني: الناظر، أو الرقيب من أعلى.

والأسقف بمفهومه الطقسي عند النصارى الأقباط يعني: الراهب الذي يُعطِي الدرجة الكهنوتية في الإيبرشية لمن يستحقها، وهو الذي يُعيّن الكهنة من القمامصة والقسس وكذا الشمامسة، وأما الأسقف نفسه فالذي يرسمه على رتبة الأسقفية هو بطريرك الكنيسة القبطية الأرثوذكسية مع أعضاء المجمع المقدس[5].

وتُعتبر درجة الأسقف أعلى درجة كهنوتية في الكنيسة[6]، والأسقف عندهم قائمٌ مقام الآباء الرسل السابقين، ولذا فهو عندهم مدبر الإكليروس، وهو يُدعى في الكنيسة

---

(١) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ١٣٨.

(٢) يراد بالمجمع الإكليريكي: السلطة الكنسية التي تفصل في الأمور الشخصية، وذلك حسب ما ورد في الكتاب المقدس، وقوانين الكنيسة. انظر: بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ١٩.

(٣) انظر: اللاهوت العقيدي في أسرار الكنيسة السبعة: ٢/ ٣٧٢.

(٤) انظر: الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ٨٥.

(٥) انظر: الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ٨٥، مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ١٩٩، معجم المصطلحات الكنسية: ١/ ٩٠، بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ١٣، كنيستي الأرثوذكسية: ١٣٦، معجم الإيمان المسيحي: ٣٩-٤٠، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ١١٥، تفسير قدّاس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية: ١٧، دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ١٠.

(٦) تقدم أن البطريرك (البابا) هو أعلى سلطة دينية في الكنيسة القبطية، وللتوضيح نقول: هناك فرق بين البطريرك والمطران من حيث الولاية الدينية والإقليمية؛ فالبطريرك يكون مرجعاً عاماً لكل من انتسب للطائفة، من داخل البلاد وخارجها، ولا يُرسم أحدٌ من الأساقفة إلا عن طريقه، أما المطران فأقل رتبة منه، إذ هو مسؤول عن الكنائس الداخلية المتعلقة بالعاصمة أو بالمحافظات الكبرى، أما الأسقف فيدير الكنائس في نطاق الإيبرشية، وتُعتبرُ الإيبرشية أقلُّ من المحافظة، فهو في تلك الإيبرشية يُمثِّلُ أعلى سلطة، لا أن سلطته هي الأعلى مطلقاً على نطاق الكنائس كلها.

بلقب «رئيس الكهنة»، وهذا اللقب هو الذي يرد في نصوص الصلوات في الكنيسة القبطية الحديثة، كما أن الأسقف منوط به وحده مسؤولية إتمام الأسرار الكنسية، أو من يُنيبهم عنه، كما يحقُ له أن يُجرِّد من دونه في الرتبة، دون من هو أعلى منه أو مماثلٌ له[1].

والأصل في اختيار الأسقف أن يكون من بين الرهبان، إلا أن بعض المصادر القبطية[2] تذكر أن هذا الأمر قد خُرم في بعض القرون السابقة.

وقد أُضيف للأساقفة رجال من الإكليروس يُدعون بالخوربيسكوبوس، والخوربيسكوبوس هو المساعد للأسقف في عمله، من حيث التعليم والرعاية والتعهد للكنائس المجاورة لمحافظة الأسقف، ومع كونه مساعداً إلا أنه مساوٍ للأسقف في الرتبة الإكليروسية، ويذهب بعض منظري نصارى الأقباط إلى أن الخوربيسكوبوس يُعتبر من القساوسة وليس من الأساقفة[3]، والمسألة محل خلافٍ بينهم[4].

وتتفاوت المصادر القبطية في ضبط الشروط المتعلقة بتعيين الأسقف، وبالنظر في مجمل هذه الشروط، يُمكننا أن نخلُصَ إلى جملة من الشروط - إضافةً للشروط السابقة - كما يلي:

١. ألا يقل عمره عن خمسين سنة، ويستثنى من ذلك من كان حكيماً، صالحاً للخدمة.

٢. أن يُزكّى من (١٢) رجلاً على الأقل.

٣. ألا يكون مصاباً بعلةٍ أو عاهةٍ، كالجذام أو البرص أو العمى أو غيرها.

٤. أن يُرسم يوم الأحد دون ما سواه من الأيام.

(١) انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ١/ ٩٠-٩١.

(٢) انظر: دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ١٠.

(٣) انظر: دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ١٠، كنيستي الأرثوذكسية: ١٣٥-١٣٦.

(٤) تُشير بعض المصادر القبطية إلى أن النصارى الأقباط قد ألغوا وظيفة الخوربيسكوبوس، وأحلّوا مكانها القمص، ويذكرون فروقاً بين الخوربيسكوبوس والقمص غير منضبطة، وتتضارب المصادر في توحيدها وتحديدها. انظر: دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ١٢، معجم المصطلحات الكنسية: ٢/ ٥٢-٥٣.

٥. أن يَرسمه ثلاثة أساقفة، وفي حال الضرورة يُمكن أن يرسمه اثنان.

٦. أن يُقيم في بيت الكنيسة أو المطرانية.

٧. أن يكون متواضعاً مع شعبه ورعيته.

إلى غير ذلك[١].

وتنفرد الكنيسة القبطية بلقب «الأنبا» للآباء أصحاب الخدمة ولو لم يكونوا من أصحاب الكهنوت، جاء في معجم المصطلحات الكنسية: (وهو لقب اختص في الكنيسة القبطية بالآباء الأساقفة ومشاهير النساك، أو أثروها بسيرتهم الصالحة، حتى ولو لم يحملوا أيَّ درجةٍ كهنوتيةٍ)[٢].

ثانياً: القساوسة (الكهنة[٣]):

تُعتبر القسيسيَّة الدرجة الثانية من درجاتِ الإكليروس، فالقس هو الشخص الذي تُعطى له الدرجة الثانية من درجات الكهنوت، لكي يعمل في المجال الكهنوتي بالكنيسة، وله السلطة الشرعية في ممارسة الصلوات وطقوس الكنيسة، وتتم سيامة أصحاب هذه الدرجة عن طريق بطريرك الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، أو من دونه ممن هو في درجة الأسقفية[٤].

ويُعتبر مصطلح القس أسبق من مصطلح الأساقفة، ويشهد لذلك الجماعات اليهودية الأولى التي كانت تختار لرئاستها مجلساً من القساوسة، ويشير الكتاب المقدس إلى أن بولس كان يقيم على كل كنيسةٍ يُنشِئها قساً[٥].

(١) للاستزادة، انظر: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ١٩٩-٢٠١.

(٢) معجم المصطلحات الكنسية: ١/ ١١.

(٣) ينبغي التنبيه إلى أن لقب الكاهن قد يطلق - أحياناً - ويراد به أيُّ درجةٍ من درجات الكهنوت، سواءً درجة القسيس أو أعلى أو أقل منه، يقول البابا شنودة الثالث: (رجال الكهنوت في كل درجاته دعوا كهنة، تماماً كما في الجيش، من القائد العام إلى العسكري العادي، كل منهم يُلقب بأنه رجل عسكري). الكهنوت: ٦٤.

(٤) انظر: موسوعة علوم الدين: ٢/ ٢٨٠، اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٢١٧-٢١٩، دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ١٢.

(٥) انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ١/ ١٨٧-١٨٩.

وتقوم وظيفة القسيس على تقديس القرابين، وتزويج من أراد الزواج، وتأدية خدمة الأسرار، وتوزيعها على الشعب، وتعليمهم ووعظهم، وباقي الخدمات الدينية، وفي جملة عمله يُعتبر القس معاوناً لأصحاب درجة الأسقفية[1].

ويضع نصارى الأقباط للقسيس بعض الضوابط والآداب التي ينبغي عليه مراعاتها، منها:

١. لا يُرسم القسيس دون سن الثلاثين، لأن المسيح عليه السلام - كما يزعمون - بدأ خدمته في سن الثلاثين.

٢. عليه ألا يمشي أمام الأسقف، ولا يجلس على الكرسي قبله عند أداء الطقوس عموماً.

٣. لا يجوز له حضور وليمة عُرس لمن تزوج بأكثر من واحدة.

٤. يجب على القسس الالتقاء مع أسقفهم ثلاث مرات في السنة، على الأقل.

٥. لا يجوز له الأخذ من الصدقة.

٦. يُطرد من منصبه إذا ثبت تواصله مع الملك دون أمرٍ من رئيسه.

إلى غير ذلك[2].

درجات القساوسة:

١. القمص:

أصل الكلمة مأخوذ من اليونانية (إيغومانوس)، وتعني: القائد المدبِّر، وهو من له سلطان على الآخرين[3]، ويُعتبرُ القمص كبير القساوسة في الكنيسة المحلية، وهو المدبر الأول، فهو بمثابة المعلم لهم[4]، وهو في أصله قسٌّ مُترقٍّ، ولا يُرقّى إلا إذا كان كبير السن، كما يلزم أن يكون قولُه ملازماً لفعله، وأن يشهد له أساقفته شهادةً حسنة[5].

---

(١) انظر: أسرار الكنيسة السبعة: ١٨٦.

(٢) انظر: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٢٠٩-٢١١.

(٣) انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ١/ ١٤٦.

(٤) انظر: بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ٧٢، اللاهوت العقيدي في أسرار الكنيسة السبعة: ٩/ ٣٦١.

(٥) انظر: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٢٠٩-٢١١، معجم المصطلحات الكنسية: ١/ ١٤٦.

ويتولى القمص أخذ اعترافات الشعب، وحل مشاكلهم في إطار المنطقة التي يشرف عليها فقط، كما أنه يقوم بعمل القداس في الأعياد السيدية، إذا لم يكن أحد الأساقفة موجوداً[1].

٢. القس (القسيس):

القسيس أصلها من الكلمة السريانية (قشيش)، وفي اللاتينية (برسفيتروس)، وهي تعني الشيخ، أو المتقدم في السن، وتسميته بالشيخ، ولو لم يكن كبيراً في السن؛ نظراً لأهمية وظيفته عندهم، وتوقيراً له[2].

ويُعتبر مصطلح القس أقدم المصطلحات في قاموس الكنيسة الأولى، ولم يأت مصطلح الأسقف إلا لاحقاً، ومع ذلك فقد كان التقدم والأفضلية للأسقف على القس[3].

يقول الأنبا غريغوريوس[4]: (ومع أن القسوس لا ينالون ملء الكهنوت الذي للأساقفة؛ لكنهم مع ذلك كهنة لله بكل معنى الكلمة، وإن كانوا في المرتبة الثانية، يتعاونون مع الأساقفة ويعاونونهم)[5][6]*.

ثالثاً: الشمامسة:

كلمة الشمَّاس في أصلها كلمةٌ سريانيةٌ، تعني: الخادم، وفي اليونانية (دياكون)، والشمَّاس هو آخر درجة من درجات الكهنوت، ويكون لصاحبها ولايةٌ خاصةٌ لمساعدة

---

(١) انظر: الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ٨٤، معجم المصطلحات الكنسية: ١/ ١٤٦.

(٢) انظر: الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ٨٣، بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ٧١.

(٣) انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ١/ ١٨٩.

(٤) اسمه وهيب عطا الله، حصل على دبلوم العلوم اللاهوتية، والدكتوراه في الدراسات القبطية من جامعة مانشستر، سيم أسقفاً للدراسات العليا والبحث الأكاديمي، وهلك عام (٢٠٠١م). انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٧١٨.

(٥) اللاهوت العقيدي في أسرار الكنيسة السبعة: ٩/ ٣٤٥.

(٦) (*) فائدة: عندما يذكر بولس في رسائله «الأسقف» بالمعنى الكهنوتي فإنه يذكره دائماً بصيغة المفرد، أما «القساوسة» فيأتي ذكرهم دائماً بصيغة الجمع، وإذا ذكر «الشيخ» بصيغة المفرد فيقصد به شيخوخة السن وليست الوظيفة الكهنوتية. انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ١/ ١٨٩.

القسيس عند تلاوة القداس، وإتمام الخدمة المنوطة به[1].

وتعتبر درجة الشماسية في الكنيسة من الدرجات القديمة، التي عُرفت عند المتقدمين من النصارى، وكانت خدمتهم متركزة في تدبير ورعاية الفقراء والأرامل، وكانت تسمى (خدمة الموائد)، ومن أعمالهم في السابق أيضاً؛ أنهم كانوا ينقلون الرسائل من وإلى الكنائس المختلفة، ثم بدأت تتقلص مهام العمل الموكلة إليهم، ففي مجمع نيقية سُحبت كثير من الصلاحيات الموكلة إليهم، وكذا في القرن السابع الميلادي، حيث أُخذت كثير من الصلاحيات الممنوحة لهم وأعطيت للقسيس[2].

وقد وضع بعض متقدمي النصارى الأقباط شروطاً يلزم توافرها في الشمامسة، يمكن إجمالها فيما يلي:

١. أن يكونوا من أهل التنظيم والترتيب.

٢. أن يحفظوا ألسنتهم.

٣. ألا يشربوا الخمر.

٤. ألا يحبوا المكسب الحرام.

٥. أن يتم اختبارهم أولاً في الطقوس والشعائر.

٦. ألا يكونوا معروفين بالعثرات.

٧. ألا يقل عمر الشماس عن (٢٥) سنة.

إلى غير ذلك[3].

---

(١) انظر: الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ٨٢، مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٢١٤، معجم المصطلحات الكنسية: ٢/ ٨١-٨٣، معجم الإيمان المسيحي: ٢٨٦.

(٢) انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ٢/ ٨١، موسوعة علوم الدين: ٢/ ٢٨٠، اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٢٢٠-٢٢٢.

(٣) انظر: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٢١٤.

درجات الشمامسة:

تُقسَّم درجات الشماسية إلى خمسة أقسام، كما يلي:

١. الأرشيدياكون:

الأرشيدياكون كلمة يونانية، وهي تعني رئيس الشمامسة، وهي أعلى رتب الشماسية، والذي يرسم الأرشيدياكون شمَّاساً البطريركُ أو المطرانُ أو الأسقفُ[١].

ويحق للأرشيدياكون الأمر على من دونه من رجال الكهنوت، كما يحق له الجلوس إلى جوار الأسقف، ويلزم أن يكون عالماً خبيراً بالكتب المقدسة[٢]، وأن ينبه على جميع الصلوات الكنسية، وأن يفصل بين النزاعات التي تحصل بين الشمامسة دون أن يرفعها لمن هو أعلى منه.

ولا يرسم الأسقفُ أحداً للكهنوت إلا بعد أخذ رأي الأرشيدياكون، لأنه هو الأعرف بالشعب لقربه منهم[٣].

٢. الدياكون:

الدياكون كلمة يونانية تعني الخادم، وينبغي على الدياكون أن يكون متفرغاً للخدمة.

ومن أهم وظائفه: تلاوة مردات الهيكل، وقراءة إنجيل القداس، وتنظيف الهيكل، وترتيب المذبح، وكتابة أسماء مُقَدِّمي القرابين والعطايا للقس ليذكِّرهم بعد إقامة الطقوس.

وإن رُسم الدياكون قبل أن يتزوج؛ فلا يجوز له الزواج، وإن ماتت زوجته بعد سيامته فلا يجوز له الزواج ثانيةً[٤].

---

(١) انظر: الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ٨٣.

(٢) يراد بالكتب المقدسة: الكتاب المقدس، إضافةً لبعض الكتب الأخرى التي هي محل تعظيم عندهم، كالسنكسار، والدسقولية وغيرها.

(٣) انظر: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٢١٥.

(٤) حول الدياكون؛ انظر: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٢١٩،كنيستي الأرثوذكسية: ١٣١-١٣٢.

٣. الإيبودياكون:

الإيبودياكون كلمة يونانية، أي من هو تحت الدياكون، وتعني مساعد الشماس، ودور الإيبودياكون تنظيم الجلوس بالكنيسة، وحراسة أبوابها، وإيقاد سرج الكنيسة، وتعمير المجامر، وحفظ كتب الكنيسة، وثياب الكهنة، وتنظيف الأواني المستخدمة في القُداس.

والإيبودياكون يحق له الزواج[(١)].

٤. الأغنسطس:

الأغنسطس كلمةٌ يونانيةٌ تعني قارئ فصول الرسائل، وأهم أعمال الأغنسطس تلاوة القراءات اليومية الكنسية، وتلاوة أسماء الآباء البطاركة بعد القداس، ويشترك مع الرتبة التالية في ترديد الألحان.

ويؤكد النصارى الأقباط أنه ينبغي على الأغنسطس أن يكون عالماً، مجيداً لقراءة الكتاب المقدس، وأن يفهم كل ما يتلوه من القراءات، لأنه - كما يزعمون - يملأ مسامع الشعب، فلا بد أن يكون فاهماً لما يقرؤه.

ويمكن للأغنسطس الزواج بعد أخذ الرتبة، وإن ماتت زوجته فله أن يتزوج غيرها[(٢)].

٥. الإبصالتس:

مأخوذة من الكلمة القبطية (إبصالموس)، والمراد بالإبصالتس أي المرتل.

ويظهر من تعريفهِ طبيعةُ عملِه؛ حيث يقوم بحفظ الألحان ثم ترتيلها، وتعتبر رتبة الإبصالتس أصغر رتبة كنسية، ويذهب بعضهم إلى أن هذه الرتبة لا تعتبر رتبةً كهنوتيةً[(٣)].

كما يميلُ جمع من منظري الأقباط إلى أن هذه الرتب الثلاث الأخيرة، لا تعتبر وظائف كهنوتية، وإنما هي خدمية، وذلك ليكون عدد الرتب الكهنوتية سبع رتب،

(١) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ١٣٠.

(٢) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ١٢٩-١٣٠.

(٣) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ١٢٩.

وبذلك توافق - كما يزعمون - الرتب السماوية[1].

يقول مؤرخهم وعلامتهم ابن سبَّاع[2]: (فكما أن المراتب السمائية عددها سبعة، هي: الملائكة، رؤساء الملائكة، الرؤساء، السلاطين، الكراسي، الأرباب، السارافيم[3] والشاروبيم[4]، فكذلك المراتب الكنسية الأرضية سبعة)[5].

وقد وضع المجمع المقدس للكنيسة القبطية سنة (١٩٩٤م)، برئاسة البابا شنودة الثالث، نصَّ ما يقال في رسامة الإبصالتيس[6].

هذا مجمل ما يتعلق بدرجات الكهنوت، وهناك تفصيلات كثيرة تندرج تحت كل درجة، أعرضتُ عنها بغية الاختصار.

---

(١) انظر: موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ١١٨.

(٢) هو يوحنا بن زكريا بن سباع، أحد مشاهير النصارى الأقباط في القرن الثالث عشر، كان عالمًا بعقيدة الأقباط الأرثوذكس، ومن أشهر مؤلفاته: كتاب الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة. انظر: مقدمة محقق كتاب الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ٦، قاموس آباء الكنيسة وقديسيها من موقع البابا كيرلس على الشبكة العنكبوتية:
http: //popekirillos.net/ar/fathersdictionary

(٣) يُريدون بهم: رتبة من الملائكة يعتقدون أن لها ستة أجنحة، يسبحون الله على الدوام. انظر: بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ٤٦.

(٤) يُريدون بهم: رتبة من الملائكة يخدمون في حضرة الله، وحول عرشه. انظر: بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ٤٩.

(٥) الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ٤٣-٤٤.

(٦) انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ١/ ١٨.

المبحث الثاني: أبرز بطاركة الكنيسة، وجهودهم تجاه كنيستهم

تُعدُّ الكنيسة القبطية من الكنائس القديمة، وتشير أغلب المصادر التاريخية إلى أن دخول النصرانية إلى مصر كان في عام (٥٥م)، على يد مرقس الرسول[١]، وهو ما تؤكده المصادر القبطية[٢].

ولما كانت الكنيسة القبطية تعتمد في تشريعها وعقيدتها على بطاركة الكنيسة وباباواتها؛ فإن تاريخ أولئك البطاركة قد امتد مع الكنيسة منذ النشأة، وحتى وقتنا المعاصر.

ويذكر النصارى الأقباط أن عدد بطاركتهم (١١٨) بطريركاً، بداية من مرقس الرسول، ونهاية بالبابا تواضروس الثاني، بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية في الوقت الحالي[٣].

ومعلومٌ أن استقصاء هؤلاء البطاركة كلهم، وجمع كل ما يتعلق بتاريخهم، وجهودهم تجاه كنيستهم؛ مما يُطيل البحث، ويخرج به عن مقصوده[٤]، لذا رأيت أن أقتصر على أبرز البطاركة الذين تزعموا الكنيسة القبطية، وإبراز شيءٍ من الأثر الذي حصل في عهدهم تجاه الكنيسة وأتباعها[٥].

ومما ينبغي أن يشار إليه قبل عرض أولئك البطاركة؛ أني في استخلاصي لتلك الشخصيات، اعتمدتُ في الاختيار على من كان له أثر بارزٌ تجاه الكنيسة، أو أن الكنيسة مرّت بحدثٍ معيَّنٍ في عصره، دون التأثيرات الاعتيادية، التي غالباً ما تواكب أكثر أزمنة البطاركة.

---

(١) انظر: قصة الدين والنبوة في مصر قبل الإسلام: ٢٧٤، المختصر في تاريخ مصر: ٩٥، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ١٣، الأقباط النشأة والصراع: ٢٨، من القبطية إلى الإسلام: ٢٠، تاريخ الكنيسة القبطية لباتريك: ١٢، مصر والعرب عبر التاريخ: ٢١، الفتنة الطائفية في مصر: ٣٩، تاريخ مصر إلى الفتح العثماني: ١٤٩.

(٢) تاريخ البطاركة: ٦-١٢، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٤٣-٤٨، تاريخ الأمة القبطية: ٢٢-٢٣.

(٣) انظر: مُرْفقاتُ البحثِ؛ المُرفق رقم: ١٧.

(٤) علماً بأني ألحقتُ بالرسالة جدولاً مختصراً لجميع بطاركة الأقباط، وتواريخهم.

(٥) وكان لازم ذلك؛ استقراء سير هؤلاء البطاركة جميعاً، ثم استخلاص أبرزهم - حسب الاجتهاد - وأحياناً أضطر إلى قراءة ما استُخلص، ثم أستخلص منه الأبرز.

١. مار مرقس الرسول: (البطريرك الأول)

اسمه الحقيقي يوحنا، ويلقب بمرقس أو مار مرقس، وهو أحد أصحاب الأناجيل الأربعة، لم يكن من التلاميذ الاثني عشر، ويُجمع النصارى الأقباط على أنه من أدخل النصرانية لمصر.

كانت ولادته بإقليم خمس المدن الغربية، على حدود مصر الغربية، وسكن أورشليم وقت ظهور المسيح عليه السلام، وكان ينتمي لعائلة يهودية.

وتذكر المصادر القبطية أن المسيح عليه السلام كان يتردد على بيت مرقس، وكذا الرسل والتلاميذ بعده عليه السلام.

وقد جاء إلى مصر في منتصف القرن الأول، وأخذ يدعو فيها ويبشّر بالنصرانية، وعلى الأخص بالإسكندرية، وقد أسَّس أول مدرسة لاهوتيةٍ في الإسكندرية.

ويُذكر أن عدد النصارى ازداد في مصر بعد دعوة مرقس مما أغاظ الرومان، وأخافهم على ملكهم، فقبضوا على مرقس، وربطوه بحبلٍ، وطافوا به في أرجاء المدينة حتى مات، وكان ذلك عام (٦٨م)[١].

٢. ديمتريوس الكرام (البطريرك الثاني عشر)

كان فلاحاً عاميّاً، ولم يكن يجيد من العلم سوى القراءة والكتابة البسيطة، وتم اختياره للبطركة وعمره (٦٣) سنة، وتذكر المصادر القبطية أن يوليانوس البطريرك الحادي عشر، عندما حضرته الوفاة، قال لمن حوله: (إن الذي يدخل اليوم بعنقود من عنب هو البطريرك من بعدي) بناءً على رؤيا يزعُمُ أن الله قد ظهر له فيها، فكان الذي دخل ديمتريوس، فرُسم بطريركاً للكنيسة القبطية، وكان رافضاً لذلك، إلا أنه أُلزم بها إلزاماً.

---

(١) انظر: تاريخ البطاركة: ٦-١٢، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٤٣-٤٨، تاريخ الأمة القبطية: ٢٢-٢٣، تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ١١-١٣، تاريخ الكنيسة القبطية لباتريك: ١٨، الأقباط النشأة والصراع: ٢٨ وما بعدها.

ومما يُشار إليه في هذا البطريرك أنه كان متزوجاً! مع العلم بأن البطاركة قبله كانوا بتولين لا يتزوجون، ولم يكُن جائزاً في نظام الكهنوت أن يتزوج البطريرك، فهو أول بطريرك يتزوج، ولذا فإن بعض أتباعه لم يقبل منه دعوته، وهذا الأمر بلا شك يُعتبر مدخلاً فاضحاً على الكنيسة، ومناقضاً لأصولها الدينية التي يدّعيها أصحابها.

ويبرر النصارى الأقباط ذلك؛ بأن ديمتريوس مع زواجه إلا أنه كان بتولاً! أي لم يجامع زوجته يوماً، ويدللون على ذلك بأن ديمتريوس لما رأى من أتباعه الشكَّ نحوه؛ أراد أن يصنع أمراً خارقاً، يُظهِرُ من خلاله شيئاً من صدقه في دعواه، فدعاهم يوماً ثم أتى بزوجته، ووضع عليها وعلى ثوبها جمراً، فلم تتأثر ولم يتأثر ثوبها، كدليلٍ على صدقه!!

توفي ديمتريوس سنة (٢٣٢م)[١].

٣. ثاونا (البطريرك السادس عشر)

ويسمى (تاونا)، كان في الأصل كاهناً بالإسكندرية، مشهوراً بالعلم الديني، تولى منصب البطريركية بعد أن عزلَ النصارى الأقباطُ البطريركَ الذي قبله، وهو (ببنوده) وذلك لأنه خَصَى نفسه خوفاً على نفسه من الشهوات، فعُقد مجمع لذلك، وأقروا فيه حرمانه.

أبرزُ ما يُشار له في ثاونا أنه أول من بنى كنيسةً بالإسكندرية، وسماًها باسم كنيسة السيدة العذراء، وإلا فإن نصارى الأقباط قبل ذلك كانوا يؤدون طقوسهم وعباداتهم على وجه الخفية والتستر، في السراديب والمغارات خوفاً من القتل وسفك الدماء من الروم.

ويظهر أن ولاءه للرومان، وإحسان تعامله معهم، وأمْرُهُ لرعيته بأن يحسنوا التعامل مع القياصرة؛ كان له الأثر الأكبر في موافقة الرومان له على بناء كنيسة العذراء بالإسكندرية.

توفي عام (٣٠٠م)[٢].

---

(١) انظر: تاريخ البطاركة: ١٨-٢١، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ١٢٠-١٢١، تاريخ الأمة القبطية: ٢٤-٢٥، تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ١٨-١٩، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٦٩-٧٠، الأقباط النشأة والصراع: ٦١ وما بعدها.

(٢) انظر: تاريخ البطاركة: ٣٠-٣١، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ١٦٤، تاريخ الأمة القبطية: ٢٨، تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ٣٤، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٦٩-٧٠.

٤. بطرس الأول (البطريرك السابع عشر)

كان من تلاميذ المدرسة اللاهوتية، ثم ترقى بعد تخرجه منها، فأصبح مديراً لها، وكانت بداية ارتقائه للكرسي البطريركي في أثناء اضطهاد القيصر دقلديانوس، الذي يُعتبر من أشد الاضطهادات التي مرَّت بالكنيسة القبطية، كما تقدم.

وفي زمنه ظهر آريوس داعية التوحيد، الذي رفض ألوهية المسيح، فأخرجه بطرس من الكنيسة، وجرّده من كهنوته، وحرمه وأتباعه.

ومن المعالم البارزة في حياة هذا البطريرك؛ أن التاريخ القبطي الذي يؤرِّخ به نصارى الأقباط على مرِّ التاريخ؛ كان قد ابتدأ في عهده، بمناسبة اضطهاد دقلديانوس، وقيل: إن التاريخ اعتبر من عهد ثاونا وليس بطرس.

توفي عام (٣١١م)[1].

٥. أرشلاوس (البطريرك الثامن عشر)

ويُسمى في بعض المصادر القبطية «أشيلا»، ولد بالإسكندرية، وتميز عن أترابه بالتعلم، فصار رئيساً للمدرسة اللاهوتية.

أبرز ما يُثار في حياة هذا البطريرك؛ أنه أطلق سراح داعية التوحيد آريوس، ولذا فإن بعض مؤرخي النصارى الأقباط والمهتمين بتاريخ البطاركة، عندما يورد سيرة هذا البطريرك؛ يبين أنه خالف وصية الأب بطرس عندما حذره من آريوس، ولهذا لم يدم أرشلاوس طويلاً على الكرسي المرقسي، كنوع عقاب إلهي له[2].

ويحاول القس منسى يوحنا أن يبرر موقف البطريرك أرشلاوس من آريوس، بأنه

---

(١) انظر: تاريخ البطاركة: ٣٢-٣٥، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ١٦٥، تاريخ الأمة القبطية: ٢٦، تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ٣٦، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ١٠٦-١١٠.

(٢) مما يُثير الاستغراب، ويظهر جانب التعصب والبعد عن المنهجية العلمية لدى بعض مؤرخي النصارى الأقباط والمهتمين بسِيَرِ بطاركتهم؛ أنهم يوردون البطاركة بالتسلسل الرقمي، فإذا انتهوا من البطريرك السابع عشر انتقلوا مباشرةً إلى البطريرك التاسع عشر، لعلمهم بمَيلِ من البطريرك الثامن عشر لجانب آريوس. انظر على سبيل المثال: الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٢٠٦، تاريخ الأمة القبطية: ٢٨.

نوعٌ من إحسان الظن كان في غير محله[1]!

توفي عام (٣١٢م)[2].

٦. ألكسندروس الأول (البطريرك التاسع عشر)

ولد ألكسندروس بالإسكندرية، وسيم بها أسقفاً، ثم سيم بعد ذلك باباً للإسكندرية، كان يُلقَّبُ بأبي المساكين لحبه للفقراء والمساكين، كما كان يُلقبه الشعبُ بالقديس لتقواه، قالوا: ومن تقواه أنه إذا أراد أن يقرأ الكتاب المقدس، يقومُ واقفاً وأمامه الضوء، ولا يقرؤه وهو جالس.

كان مشهوراً بمحاربة التوحيد، داعياً إلى الإقرار بألوهية المسيح، لذا كان شديداً في تعامله مع آريوس، يقول القس منسى يوحنا: (أفضل ما اشتهر به هو غيرته الشديدة على حفظ الإيمان المستقيم[3]، ومحاربته للهراطقة[4]، ولاسيما الذين أنكروا لاهوت المسيح)[5].

ومما يُميز تاريخ هذا البطريرك؛ أنه عُقد في عهده أول مجمع مسكوني، وكان ذلك في عام (٣٢٥م)، وهو مجمع نيقية المشهور، وفيه لعنوا آريوسَ، وطردوهُ وأتباعه[6].

كما أنه في عهده تمَّ إقرار قانون الأمانة الذي تقوم عليه النصرانية، وقد تقدم نصّه.

توفي عام (٣٢٦م)، وقيل: (٣٢٨م)[7].

٧. تيموثاوس (البطريرك الثاني والعشرون)

كان يُلقّبُ بالفقير، لأنه وزع كل ماله على الفقراء، درس في مدرسة الإسكندرية

(١) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ١١١.

(٢) انظر: تاريخ البطاركة: ٣٦، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ١١٠-١١٢، الأقباط النشأة والصراع: ١٦٠.

(٣) أي القول بألوهية المسيح، والطبيعة الواحدة.

(٤) يعني دعاة التوحيد كآريوس.

(٥) تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ١١١.

(٦) انظر: الكامل في التاريخ: ١/ ٢٥٣، مقدمة ابن خلدون: ٢/ ١٧٦-١٧٧، الجواب الصحيح: ٤/ ٢١٥، هداية الحيارى: ١/ ١٧٣-١٧٤، من القبطية إلى الإسلام: ٢٣.

(٧) انظر: تاريخ البطاركة: ٣٦-٣٩، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٢٠٦، تاريخ الأمة القبطية: ٢٨، تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ٤٥-٤٦، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ١١١-١١٥، الأقباط النشأة والصراع: ١٦١ وما بعدها.

اللاهوتية وتخرج منها، كان ملازماً لأستاذه أثناسيوس، مدافعاً عن عقيدة التثليث وتأليه المسيح، محارباً لآريوس وأتباعه.

تمَّ رسمه بطريركاً في عام (٣٨٠م)، وفي عهده عُقد المجمع المسكوني الثاني بالقسطنطينية، وكان ذلك عام (٣٨١م)، على إثر مقولة مقدونيوس الذي أنكر ألوهية الروح القدس، وأثبتْ أنه مخلوق كغيره من المخلوقات، فحُرم مقدونيوس لمقولته هذه، وزيد في قانون الإيمان: (نؤمن بروح القدس ..).

و فيوقته اعتُبر كرسي الإسكندرية من الدرجة الثانية، وجُعل كرسي رومية في الدرجة الأولى.

توفي عام (٣٨٥م)[1].

٨. ثاؤفيلس (البطريرك الثالث والعشرون)

ولد ثاؤفيلس من أبوين نصرانيين، وتوفي والداه وهو طفلٌ فعاش يتيماً، وأخذه البابا أثناسيوس فكفله.

لما كَبُرَ سَلَكَ مسلك الرهبنة، فاختاره البابا أثناسيوس ليكون سكرتيراً[2] أو كاتباً له، فتعلم ثاؤفيلس من أستاذه البابا أثناسيوس الكثير من الرهبنة، وحفظ الكثير من الكتب، وكَتَبَ تفاسير عدة للكتاب المقدس، ولما هلك البابا أثناسيوس اختير بطريركاً للكنيسة القبطية.

من أعماله؛ بناءُ كنيسةٍ وسط الإسكندرية، سُميتْ باسم رافائيل، وكنيسة أخرى باسم يوحنا المعمدان.

وأبرز ما يشار إليه أنه قام بتحويل كثير من الأوثان والهياكل الوثنية إلى كنائس، بالإضافة إلى ترميم الكثير من الكنائس القديمة.

---

(١) انظر: تاريخ البطاركة: ٤٦-٤٩، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٢٠٦، تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ٦٣، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ١٤٣-١٤٤، الأقباط النشأة والصراع: ١٩٨-٢٠٠.

(٢) هكذا تذكر المصادر القبطية.

أيضاً؛ يُنسب إليه أنه أضاف إلى الكنيسة بعضَ القوانين التي لم تكن موجودة في السابق، منها أن الإكليروس - أي نظام الرهبنة ورجالها - يجب أن يختارهم الإكليروس أنفسهم عند تعيينهم، وأن يختبرهم الأسقف، وينتخبهم الشعب برضاء تام.

توفي عام (٤١٢م)[١].

٩. كيرلس الأول (البطريرك الرابع والعشرون)

هو ابن اخت ثاؤفيلس (البطريرك الثالث والعشرون)، وقد اعتنى بتربيته خاله ثاؤفيلس، فأدخله المدرسة اللاهوتية المرقسية بالإسكندرية، ثم أرسله إلى قديس يقال له: سرابامون، بوادي النطرون فتعلم منه، بعد ذلك استدعاه خاله ورسمه شماساً، فأصبح واعظاً بالكاتدرائية المرقسية بالإسكندرية.

وفي أيامه ظهرتْ مقولة نسطور، والتي يقول فيها بأن للمسيح أقنومين؛ لاهوتي وناسوتي، وأن السيدة مريم لم تلد الإله، وإنما ولدت الإنسان، فلا تُدعى والدةَ الإله، لأن المخلوقَ لا يلد الخالقَ، وإنما يلد مخلوقاً مثله.

ونتيجةً لذلك؛ حصل انشقاقٌ في الكنيسة، لأن أسقف أنطاكية انتصر لمقولة نسطور، فأمر الملك بعقد مجمع في أفسس، فعُقد مجمع أفسس الأول برئاسة البابا كيرلس، وكان ذلك عام (٤٣١م)، وفيه عُزل نسطور، وحكم عليه بالنفي.

وتذكر المصادر القبطية أن كيرلس هو أول من وضع قداس مرقس الرسول ومرادّه، كما أنه أول من أدرج القديس يوحنا ذهبي الفم في جدول القديسين المعظمين.

وفي الجملة؛ يعتبر البابا كيرلس رمزاً وعلماً من أعلام الكنيسة القبطية، كثيراً ما نجدها تتباهى به، وتُلقبه بعمود الدين.

توفي عام (٤٤٤م)، وقيل: (٤٣٥م)[٢].

---

(١) انظر: تاريخ البطاركة: ٤٩-٥٣، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٢٠٦، تاريخ الأمة القبطية: ٣٠، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ١٤٤-١٥١، الأقباط النشأة والصراع: ٢٠٠-٢٠٧.

(٢) انظر: تاريخ البطاركة: ٥٣-٥٦، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٢١١-٢١٣، تاريخ الأمة القبطية: ٣١-٣٢، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٢١٤-٢٢٥، الأقباط النشأة والصراع: ٢٤١-٢٤٤.

١٠. ديوسقورس (البابا الخامس والعشرون)

ولد ديوسقورس على الأرجح في عام (٣٨٦م)، بمدينة الإسكندرية، وتلقى دراسته اللاهوتية فيها، وكان يجيد اللغة اليونانية إلى جانب لغته القبطية.

عَمِلَ سكرتيراً للبابا كيرلس، ثم أصبح مديراً للمدرسة اللاهوتية، وفي عام (٤٤٤م) اختير بطريركاً.

وفي عهده عُقِد مجمع أفسس الثاني، عام (٤٤٩م) لمواجهة مقولة أوطاخي، الذي يقول باختلاط وامتزاج طبيعة اللاهوت بطبيعة الناسوت في المسيح، وصيرورتهما طبيعةً واحدةً، وقد تقدم الحديث عن ذلك[١].

أما الحدث الأبرز في تاريخه؛ فهو عقد مجمع خلقيدونية، في عام (٤٥١م)، والذي أُقرَّ فيه القول بالطبيعتين؛ الإلهية والبشرية، فلم يوافقهم ديوسقورس.

وعلى إثر هذا المجمع، حصل الانشقاق العظيم في الكنيسة، والذي قسم النصارى إلى خلقيدونيين، ولا خلقيدونيين، وبقيتْ آثاره إلى وقتنا المعاصر.

توفي عام (٤٥٧م)[٢].

١١. يوحنا الأول (البابا التاسع والعشرون)[٣]

ويُسمى يوأنس، ويُلقب بالراهب، رُسم بطريركاً في عام (٤٩٧م)، كان زمانه زمان اطمئنان وهدوء على الكنيسة القبطية بمصر، بخلاف باقي الدولة الرومانية التي كانت في قلاقل واضطراب.

---

(١) يُعبِّر بعضهم عن ذلك بقوله: (ابتلع اللاهوت الناسوت تماماً، كنقطة خلٍّ في المحيط). الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٢١٧.

(٢) انظر: تاريخ البطاركة: ٥٧-٦١، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٢١٦-٢١٩، تاريخ الأمة القبطية: ٣٢-٣٣، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٢٢٥ وما بعدها، الأقباط النشأة والصراع: ٢٤٥-٢٥١.

(٣) يخلطُ صاحب كتاب الخريدة النفيسة عند ذكر يوحنا، حيث يجعل يوحنا الثاني هو يوحنا الأول، فيجعل وفاة يوحنا الثاني في عام (٥٠٨م)، وهذا أحد الأقوال في تاريخ وفاة يوحنا الأول، ثم يجعل وفاة يوحنا الأول في عام (٤٩٦م)، وهو إنما تولى البطريركية في عام (٤٩٧م). انظر: الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٢٣٤، ٢٤٤.

تميَّز بأنه أول بطريرك أُخذ من الرهبان بدير أبي مقار، كما أنه قد انتشر في زمانه مرضٌ بمصر، يُقال: إنه داء الصرع.

توفي عام (٥٠٥م)[1].

١٢. ثيودوسيوس (البطريرك الثالث والثلاثون)

رُسم بطريركاً للإسكندرية عام (٥٣٦م)، وأبرز ما حدث لهذا البابا أن القيصر دعاه إلى القسطنطينية ليستميله إلى رأي الخلقيدونيين، فلما أبى نفاه، فقضى ثمانية وعشرين عاماً منفياً، هي معظم مدة بابويته.

وبعد نفيه كان القيصر يضع على البطريركية اثنين من البطاركة، أحدهما من الأرثوذكس (اللاخلقيدونيين)، والآخر من الملكيين (الخلقيدونيين)، وقد استمر وضع البطريركية القبطية بجعل اثنين عليها؛ أحدهما روميٌّ غيرُ مرغوب فيه من الشعب المصري، والآخر قبطي أرثوذكسي، هو المعتبر شرعاً عندهم، إلى أن جاء الفتح الإسلامي، فأُعطي الأقباط الأرثوذكس وحدهم البطريركية[2].

توفي عام (٥٦٨م)[3].

١٣. أنسطاسيوس (البطريرك السادس والثلاثون)

كان من رجال الإسكندرية الكبار، اختيرَ رئيساً على الديوان، ثم صار بعد ذلك قسّاً على كنيسة الثغر الإسكندري، ثم اختير بطريركاً، ويُعتبر عند النصارى الأقباط من أبرز المتقنين العارفين بقانون الأمانة الأرثوذكسي.

اهتم اهتماماً بالغاً بالكنائس، وتَذْكر المصادر القبطية بأنه استعاد من الملكيين ما قد اغتصبوه، واستطاع أن يُرجع الكثيرين منهم إلى الأرثوذكسية.

---

(١) انظر: تاريخ البطاركة: ٦٤-٦٥، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٢٤٥، تاريخ الأمة القبطية: ٣٣، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٢٦٦-٢٧٠، الأقباط النشأة والصراع: ٢٧٤-٢٧٥.

(٢) انظر: تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ١٠٩.

(٣) انظر: تاريخ البطاركة: ٦٨-٧٢، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٢٣٤، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٢٤٥-٢٤٦، الأقباط النشأة والصراع: ٢٥٢.

كان يكتب كل سنة كتاباً، حرصاً منه على نشر مذهبه وتثبيت أتباعه، ومما تفرد به في مؤلفاته؛ أنه كتب كتباً في العلوم اللاهوتية، ألّفها على طريقة الترتيب الحرفي في اللغة القبطية.

والحدث الأبرز في عهده؛ الغزو الفارسي على مصر، وكان ذلك عام (٦٠٣م).

توفي عام (٦١٤م)، وقيل: (٦١٦م)[١].

١٤. بنيامين الأول (البطريرك الثامن والثلاثون)

ولد في مريوط[٢] بمصر من عائلةٍ غنيةٍ، وتتلمذ على يد قديس يُسمّى ثاونا، وتم اختياره بطريركاً في عهد هرقل عام (٦٢٠م)، وكان الوالي على مصر المقوقس (ويُعرف بكيرش)، وقد سعى المقوقس لنشر مذهب يُخالف مذهب الأرثوذكس، مما جعل بنيامين يقف منه موقف المواجهة، ولما اشتد عليه الأمر؛ هرب إلى وادي النطرون.

ظلَّ أباً للنصارى الأقباط إلا أنه كان مختفياً، وكان له دورٌ كبيرٌ في تثبيت النصارى الأقباط على عقيدتهم الأرثوذكسية، وعدم الخضوع للملكانيين بقيادة المقوقس.

ولما جاء الفتح الإسلامي بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه، أذن له عمرو بالرجوع وأعطاه الأمان.

أدرك عهد عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان .

توفي عام (٦٥٩م)[٣].

---

(١) انظر: تاريخ البطاركة: ٧٦-٧٨، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٢٥٤، تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ١١٧-١١٨، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٢٨٧-٢٨٨، الأقباط النشأة والصراع: ٣٢٢.

(٢) مريوط قرية من قرى مصر الساحلية، قرب الإسكندرية. انظر: معجم البلدان: ٥/ ١١٩.

(٣) انظر: تاريخ البطاركة: ٨٠-٨٣، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٢٥٥، تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ١٢٠وما بعدها، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٢٩٠-٢٩١، الأقباط النشأة والصراع: ٣٢٣وما بعدها.

١٥ . أغاثون (البطريرك التاسع والثلاثون)

كان تلميذاً للبابا بنيامين وكاتباً له، ينتمي لأسرة ذات قَدْرٍ عند الأقباط، وكان كاهناً بالإسكندرية.

بعد هروب بنيامين؛ واظب أغاثون على تعليم أتباعه من الأرثوذكس خفيةً، فكان يطوف الشوارع والأسواق نهاراً في زيٍّ نجّار، وفي الليل يتزيَّا بزيّ الكهنة، ويطوف البيوت ليثبِّت أتباعه.

ولما توفي البابا بنيامين؛ اختاره النصارى الأقباط بطريركاً، ونالته شدائد كثيرة.

ومن جهوده تجاه النصارى الأقباط، أنه كان يشتري أتباعه الذين كانوا يُباعون أرقاء، خوفاً أن يتركوا الأرثوذكسية ويدخلوا في الإسلام.

أدرك عهد معاوية بن أبي سفيان.

توفي عام (٦٧٧م)، وقيل: (٦٨٠م)[١].

١٦ . سيمون الأول (البطريرك الثاني والأربعون)

كان سرياني المولد، مصري الموطن، وبعد حصوله على رتبة الشماسية؛ أرسله والده إلى البابا أغاثون، ثم أُرسل إلى دير الزجاج، ثم رُسِمَ قساً، ثم بطريركاً.

من أبرز ما يذكر في حياته فيما يتعلق بشعائر الكنيسة القبطية؛ أن قوماً من النصارى الأقباط طلَّقوا نساءهم وأخذوا غيرهن، وقد تقدم أن الطلاق محرمٌ عند الأرثوذكس[٢]، ولا يبيحونه إلا في حال الزنا، فوقف الأساقفة - وعلى رأسهم سيمون - من هؤلاء القوم موقف المعاداة، مما جعلهم - المُطلِّقين - يلجؤون إلى الحاكم في زمانهم، وهو عبد الملك بن مروان.

---

(١) انظر: تاريخ البطاركة: ٨٣-٨٤، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٢٥٩، تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ١٣٤، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٢٩١-٢٩٢، الأقباط النشأة والصراع: ٣٣١.

(٢) عند الحديث عن فرق النصارى الحديثة.

وقد انتهى الأمر بالأساقفة أن تهددوا أولئك بقطعهم من الكنيسة، إن لم يتركوا النساء الجدد، أي يُطلقوهن.

توفي عام (٧٠٠م)[١].

١٧ . يوحنا الرابع (البطريرك الثامن والأربعون)

كان تلميذاً للبابا ميخائيل، وترهبن في دير يُقال له: دير أبي مقار، وتمَّ اختياره للبطريركية بالقرعة، حيث يذكر النصارى الأقباط أن القرعة ظهرتْ له ثلاث مرات.

من أبرز ما يُشار إليه في حياته، أنه رمم الكثير من الكنائس، كما يذكر الأقباط أنه بنى كنيسةً من ماله الخاص[٢]، سمَّاها فيما بعد بكنيسة التوبة، ومن أعماله أيضاً؛ أنه سعى للاتحاد مع السريان.

وفي عهده نزل بلاء وقحط ومجاعة عظيمة، فكان يُنفق على الفقراء.

أدرك عهد هارون الرشيد.

توفي عام (٧٩٩م)[٣].

١٨ . شنودة الأول (البطريرك الخامس والخمسون)

التحق في شبابه بدير أبي مقار، وكان يوصف عند النصارى الأقباط بالعالِم الحكيم.

ظهر في زمانه العديدُ من الانشقاقات عن المذهب الأرثوذكسي الذي يدين به النصارى الأقباط، فكان يُواجه تلك الانشقاقات ويُناقش أصحابها، ومن ذلك: أن بعض أهالي مريوط عادوا إلى قول أوطاخي السابق، فعمد إليهم وناقشهم، ثم ظهر آخرون يقولون بقول سابليوس أن الإله تألم في الصلب، فبادرهم بالمناقشة، وتذكر المصادر

---

(١) انظر: تاريخ البطاركة: ٨٧-٨٩، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٢٦٠-٢٦٢، تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ١٣٧، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٢٩٧-٣٠١، الأقباط النشأة والصراع: ٣٣٤-٣٣٦.

(٢) تستبعد المؤرخة الإنجليزية لويزا بوتشر هذا الأمر، لأنه كان فقيراً. انظر: تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ١٥٥.

(٣) انظر: تاريخ البطاركة: ١٠٧-١١٠، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٢٧٥-٢٧٦، تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ١٥٤-١٥٥، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٣٢٥-٣٢٧، الأقباط النشأة والصراع: ٣٧١-٣٧٢.

القبطية أنه ردَّ أكثرهم إلى الأرثوذكسية.

أدرك عهد المتوكل، والمنتصر، والمستعين، وأحمد بن طولون.

توفي عام (٨٨٠م)[١].

١٩ . إبرام بن زرعة (البطريرك الثاني والستون)

كان إبرام تاجراً غنياً، ويذكر النصارى الأقباط أنه كان يُنفق على الفقراء والمساكين.

أبرز ما يُشار إليه في عهده، أن الكنيسة القبطية فرضتْ في زمانه (صومَ يونان)، وهو صومٌ عند السريان، يصومون فيه أربعين يوماً، ثم زاد إبرام ثلاثة أيام، فصار صومهم ثلاثة وأربعين يوماً[٢].

أدرك إبرام عهد المعز لدين الله الفاطمي.

توفي عام (٩٧٨م)، وقيل: (٩٨٠م)[٣].

٢٠ . خريسطوذولوس (البطريرك السادس والستون)

كان راهباً بصومعة، ويُلقب بالحبيس، وفي عهده نُقل كرسي البطريركية من الإسكندرية إلى القاهرة.

ومن أعماله؛ أنه أول بابا إسكندري يزور الحبشة.

وأبرز أثرٍ له على الكنيسة القبطية أنه شرَّع عدداً من القوانين التي لم تكن موجودة من قبل، من ذلك:

---

(١) انظر: تاريخ البطاركة: ١٤١-١٤٣، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٢٨٥، تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ١٧٢وما بعدها، تاريخ الأمة القبطية: ٤٨، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٣٥٦-٣٦٠، الأقباط النشأة والصراع: ٣٨٢-٣٨٣.

(٢) يُعلل النصارى الأقباط هذا الصوم، بأنه كان موافقةً لمعجزةٍ تحرك جبل المقطم، عندما طَلَبَ إبرام منه أن يتحرك. انظر: الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٢٩٧.

(٣) انظر: تاريخ البطاركة: ١٥٧-١٦٣، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٢٩٧، تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ١٨٥، تاريخ الأمة القبطية: ٤٩، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٣٧٥-٣٧٨، الأقباط النشأة والصراع: ٣٩٠.

أ- لا يجوز دخول الكنيسة للرجال إلا وهم كاشفو الرأس

ب- لا يجوز تعميد ذكر وأنثى في وقت واحد.

ت- لا يجوز أن يتكلم أحدٌ إطلاقاً أثناء الصلوات أو عند قراءة الكتب المقدسة.

ث- لا يجوز أن تتكلم المرأة مطلقاً في الكنيسة، ولا يختلطن بالرجال[1].

أدرك عهد المستنصر.

توفي عام (١٠٧٧م)، وقيل: (١٠٧٨م)[2].

٢١. كيرلس الثالث (البطريرك الخامس والسبعون)

اُشتُهر بابن لقلق، ولد بالفيوم، وكان والده قريباً من السلطة، ويُعتبر كيرلس الثالث محلَّ نقدٍ من النصارى الأقباط، فإن كثيراً من مؤرخي النصارى الأقباط يتهمه بحب الرئاسة وجمع المال، بل واتهموه بأخذ الرشوة من أساقفة كان قد رسمهم، ووصل الأمر عند بعضهم أن يسميه بالمرذول[3].

ويذكرون بأنه كان يطمع كثيراً في الحصول على البطريركية، وأنه أخذها رغماً عن الشعب، وبعد أن حصل عليها؛ جعل الاستبداد شعاره، حتى سخط عليه أتباعه.

وله قوانين تُنسب إليه في تنظيم الكنيسة، والأحوال الشخصية، من أبرزها: نهيُ القضاةِ النصارى عن قبول أي هدية، وعدم قبول الشكاوى ضد الرهبان ورجال الإكليروس بلا تحقيق.

توفي عام (١٢٤٣م)[4].

---

(١) وقوانينه التي وضعها تزيد على (٢٠) قانوناً. انظرها في: تاريخ البطاركة: ١٨٧-١٩٠.

(٢) انظر: تاريخ البطاركة: ١٨٦ وما بعدها، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٣١٣، تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ١٩٨-٢٠٠، تاريخ الأمة القبطية: ٥١، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٣٨٩-٣٩٢، الأقباط النشأة والصراع: ٤٠٠.

(٣) انظر: تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ٢٣٧.

(٤) انظر: تاريخ البطاركة: ٢٥٤-٢٧١، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٣٤٠-٣٤١، تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ٢٣٧وما بعدها، تاريخ الأمة القبطية: ٥٢-٥٣، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٤٢١-٤٢٧، الأقباط النشأة والصراع: ٤٢٦-٤٢٧.

٢٢. يوحنا الثامن (البطريرك الثمانون)

ولد بالمنيا[(١)]، وترهب بدير برسوم العريان شمال حلوان[(٢)]، ثم صار رئيساً له، وفي عصره حصل تمرد من النصارى الأقباط على القانون العام المطبّق عليهم من قبل الحاكم الظاهر بيبرس، حيث إنهم أُلزموا بعدم ركوب الخيل، وبأن يلبسوا العمائم السوداء، لكنهم تمردوا، فما كان من الحاكم إلا أن عاقبهم على عدم رضوخهم، فأُرغموا على لبس العمامة والحزام الأزرق، وكان البطريرك يوحنا يوجه أتباعه بالتزام ذلك.

توفي عام (١٣٢٠م)[(٣)].

٢٣. متاؤس الأول (البطريرك السابع والثمانون)

كان راعياً للغنم بالصعيد، وتذكر عنه مصادر الأقباط أنه كان شجاعاً مهيباً، وكان صاحب تبتل وعباده، ومع ذلك تكاد تجمع المصادر التي تذكر سيرته على ذكر قصة غرامية كانت بينه وبين امرأة!

ولنبوغه؛ اختير في سلك الإكليروس وهو لا يزال شاباً، وكانت العادة جارية على عدم أخذ من كان في مثل سنه.

ومن خلال القصص التي يذكرها مؤرخو الأقباط؛ يظهر جلياً مدى تقديسهم لهذا البطريرك، وإعجابهم بما كان عليه، وينقلون عنه حكايات هي أقرب للخيال منها للحقيقة.

توفي عام (١٤٠٩م)[(٤)].

---

(١) المنيا: مدينة من مدن صعيد مصر، وهي عاصمة محافظة المنيا. انظر: الموقع الرسمي لمحافظة المنيا على الشبكة العنكبوتية: http: //www.minia.gov.eg

(٢) قرية من أعمال مصر، بينها وبين الفسطاط نحو فرسخين من جهة الصعيد، مشرفة على النيل، وكان أول من اختطها عبد العزيز بن مروان لما ولي مصر. انظر: معجم البلدان: ٢/ ٢٩٣.

(٣) انظر: تاريخ البطاركة: ٢٧٤، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٣٥٩، تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ٢٥٩-٢٦١، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٤٤١، الأقباط النشأة والصراع: ٤٣٩.

(٤) انظر: تاريخ البطاركة: ٢٧٧-٢٩١، تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ٢٣٧وما بعدها، تاريخ الأمة القبطية: ٥٢-٥٣، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٤٢١-٤٢٧.

٢٤. مرقس الخامس (البطريرك الثامن والتسعون)

ولد بأسيوط، وكان يعمل في الأصل في قياس المساحات، لكنه أحب الرهبنة فتوجه إليها.

وأبرز ما يُشار إليه في عهده؛ حصول انقسام في صفوف النصارى الأقباط، حيث إن أهالي الوجه البحري من النصارى الأقباط مالوا إلى تعدد الزوجات، وإلى القول بالطلاق، وهو ما تحرمه شريعة النصارى الأقباط، ونتيجةً لذلك، ولعدم رغبتهم في متابعة الكنيسة الأم؛ انتخبوا بطريركاً مستقلاً لهم، فغضب أقباط القاهرة، وحصل انقسام في أقباط مصر، وقد سعى البطريرك مرقس لحلّ تلك المشكلة ومعالجتها، ولكنه لم يستطع.

توفي عام (١٦١٣م)، وقيل: (١٦١٩م)[1].

٢٥. يوحنا السادس عشر (البطريرك الثالث بعد المئة)

اسمه إبراهيم، اشتغل بالصيرفة زمناً، ثم قرر ترك وظيفته والتوجه لأحد الأديرة، وبعد فترةٍ رُسم قسيساً، ثم اختير للبطركة.

من أبرز ما يُذكر في عهده؛ أن الكاثوليك قاموا بإرسالياتٍ تبشيرية بمذهبهم الكاثوليكي للنصارى الأقباط الأرثوذكس، فاستوطنوا مصر، واستطاعوا أن يستميلوا عدداً من أقباط مصر، لكن البابا شكا إلى الحاكم الأمرَ، فوجَّه الحاكمُ بتعميد البطريرك القبطي مسؤولاً عن الرعايا النصارى بمصر، وهو صاحب الحق في التوجيه دون غيره.

توفي عام (١٧١٨م)[2].

---

(١) انظر: تاريخ البطاركة: ٢٩٥-٢٩٦، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٣٨٠، تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ٢٣٧وما بعدها، تاريخ الأمة القبطية: ٥٧، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٤٦٧-٤٦٨.

(٢) انظر: تاريخ البطاركة: ٣٠٠، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٣٨٤، تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ٢٩٠-٢٩٢، تاريخ الأمة القبطية: ٥٧، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٤٧٠-٤٧١.

٢٦. مرقس الثامن (البطريرك الثامن بعد المئة)

ولد في بلدةٍ يُقال لها: طما، في سوهاج[١]، وتربى في دير أنطونيوس، فتلقى تعاليم النسك والزهد ومال إليها، ثم لازم البابا يوحنا الثامن عشر، وسيمَ بطريركاً في كنيسة العذراء بحارة الروم.

وأبرز الأحداث التي كانت في عصره؛ دخول الفرنسيين لمصر، كما تقدم.

توفي عام (١٨١٠م)[٢].

٢٧. كيرلس الرابع (البطريرك العاشر بعد المئة)

اسمه داود بن توماس، كان ملماً باللغتين العربية والقبطية، احتك بالعرب فتعلم منهم الفروسية وركوب الخيل، حتى أصبح ماهراً فيها، ولما بلغ الثانية والعشرين من عمره مال إلى الرهبنة، فقصد دير الأنبا أنطونيوس، ومازال كذلك حتى ترقّى، فأصبح رئيساً للدير.

من أبرز جهوده تجاه كنيسته؛ أن خلافاً نشب بين الأحباش ومطرانهم، فأرسله البطريركُ ليَحلّ الخلاف، ففعل.

ومن أهم أعماله؛ أنه أنشأ المدرسة الكبرى الباقية إلى وقتنا الحاضر، وأنفق عليها (٦٠٠) ألف قرش، وكان ذلك سنة (١٨٦٥م)، ثم جعل تعليمها بالمجان لكل النصارى الأقباط، وأحضر لها عدداً من الأساتذة، لتعليم عددٍ من اللغات، كالعربية، والقبطية، والتركية، والفرنسية، والإنجليزية.

ثم أنشأ مدرسةً أخرى للبنات، وهي أول مدرسة تُنشأ على الطراز الحديث في مصر بعد الفتح الإسلامي.

---

(١) محافظة تقع جنوب مصر. انظر: موقع محافظة سوهاج على الشبكة العنكبوتية:
http: //www.sohag.gov.eg

(٢) انظر: الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٣٩٠، تاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ٣١٠-٣١١، تاريخ الأمة القبطية: ٥٧، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٤٨٠-٤٨٢، الأقباط النشأة والصراع: ٤٩٧-٤٩٨.

ومن حِرْصه أيضاً على تعليم أتباعه، ونشر مذهبهم؛ أنه اشترى مطبعة من أوروبا، وخصصها للدار البطريركية.

ومن أبرز ما يُشار له في حياته؛ أنه سعى جاهداً للتوفيق بين الكنيسة القبطية والكنيستين اليونانية والروسية الأرثوذكسيتين، إلا أنه هلك قبل أن يتحقق له ما أراد، ولهذا اشتهر عندهم بأبي الإصلاح.

توفي عام (١٨٦٢م)[١].

٢٨. كيرلس الخامس (البطريرك الثاني عشر بعد المئة)

اسمه حنا، ولد في بني سويف، وتعلم في الكُتّاب، وكان متميزاً بخطه الجميل، ولذا سُمي بحنا الناسخ، كان رئيساً لدير يُسمى براموس، ثم ترشح للبطريركية.

من الأحداث البارزة في عهده؛ إنشاء مجلسٍ ملّي يُشارك في إدارة الكنيسة، وتدبير شؤونها.

وقد حصل بينه وبين أعضاء المجلس الملي إشكال، فدَبَّ خلافٌ بين أعضائه، وتعطل المجلس، ثم أُعيد ثانيةً بأمر من الخديوي إسماعيل، فعُمل به فترةً، ثم عاد الخلاف فتعطل مرةً ثانية، ثم أُعيد للمرة الثالثة، فرفض كيرلس المشاركة فيه، فأصدر المجلس قراراً يقضي برفع يد كيرلس من رئاسته وتعيين بديلٍ له، فازداد الأمر سوءاً، وطلبَ المجلسُ من الحكومة إبعاد البطريرك فأُبعد، فحصلَ من ذلك نزاعٌ كبير بين النصارى الأقباط، وتعطلتْ جملةٌ من شرائعهم.

اضطر المجلس إلى إعادة كيرلس ثانيةً، ونتيجةً لتعدد الخلافات والمشاكل؛ حُلَّ المجلس الملي.

ومن الأعمال البارزة في عهده؛ إنشاء المدرسة الأكليريكية، ومدرسة أخرى كبرى بالإسكندرية، وفي عهده أيضاً؛ عُقد مؤتمر قبطي في أسيوط، لتقديم طلبات الأقباط للحكومة.

---

(١) انظر: الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٣٩٧-٣٩٩، تاريخ الأمة القبطية: ٦٣-٦٤، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٥٠٣-٥١٥، الأقباط النشأة والصراع: ٥٢٧-٥٣٠.

وفي الجملة؛ فقد عُرف بولائه لكنيسته ومذهبه، وتُعتبر مدة إقامته على الكرسي البابوي أطول مدة أقام فيها بطريرك قبطي، حيث بلغت خمسين سنة.

توفي عام (١٩٢٧م)[1].

٢٩. شنودة الثالث (البطريرك السابع عشر بعد المئة)

اسمه نظير جيد روفائيل، ولد في محافظة سوهاج، في عام (١٩٢٣م)، حصل على الشهادة الجامعية بتخصص التاريخ، ثم على دبلوم في اللاهوت من الكلية الإكليركية ودرَّس بها، ثم سيمَ راهباً بدير السريان في عام (١٩٤٧م) باسم أنطونيوس السرياني، ثم اختير سكرتيراً للبابا كيرلس السادس في عام (١٩٥٩م)، ثم أسقفاً للتعليم في عام (١٩٦٣م)، ثم اختير بطريركاً للكنيسة القبطية في عام (١٩٧١م)، باسم شنودة الثالث.

وكان قبل أن يُختار للبطريركية قد تغرب في البرية، وسكن في الصحراء في بعض المغارات، كما تذكر ذلك المصادر القبطية.

وهو أول بطريرك يحمل شهادةً جامعية، وله العديد من المؤلفات تزيد عن (٢٠٠) كتاب تقريباً، وتتبنى مكتبة المحبة بالقاهرة في الوقت الحالي نشرها.

كَثُرَتْ في وقته كنائس أقباط المهجر، وكان يزورها بين الفينة والأخرى.

أصبحت الكنيسة المصرية في عهده عضواً في مجلس الكنائس العالمي، ومجلس كنائس الشرق الأوسط، ومجلس كنائس كل إفريقيا، وبُنِيَ في عهده أكثر من (١٢٠) كنيسة.

في عام (١٩٨١م) صدر قرار جمهوري على يد أنور السادات بإلغاء تعيينه بطريركاً، ولما جاء الرئيس الحالي حسني مبارك أعاده لكرسيه، وكان ذلك في عام (١٩٨٥م).

---

(١) انظر: الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٤٠٠، تاريخ الأمة القبطية: ٦٨-٦٩، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٥١٦، الأقباط النشأة والصراع: ٥٣١وما بعدها.

في عام (١٩٨٩م) قام بجولة عالمية، التقى فيها بالرئيس الأمريكي، وافتتح جلسة الكونجرس الأمريكي.

توفي عام (٢٠١٢ م) وخلفه البابا الحالي تواضروس الثاني.

والله أعلم.

الباب الثاني

العقائد والشعائر القبطية

ويحتوي على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: عقائد النصارى الأقباط، ومناقشتها.

الفصل الثاني: شعائر وعادات النصارى الأقباط.

الفصل الثالث: الفروق العقدية والطقسية بين النصارى الأقباط والطوائف النصرانية الأخرى.

الفصل الأول: عقائد النصارى الأقباط، ومناقشتها

ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عقيدتهم في الإله والتثليث، ومناقشتها.

المبحث الثاني: عقيدتهم في الصلب والفداء، ومناقشتها.

المبحث الثالث: عقيدتهم في البعث واليوم الآخر، ومناقشتها.

الفصل الأول: عقائد النصارى الأقباط، ومناقشتها

كلُّ بناءٍ ماديٍّ أو معنويٍّ لابد له من أساسٍ يقوم عليه، وبناءُ الإنسان وتركيبته لا بد لها من عقيدةٍ تحتويها، فالعقيدة - أيّاً كانت هذه العقيدة - تُعدُّ ضرورة من ضروريات الإنسان التي لا غنى له عنها، لأن الإنسان بحسب فطرته يميل إلى اللجوء إلى قوةٍ عليا، يعتقد فيها القوةَ الخارقةَ، والسيطرة الكاملة عليه وعلى المخلوقات من حوله.

وهذا الاعتقاد يحقق له الميل الفطري للتدين ويُشبع نزعته تلك، ولما كان الأمر كذلك؛ جاء الإسلامُ بناءً متكاملاً، يشمل جوانب حياة المسلم منذ ولادته وحتى مماته، وهذا البناء الشامخ يقوم على أساس متين هو العقيدة الإسلامية التي تتخذ من وحدانية الخالق منطلقاً لها، يقول تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

ولأهمية جوانب العقيدة وكونها أساساً في التمايز بين الأديان؛ جاء الولاء والبراء مبنياً عليها، وصار ركناً من أركان العقيدة الصحيحة، وشرطاً من شروط الإيمان، قال تعالى: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [المائدة: ٨٠ - ٨١].

وفي الحديث عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: ((ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار))[1].

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لأبي ذر: ((أيُّ عرى الإيمان - أظنه قال - أوثق؟)) قال: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: ((الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله))[2].

---

(١) أخرجه البخاري: ١/ ١٤ رقم١٦، ٦/ ٢٥٤٦ رقم٦٥٤٢، مسلم: ١/ ٦٦ رقم٤٣.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير: ١١/ ١٥ رقم١١٥٦٢، وصححه السيوطي في الجامع الصغير: ١/ ٢٣٨ رقم٢٧٧٨، وحسنه الألباني في الصحيحة: ٤/ ٣٠٦ رقم١٧٢٨.

ومعلومٌ أن المسيحية الحقَّة التي جاء بها عيسى عليه السلام كانت على التوحيد الخالص، كما أخبر الله تعالى عنه في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧]، ولما دَخَل التحريفُ عليها؛ انتهى بها الأمرُ إلى الشرك بالله، والقول بالتثليث، وأصبح شعاراً مميزاً لها، وحُرِّف أكثر ما جاء به عيسى عليه السلام.

ويُعتبر قانون الأمانة الذي أُقرّ في مجمع نيقية أصل عقيدتهم المحرّفة، والذي اشتمل على عقيدة التثليث، والصلب والفداء، والقيامة وحياة الناس القادمة، ونَصُّه: (نؤمن بإله واحد آبٍ، ضابط الكل، خالق كل ما يُرى وما لا يُرى، وبربٍ واحدٍ، يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، مولود من الآب، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء ما في السماء وما على الأرض، الذي لأجلنا نحن البشر، ولأجل خلاصنا نزل وتجسد وتأنّس وتألّم، وقام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وسيجيء ليدين الأحياء والأموات)[1].

والنصارى بجميع فرقهم يؤمنون بهذا القانون، ويعتبرونه أساساً لعقيدتهم، مع تباينٍ واختلافٍ يسير في مفرداته وصياغته، وقد وضع مجمع أفسس - كما تقدم - مقدمةً لهذا القانون، ونصُّها: (نعظِّمك يا أم النور الحقيقي، ونمجّدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله، لأنك ولدت مخلص العالم، أتى وخلص نفوسنا، المجد لكَ يا سيدنا وملكنا المسيح، فخر الرسل، إكليل الشهداء، تهليل الصديقين، ثبات الكنائس، غافر الخطايا، نُكرِّز ونبشِّرُ بالثالوث المقدسِ لاهوتٌ واحد، نسجد له ونمجده، يا ربِّ ارحم، يا ربِّ ارحم، يا ربِّ بارك آمين)[2].

(١) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ١٩٦، الأرثوذكسية قانون إيمان لكل العصور: ٢٤، التثليث والتوحيد: ٧.

(٢) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٢٥٦، الأقباط النشأة والصراع: ٢٤٢.

وفي هذا الفصل سأتناول عقيدة النصارى الأقباط في التثليث، والصلب والفداء، واليوم الآخر، مُتْبِعاً ذلك بالمناقشةِ لكل واحدةٍ من هذه العقائد، والله وحده هو المستعان.

المبحث الأول: عقيدتهم في الإله والتثليث، ومناقشتها

جاءت الأديان السماوية كلها مؤكِّدةً على توحيد الله وإفراده بالعبادة، والكفر بما سواه سبحانه، وهذا لُبُّ دعوة الأنبياء والرسل، ويتفاوت الناسُ في قبول دعوة الأنبياء والاستجابة لأمرهم؛ فمنهم من يُؤمن بما جاؤوا به، متَّبعاً أمر ربه، ثم فطرَته التي فطرهُ اللهُ عليها، ومنهم من يميلُ عن ذلك ويحيد، يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل: ٣٦].

وفي الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما من مولودٍ إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمةُ بهيمةً جمعاء، هل تُحسّون فيها من جدعاء؟ ثم يقول أبو هريرة: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: ٣٠]))[1].

ومن الأمم التي ضلَّتْ في توحيد الله وانحرفت عن رسالةِ نبيها؛ النصارى الضالون أصحابُ عقيدة التثليث.

وتُمثِّل عقيدة التثليثِ عند النصارى أساساً للنصرانية المحرّفة، التي تقوم على تأليه: الآب، والابن، والروح القدس.

والمسيحيةُ في أصلها ديانةٌ سماويةٌ، تشتمل على توحيد الله وإفراده بالعبادة، وهكذا كانت دعوةُ المسيح عليه السلام، كما بيَّن الله في كتابه - في الآيات المتقدمة -، وكذا أتباعُه من بعده من الحواريين وغيرهم كانوا على التوحيد، وبعد دخول الشرك في المسيحية؛ لم تنقطع دعوة التوحيد، بل لم تزل تظهر بين الفينة والأخرى، ومن ذلك دعوة الأبيونيين - نسبةً إلى رجلٍ يُدعى أبيون -، الذين نَشِطوا بعد عام (٧٠م)، ورَفَضَ معظمهم فكرةَ ألوهية المسيح، كما اعتبروا تعاليم بولس هرطقة محضة، ويؤمن الأبيونيون بإنجيلٍ خاصٍ بهم مدوَّنٍ باللغة الآرامية، يتضمن تفاصيل عقيدتهم، وظلت

(١) أخرجه البخاري: ٥/ ١٤٣ رقم١٢٧٠، مسلم: ١٣/ ١٢٧ رقم٤٨٠٣.

هذه الفرقة على هذا المعتقد إلى نهاية القرن الرابع الميلادي[1].

وأبرزُ وأعظمُ دعوةٍ للتوحيد في تاريخ النصرانية؛ دعوة آريوس أسقف الإسكندرية، ويَعْتَبِرُ النصارى آريوس وأتباعه من أشد الناس بدعةً وهرطقةً.

كان آريوس مُقراً بتوحيد الله، مُعتقداً بأن عيسى عليه السلام لم يكن أزلياً، ولا مولوداً من الآب، وكان لدعوته أثر، فقد استجاب لدعوته جمعٌ من النصارى إلا أنهم قلةٌ.

إذن فدعوة التوحيد كان لها صولةٌ بين الفينة والأخرى بعد المسيح عليه السلام، ثم ضُربتْ هذه الدعوة، واسْتُبْدِلَتْ بها لتثليث من خلال المجامع التي عُقدتْ بتأييدٍ من السلطة الحاكمة في وقتها.

فمن خلال مجمع نيقية (٣٢٥م) أُقرَّتْ عقيدة تأليه المسيح عليه السلام، وفي مجمع القسطنطينية (٣٨١م) أُقرَّتْ عقيدة تأليه الروح القدس، فاكتمل قانون الأمانة عندهم بتأليه: الآب والابن والروح القدس، وهو المراد بالتثليث.

هكذا تخلل الشرك ونفذ إلى المسيحية المحرّفة[2].

عقيدة النصارى الأقباط في الإله والتثليث:

أولاً: عقيدتهم في الإله:

يؤمن النصارى الأقباط بوجود الله، وأن وجوده - سبحانه وتعالى - أزلي، يقول فوزي جرجس: (الله من الأزل موجودٌ ناطقٌ حيٌّ، إن ذات الله لا يمكن أن توجد غير ناطقة وغير حيّة، لأن الوجود معناه أنه ذات ناطقة حية، إذ بدون ذلك ما كان سبحانه وتعالى يخلق الملائكة أرواحاً ناطقة حية، ولا الإنسان روحاً ناطقاً)[3]، ويقول مُفسراً لكلامه السابق: (الأقانيمُ الثلاثة متساويةٌ في الأزلية، بمعنى أنها وُجِدتْ في البدء الذي

(١) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ١٤/ ٣٩٨، الكنيسة أسرارها وطقوسها: ٨٧.
(٢) تقدم الحديثُ عن هذه المجامع بشيء من التفصيل، وإنما أردتُ هنا بيان التدرج الحاصل في دخول التثليث إلى النصرانية.
(٣) التثليث والتوحيد: ١٨.

ليس قبله بدء، ولم يسبق أحدهما الآخر.. وإنما الاعتقاد السليم هو أن الله من الأزل)[١].

ويقول البابا شنودة الثالث: (الوجود في كل مكان صفةٌ من صفات الله وحده)[٢].

ويقول الأنبا بيمن: (أول صفةٍ - لله - أنه واجب الوجود، بمعنى أن وجودَ الله واجبٌ ضروري، لتفسير الوجود.. الله أزليٌ أبديٌ)[٣].

ويقول القس بيشوي حلمي: (المنطق العقلي يُحتِّم ضرورةَ وجود الله، إذ إن العقل يثق في أنه لكل شيءٍ موجودٍ حولنا واجدٌ، ولكل شيءٍ مصنوعٍ صانعٌ)[٤]، ويقول أيضاً: الله سرمدي أزلي أبدي.. الله بلا بدايةٍ ولا نهاية، يختلف عن الإنسان، لم تكن له بداية في زمن، ولن تنتهي حياته مثل الإنسان.. عندما نتحدث عن الأبدية، نعجز أن نُكوِّنَ التصورَ السليم عن الأبدية، فالله يتجاوز الزمن بصورةٍ مطلقة، ولا يوجد بالنسبة له زمن، ولا جزء من الزمن[٥].

وعندما يُطلق النصارى الأقباط وجودَ الله فإنهم يريدون بذلك وجود ذاته في كل مكانٍ، لا أنه موجود بعلمه وقوته وقدرته وإحاطته فقط، بل هو موجود بذاته، أو - كما يُعبِّرون - بجوهره، إلا أنهم يرفضون مع ذلك اتحاده بباقي المخلوقات ومخالطته لهم.

يقول القس بيشوي حلمي: (إن حضور الله في كل مكان، يجب أن لا يؤخذ على أنه حضور بالقوة فقط، أو أنه حضور مختلط ومتحد بالعالم كما هو الحال في مذهب وحدة الوجود)[٦].

ويقول القمص ميخائيل مينا[٧]: حضور الله بذاته وجوهره في كل مكان، لا يُقصد

(١) التثليث والتوحيد: ١٨-١٩.

(٢) لاهوت المسيح: ٤١.

(٣) منهج ودروس التربية الكنسية: ٧٠-٧١.

(٤) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٧٠.

(٥) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٩٢بتصرف.

(٦) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٩٥.

(٧) ولد عام (١٨٨٣م)، ودرس بالكلية الإكليريكية وتخرج منها عام (١٩٠٢م)، كان واعظاً وراهباً، اختير مديراً لكلية الرهبان اللاهوتية، رُسم كاهناً عام (١٩٣٢م)، هلك عام (١٩٥٦م). انظر: قاموس التراجم القبطية: ٢٣٤-٢٣٥.

به ما قصده أصحاب مذهب الحلول، وهو الاعتقاد بأن الله حالٌّ في كل شيءٍ، وفي كل جزءٍ من كل شيءٍ، حتى صار يصحُّ أن يُطلق على كل شيءٍ أنه الله، فذلك باطلٌ[1].

ويقول الأنبا يوأنس: (الله وحده هو الذي يوجد في كل مكان، ولا يحدّه مكان، لأنه روحٌ غير محدود، وليس مادة)[2]، ولكنه في موضع آخر يُجيزُ حُلول الله في المخلوقات!! يقول: (حقيقةٌ أن الله غير محدود، لكنه يُمكن أن يَحُلّ في كل البشر، ويظلُّ هو الله غير المحدود)[3].

أيضاً؛ يؤمن النصارى الأقباط بأن من صفات الله: العلم المطلق والقدرة المطلقة، يقول الأنبا بيمن: (الله عالمٌ بكل شيءٍ.. قادرٌ على كل شيءٍ)[4].

ويقول القس بيشوي حلمي: (علمُ الله هو علمٌ كاملٌ غير مكتسب بل طبيعي، فهو العارف بذاته وصفاته وبكل شيءٍ، وهو علمٌ لا بداية له ولا نهاية.. وعلمه علمٌ دائمٌ حاضرٌ لا ماضٍ فيه ولا مستقبل، لأن كل الأشياء التي حدثت وستحدث إلى ما لا نهاية هي موضوعةٌ أمام عينيه منذ الأزل.. وهو العالم بكل شيءٍ في الكون علماً دقيقاً .. وهو العالم بالأفكار والنوايا والخفايا)[5].

ويقول الأب أنتوني: (الله ضابط الكل، القادر على كل شيءٍ، الذي سوف يسود في النهاية.. الله القادر على كل شيءٍ في الطبيعة.. «ضابط الكل» التي تُطلقُ على الله تعني بالتحديد أنه كلّي القدرة، له القدرة بلا حدود)[6].

ويقول الأنبا يوأنس: (معلومٌ أن الله وحده هو العالم بالخفايا والسرائر، إذن فالله وحده هو القادر على المعرفة الشاملة الفاحصة لأعماق الإنسان)[7].

---

(١) انظر: موسوعة علم اللاهوت: ١/ ٥٤ بتصرف.

(٢) عقيدة المسيحيين في المسيح: ٨٦.

(٣) إيماننا الأقدس: ٥١.

(٤) منهج ودروس التربية الكنسية: ٧١.

(٥) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٩٧-٩٨.

(٦) الأرثوذكسية قانون إيمان لكل العصور: ٦٨-٧١.

(٧) عقيدة المسيحيين في المسيح: ٩٢.

ويقول أيضاً: (ليس من يتصف بالقدرة على كل شيءٍ إلا الله القدير وحده)[1].

ثانياً: عقيدتهم في التثليث:

ما تقدم لا يستدعي - إجمالاً - الوقوف معه، وإنما الخلل والشركُ الأعظم الذي يقعون فيه، هو في إجابة: من هو اللهُ الذي يؤمن النصارى الأقباط بوجوده في كل مكان، العالم بالنوايا والخفايا وبكل شيءٍ، القادر على كل شيءٍ، المحيطُ بكل شيءٍ؟

إن النصارى الأقباط عندما يقولون «الله»، لا يريدون بذلك ما يعنيه أهل التوحيد، بل لهم مُرادٌ آخر يُناقض ما يدَّعونه من التوحيد.

يعتقدُ النصارى الأقباط (أن الله واحدٌ في ثلاثة أقانيم، هي: الآب، والابن، والروح القدس، وأن هؤلاء الأقانيم الإلهية هم طبيعةٌ واحدة، وذاتٌ واحدة، وجوهرٌ واحد بسيط، منزَّه عن التأليف والتركيب، وأن الأقانيم الثلاثة الذين في الله وإن اتحدوا جوهراً وطبعاً وذاتاً وصاروا واحداً؛ إلا أنهم ثلاثة لا واحد من حيث الأقنومية، فالآب ليس هو الابن، والروح القدس ليس هو الآب ولا الابن)[2].

يقول القس أشرف روفائيل: (فنحن النصارى[3] نعتقد أن الله الواحد ذو ثلاثة أقانيم أو صفات، وهم الآب والابن والروح القدس، وهذه الأقانيم ليست ثلاثة آلهة، بل [ثلاث][4] خواص ذاتية في الإله الواحد، لأن جوهرها واحد هو جوهر اللاهوت، فنعترف بوحدانية الله في ثلاثة أقانيم، والأقانيم الثلاثة تتميز بصفاتها، لكل منها صفةٌ ذاتيةٌ مع جوهر اللاهوت، فالجوهر الإلهي مرةً أخرى واحد والأقانيم ثلاثة)[5].

---

(١) عقيدة المسيحيين في المسيح: ١٠٩.

(٢) موسوعة تاريخ الأقباط: ١/ ٢٣٥، وانظر: إيماننا الأقدس: ١١٨-١١٩، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ١٠٧وما بعدها، الأرثوذكسية قانون إيمان لكل العصور: ٢٥-١٤٦، التثليث والتوحيد: ١٣-١٧، إيماننا المسيحي صادق وأكيد: ٤٢-٥٥، التوحيد والتثليث: ٢٤-٢٥، طبيعة المسيح: ٧، لاهوت المسيح: ٨ وما بعدها.

(٣) جرتْ عادة النصارى تسميةُ أنفسهم بالمسيحيين لا النصارى، ولكن بعضهم يقبل هذه التسمية زعماً منه بأنه كان مناصراً للمسيح عليه السلام. انظر: التفسير الكبير: ١١/ ١٤٩.

(٤) في الأصل: ثلاثة، وهو خطأ.

(٥) التوحيد والتثليث: ٢٤.

ويقول فوزي جرجس: (نعتقد أن الله ثلاثة أقانيم: (الآب والابن والروح القدس) وأن هذه الأقانيم الثلاثة ليست آلهة، بل إلهاً واحداً، لأن جوهرها واحدٌ هو جوهر اللاهوت)[1].

ومع إقرارهم بالأقانيم الثلاثة؛ إلا أنهم يدَّعون التوحيد، ويزعمون أنهم أهله وأساتذته الذين درّسوه ونشروه في العالم، يقول الأنبا يوأنس: (يقف الإنسان مندهشاً حينما يُرمى المسيحيون بالكفر والشرك، وهم الذين علَّموا العالم التوحيد، ويبدأون عبادتهم ويستفتحون صلواتهم قائلين: باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد)[2].

ويقول القس بيشوي حلمي: (نحن المسيحيون نعبد إلهاً واحداً لا شريك له، وقانون الإيمان الذي نردده جميعاً في كل صلواتنا منذ القديم، نردد في مطلعه: ((بالحقيقة نؤمن بإلهٍ واحدٍ..))، والعقل يرفض وجود أكثر من إله غير محدود وغير متناهٍ، فلا مجال لوجود إلهٍ آخر، والتاريخ يشهد أن آباء الكنيسة الأولين هم الذين علَّموا العالم أجمع التوحيدَ)[3]!!

ويقول القس أشرف روفائيل: (مشكلة الذين يتكلمون عن التثليث أنهم يفصلونه عن التوحيد، مع أن هذا مستحيل في إيماننا المسيحي، فالتثليث والتوحيد مرتَبِطَيْن ببعض ارتباطاً أزلياً أبدياً، بكينونة الله ذاته، بأزليته وأبديته)[4].

ويقول الأنبا بيمن: (فالله واحد لا شريك له، نحن لا نؤمن بثلاثة آلهة، بل نقول: باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد.. فالله جوهر واحد.. وليس معنى الآب والابن والروح القدس [أنهم][5] ثلاثة آلهة، بل أقانيم ثلاثة لجوهرٍ واحدٍ.. وجوهر الله هو المحبة)[6].

فهم يعتقدون أن الجوهر واحد وهو الله، أما الأقانيم فثلاثة:

١. الآب.

(١) التثليث والتوحيد: ١٢.

(٢) إيماننا الأقدس: ١١٨.

(٣) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ١٠٧.

(٤) التوحيد والتثليث: ٢٤.

(٥) في الأصل: أنهما.

(٦) منهج ودروس التربية الكنسية: ٦٩.

٢. الابن.

٣. الروح القدس.

وعندهم أن هذه الأقانيم الثلاثة عبارة عن خاصياتٍ أو صفاتٍ ذاتيةٍ لازمةٍ لقيام الذات الإلهية، وهي متساوية في الجوهر، ولا يصحُّ تفضيلُ أقنومٍ على آخر، كما أنها كلها أزلية، ليس أحدها أقدم من الآخر.

يقول ابن سبَّاع: (إن الباري تعالى ذكره ذاتٌ واحدةٌ، لا إله إلا هو وحده، لا نظير له، ولا مثيل له في الأزلية)[١].

ويقول القس بيشوي حلمي: (وينبغي أن تعلم أن الأقانيم الثلاثة ليست أجزاءً أو أقساماً في الجوهر الإلهي الواحد، لأن لله جوهراً بسيطاً لا يقبل التجزئة، أو التقسيم، وإنما الأقسام الثلاثة هي خاصيات أو صفات ذاتية لقيام الذات الإلهية)[٢]، ويقول أيضاً: (ليست هناك أفضلية بين الأقانيم، فالثلاثة متساوون في الجوهر، ولا ينبغي أن يتبادر إلى ذهن البعض أن أقنوماً أعظم من أقنوم)[٣].

و يقول القس أشرف روفائيل: (كما أن ثلاثة الأقانيم أزلية، فهي متساوية في الجوهر الإلهي الواحد، لا يوجد عظيمٌ أو أعظم أو الأعظم.. ليس بينهم أقنوم وُجِدَ قبل الآخر حاشا، وإلا لو قلنا بغير ذلك لوقعنا في حرجٍ وتناقضٍ وهرطقةٍ)[٤].

ويقول فوزي جرجس: (الأقانيم الثلاثة متساوية في الأزلية، بمعنى أنها وُجِدتْ في البدء الذي ليس قبله بدء، ولم يسبق أحدها الآخر.. الاعتقاد السليم هو أن الله من الأزل، ناطقٌ ونطقه مولودٌ منه، حيٌّ وروحه منبعثٌ منه: الأب أزلي ونطقه أزليٌّ، وروحه القدس أزلي)[٥].

(١) الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ٨.
(٢) إيماننا المسيحي صادق وأكيد: ٤٥.
(٣) إيماننا المسيحي صادق وأكيد: ٥٥-٥٦.
(٤) التوحيد والتثليث: ٢٦-٢٧.
(٥) التثليث والتوحيد: ١٨-١٩.

ويقول البابا شنودة الثالث: (الأقانيمُ المسيحيةُ متساوية في الأزلية، لا تختلف في الزمن)[1].

ويقول الأنبا يوأنس: الأقانيم الثلاثة متساوية في الذات الإلهية، وليس هناك ما يفيد أن [أقنوماً][2] أعظمُ من [أقنوم][3]، ولا يجب أن نفهم أن الآب أعظم من الابن والروح القدس[4].

ويستدلُ النصارى الأقباط على عقيدة التثليث بنصوص عديدة من الكتاب المقدس، منها:

أ - (الروح القدس يحلُّ عليك، وقوة العلي تظللك، فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يُدعى ابن الله)[5]، قالوا: قوة العلي يراد بها أقنوم الآب، والقدوس المولود يُراد به أقنوم الابن[6].

ب - (اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس)[7].

ج - (في البدء كان الكلمة، والكلمة عند الله، وكان الكلمة الله)[8]، وغيرها من الأدلة، أعرضتُ عنها بغية الاختصار، وهي مبثوثة في مظانها[9].

الأقانيم الثلاثة:

١. الآب:

الآب كلمةٌ سريانيةٌ، معناها الأصل، أو الوجود، أو الكيان الإلهي، وهي كلمة اصطلح نصارى العرب على اختصاصها بالله[10].

---

(١) سنوات مع أسئلة الناس «لاهوتية وعقائدية (أ)»: ٢١.

(٢) في الأصل: أقنوم.

(٣) في الأصل: أقنوماً.

(٤) إيماننا الأقدس: ١٤١ بتصرف.

(٥) لوقا: ١/ ٣٥.

(٦) انظر: إيماننا المسيحي صادق وأكيد: ٥٠.

(٧) متى: ٢٨/ ١٩.

(٨) يوحنا: ١/ ١.

(٩) انظر: إيماننا المسيحي صادق وأكيد: ٤٧ وما بعدها، التوحيد والتثليث: ٢٩ وما بعدها.

(١٠) انظر: بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ٦، معجم الإيمان المسيحي: ٢، التوحيد والتثليث: ٣٨، إيماننا الأقدس: ١٣٤.

والآب عندهم له خاصيَّة الوجود، وهو واجبُ الوجود، أي أنه لم يُوجَد من قوةٍ خارجةٍ عنه، ولا في زمانٍ دون زمان، وكل الموجودات تستمد الوجود منه، ولا يُفسَّر الوجود إلا به، وهو غير منتهٍ، فلا نهاية له ولا حدّ، ويصفونه بأنه روحاني غير ماديٍ ولا جسمانيٍ، وأنه لا يتغير[1].

يقول الأنبا بيمن: أولُ صفات الآب أنه واجب الوجود، بمعنى أن وجودَ الله واجبٌ ضروريٌ لتفسير الوجود، غير منتهٍ، أي غير محصور في مكان معينٍ لا نهاية له ولا حدود، روحانيٌ بسيطٌ، ليس مادياً ولا جسمانياً، ولكنه في ذاته روح وروحانيٌ، الله غير متغيرٍ، وهو أزليٌ أبديٌ، حاضرٌ في كل مكان، موجود في كل مكان، ولا يحصره مكان، عالمٌ بكل شيءٍ، قادرٌ على كل شيءٍ[2].

ويقول القس أشرف وليم: (فالله موجودٌ، وواجب الوجود، وبدونه لا يمكن تفسيرُ الوجود، وإذا لم تكن لله صفة الوجود يكون عدماً، وحاشا لله أن يكون كذلك، هذه الصفة الذاتية في الله التي تسمى بالآب)[3].

والآب عندهم مصدرُ الابن والروح القدس، فالابن مولودٌ منه، والروح القدس منبثقٌ منه[4] - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً -، ومع ذلك لم يكن وجود الآب قبل الابن ولا الروح القدس!

يقول ابن سبَّاع: (أقنوم الآب قائمٌ بذاته «لاهوته»، ناطق بالابن «السيد المسيح»، حيٌ بالروح القدس)[5].

وللآب عندهم أسماء أخرى غير الآب، منها: الحي، والحكيم، والإله الحقيقي،

---

(١) انظر: إيماننا المسيحي صادق وأكيد: ٤٦، إيماننا الأقدس: ١٣٤، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ١٠٨، التوحيد والتثليث: ٢٨، منهج ودروس التربية الكنسية: ٧٠-٧١.

(٢) منهج ودروس التربية الكنسية: ٧٠-٧١بتصرف.

(٣) التوحيد والتثليث: ٣٨.

(٤) انظر: التثليث والتوحيد: ١٥.

(٥) الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ٨.

وإله السلام، ورب السماء والأرض، ورب الجنود، وغيرها[١].

٢. الابن:

يعتقدُ النصارى الأقباط أن الأقنومَ الثاني أقنومَ الابن له خاصية العقل والمعرفة في كل الموجودات العاقلة منها وغير العاقلة، والابن عندهم هو الله من حيث أصل العقل والحكمة والمعرفة، وفي أقنوم الابن تَجَسّدَ اللهُ واتحدَ[٢]!!

ويدْعون الابنَ بالكلمة أو اللوجوس، وهي كلمة يونانية في أصلها تعني النطق[٣]، والمراد بالابن والكلمة هو المسيح عيسى عليه السلام، فهو عندهم أحد الأقانيم الثلاثة التي هي - في اعتقادهم - الله[٤]، والابن له ذاتُ صفاتِ الله وألقابه، وهو ربُّ الكون وخالقه ومدبره[٥].

ويؤكد البابا شنودة الثالث أن كلمة «الابن» الواردة في الكتاب المقدس لا تعني إلا المسيح، حيث يقول: وعبارة «الابن» في الكتاب كانت تعني المسيح وحده، والمسيحُ أكَّد على ذلك بأن جمع بين كلمتي «الابن» و«ابن الله» في فقرةٍ واحدةٍ من الكتاب المقدس، وذلك في قوله: (من له الابن فله الحياة، ومن ليس له ابن الله، فليست له حياة)[٦] وفيه دلالة على أنه كائنٌ واحدٌ[٧].

ويقول القس عبد المسيح بسيط: الوحي الإلهي أعلَن في العهدين القديم والجديد، أن المسيح هو الله ذاته، إله الكونِ، وربهُ، وخالقهُ، ومدبّرهُ، ومُقيمُهُ، وحافظهُ، ومحرِّكه، وواضعُ نواميسِهِ، والمسيحُ نفسُه سمَّى نفسَه بأسماء الله، ولقّب نفسه بألقابه، ونسب لنفسه صفاته، وقام بكل أعماله، وأكّد أن الآب يعمل بالابن ومن خلاله، وأن كل ما لله

(١) انظر: التثليث والتوحيد: ٤٥-٤٦.
(٢) انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ١٠٨، الإيمان بالمسيح: ١٦٩ وما بعدها.
(٣) انظر: معجم الإيمان المسيحي: ٣٩٩.
(٤) انظر: لاهوت المسيح: ٨-٩، التوحيد والتثليث: ١٠٨.
(٥) انظر: إيماننا المسيحي صادق وأكيد: ٤٦، عقيدة المسيحيين في المسيح: ١١٣-١١٤، الإيمان بالمسيح: ٢٥ وما بعدها.
(٦) يوحنا الأولى: ٥/ ١٢.
(٧) لاهوت المسيح: ٢٠-٢١ بتصرف.

الآب هو لله الابن المسيح، وأن الآب يظهر فيه وبه ومن خلاله، معلناً بهذا أنه الله الذي أتى من السماء[1].

ولما كانت عقيدة البنوّة مشكلةً من حيث الطبيعة والتسمية، إذ البنوة تستلزم الولادة (والداً ومولوداً)، وهذا يقضي مشابهة الخالق للمخلوق الضعيف، لما كان الأمر كذلك؛ حاول النصارى الأقباط الدفاع عن هذه العقيدة وتأكيد صحتها، فمن حيث الطبيعة؛ سعى النصارى الأقباط لتأكيد التمايز بين المخلوق والخالق في البنوة، يقول البابا شنودة الثالث: (بنوة المسيح للآب ليست بنوةً عاديةً.. فإن كانت بنوةً عاديةً، وكل الناس أبناء؛ ما الحاجة إذن لكل هذه المعجزات[2]؟)[3].

ويقول الأنبا يوأنس: (أخطأ البعض حينما فهموا أن بنوة المسيح لله الآب كبنوة الإنسان للإنسان، ومعنى ذلك أن الأمر يقتضي الزواج، ويتطلب الذكر والأنثى وشهوة الجنس، وحاشا لله من ذلك، والمسيحيون لا يقولون بذلك، وعندهم أن الله لم يلد ولم يولد كما يلد الإنسان، وبنوة المسيح لله هي كولادة النور من النور، وكولادة الفكر من العقل)[4].

يقول القس بيشوي حلمي: تختلف بنوة أقنوم الكلمة للآب اختلافاً جذرياً عن البنوة في عالم الإنسان والحيوان في الأمور التالية:

١. البنوة في عالم الإنسان بنوة ماديّة حسيّة جسديّة، وفي الثالوث القدوس بنوة روحيّة عقليّة.

٢. البنوة في عالم الإنسان تتطلب الزمان، أما في الثالوث القدوس فليست زمانيّة على الإطلاق.

٣. البنوة في عالم الإنسان تقتضي الانفصال بعد الولادة، أما في الثالوث القدوس فهي

(١) هل المسيح هو الله أم ابن الله؟ ١٠٨ بتصرفٍ يسيرٍ جداً.

(٢) يريد بالمعجزات: انفتاح السماء، وظهور الروح القدس على هيئة حمامة في وقتِ عماد المسيح، كما يعتقدون. انظر: لاهوت المسيح: ١٣.

(٣) لاهوت المسيح: ١٣.

(٤) عقيدة المسيحيين في المسيح: ١٧٦.

بنوة متصلةٌ ليس فيها انفصال عن الجوهر الإلهي[1].

ومن حيث التسمية فقد برروا ذلك بأمورٍ، كما يلي:

أ - طبيعة اللغة البشرية:

لأنها لغة ضيقة، ولا يُعبّر بها إلا في الماديات دون الإلهيات، فاللغة مقابل الإلهيات ليست إلا تعبيراً عما يستطيع البشر فهمه والتعامل معه، يقول القديس أغسطينوس: (إننا عندما نتكلم عن الله؛ فإن اللغة البشرية توجد عاجزة عن التكلم عن الإلهيات)[2]، ويقول القديس غريغوريوس: (في أيِّ موضعٍ نتكلم عن اللاهوت فإننا نجرحه)[3].

ب - التجسد:

ويريدون بالتجسد أن أقنوم الآب قد حلَّ بجسدِ المسيح واتحد، فصار إنساناً بالصورة فقط دون الحقيقة فهو إله[4]، فتعبير الابن - كما يرونَ - هو أنسبُ وأصدقُ تعبيرٍ في لغة البشر يوضح عملية التجسد.

يقول القس بيشوي حلمي: (فتعبير الابن هو أصدق وأوفق تعبيرٍ يفهمه الناس بلغتهم لبيان الصلة بين الله غير المنظور، وبين الله وقد صار منظوراً في المسيح المتجسد)[5].

ج - توضيح للصلة بين أقنومي الآب والابن:

لما كانت عقيدة التجسد والأقانيم الثلاثة غير متصورةٍ؛ لجأ النصارى الأقباط إلى مصطلحات محدثة، بُغيةَ تقريب المُعتقد المُراد.

يقول القس بيشوي حلمي: (تعبير الابن هو أنسب تعبيرٍ في لغة البشر يوضح الصلة

---

(١) إيماننا المسيحي صادق وأكيد: ٥٦-٥٧بتصرف.

(٢) إيماننا الأقدس: ١٤٠.

(٣) إيماننا الأقدس: ١٤٠، وانظر: طبيعة المسيح: ٧.

(٤) انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٢٠٥، سنوات مع أسئلة الناس «لاهوتية وعقائدية (أ)»: ٥٤، منهج ودروس التربية الكنسية: ٧٥.

(٥) إيماننا المسيحي صادق وأكيد: ٥٨.

بين أقنوم الآب وأقنوم الكلمة، فالحياة تعلمنا أنه ليس هناك كائنٌ آخر أقرب إلى طبيعة الآب أكثر من ابنه الذي من صلبه)[1].

عقيدتهم في طبيعة الابن:

يعتقد النصارى الأقباط أن الروح القدس طهّر رَحِمَ مريم عليها السلام طهارةً كاملةً من كل الآثام التي تلحق بني آدم، ثم اتحدت طبيعةُ الله بالطبيعة الناسوتية داخل الرحم، وهذا الاتحاد بغير امتزاجٍ ولا اختلاطٍ ولا تغير، فهو اتحادٌ أقنوميٌّ كامل، دائمٌ غير منفصلٍ[2]، وباتحاد هاتينِ الطبيعتين الإلهية والبشرية؛ تكونت طبيعة واحدة، ومشيئة واحدة، هي طبيعة ومشيئة الله الكلمة المتجسد[3].

يقول البابا أثناسيوس: (نعترف بابن الله المولود من الآب أزلياً قبل الدهور، وهو المولود أيضاً من العذراء بالجسد في آخر الزمان من أجل خلاصنا، وهذا الواحد هو الإله، وهو ابن الله بالروح، وهو ابن الله بالجسد، ولسنا نقول عن هذا الابن الواحد: إنه طبيعتان، واحدة نسجد لها، وأخرى لا نسجد لها، بل طبيعة واحدةٌ لله الكلمة المتجسد[4]، ونسجد له مع جسده سجدةً واحدةً، ولا نقول باثنين؛ واحد هو ابن الله بالحقيقة وله نسجد، وآخر هو إنسان من مريم ولسنا نسجد له، وإنه - أي ولسنا نقول: إنه - صار ابن الله بالموهبة مثل البشر، بل الذي هو من الله هو الله، فالذي وُلد من

---

(١) إيماننا المسيحي صادق وأكيد: ٥٨.

(٢) يعتقد النصارى الأقباط أن المسيح عليه السلام كان موجوداً قبل الاتحاد والتجسد بلاهوته فقط باسم «الابن»، أما بعد الاتحاد فهو «المسيح»، يقول البابا شنودة الثالث: (قبل التجسد كان موجوداً بلاهوته منذ الأزل، نعرفه باسم «أقنوم الابن» ثابتاً في الآب والروح القدس، اسم «المسيح» عُرِفَ به في تجسده). سنوات مع أسئلة الناس «لاهوتية وعقائدية (أ)»: ٦٦.

(٣) انظر: طبيعة المسيح: ٧، إيماننا المسيحي صادق وأكيد: ١٠٨ - ١٠٩، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٢١٨ - ٢١٩، إيماننا الأقدس: ١٤٠ - ١٤١، عقيدة المسيحيين في المسيح: ٣٣وما بعدها، الأرثوذكسية قانون إيمان لكل العصور: ١٢٧ - ١٢٩، التثليث والتوحيد: ١٠٥ - ١٠٧، ثَبِّتْ أساس الكنيسة: ٣٧.

(٤) يتعمد النصارى الأقباط معاملة عبارة «الكلمة» على أنها مذكرة وليست مؤنثة، على اعتبار أنها دالةٌ على أقنوم الابن، يقول الأنبا يوأنس: (وعلى الرغم من أن «الكلمة» في اللغة العربية مؤنثةٌ؛ فنحن لا نقول: «في البدء كانت الكلمة»، لأن «الكلمة» هنا تعبيرٌ عن ابن الله الأقنوم الثاني في الثالوث القدوس). إيماننا الأقدس: ٥٦.

العذراء القديسة هو ابن الله بالطبيعة، وهو الله بالحقيقة، وليس بالنعمة)[1].

ويشرح القديس كيرلس الكبير الطبيعةَ الواحدةَ المتجسدةَ فيقول: (لنأخذَ مثالاً من طبيعتنا ذاتها، إذ خُلقنا من نفسٍ وجسدٍ لهما طبيعتان قبل اتحادهما، وباتحادهما صارا إنساناً بطبيعة واحدةٍ، لم تتغير النَفس إلى طبيعة الجسد لاتحادهما معاً، إذ لم تصر النفس جسداً ولا الجسد نفساً، وإنما صارت النفس مع الجسد طبيعةً واحدةً، وإنساناً واحداً)[2].

ويقول البابا شنودة الثالث: (السيد المسيح هو الإله الكلمة المتجسد، له لاهوتٌ كاملٌ، وناسوتٌ كاملٌ، ولاهوته مُتحدٌ بناسوته بغير اختلاطٍ ولا امتزاجٍ ولا تغيير، اتحاداً كاملاً أقنومياً جوهرياً، تعجز اللغة عن أن تعبِّر عنه، حتى قيل عنه: إنهُ سرٌّ عظيم.. وهذا الاتحاد دائمٌ لا ينفصل مطلقاً ولا يفترقُ، نقول عنه في القداس الإلهي: ((إن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظةً واحدةً ولا طرفة عينٍ)).

الطبيعة اللاهوتية (الله الكلمة) اتحدت بالطبيعة الناسوتية التي أخذها الكلمة (اللوجوس) من العذراء مريم بعمل الروح القدس، الروح القدس طهّر مستودع العذراء طهارةً كاملةً حتى لا يرث المولودُ منها شيئاً من الخطية الأصلية، وكوَّن من دمائها جسداً اتحد به ابن الله الوحيد.. وباتحاد الطبيعتين الإلهية والبشرية داخل رحم السيدة العذراء تكونت منهما طبيعة واحدة، هي طبيعة الله الكلمة المتجسد)[3].

ويقول الأنبا غريغوريوس: (فلا اللاهوت امتزج بالناسوت ولا اختلط به، ولا استحال أحدهما إلى الآخر، إنما اللاهوت والناسوت قد اتحدا)[4].

ويقول مفصِّلاً لهذا المعتقد: (المسيح إلهٌ متأنسٌ، هو إلهٌ وهو أيضاً إنسانٌ، ومع ذلك فهو واحد وليس اثنين، هو واحد لكنه ليس لاهوتاً فقط، وليس ناسوتاً فقط، هو واحدٌ غير منقسم إلى طبيعتين، هو واحدٌ يجمع بين خصائص الطبيعتين، لكنه مع ذلك ليس له طبيعتان.

(١) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٢٢٠.

(٢) إيماننا المسيحي صادق وأكيد: ١١١.

(٣) طبيعة المسيح: ٧.

(٤) اللاهوت المقارن لغريغوريوس: ٢٣١.

طبيعةٌ بعد الاتحاد هي طبيعةٌ واحدةٌ تجمع بين صفات الطبيعتين، فهي طبيعةٌ جامعة، هي طبيعة الكلمة المتجسد)[1].

والقول بالاتحاد يلزم منه أن يكون المُتَحِدَان منفصِلَيْن في السابق ثم اتحدا بعد ذلك، وهذا ما لا يقرّه النصارى الأقباط، يقول الأنبا غريغوريوس: (لم يحدث بتاتاً أن اللاهوت والناسوت كانا منفصلين أو مفترقين في الخارج، ثم اتحدا معاً بعد ذلك)[2].

ومع قولهم باتحاد الطبيعتين اللاهوتية والناسوتية وأنهما أصبحتا طبيعةً واحدةً؛ إلا أنهم يقولون عن المسيح: إنه كاملٌ في لاهوته، وكاملٌ في ناسوته! ثم ينفون أن يكون المسيح عليه السلام إلهاً وإنساناً!! ثم يعودون ثانيةً إلى القول بأن تلك الطبيعة الواحدة لها كل خواص الطبيعتين: اللاهوتية والناسوتية[3]!! وهرباً من هذا الإشكال والتناقض؛ يُعبِّرون عن المسيح عليه السلام بالإله المتجسد.

يقول الأنبا غريغوريوس: (إن الإيمان الأرثوذكسي كما نعترف به في كنيستنا، هو أن ربنا يسوع المسيح كاملٌ في لاهوته، وكاملٌ في ناسوته، ومع ذلك لا نجرؤ على القول إنه إله وإنسان معاً، لأن هذا التعبير ينطوي على معنى الانفصال بين اللاهوت والناسوت، وإنما نقول بالحري أنه الإله المتجسد)[4].

ويقول البابا شنودة الثالث: (والعذراء أيضاً لم تلد إنساناً وإلهاً، وإلا لكان لها ابنان، الواحد منهما إله، والآخر منهما إنسان، لم يبق إلا أنها ولدت الإله المتجسد)[5]، ويقول أيضاً: (إنها طبيعة واحدة، لكن لها كل خواص الطبيعتين، كل خواص اللاهوت وكل خواص الناسوت، فيها الناسوت لم يصر لاهوتاً، بل ظل ناسوتاً، ولكنه ناسوت الله الكلمة، والكلمة لم يتحول إلى ناسوت، بل بقي كما هو إلهاً، ولكِن متحداً بجسد

(١) اللاهوت المقارن لغريغوريوس: ٢٩٦.
(٢) اللاهوت المقارن لغريغوريوس: ٢٣١.
(٣) فهل بعد هذا التناقض تناقضٌ؟ نسأل الله العافية.
(٤) اللاهوت المقارن لغريغوريوس: ٢٣٠.
(٥) طبيعة المسيح: ١٥.

لاهوته غير مائت[1]، وناسوته قابل للموت)[2].

ومن اللافت هنا أن بابا النصارى الأقباط في وقتنا المعاصر البابا شنودة الثالث، يميل إلى التعبير بـ«وحدة الطبيعة» بدلاً من «الاتحاد» نظراً لإمكان القسمة في الاتحاد إلى قسمين، وهو ما يتعارض مع عقيدتهم في أن الاتحاد لا يمكن أن ينفصل. أما في سياق البيان التاريخي لاتحاد الطبيعتين - كما يعتقدون - فيرى شنودة أنه لا بأس من استخدام تعبير «الاتحاد»، مع أن متقدمي النصارى الأقباط درجوا على التعبير بـ«الاتحاد».

يقول البابا شنودة الثالث: (وأنا أُحب أن أستخدم عبارة «الاتحاد» للتكلم عن الذي حدث في بطن العذراء، أما بعد ذلك فنسميها وحدة الطبيعة، كذلك تعبير اثنين يوحي بالانفصال أو إمكانيته)[3].

ولقائلٍ أن يقول: مادام النصارى الأقباط يقولون باتحاد الطبيعتين اللاهوتية والناسوتية في المسيح، وصيرورتهما طبيعةً واحدةً غير قابلة للانقسام ولا الانفصال؛ فبمَ يُفسِّرون موتَ المسيح عليه السلام؟ هل الطبيعة الواحدة ماتت؟ وهل يصح أن يقال عن اللاهوت: إنه قد مات؟

هنا نجدُ تناقضاً بين ما قرروه سابقاً من وحدة الطبيعة غير المنفصلةِ وبين عقيدتهم في موته، يأتي بيانه لاحقاً بحول الله[4].

وما قيل في الطبيعة الواحدة يُقال عن المشيئة الواحدة والفعل الواحد.

يقول البابا شنودة الثالث: (نؤمن أن له مشيئةً واحدةً، و[فعلاً واحداً][5]، وطبيعيٌّ أنه ما دامت الطبيعة واحدةً، تكون المشيئة واحدةً، وبالتالي يكون الفعل واحداً.

إن ما يختاره اللاهوت لاشك أنه هو نفسه ما يختاره الناسوت، لأنه لا يوجد تناقضٌ

(١) قال ابن منظور: (المائت الذي لم يمت بعد). لسان العرب: ٢/ ٩١.

(٢) طبيعة المسيح: ١٨.

(٣) طبيعة المسيح: ١٩.

(٤) انظر: قصة صلب المسيح في مبحث: عقيدتهم في الصلب والفداء من هذه الرسالة.

(٥) في الأصل: وفعلٌ واحدٌ.

مطلقاً بينهما في المشيئة والعمل)[1].

وبالقول بالطبيعة الواحدة؛ خالف النصارى الأقباطُ المجتمعين في مجمع خلقيدونية القائلين بالطبيعتين، ولأجله أيضاً تُدعى الكنيسة القبطية ومن تبعها بالكنائس اللاخلقيدونية.

٣. الروح القدس:

يعتقد النصارى الأقباط في الروح القدس أنه الأقنوم الثالث من الأقانيم الإلهية، وهو عندهم حياة الله، ومصدر الحياة لكل الكائنات الحية، وله خاصية الانبثاق من الله، فوجوده من الله، ونطقه من الابن، وحياته من ذاته، وهو شريكٌ مع الآب والابن في الخلق[2].

يقول ابن سبَّاع: (والروح القدس قائمٌ بالآب، ناطقٌ بالابن، حيٌّ بخاصته، تابع في التوحيد الذاتي والتثليث الصفاتي)[3].

ويقول ابن كبر[4]: (والروح القدس: هو نفس الجوهر مع صفة خاصية الانبثاق)[5].

ويقول الأنبا يوأنس: (فالله حيٌّ، بل هو مصدر الحياة، فإذا لم يكن الله حياً كان ميتاً، وبالتالي ليس له وجود، وهذه الخاصية هي ما نسميه الروح القدس)[6].

وكان إقرارُ ألوهية الروح القدس في مجمع القسطنطينية، الذي عُقد رداً على مقدونيوس عندما أنكر ألوهيته، كما تقدم.

---

(١) طبيعة المسيح: ٢٩.

(٢) انظر: الروح القدس وعمله فينا: ٨-١٠، سنوات مع أسئلة الناس «لاهوتية وعقائدية (أ)»: ١٣٢وما بعدها، منهج ودروس التربية الكنسية: ٧٨، إيماننا الأقدس: ١٣٥، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ١٠٨-١٠٩، ١٤٣.

(٣) الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ٩.

(٤) هو أبو البركات الشهير بابن كبر، من مواليد القرن الثالث عشر الميلادي، تعلم من بداية حياته اللغة العربية، وفي عام (١٣٠٠م). رُسم كاهناً على كنيسة المعلَّقة، وسُمِّيَ حينها برسوم، له مؤلفاتٌ عديدة، منها: «مصباح الظلمة» و«خطب المناسبات الدينية». انظر: مقدمة كتاب مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٥.

(٥) مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٧.

(٦) إيماننا الأقدس: ١٣٥.

رموز الروح القدس:

يُرمز للروح القدس عندهم بخمسة رموز:

١. الحمامة:

لأن الحمامة رمزٌ إلى الروح، وهديلها يرمز إلى تسبيح الروح، يقول البابا شنودة الثالث: (الكنيسة أو النفس البشرية الممتلئة من الروح القدس، شُبِّهتْ بحمامة.. وهذه صفة الناس الروحيين، الذين يعمل الروحُ فيهم، يعطيهم صفة الحمامة التي ترمز إلى الروح.. هديل الحمام يرمز إلى تسبيح الروح)[١].

٢. الماء:

لأن الماء أساسٌ في الحياة ولها، وارتباط الروح القدس بالماء؛ فيه إشارةٌ إلى المعمودية[٢]، يقول البابا شنودة الثالث: (يرمز الماء إلى الروح في أنه سبب الحياة، أو لأنه غذاء ضروري ولازمٌ للحياة.. ولعل رمز الماء إلى الروح القدس يظهر واضحاً في المعمودية، حيث نولد من الماء والروح)[٣].

٣. الزيت:

للزيت قداسةٌ خاصةٌ عندهم، وبه تتم بعضُ شعائرهم[٤]، يقول البابا شنودة الثالث: (واضحٌ رمز الزيتِ إلى الروح القدس من سرِّ المسحة المقدسة، أو سرِّ الميرون)[٥].

٤. النار:

لأن الروح القدس - في زعمهم - عندما حلَّ على تلاميذ المسيح، كان كألسنةٍ من نار، كذلك نزول النار على الذبائح في قصة إيليا الواردة في سفر الملوك الأول:

(١) الروح القدس وعمله فينا: ١٨.

(٢) انظر: مصطلحات ورموز في الكتاب المقدس: ٧١.

(٣) الروح القدس وعمله فينا: ١٩-٢٠.

(٤) انظر: مصطلحات ورموز في الكتاب المقدس: ٧٩-٨٣.

(٥) الروح القدس وعمله فينا: ٢٠.

(فنزلتْ نارُ الرب، والتهمت المحرقة..)[1]، يقول البابا شنودة الثالث: واضحٌ حلول الروح القدس على التلاميذ كَألسنة كأنها من نار[2].

٥. الريح:

وهي معنى الكلمة اليونانية (أبنفما)، فهي بمعنى الريح، يقول البابا شنودة الثالث: (في الواقع أن الكلمة اليونانية (أبنفما) تعني الريح والروح في نفس الوقت)[3].

انبثاق الروح القُدس:

تُمثِّل طبيعةُ وكيفيةُ انبثاقِ الروح القدس أساساً من أُسس العقيدة عند النصارى الأقباط، وهي نقطة من نقاط الاختلاف بينهم وبين غيرهم من باقي النصارى، إذ يعتقد النصارى الأقباط بأن الروح القدس منبثقٌ من الآب فقط، مخالفين بذلك الكاثوليك القائلين بانبثاقه من الآب والابن[4].

ويعتقدون في انبثاق الروح القدس من الآب أنه انبثاقٌ أزليٌ مستمرٌ بلا توقف، يقول القس بيشوي حلمي: (الروح القدس منبثقٌ من الآب، أي منبعثٌ وصادر من الآب، مثل حرارة الشمس المنبعثة والصادرة من قرصها منذ وجودها.

هذا الانبثاق من الآب هو فعلٌ أزليٌ، فالروح القدس ينبثقُ من الآب منذ الأزل، فلا ينبغي أن نتخيل أن هناك لحظة من الزمان كان الله موجوداً دون روحه)[5].

ويُنبِّهُ النصارى الأقباط إلى وجودِ فَرْقٍ بين الانبثاق والإرسال، وهم يستخدمون تعبير الانبثاق مع الروح القدس لا الإرسال، يقول البابا شنودة الثالث: (وهناك فرق كبير بين الإرسال والانبثاق؛ الانبثاق أزليٌ، والإرسال في حدود الزمان)[6].

(١) الملوك الأول: ١٨/ ٣٨.

(٢) الروح القدس وعمله فينا: ٢٣بتصرف.

(٣) الروح القدس وعمله فينا: ٢٥.

(٤) انظر: الروح القدس وعمله فينا: ١٥-١٦، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ١٤٣-١٤٤، إيماننا المسيحي صادق وأكيد: ٥٩.

(٥) إيماننا المسيحي صادق وأكيد: ٥٩.

(٦) الروح القدس وعمله فينا: ١٦، وانظر أيضاً: إيماننا المسيحي صادق وأكيد: ٥٩.

وتجدرُ الإشارة إلى أن النصارى الأقباط عندما يتحدثون عن الروح القدس لا يريدون به جبريل عليه السلام، وإنما مرادهم الأقنوم الثالث من الأقانيم الإلهية، أي إنما يريدون به ذاتَ الله.

يقول البابا شنودة الثالث: (الروح القدس هو روح الله القدوس.. ومحالٌ أن ملاكاً أو إنساناً يحلُّ في جميع البشر ويسكن فيهم)[1].

وفي جوابٍ على سؤال: هل صحيحٌ أن الروح القدس هو الملاك جبرائيل؟ يقول البابا شنودة الثالث: (الروح القدس هو روح الله، وليس روح ملاكٍ أو نبي، لأن الملاك أو النبي محدود، أما الروح القدس غير محدود)[2].

مناقشة النصارى الأقباط في عقيدة الإله والتثليث:

عقيدة التثليث التي يُؤمنُ بها النصارى من أغمض العقائد، وأصعبها فهماً، وأكثرها اصطداماً مع العقول البشرية، وأشدها مخالفةً للفطرة السليمة: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ﴾ [الروم: ٣٠].

وللغموضِ الذي يَلُفُّ عقيدة التثليث؛ مَنعَ النصارى عقولهم من الخوض فيه، أو حتى محاولةَ فهمه، وهو ما أقرّ به قساوستهم قبل عوامّهم.

ويمكنُ أن نُجمل مناقشةَ عقيدة النصارى الأقباط - خصوصاً - في الإله والتثليث في عدة نقاطٍ، كما يلي:

١ - مخالفة التثليث لما هو مبثوث في الكتاب المقدس - بعهديه القديم والجديد - من الإقرار بتوحيد الله، وإفراده بالإلوهية، وأن الله واحدٌ لا شريك له ولا ندَّ معه، ومن تلك النصوص ما يلي:

أ - في العهد القديم:

كثيرةٌ نصوص العهد القديم التي جاءت بتأكيد التوحيد لله، ومن الصعب حصر

(١) سنوات مع أسئلة الناس «لاهوتية وعقائدية (أ)»: ١٣٢.

(٢) سنوات مع أسئلة الناس «لاهوتية وعقائدية (أ)»: ١٣٢.

جميع تلك النصوص، ويكفي أن نشير إلى بعضها، فمن ذلك:

(الرب هو الإله ليس آخر سواه)[1]، و(الرب هو الإله في السماء من فوق، وفي الأرض من أسفل، ولا إله سواه)[2]، و(الرب إلهنا ربٌ واحدٌ)[3]، و(الرب هو الله الإله، وليس آخر)[4]، و(أنت الرب الإله وحدك)[5]، و(أنت لا مثيل لك، ولا إله سواك)[6]، و(أنك أنت الرب وحدك)[7]، و(أنا الرب هذا اسمي، ومجدي لا أعطيه لغيري)[8]، و(أنا الأول، وأنا الآخر، ولا إله في الكون غيري)[9]، وغيرها من النصوص.

ب - في العهد الجديد:

لا يختلف العهد الجديد عن القديم في توافر النصوص الواردة بتوحيد الله وإفراده بالألوهية، فمن ذلك: (للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد)[10]، و(الرب إلهنا هو الرب الأحد)[11]، و(لأن الله واحدٌ، ولا إله آخر سواه)[12]، و(هذه الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويعرفوا يسوع المسيح الذي أرسلته)[13]، و(لأن الله واحدٌ)[14]، و(وأن لا إله إلا الله الأحد)[15]، و(لكن لنا إله واحد)[16]، و(إله واحدٌ،

(١) التثنية: ٤/ ٣٥.
(٢) التثنية: ٤/ ٣٩.
(٣) التثنية: ٦/ ٤.
(٤) الملوك الأول: ٨/ ٦٠.
(٥) الملوك الثاني: ١٩/ ١٩.
(٦) أخبار الأيام الأول: ١٧/ ٢٠.
(٧) أشعيا: ٣٧/ ٢٠.
(٨) أشعيا: ٤٢/ ٨.
(٩) أشعيا: ٤٤/ ٦.
(١٠) متّى: ٤/ ١٠.
(١١) مرقس: ١٢/ ٢٩.
(١٢) مرقس: ١٢/ ٣٢.
(١٣) يوحنا: ١٧/ ٣.
(١٤) روميه: ٣/ ٣٠.
(١٥) كورنثوس الأولى: ٨/ ٤.
(١٦) كورنثوس الأولى: ٨/ ٦.

أب للجميع وفوقهم)[1]، و(لأنه يوجد إله واحد)[2].

والنصوص كثيرة، وهي كما تقدم نصوصٌ صريحةٌ في إثبات التوحيد وردِّ الشرك.

٢ - تأليه المسيح عليه السلام يخالف نصوص الإنجيل الكثيرة التي تُثْبِتُ إنسانيته، وأنه بشرٌ يعتريه ما يعتري غيره من الناس، كالولادة، والنوم، والتعب، والجوع، والعطش، والبكاء، وغيرها مما لا يليق بالله سبحانه، وعدد هذه النصوص يزيد على (٣٠) نصاً[3]، منها:

الولادة: (ولما ولد يسوع في بيت لحم)[4]، والنوم: (وكان يسوع نائماً في مؤخر القارب، ورأسه على مخدة، فأيقظوه)[5]، والتعب: (وكان يسوع تعب من السفر..)[6]، والجوع: (فصام أربعين يَوماً، وأربعين ليلةً؛ حتى جاع)[7]، والعطش: (قال: أنا عطشان)[8]، والبكاء: (بكى يسوع)[9]، والحزن والاكتئاب: (وبدأ يشعر بالحزن والكآبة)[10]، والتألم: (أن المسيح يتألم)[11]، والموت: (وصرخ يسوع مرةً ثانيةً صرخةً قويةً، وأسلم الروح)[12]، فهل يُعقل أن يكون الإله الذي يُعبد ينام ويجوع ويعطش؟

ويغالط الأنبا يوأنس العقلَ السويّ في الإجابة على هذا السؤال، ويوغل في ذكر أقبح الصفات، ثم يرى أنها ليست قبيحة!

(١) أفسس: ٤/ ٦.
(٢) تيموثاوس الأولى: ٢/ ٥.
(٣) انظر: إيماننا المسيحي صادق وأكيد: ١٠٧.
(٤) متى: ٢/ ١.
(٥) مرقس: ٤/ ٣٨.
(٦) يوحنا: ٤/ ٦.
(٧) متى: ٤/ ٢.
(٨) يوحنا: ١٩/ ٢٨.
(٩) يوحنا: ١١/ ٣٥.
(١٠) متى: ٢٦/ ٣٧.
(١١) لوقا: ٢٤/ ٤٦.
(١٢) متى: ٢٧/ ٥٠.

يقول: (يقولون: إن الإنسان يأكل ويشرب ويمارس عمليات الإخراج؛ التبرز والتبول.. إلخ، فكيف يتحد الله بمثل هذه الطبيعة الإنسانية، وكأن هذا الأمر إهانة لله وطبيعته؟! ونحن نقول: إن ممارسة الإنسان للأكل والشرب وعمليات إخراج البول والبراز ليست دليلاً على الدناءة.. وبالتالي لا تعتبر خطيةً.. أليس جسد الإنسان هو من صنع الله؟ فهل يخلق الله شيئاً حقيراً دنيئاً؟ الله الكامل خلق كل شيءٍ كاملاً وطاهراً ومقدساً)[1]، وكل عاقلٍ مُنصفٍ - على أي دينٍ كان - يُدركُ أن مخلوقات الله ليست كلها طاهرةٌ ومقدسة، إذ منها ما هو طاهرُ ومنها ما هو نجس، وليس ذلك قادحٌ في الخالق سبحانه وتعالى.

٣ - إن نسبة الأبوة إلى الله في كتابهم المقدس لم تكن مقتصرةً على المسيح عليه السلام بل شملتْ غيره، فمن ذلك:

جاء في حق سليمان عليه السلام: (أنا أكون له أباً، وهو يكون لي ابناً)[2] فهل يقولون بألوهية سليمان عليه السلام لأن الله أبوه؟ وجاء أيضاً عن المسيح عليه السلام أنه قال لتلاميذه: (إياكم أن تعملوا الخير أمام الناس ليشاهدوكم، وإلا فلا أجر لكم عند أبيكم الذي في السماوات)[3]، وجاء أيضاً أنه قال لتلاميذه: (حتى يغفر لكم أبوكم الذي في السماوات زلاتكم)[4]، وجاء أيضاً: (متى صليتم فقولوا: أيها الآب ليتقدَّس اسمك)[5]، فهل يصح أن يكون التلاميذ أيضاً أبناء لله بالمفهوم النصراني؟[6]

٤ - تقدمَ أن نسبة الأبوة إلى الله في الكتاب المقدس لم تكن مقتصرةً على المسيح عليه السلام، بل شملتْ غيره؛ وكذلك نسبة البنوة من الله لم تكن مقصورةً على المسيح عليه السلام، بل شملتْ غيره، وهذا مبثوثٌ في الكتاب المقدس، فمن ذلك:

(١) إيماننا الأقدس: ٥٢.

(٢) صموئيل الثاني: ٧/ ١٤.

(٣) متى: ٦/ ١.

(٤) مرقس: ١١/ ٢٥.

(٥) لوقا: ١١/ ٢.

(٦) للاستزادة، انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: ٢٨٦-٢٨٧.

(رأى بنو الله أن بنات الله حسانٌ)[1]، و(البنون الذين ربيتهم ورفعتهم تمردوا عليَّ)[2]، و(أنت يا رب أبٌ لنا)[3]، و(قدموا للرب يا أبناء الله)[4]، و(إسرائيل ابني البكر)[5]، وغيرها من النصوص[6]، فإن كانت البنوة تقتضي التأليه؛ فيلزم تأليه كل من ذُكر في النصوص السابقة، وهو ما لا يقولونه.

ويُفرِّقون بين النصوص التي جاءت في بنوة عيسى عن باقي المخلوقات، بأن ما ورد في بنوة غير المسيح يُحمل على المعنى المجازي من البنوة، كالقيام بالرعاية والإحاطة، وهذا التفريقُ غيرُ صحيحٍ، إذ الأمر واحدٌ، فإما أن يُقال بالمجاز فيها جميعاً، أو يُنفي عنها جميعاً.

وعلى التسليم بصحة نصوص الكتاب المقدس الواردة في بنوة المسيح عليه السلام إنما يراد بها البنوة المجازية لا الحقيقية، وهي التي تشمل المسيح عليه السلام وأتباعه، ومنصفو النصارى مُقِرّون بالمجاز في كتابهم المقدس، وينقل الشيخ رحمة الله الهندي عن أحدهم قوله: (واصطلاح العهد الجديد أيضاً هو استعاري جداً، وخاصة مسامرات مخلصنا، وقد اشتُهرت آراء كثيرة فاسدة لكون بعض معلمي النصارى شرحوها شرحاً حرفياً)[7].

ومما يُؤكدُ المجازَ في الكتاب المقدس؛ ورود نصوص لا يمكن حملها على ظاهرها، كما في قوله: (فقال لهم يسوع: أنا هو خبز الحياة)[8]، وأيضاً قول المسيح عليه السلام لليهود: (فأنتم أولاد أبيكم إبليس، وتريدون أن تتبعوا رغبات أبيكم)[9]،

(١) التكوين: ٦/ ٢.
(٢) أشعيا: ١/ ٢.
(٣) أشعيا: ٦٣/ ١٦.
(٤) المزامير: ٢٩/ ١.
(٥) الخروج: ٤/ ٢٢.
(٦) انظر: لاهوت المسيح: ١١ وما بعدها.
(٧) إظهار الحق: ١/ ٤٠٨.
(٨) يوحنا: ٦/ ٣٥.
(٩) يوحنا: ٨/ ٤٤.

وهم لا يحملون هذه النصوص على ظاهرها، فكذلك نصوص بنوة المسيح عليه السلام.

ومما ينبغي التنبيه إليه في هذا المقام، أن التلفيق في تبرير المعتقد عند النصارى الأقباط أمرٌ واردٌ وغير مُستغرب، ففي بنوة المسيح مثلاً؛ نجد أحدهم يُلَفِّقُ قاعدةً لغويةً؛ وهي التفريق بين عبارتي (ابن) و(بن) في البناء؛ فإن كانت البنوة جسديةً حُذفت الألف، أما إن كانت اعتبارية غير جسدية فتثبتُ الألف، ويجعلون هذا دليلاً لغوياً على إثبات بنوة المسيح عليه السلام من الله بغير مشابهةٍ للمخلوقات.

يقول القس أشرف روفائيل: (كذلك في معنى أن يسوع المسيح هو ابن الله لا تحذف الألف إطلاقاً من كلمة ابن، لأنها بنوةٌ اعتبارية وليست جسديةً، ولو كانت جسديةً لكانت تكتب بدون ألف هكذا (بن)، مثل (داود بن يس) أو يعقوب بن إسحاق، بعكس أنت المسيح ابن الله)[1].

وهذا تلفيقٌ ومخالفٌ لما يُقرِّره علماء اللغة[2].

٥ - أن تأليه الروح القدس أمرٌ ليس عليه دليل في جميع الأناجيل، وجميع ما أورده النصارى الأقباط في ذلك مردودٌ عليهم، ومن تلك النصوص:

(الروح القدس يحل عليك)[3]، فالحلول لا يدلُّ بحالٍ على الألوهية، وليس فيه ما يفيد كون الروح القدس هو الرب.

وأما قوله: (اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس)[4]، فهذا يدل على تمايز هذه الشخصيات الثلاث المذكورة في النص، ويؤكد ذلك العطف بواو المغايرة، وقد أكّدت دائرة المعارف الفرنسية هذا الأمر في غير ما موضع، فمن ذلك: (ولكن جاء في مواطن أخرى من الأناجيل ما يسوغ هبة الروح

---

(١) التوحيد والتثليث: ١١٣.

(٢) انظر: قواعد الإملاء: ٣٩.

(٣) لوقا: ١/ ٣٥.

(٤) متّى: ٢٨/ ١٩.

القدس شخصيةً مستقلةً، كما ورد في تعميد المسيح، فقد ذكر فيه الآب والابن والروح القدس كثلاث شخصيات متميزة، وخصَّ الروح القدس بالذكر، فقيل: إنها نزلت على عيسى في شكل حمامة)[1]، وجاء أيضاً: (ولم يرد في كتب اليهود ما يُؤخذ منه أنهم يعتقدون بأن الروح القدس شخصيةٌ متميزةٌ، أو أنه أقنومٌ من الأقانيم المركبة لله، كما هو عند النصارى)[2]، وجاء أيضاً: (الكلام على الروح القدس ظل مدةً طويلة كثيرَ التخالف ومرتبكاً)[3]، وجاء أيضاً: (وكان جوستان وتيوفل يعتبران الروح القدس تارةً كشكلٍ خاص لمظهر الكلمة، وتارةً كصفةٍ من صفات الله، ولكنهما لم يعتبراها قط شخصاً إلهياً)[4].

وحول هذا النص الذي يستدلون به؛ يُبيِّن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - المراد بالتعميد فيقول: (إن كان قال: عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس، فمراده: مروا الناس أن يؤمنوا بالله، ونبيه الذي أرسله، وبالملك الذي أنزل عليه الوحي الذي جاء به، فيكون ذلك أمراً لهم بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وهذا هو الحق الذي يدل عليه صريح المعقول وصحيح المنقول)[5]، هكذا يظهر جلياً الموقف من الروح القدس.

وأما إنكار النصارى الأقباط أن يكون الروح القدس هو جبريل كما ذكره البابا شنودة الثالث فيما تقدم، فيُردُّ عليه بما جاء في الكتاب المقدس نفسه، حيث ورد في متّى: (كانت أمه مريم مخطوبة ليوسف، فتبيَّن قبل أن تسكن معه، أنها حُبلى من الروح القدس)، ثم جاء ما يفسره في إنجيل لوقا: (أرسل الله الملاك جبرائيل إلى بلدةٍ في الجليل، اسمها الناصرة إلى عذراء اسمها مريم، كانت مخطوبةً لرجلٍ من بيت داود، اسمه يوسف)، وهذا يبطل زعمهم أن الروح القدس إله، وليس جبريل عليه السلام.

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين، مادة «نصر»: ١٠/ ١٩٩، نقلاً عن: دائرة المعارف الفرنسية.

(٢) دائرة معارف القرن العشرين، مادة «نصر»: ١٠/ ١٩٩، نقلاً عن: دائرة المعارف الفرنسية.

(٣) دائرة معارف القرن العشرين، مادة «نصر»: ١٠/ ١٩٩، نقلاً عن: دائرة المعارف الفرنسية.

(٤) دائرة معارف القرن العشرين، مادة «نصر»: ١٠/ ١٩٩، نقلاً عن: دائرة المعارف الفرنسية.

(٥) الجواب الصحيح: ٣/ ١٩٧.

٦ - أن عقيدة التثليث عقيدةٌ طارئة على المسيحية الحقة التي جاء بها عيسى عليه السلام، جاء في دائرة المعارف الفرنسية: (عقيدة التثليث وإن لم تكن موجودة في كتب العهد الجديد، ولا في عمل الآباء الرسوليين، ولا عند تلاميذهم المقربين؛ إلا أن الكنيسة الكاثوليكية والمذهب البروتستنتي يدَّعيان أن عقيدة التثليث كانت مقبولةً عند المسيحيين في كل زمان.

إن عقيدةَ إنسانيةِ عيسى كانت غالبةً طيلةَ مُدةِ تكوّن الكنيسة الأولى من اليهود المتنصرين، فإن الناصريين سكان مدينة الناصرة وجميع الفرق النصرانية التي تكونت عن اليهودية، اعتقدت بأن عيسى إنسان بحت مؤيَّدٌ بالروح القدس، وما كان أحدٌ يتهمهم إذ ذاك بأنهم مبتدعون وملحدون، فكان في القرن الثاني مبتدعون وملحدون.. وحدث بعد ذلك أنه كلما ازداد عدد من تنصَّر من الوثنيين ظهرت عقائد لم تكن موجودة من قبل)[1]، وقد تقدم أن بولس هو الذي أحدثها وأدخلها في المسيحية، وأن تلاميذ المسيح خالفوه في معتقده ولم يوافقوه، وكانوا ينفون ألوهية المسيح وكذا صلبه[2]، فما كان من بولس إلا أن هاجمهم هجوماً عنيفاً، فلجؤوا إلى معارضته بمحاولة نشر المسيحية الحقة الداعيةِ إلى التوحيد بين الناس[3].

تقدم أيضاً؛ أن هذا النزاع كان يحصل تحت حكم روماني، كارهٍ للنصرانية وأتباعها، مما جعل بولس يستغل هذا النزاع في نشر معتقده الفاسد، بتأجيج الخلاف بين الرومان وتلاميذ المسيح، مما أدى إلى اضطهادهم وتقتيلهم وتشريدهم وطمس هوية التوحيد عندهم، حتى أصبح التثليث شعاراً لعقيدة النصارى إلى وقتنا المعاصر، وقد كان للمجامع عموماً الأثر البالغ في نهاية النصرانية إلى ما هي عليه الآن.

٧ - ما تقدم من مناقشة النصارى الأقباط حول بعض النصوص الواردة في الكتاب المقدس؛ إنما هي على فرض التسليم بصحة الكتاب المقدس وسلامته من التحريف، وهذا ما لا نُقرُّ به أصلاً، وقد أفاضَ العلماء في بيان ذلك قديماً وحديثاً، ومن أبرز ما

(١) دائرة معارف القرن العشرين، مادة «نصر»: ١٠/ ٢٠١-٢٠٢، نقلاً عن: دائرة المعارف الفرنسية.

(٢) انظر: مقارنة الأديان للخطيب: ٢٤٦-٢٤٧.

(٣) انظر: غلاطية: ٣/ ١-٣.

يشار إليه في هذا المجال[1]، ما يلي:

أ- افتقار الكتاب المقدس للأسانيد الصحيحة اللازمة لإثبات صحته، فليس هناك سند مرفوع لا لموسى عليه السلام ولا لعيسى عليه السلام، ولا حتى لتلاميذهما، وإنما كُتبا في زمن لاحقٍ لهما.

ب-شهادة الكتاب المقدس نفسه بإمكان التحريف فيه بالزيادة والنقص، وقد جاء في ذلك عدة نصوص، منها: (لا تزيدوا على الكلام الذي أنا أوصيكم به ولا تنقصوا منه لتحفظوا وصايا الرب إلهكم التي أنا أوصيكم بها)[2]، وجاء أيضاً: (كل الكلام الذي أُوصيكم به احرصوا لتعملوه، لا تزد عليه ولا تنقص منه)[3]، وجاء أيضاً: (وأنا أُنذر كل من يسمع الأقوال النبوية في هذا الكتاب أن لا يزيد عليها حرفاً، وإلا زاده الله من النكبات الموصوفة في هذا الكتاب..)[4]، هذه النصوص وغيرها تُحذِّر اليهود والنصارى من تغيير كلام الله، سواءً بالزيادة أو النقصان، وهذا يعني أن التحريف أمرٌ واردٌ، وخصوصاً أنه رتَّب العقوبة على من زاد أو أنقص، إذ لم يُخبر عن حفظ نصوصه، كما أخبر تعالى في كتابه عن حفظه للقرآن في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩].

ت-إقرار البابوات بحصول التباين والاختلاف بين نسخ الكتاب المقدس، وقد حصلتُ على تسجيلٍ صوتي للبابا شنودة الثالث أنقله بلهجته ونصه: (صدقوني لما بيجيني كتاب من اللي اسمه كتاب الحياة[5] ده، وهو كتاب مقدس عشان أمضي عليه ما برضاش أمضي عليه مع إنه الكتاب مقدس.. احنا مش نعملها كلما تطلع ترجمة في لبنان.. كل يوم ترجمة دي ما بتعقبناش، ياريت تستقروا على ترجمة معينة وبنمشي عليها). ويقول مخاطباً دار الكتاب المقدس: (طلعتوا طبعة قديدة

---

(١) حول هذه الفقرة، انظر: إظهار الحق: ١/ ١٠٩ وما بعدها، مقارنة الأديان للساموك: ٢١٤وما بعدها، مقارنة الأديان للخطيب: ٩٤-١٠٥، ٢٧٠ وما بعدها، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: ١٩٧-٢٤٠.

(٢) التثنية: ٤/ ٢.

(٣) التثنية: ١٢/ ٣٢.

(٤) رؤيا يوحنا: ٢٢/ ١٨-١٩.

(٥) كتاب الحياة هو الكتاب المقدس.

للكتاب المقدس في أولها ملاحظات، تقول دي مزيدة ودي ناقصة في بعض النسخ، طب مالكلام دا يسخّف، ياجماعة غير المسيحيين بيقولوا علينا أيه؟ أنتوا بتزودوا في الكتاب وبتنأصوا؟ ودي مش موجودة في نسخ، ودي موجودة في حاقة تاني! ياريت ياريت إن القائمين على طبع الكتاب المقدس يفرقون تماماً بين ما يقال في كليات اللاهوت وما يُعطى للمؤمن العادي ليقرأه.. لما يقيني كتاب مقدس من هذا النوع برفض أمضي عليه..)[1]، فتفريقه بين ما يُعطى للنصراني العامي وبين الدارس للعقيدة إقرارٌ منه بوقوع التبديل والتحريف.

ث- أن العهد القديم لا يوجد فيه ذكر للتثليث ولا إقرارٌ له، بخلاف العهد الجديد، فقد اشتمل على تلميح الأقانيم والتثليث.

ج- الاختلاف بين نسخ الكتاب المقدس، فقد تجد سفراً في إحدى النسخ، ويكون مفقوداً من أخرى! أو نصوصاً في إحداها ليست في الأخرى، ومثال ذلك:

١. العهد القديم: في نسخة المطبعة الكاثوليكية أُثبت سفر طوبيا، ويهوديت، والمكابين الأول والثاني، والحكمة، وباروك، بينما في نسخة المطبعة الإنجيلية لا نرى لهذه الأسفار أثراً.

٢. العهد الجديد: جاء في نسخة المطبعة الإنجيلية: (لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد، آمين)[2]، وجاء أيضاً: (فإن ابن الإنسان قد جاء لكي يخلص الهالكين)[3]، وجاء أيضاً: (من له أذنان للسمع، فليسمع)[4]، وجاء أيضاً: (لأن ابن الإنسان أتى لا ليهلك نفوس الناس، بل ليخلِّصها)[5]، بينما في نسخة المطبعة الكاثوليكية لم ترد أيٌّ من هذه العبارات، والأمثلة في هذا كثيرة جداً[6].

(١) من محاضرة القاها، واحتَفِظُ بنسخة من المقطع.

(٢) متى: ٦/ ١٣.

(٣) متى: ١٨/ ١١.

(٤) مرقس: ٧/ ١٦.

(٥) لوقا: ٩/ ٥٦.

(٦) انظر: موقع ابن مريم على الشبكة العنكبوتية:

http: //www.ebnmaryam.com/alta7reef2/alta7reef2.htm

ح- التناقض بين نسخ الكتاب المقدس إلى حدِّ التباين بينها، فمثلاً: نجد في سفر التثنية والعدد[1] أن الأبناء يحاسَبُونَ بذنب الآباء إلى الجيل الرابع منهم، فقد جاء ما نصُّه: (لأني أنا الرب إلهك، إله غيور، لا أنسى ذنوب الآباء في البنين إلى الجيل الثالث والرابع من الذين يبغضونني)[2]، بينما جاء في سفر حزقيال نقضُ هذا الأمر: (تسألون: لماذا لا يحمل الابنُ إثمَ أبيه؟ والجواب هو: أن الابن فعل ما هو حقٌّ وعدلٌ، وعمل بجميع فرائضي، فهو لذلك يحيا، النفس التي تخطأ هي وحدها تموت، الابن لا يحمل إثم أبيه، والأب لا يحمل إثم ابنه)[3]، وهذا تناقضٌ صارخٌ.

٨ - أن عقيدة التثليث عقيدةٌ صعبة لا يمكن فهمها ولا توضيحها، وقول النصارى الأقباط بالتوحيد إنما هو دعوى مجردة، لأن قولهم بالتثليث يدل على تعدد الآلهة، بدليل أنهم نصّوا على تمايز صفات الأقانيم، ولذا فادعاؤهم للتوحيد مع قولهم بالتثليث أوقعهم في حيرةٍ من أمرهم، وأشكل عليهم في معرفة حقيقة التثليث، ومما زاد التعقيد عند النصارى الأقباط؛ قولهم باتحاد الطبيعتين في طبيعةٍ واحدةٍ، مع كون الطبيعة الواحدة كاملةً في اللاهوت والناسوت!

وسأكتفي بنقل أربعة أقوالٍ في ذلك - طلباً للاختصار - تبيّن مدى تخبطهم وحيرتهم في ذلك، يقول الأنبا غريغوريوس عن كنيسته القبطية: (تؤمن بلاهوت المسيح كما تؤمن أيضاً بناسوته، ولكن المسيح عندهم طبيعةٌ واحدةٌ مع ذلك، وقد يبدو في هذا نوعٌ من التناقض، ولكن على الرغم مما يبدو في هذا من تناقضٍ منطقيٍ عقليٍ؛ إلا أن كنيستنا لا ترى فيه شيئاً من التناقض، لأنها تنظر إلى طبيعة السيدِ المسيحِ نظرةً صوفية روحانية.. ونحن نؤمن بها على الرغم من معارضتها لحواسنا، ومناقضتها لعقلنا المادي، لا لشيء إلا لأننا أيقنا أنها من الله)[4]، ثم يقول بعد ذلك متحدثاً عن إشكالية الاتحاد والطبيعة والطبيعتين: (كيف صار هذا الاتحاد؟ أو كيف يكون لطبيعة السيد المسيح الواحدة

(١) العدد: ١٤/١٨.

(٢) التثنية: ٥/٩.

(٣) حزقيال: ١٨/١٩-٢٠.

(٤) اللاهوت المقارن لغريغوريوس: ٢٢٩.

صفات اللاهوت وصفات الناسوت معاً بدون اختلاط وبدون امتزاج وبدون تغيير؟ أو كيف يكون للسيد المسيح صفات الطبيعتين ولا تكون له الطبيعتان؟ هذا ما لا نعرف، إنه من الأسرار الإلهية، لا يمكن أن نفهمه أو نعيه أو نحتويه في عقولنا.. قد تكون هذه مشكلة كبيرة بالنسبة للعقل الفلسفي أو للعقل المادي، وقد يكون فيها تناقض، وقد يكون فيها ما يتعارض مع قوانين العقل والمنطق والحس والمادة والمصطلحات الفلسفية، كل هذا قد يكون صحيحاً، ولكننا هنا في الشرق[1] لا نسأل كيف؟ ولماذا؟)[2]، ويقول القس بيشوي حلمي: (يواجه العقل المسيحي عقيدة التثليث باعتبارها سراً من أسرار الوجود.. فنحن المسيحيين نتقبلها كما نتقبل أيَّ سرٍ آخر من أسرار الحياة والكون بمزيج من التأمل والتسليم، دون محاولة رفضها أو الانتقاص منها لمجرد عدم القدرة على استيعابها بالكامل)[3]، ويقول الأب أنتوني: (ولكن يتبقى السؤال العسير: كيف؟ كيف يمكن أن تكون الطبيعة الإلهية والطبيعة البشريّة في شخصٍ واحدٍ؟ كيف يمكن للإله الكلي القدرة أن يصيرَ طفلاً لا حول له؟ كيف يمكن أن نفْسَ الشخص الذي به قد خُلق كل شيءٍ، وفيه يقوم الكل، ويُعتمد عليه يصير هو نفسه إنساناً مخلوقاً يحتاج أن يعتمد على الآخرين؟ إن آباء الكنيسة الأولى لم يحاولوا الإجابة على هذا السؤال، إنهم قبلوه كسرٍّ من أسرار الله الذي لا يمكن فهمه تماماً.

ولكن حاول المسيحيون بعد ذلك في البحث عن شروحاتٍ، ولكن في محاولاتهم لتحليل اتحاد الطبيعتين في يسوع، وَصَلُوا إلى إجاباتٍ أوقعتهم في صعوباتٍ جمّة)[4]، ويقول الأستاذ الدكتور موريس تاوضروس: (والواقع أن جميع الأقيسة التي تُقدَّم لتوضيح طبيعة الله أو ألوهية الأقانيم من الطبيعة المخلوقة ينقصها شيء أساسي)[5].

وقد يقول مُعترضٌ: إن كيفيةَ صفات الله عند المسلمين مجهولة ولا يجوز الخوض في تفاصيلها، ولا يمكن لأحدٍ أن يُدركها أو يعرف كيفيتها، فما الجواب؟

(١) يريد الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية، وأبرز من يمثلها الكنيسة القبطية المصرية.

(٢) اللاهوت المقارن لغريغوريوس: ٢٣١.

(٣) إيماننا المسيحي صادق وأكيد: ٥٤.

(٤) الأرثوذكسية قانون إيمان: ١٢٠-١٢١.

(٥) علم اللاهوت العقيدي: ٢/ ٢٤٨.

فيُقال: إن إثبات الصفات لله تعالى على ما يليق بجلاله أمرٌ يوجبه العقل، وعدم إدراك الكيفية يتلاءم مع مستوى علم الإنسان بالله، ويدخل في هذا كثيرٌ من الغيبيات التي يؤمن بها الإنسان، وهذا يختلف عن التثليث مع الوحدة الذي لا يمكن أن يقبله العقل، فضلاً عن أن يفهم اتحاد الطبيعتين في طبيعةٍ واحدةٍ، مع كون هذه الطبيعة كاملة اللاهوت والناسوت[1].

٩ - العجز عن توضيح التثليث والاتحاد: وهذا الأمر داخلٌ في عدم فهمهم لعقيدتهم، والمُطالعُ لكتب النصارى الأقباط يجد أنهم عاجزون عن توضيح هذه العقيدة وتمثيلها بأي أمرٍ في الوجود، وكلّ مثلٍ يُمثّلون به لتوضيح التثليث مردودٌ عليهم.

فمن أمثلتهم لتوضيح التثليث؛ العملية الحسابية (١ X ١ X ١) فتكون النتيجة واحداً صحيحاً، يقول الأنبا يوأنس: (أليس هذا هو عين ما قاله المسيح: (أنا في الآب، والآب فيَّ))[2]، وهو تمثيل لا يصح، لأن العدد (١) هو نفسه تكرر بجميع صفاته وخواصه، بينما في التثليث تختلف خواصُّ الآب عن الابن وعن الروح القدس، والعكس كذلك، وكلامهم يستقيم - في مثال العملية الحسابية - لو قيل: (الآب X الآب X الآب) هذه العبارة هي التي تُقابل (١ X ١ X ١).

ومن أمثلتهم أيضاً: الشمس، ففيها القرص والحرارة والضوء، ومنها جميعاً تتكون الشمس[3]، وهو أيضاً تشبيه غير صحيح، فحرارة الشمس لا تُسمى وحدها شمساً، وكذا الضوء وحده ليس شمساً، ولو قُدّر وجودُ قرصِ الشمس من غير حرارةٍ ولا ضوء لما كانت هذه شمساً كما تُعرف عند الناس، وهكذا كلُّ مثلٍ يورده النصارى الأقباط مردود عليهم بأن الواحد من الثلاثة - في أيِّ مثلٍ - ليس هو الثلاثة مجتمعة[4]، وهذا خلاف

---

(١) انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: ٢٧٤.

(٢) إيماننا الأقدس: ١٤٣.

(٣) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ١١٨، إيماننا الأقدس: ١٤٤.

(٤) وقاعدة «الواحد ليس هو الثلاثة مجتمعةً» قاعدةٌ نافعةٌ، وجدتُ لها أكبر الأثر فيمن ناقشته من النصارى الأقباط، وهو ما لم أجد له جواباً عند أحدٍ منهم، والغالبية عند عجزه يتهرب بقوله: إن الله لا يشابهه شيء ولا يمكن أن تُدركه حواسنا، وهذا الرد في غير محله، فليس النقاش في كيفيات الله أو صفاته، إنما المراد شرح الاتحاد والتثليث، وفهم الطبيعة من الطبيعتين.

ما يعتقدونه في التثليث؛ إذ كل أقنوم من الثلاثةِ عندهم إله، ثم هذه الثلاثة مجتمعة إله واحد، وهو نفسه الأقنوم الأول، وهذا ما لا يمكن أن يُعقل. ويعترفُ الأنبا غريغوريوس بعجزه عن تشبيه التثليث والاتحاد حيث يقول: (والاتحاد بين اللاهوت والناسوت في السيد المسيح يمكن تشبيهه بالاتحاد القائم بين النفس والبدن.. ومع ذلك فهذا التشبيه ناقصٌ.. وقد يُشبَّه الاتحادُ بين اللاهوت والناسوت بالاتحاد القائم بين الفحم والنار في جمرة الفحم.. ومع ذلك فهذه المشابهات جميعها ناقصةٌ معيبةٌ)[1]. ومثله كذلك فوزي جرجس حيث يقول: (وليس له شبهٌ على نوعٍ ما، إلا باتحاد روح الإنسان بجسده مع الفارق)، فانظر كيف نفي المشابهة ثم استثنى، ومع هذا فهو «مع الفارق»، وهكذا لن يستطيع أحدٌ أن يأتي بمثال يوضح فيه معنى التثليث وكيفيته، واتحاد الطبيعتين، لأنها محضُ خيال، ولا يمكن أن يقبلها العقل.

١٠ – التفاضل بين الأقانيم: يعتقد النصارى الأقباط بعدم التفاضل بين الأقانيم الثلاثة، وأنها كلها متساويةٌ في العظمة، فليس أقنومٌ أعظم من الآخر، وهذا يُناقض ما جاء في كتابهم المقدس، حيث يقول: (فإن كنتم تحبوني فرِحْتُم بأني ذاهبٌ إلى الآب، لأن الآب أعظم مني)[2]، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يُناقض النصارى الأقباط أنفسهم في تبرير المساواة بين الأقانيم الثلاثة والرد على هذا النص في كتابهم المقدس، بأن المراد: التفاضل في حالة كونه إنساناً، أي في حال كون المسيح إنساناً، فإن الآب أفضل منه! وهذا هو نقض قولهم بعينه، يقول الأنبا يوأنس: (ما معنى قول المسيح: (أبي أعظم مني)؟ الآب أعظم منه في الحالة التي كان يتكلم فيها، فالمسيح بتجسده، أخلى نفسه آخذاً صورة عبدٍ صائراً في شبه الناس.. ووَضَعَ نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب.. فهو أخلى نفسه بإرادته من المجد والكرامة التي له كإلهٍ من أجل تدبير الفداء، وطالما قد أخذ صورةَ عبدٍ فإنه يقبل الإهانة والشتيمة وكلَّ ألوان الضعف البشري، من لطم، وضرب السياط، وبصق على الوجه واستهزاء.. هنا في هذه الحالة

(١) اللاهوت المقارن لغريغوريوس: ٢٣٢.

(٢) يوحنا: ١٤/٢٨.

فقط يكون الآب أعظم منه)[1]، وتأمل قوله: (في هذه الحالة فقط يكون الآب أعظم منه)، ونحن نقول: هذه الحالة هي مدار السؤال، فإن كان الآب أفضل بطل قولكم، وإن لم يكن أفضل ناقضتم كتابكم المقدس.

هذه جملة من الردود على عقيدتهم في الإله والتثليث، منها ما هو عامٌّ في الرد على كل من يقول بالتثليث، ومنها ما هو مختصٌّ بالنصارى الأقباط، ولو أردتُ استقصاء الردود لطال المقام، وتشعب الحديث، وحسبي بما صُنف في بيان الخلل عند النصارى بوجه عام[2].

(١) إيماننا الأقدس: ١٤٢.

(٢) انظر على سبيل المثال الجواب الصحيح: ٣/ ١٨٢ وما بعدها، هداية الحيارى: ١/ ١٤٥ وما بعدها، إظهار الحق: ١/ ٣٩٣ وما بعدها.

المبحث الثاني: عقيدتهم في الصلب والفداء، ومناقشتها

يُقرُّ النصارى بوجه عام بعقيدة الصلب والفداء للمسيح عليه السلام، وأن ذلك كان لخلاص البشرية من الآثام التي نالتها بسبب الخطيئة الأولى التي وقع فيها آدم وحواء عندما أكلا من الشجرة بعد أن نهاهما الله عن الأكل منها.

وقد قصَّ اللهُ علينا في كتابه الكريم هذه القصة في غير ما موضع، وبيَّن سبحانه أنه أباح لهما الأكل من جميع ثمار الجنة إلا شجرةً واحدةً نهاهما عن الأكل منها، فأغواهما الشيطان ومنَّاهما أنهما إن أكلا منها فإنهما سيكونا ملَكَيْن، وسيكونان من الخالدين، وأقسم لهما على ذلك إمعاناً في الخديعة، فأكلا منها، فبدتْ لهما عوراتهما، ثم إنهما تابا من ذلك الذنب فتاب الله عليهما[1]، يقول تعالى في بيان هذه القصة: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩-٢٥][2].

هكذا قصَّ الله علينا قصة آدم وحواء وخروجهما من الجنة، وعلى هذه القصة يُقيمُ النصارى عقيدة الصلب والفداء.

ومما يدلُّ على أهمية هذه العقيدة عندهم؛ أنه جاء النصُّ عليها في قانون الأمانة النيقاوي، وكان ذكرها بعد الإيمان بالثالوث، كما سيأتي بيانه.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم: ١/ ٢٣٤.

(٢) وورد ذكرها في سورة البقرة: ٣٤-٣٨، وسورة طه: ١١٥-١٢٣.

وفي هذا المبحث سأتناول بحول الله هذه العقيدة من حيث التعريف بها، وذكر أبرز أدلتهم عليها، وبيان أقوالهم ومعتقداتهم فيها، ثم أُتبع ذلك بمناقشتهم حولها.

عقيدة النصارى الأقباط في الصلب والفداء:

أولاً: تعريف الصلب والفداء:

أ - تعريف الصلب:

قال ابن منظور: الصَّلْبُ مصدر صَلَبَهُ يَصْلُبُهُ صلباً، وأصله من الصليب وهو الودك[1]، وبه سمي المصلوب لما يسيل من ودكه، والصَّلْبُ القتلة، المعروفة مشتق من ذلك، لأن وَدَكَهُ وصديده يسيل، وقد صَلَبَهُ يَصْلُبُهُ صَلْبَاً، والصليبُ الذي يتخذه النصارى على ذلك الشكل، وقال الليث: الصليب ما يتخذه النصارى قبلةً، والجمعُ صُلبان[2].

وجاء في قاموس الكتاب المقدس: (صَلَبَ يَصْلُبُ صَلباً.. صَلْبُ الضحية: تعليقها على صليب، تنفيذاً لحكم الإعدام فيها، وكان يتم ذلك بربط اليدين والرجلين به، أو بصورة أفظَع بتسميرٍ عن طريق الأجزاء اللحمية. وكانت طريقة القصاص هذه معروفة لدى أمم كثيرة)[3].

ويُعرِّف النصارى الأقباط الصليبَ بأنه: (خشبةُ تعذيبٍ كان الرومانيون يُعَلِّقون عليها بالحبال أو التسمير من حكموا عليهم بالموت، ويتركونهم عليها حتى يلفظوا رمقهم الأخير، كان شكل الصليب إما تاءً يونانيةً، وإما تاءً يعلوها قضيبٌ عموديٌّ صغير)[4].

ب - تعريف الفداء:

جاء في اللسان: فدى فديْتُه فدىً وفداءً وافتديته، والمفاداة أن تدفع رجلاً وتأخذ رجلاً، والفداءُ أن تشتريه، والفِداء بالكسر والمد، والفتح مع القصر: فَكَاكُ الأسير،

(١) الودك هو الدسم. انظر: لسان العرب: ١٠/ ٥٠٩.
(٢) لسان العرب: ١/ ٥٢٩ بتصرف.
(٣) قاموس الكتاب المقدس، مادة «صَلَبَ».
(٤) معجم الإيمان المسيحي: ٣٠٠.

يقال: فداهُ يفْدِيهِ فداءً وفدى، وفاداه يفاديه مفاداةً، إذا أعطى فداءه وأنقذه وفداه بنفسه، والفدية والفدى والفداء كله بمعنى[1].

وجاء في قاموس الكتاب المقدس: تُشيرُ لفظة الفداء في العهد القديم - في أغلب الأحيان - إلى خلاص الجسد، وأما في العهد الجديد فتشير إلى الخلاص من الخطيئة ونتائجها، وإلى الخلاص من رقِّ الناموس، وإلى بذل الجهد في استعمال الوقت في خدمة الله.. وقديماً لم يكن القاتل قادراً أن يفتدي نفسه بالمال، بل كان الحكم أن يُقتل بذنبه.. ومن التأمل في الشرائع التي كانت سائدة في العهد القديم؛ تنجلي أمورٌ كثيرةٌ تشير إلى مبدأ الفداء الذي أكمله المسيح، إذ قدّم نفسه لفكِّ كل قيدٍ ورفع كل مسؤوليةٍ، وافتداءِ جميعِ من كانوا تحت رقِّ عبودية الخطيئةِ، بشرط أن يقبل الخَاطئُ الفاديَ بإيمانٍ قلبي[2].

وفي معجم الإيمان المسيحي: (فِديَة: في لاهوت الفداء عند آباء الكنيسة، صورةٌ تدلُّ على المسيح، فإنه خلَّص البشر بآلامه من عبودية الخطيئة والشريعة والموت)[3].

ويُعرّف النصارى الأقباط الفداءَ بقولهم: (فداءُ الله للإنسان هو قبولُ ابنه حُكمَ الموتِ نيابةً عن الإنسان الذي أخطأ[4].. فالموت الذي حُكم به على الإنسان حملَهُ ابنُ اللهِ الوحيد، حين تجسَّد وسفك دمه على الصليب)[5].

ويشرح القديس أثناسيوس الرسولي الفِداءَ بقوله: (ولأن كلمة الله عالٍ فوق الكل فقد لاق به بطبيعة الحال أن يوفِّي الدَّيْنَ بموته، وذلك بتقديم هيكله وآنيته لأجل حياة الجميع)[6].

(١) لسان العرب: ١٥/ ١٤٩-١٥١بتصرف.
(٢) قاموس الكتاب المقدس، مادة «فدى» بتصرف.
(٣) معجم الإيمان المسيحي: ٣٥١.
(٤) يُريدون بذلك آدم عليه السلام.
(٥) إيماننا المسيحي صادق وأكيد: ٦٦.
(٦) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٢٧٣.

فالفداء إجمالاً، هو أن المسيح عليه السلام قدَّم نفسه للصلب والموت، فداءً للبشرية، ليكفِّر اللهُ عنها خطيئة آدم عليه السلام التي وقع فيها بأكله وزوجه من الشجرة في الجنة، والتي بسببها أخرجهما اللهُ من الجنة وأنزلهما إلى الأرض.

ثانياً: حقيقة الصلب والفداء عند النصارى الأقباط:

يُمثِّلُ الصليبُ رمزاً وعلامةً على النصرانية، يقول الأنبا غريغوريوس: (وسيظل الصليبُ دائماً وأبداً علامة للمسيحي والمسيحية)[1]، والصليبُ في الأصل كان علامةً على العار والخزي[2]، ثم أصبح رمزاً للخلاص والنصر كما يزعمون، جاء في معجم اللاهوت الكتابي: (لقد مات يسوع مصلوباً، فأصبح الصليب الذي كان أداةً للفداء مع الموت والألم والدم، أحدَ الأركان الأساسية التي تساعد على تذكيرنا بخلاصنا، إنه لم يعد عاراً، بل أصبح مطلباً وعنواناً للمجد للمسيح أولاً، ثم للمسيحيين من بعده)[3].

وعن الصليب مدار العهد الجديد من الكتاب المقدس، يقول الأنبا يوأنس: (الصليب هو المحور الذي يدور حوله كل فكر العهد الجديد، فيه يرتكز كل غنى الإنجيل ومجده، إنه رمز المسيحية ومجدها.. إن مجد الصليب هو كعارِه[4] تماماً)[5].

ويتعامل النصارى الأقباط مع الصليب في جميع أمور حياتهم، يقول علاّمتهم ترتليان[6]: (في كل تصرفاتنا، وفي دخولنا وخروجنا، قبل أن نرتدي ملابسنا، قبل

---

(١) الأعياد المسيحية: ٢٨٣.

(٢) انظر: إيماننا الأقدس: ١٤٦، معجم المصطلحات الكنسية: ٢/ ٢٦٩.

(٣) معجم اللاهوت الكتابي، مادة «صليب».

(٤) أي أن التأمل في الصليب، الذي هو عارٌ في أصله، رؤيةٌ لمجده.

(٥) إيماننا الأقدس: ١٤٦.

(٦) هو كوينتس سبتيموس ترتليانوس، يعُدُّه النصارى الأقباط علاّمةً في علم اللاهوت، وأحد المدافعين الأوائل عن النصرانية، ولد في قرطاجنة بإفريقيا سنة (١٦٠م) في جو وثني، وعاش في حياة فاسدة كما يعترف بنفسه، وكان عربيداً، مارس المحاماة بعد دراسته للقانون، ثم صار أستاذاً للبلاغة. اعتنق النصرانية وهو في الثلاثين من عمره، وصار مجادلاً لأعداء النصرانية من الوثنيين واليهود وغيرهم، هلك عام (٢٢٠م). انظر: قاموس آباء الكنيسة وقديسيها من موقع البابا كيرلس على الشبكة العنكبوتية:

http: //popekirillos.net/ar/fathersdictionary

الاستحمام، عند إضاءة المصابيح في العشاء، عند الرقاد بالليل، عندما نجلس للقراءة، وفي كل تصرفات حياتنا اليومية؛ نرشم[1] جباهنا بعلامة الصليب)[2]. ويقول الأنبا غريغوريوس: (صار الصليب للمسيحية رمزاً وفخاراً، وعَلَماً وشعاراً، وصار يُرسم أمامنا في صدر الكنيسة وأعلى حجاب الهيكل، وفوق المنارات والقباب، وعلى الأبواب، بل صرنا نحمله على صدورنا وفوق رؤوسنا، ونرسمه على وجوهنا، ونرفعه عالياً على بيوتنا، وسلاحاً روحانياً، نُشهره ضد الشيطان)[3].

وعندما يرشُمُ القبطي نفسه بالصليب يقول: باسم الآب والابن والروح القدس، يقول البابا شنودة الثالث: (ونحن لا نرشم الصليب على أنفسنا في صمت، إنما نقول معه: باسم الآب والابن والروح القدس)[4].

والصليب في أخصِّ دلالاته يدلُّ على عقيدتي الصلب والفداء، يقول البابا شنودة الثالث: (وفي الصليب أيضاً نُعلن عقيدتي التجسد والفداء، فنحن إذ نرشم الصليب من فوق إلى تحت، ومن الشمال إلى اليمين؛ إنما نتذكر أن الله نزل من السماء إلى تحت أرضنا، فنقل الناس من الشمال إلى اليمين، من الظلمة إلى النور، ومن الموت إلى الحياة)[5].

ومما يعتقده النصارى الأقباط في الصليب أن به قوةً خفيةً تردع الشيطان، لذا فإن الشيطان يخاف منه، ويهرب من المكان الذي يكون فيه، يقول البابا شنودة الثالث: (فنحن نرشم الصليب لأن الشيطان يخافه.. كل تعب الشيطان منذ آدم إلى آخر الدهور ضاع على الصليب، إذ دفع الربُّ الثمن، ومحا جميع خطايا الناس بدمه، ممن يؤمنون ويطيعون، ولذلك فإن الشيطان كلما يرى الصليب يرتعب متذكراً هزيمته الكبرى وضياع تعبه، فيخزى ويهرب)[6].

(١) الرشم هو الأثر، وهو الإشارة بالأصبع أو اليد أو الصليب على هيئة الصليب، من أعلى إلى أسفل، ومن اليمين إلى الشمال. انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ٢/ ١٣٠-١٣١.

(٢) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣٧١.

(٣) الأعياد المسيحية: ٢٨٢.

(٤) اللاهوت المقارن لشنودة: ١/ ١٥١.

(٥) عيد الصليب: ١٩.

(٦) اللاهوت المقارن لشنودة: ١/ ١٥٣.

ويُجمل البابا شنودة الثالث المسيحية كلها بالصليب، وأنها لن تكون مسيحيةً حقةً من غيره، يقول: (الحياة المسيحية هي صليب: إن الحياة المسيحية بواقعها العملي، هي رحلةٌ إلى الجُلجُثَة[1]، والمسيحية بدون صليب لا تكون مسيحيةً حقيقيةً)[2].

وللصليب عدةُ أشكال، جاء في قاموس الكتاب المقدس: (للصلبان نماذج رئيسية ثلاثة: أحدها المدعو صليب القديس أندراوس، وهو على شكل (X)، وثانيهما بشكل (+)، وثالثهما بشكل السيف[3]، وهو المعروف بالصليب اللاتيني، ولعل صليب المسيح كان من الشكل الأخير كما يعتقد الفنانون، الأمر الذي كان يسهل وضع اسم الضحية وعنوان علتها على القسم الأعلى منه)[4]. وللنصارى الأقباطِ صليبٌ يُعرَفُ باسمهم، يتميزُ بوجود زوائد في أطرافه، بهذا الشكل (X)، وفي بعض أشكاله يكون عموده السفلي طويلاً[5].

ويَعُدُ النصارى الأقباط عقيدتي الصلب والفداء الركنَ الثانيَ من أركان دينهم، بعد عقيدة التثليث وتجسد الإله في المسيح عليه السلام، وهي من العقائد التي أسسها بولس وأدخلها في المسيحية[6].

يقول القديس كيرلس الكبير: (إن رب المجد قد احتمل بإرادته إهانات اليهود، واحتمل الموت تدبيرياً على الخشبة، ليس لكي يبقى مائتاً معنا، بل لكي يُبطل سلطان الموت الذي لم يستطع أحد أن يقاومه، ولكي يعيد بذلك عدم الفساد إلى طبيعة الإنسان، لأنه كان حقاً إلهاً في الجسد)[7].

---

(١) الجُلجُثَة: كلمة عبرية تعني الجمجمة، وهي عندهم عبارةٌ عن تلَّةٍ صغيرة بشكل جمجمة، وقيل: هي موضعُ الإعدام الذي تُلقى فيه الجماجم فنُسبَ إليها، تقع خارج أورشليم، ويعتقدون بأن المسيح صُلبَ عليها. انظر: معجم الإيمان المسيحي: ١٧٥، معجم المصطلحات الكنسية: ١/ ٢٨٧، قاموس الكتاب المقدس، مادة «جمجمة».

(٢) عيد الصليب: ١٠.

(٣) يُريدُ هذا (✝).

(٤) قاموس الكتاب المقدس، مادة «صلب».

(٥) انظر: ثلاث دراسات عن الصليب والألم: ٩.

(٦) انظر: تحريف رسالة المسيح: ١٦٨.

(٧) إيماننا المسيحي صادق وأكيد: ٦٧.

ويقول القمص ميخائيل مينا: (كان لا يمكن لله[1] أن يُخلِّص الإنسان بطريقة أخرى غير الصلب، لأنها أنسب وسيلة للتكفير عن ذنوب الخطاة، ولكي يُعلمنا أنه ينبغي أن نتعب في الجهاد أيضاً من أجل خلاصنا، فكل الأديان تدعو أصحابها إلى تنفيذ أعمال شاقةٍ للحصول على سعادة الآخرة.. وقال لاهوتي: إنه من كمال الحكمة الإلهية أن يُخلِّص الإنسان بهذا السبيل الشاق، لأنه لم يكن من المستطاع أن يجتذبنا لاستعمال هذه الوسائل في سبيل الخلاص، ويُسهلها لنا ويُحببنا إليها باستعمالها هو ذاته)[2].

بل ويُقرُّون بأن القول بالطبيعة الواحدة للإله ورفض الطبيعتين - الذي تتميز به الكنيسة الأرثوذكسية -؛ إنما هو لأجل الفداء.

يقول البابا شنودة الثالث: (إن الإيمان بطبيعةٍ واحدةٍ للكلمة المتجسد، هو أمرٌ لازمٌ وجوهريٌ وأساسيٌ للفداء، فالفداء يتطلب كفارةً غير محدودة، تكفي لمغفرة خطايا غير محدودةٍ لجميع الناس في جميع العصور، ولم يكن هناك حلٌ سوى تجسد الله الكلمة، ليجعل بلاهوته الكفارةَ غير محدودةٍ، فلو أننا تكلمنا عن طبيعتين منفصلتين، وقامت الطبيعة البشرية بعملية الفداء وحدها، لما كان ممكناً على الإطلاق أن تقدم كفارة غير محدودةٍ لخلاص البشر، ومن هنا كانت خطورة المناداة بطبيعتين منفصلتين، تقوم كل منهما بما يخصّها، ففي هذه الحالة موت الطبيعة البشرية وحدها لا يكفي للفداء)[3].

ومما يدل على أهمية هذه العقيدة عندهم، ورودها في قانون الأمانة النيقاوي، حيث جاء الحديث عن عيسى عليه السلام بقولهم: (الذي لأجلنا نحن البشر، ولأجل خلاصنا؛ نزل وتجسد وتأنَّس وتألَّم، وقام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء، وسيجيء ليدين الأحياء والأموات)[4].

---

(١) وهذا من سوء الأدب مع الله، فهو سبحانه لا يعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، وهو على كل شيءٍ قدير.

(٢) موسوعة علم اللاهوت: ١٠٤.

(٣) طبيعة المسيح: ١٩.

(٤) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ١٩٦، الأرثوذكسية قانون إيمان لكل العصور: ٢٤، التثليث والتوحيد: ٧.

وقد شرح متقدمو النصارى الأقباط هذه الفقرة من قانون الأمانة، وأكدوا فيها على تمسك الكنيسة القبطية بهذا المعتقد، ومضيها في تحقيق معناه، يقول ساويرس ابن المقفع[1]: (قد تحقق لنا أنه - الله - لم يُفوِّض ملاكاً ليُخلِّصنا، ولا إنساناً يُنجينا، لأن البشر لا يستطيعون دفع الثمن الذي اشترانا به، كما أنه حقق نبوات الأنبياء عن الخلاص، وأن الملائكة ليست لها أجساد لتفدي البشر بالموت نيابةً عنهم.. وكان الصلب الذي احتمله لفدائنا، بما يُرضي عدله وحكمته)[2].

ويقول ابن سبَّاع: لما خلق اللهُ العالَمين: العلوي والسفلي؛ خَلَقَ الإنسانَ، فغلبه إبليس، فأظهر اللهُ محبته للبشر، وأرسل كلمته وتجسَّدَ، ومات لأجلنا ولأجل خلاصنا[3].

ويستدلُّ النصارى الأقباط على هذه العقيدة بعدة نصوص من الكتاب المقدس، فمن ذلك:

١. (فقال له الرب: نظرتُ إلى معاناة شعبي الذين في مصر، وسمعتُ صراخهم من ظلم مسخريهم، وعلمتُ بعذابهم، فنزلتُ لأنقذهم من أيدي المصريين، وأُخرجهم من تلك الأرض إلى أرضٍ رحبةٍ، تدرُّ لبناً وعسلاً)[4].

٢. (لأن ابن الإنسان جاء لا ليخدمه الناس، بل ليخدمهم، ويفدي بحياته كثيراً منهم)[5].

٣. (هكذا أحب اللهُ العالَمَ حتى وهب ابنه الأوحد، فلا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية)[6].

---

(١) هو أسقف مدينة الأشمونين، كان عالماً بتاريخ بطاركة الأقباط، وهو أول من جمع تاريخهم، وله العديد من المؤلفات في العقيدة الأرثوذكسية القبطية، ككتاب التوحيد، وكتاب نظم الجوهر، وكتاب الشرح والتفصيل وغيرها، كما كان له اعتناء بترجمة الكتب القبطية إلى اللغة العربية، هلك في القرن العاشر. انظر: الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٢٩٨، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٣٧٩-٣٨٠، الأقباط النشأة والصراع: ٣٩١.

(٢) مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٣٨.

(٣) الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ٦٦ بتصرف.

(٤) الخروج: ٣/ ٧-٨.

(٥) مرقس: ١٠/ ٤٥.

(٦) يوحنا: ٣/ ١٦.

٤. (ولكن الله برهن عن محبته لنا بأن المسيح مات من أجلنا، ونحن بعدُ خاطئون، فكم بالأولى الآن بعدما تبررنا بدمه أن نخلص به من غضب الله)[١][٢].

قصة آدم وخروجه من الجنة:

مُجمل ما يرويه النصارى الأقباط في قصة آدم وخروجه من الجنة، أن الله لما خلق آدم من تراب وأسكنه الجنة؛ أباح له الأكل من شجرها وثمارها إلا شجرةً واحدةً، وكان التسبيح والتقديس يُرفع لإبليس رئيس جنود السماء ليقدمه لخالقه، وأنه لم يُقدم تلك التسابيح والتقديسات لخالقه فأسقطه الله من رتبته التي كان عليها، فبقي إبليس مُجرداً من درجته التي كان يحظى بها، وكان ينتظر مَن يأتي من الملائكة ليأخُذَ مكانه، فلما خَلَقَ اللهُ آدمَ عَلِمَ إبليسُ أن آدم سيأخذ مكانه، فاغتاظ لذلك، وأراد أن يُسقط آدم فيما سقط فيه من المخالفة، فلما رآى آدمَ يأكلُ من جميع أشجار الجنة إلا واحدةً؛ أراد إغواءه، وقد عَلِمَ إبليس أن عدل الله الذي أنزله من مرتبته لما خالف وعصى يقتضي أن يُخرج آدم من الجنة إن هو عصى أمر الله، فاحتال الشيطان على حواء آخذاً صورة حيَّة، وقال لها: إن أكلتما منها فإنكما تصيران آلهة، فصدَّقت حواءُ ذلك، فأكلتْ وأطعمتْ زوجها آدم، فأكل معها، فأصبحا عاريين، ثم قال اللهُ لآدم: موتاً تموت، وبالتعب والكد تأكل خبزك، ولُعِنَتِ الأرض بعملك، ثم قال لحواء: موتاً تموتين، وبالأحزان والأوجاع تلدين، وإلى بعلك ترجعين، ثم قال للحيَّة: ملعونةً تكونين من بين الدواب، وعلى بطنك تَسْعَيْن وتدبِّين، ثم طرد اللهُ آدم وحواء من الجنة، فبكَيا وحَزِنا حزناً عظيماً، ووقف آدمُ غرب الفردوس يصلي باكياً ثم نام، ولما استيقظ وجد نفسه في ظلمةٍ عظيمةٍ، فخاف وقال: أتهلكني يا رب؟ فناداه الله وقال: يا آدم هذه نتيجةُ محبةِ حبيبك إبليس الذي أطعته، وخالفتَ أمري ووصيتي، وبعد ذلك أصبحَ آدم مولعاً بالشهوة الحيوانية[٣]!

---

(١) روميه: ٥/ ٨-١٠.

(٢) للمزيد انظر: هل حقاً صُلب المسيح؟: ٢٨وما بعدها، ثلاث دراسات عن الصليب والألم: ٢٩-٣١، إيماننا الأقدس: ١٧٤-١٨٠.

(٣) انظر القصة بكاملها في الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ١١-١٣.

هذا مجمل القصة التي تقوم عليها عقيدة الصلب والفداء، ويعتمد النصارى الأقباط في تقرير عقيدتهم على أساسين اثنين، هما: العدل والمحبة، وبعضهم يُعبِّر عن المحبة بالرحمة، فيقولون: إن من صفات الله: العدل والمحبة، فالله كان سيُعاقب البشريةِ كلها بذنب آدم بعد أكله من الشجرة في الجنة، فاشتراك الذرية مع آدم في الذنب يدلُّ على عدل الله!! لكن الله أراد أن يغفر لآدم وذريته من بعده هذه الخطيئة، وفي هذا تعارض لهاتين الصفتين - كما يزعمون -، فلازم العدل عقابُ الجميع، ولازم الرحمة المغفرةُ لهم جميعاً، فلم يكن من طريقٍ للجمع بين هاتين الإرادتين والصفتين إلا بتوسط ابن الله الفادي، ليُخلِّص الناس من هذه الخطيئة.

يقول ابن المقفع: (وكان الصلب الذي احتمله لفدائنا، بما يُرضي عدله وحكمته)[1].

ويقول الأنبا يوأنس: (إن فداء الإنسان، وأن يرحمه الله بكلمة واحدة، يتعارض مع احترامه لعدله، والحكم الذي نطق به للإنسان الأول[2].. فالله يحترم كلمته والحكم الذي صدر منه.. من هنا كان الحل الوحيد هو أن يأخذ اللهُ صورةَ الإنسان، ويتخذ شكله محتجباً في جسد، ويقبل في هذا الجسد نفس الحكم الصادر على الإنسان، وفي هذا كل الرحمة، وكل العدل، كل الرحمة لأنه ليس حبٌّ أعظم، ولا رحمة أوسع من أن يَقْبلَ اللهُ على ذاته القدوسة أن يتخذ له جسداً ترابياً، ويَقْبلَ منه كل صنوف الضعف والهوان والمذلة..، وكل العدل لأنه ليس أدل على هذه العدالة المطلقة من أن يَقْبلَ اللهُ على نفسه تنفيذَ الحكم الذي أصدره هو بنفسه على الإنسان، حتى إنه لما لم يجد ما يَصْلُح أن يكون بديلاً للإنسان المذنب، قام هو بنفسه بتنفيذ هذا الحكم في جسده الذي اتخذه)[3].

ويقول الدياكون ميخائيل إسكندر: (من صفات الله الكثيرة والجميلة: الرحمة والعدل، وإذا كان الإنسان الأول قد أخطأ بإراداته، وعصى الوصية الإلهية، فقد استحق

(١) مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٣٨.

(٢) هو حكم الموت الوارد في سفر التكوين: ٢/ ١٧.

(٣) عقيدة المسيحيين في المسيح: ١٤-١٥.

عقوبتها وهي الموت، وحسب قانون الوراثة[1]؛ فقد ورثتْ ذرية آدم المرض الروحي (الخطية) واستحقتِ الموت الأدبي والروحي والجسدي، فما هو الحل لإنقاذها من العقاب الأبدي؟ الله هو الذي تدخَّل للحل، نظراً لأن الله عادلٌ جداً في رحمته، ورحيمٌ جداً في عدله، فقد دبَّر الخلاص لآدم وذريته من الخطية)[2].

ويقول القس بيشوي حلمي: (بعد سقوط الإنسان أمامنا عدة احتمالات:

١/ إما أن يتركَ اللهُ الإنسانَ ليموت ويفنى إلى الأبد: وفي هذا انتقاص لمحبة الله ورحمته، كما أن هذا انتصار لمملكة الشيطان على الله وعلى مقاصده في خلقه الإنسان.. إذن لا يمكن أن يفعل الله ذلك.

٢/ إما أن يسامح اللهُ الإنسان ويغفر له: وفي هذا انتقاص لعدل الله، كما أن هذه المغفرة لن تجدد طبيعة الإنسان التي فسدت بالتعدي والعصيان.. إذن لا يمكن أيضاً أن يفعل الله ذلك.

٣/ إما أن نجد من يفدي الإنسان ويموت عنه: شخص يموت نيابةً عن الإنسان، وبذلك يفديه من الموت، وفي الوقت نفسه يتمم حكم الله، ولكن لابد من مواصفات محددة وشروط خاصةٍ لهذا الفادي.. - إلى أن قال - الحل الوحيد والأوحد أن يكون الفادي هو الله بذاته)[3].

وحول علاقة البشرية بخطيئة آدم؛ يُبرِّر البابا شنودة الثالث ذلك بقوله: (ولعلك تقول: وما ذنبنا نحن؟ فأجيبُك بأمرين:

١/ لقد كنا في صُلب آدم حينما أخطأ، فنحن لسنا غرباء، وإنما جزء منه..

---

(١) يقول القس بيشوي حلمي: (قانون الوراثة يوضح أنه لا يمكن لكائنٍ أن يلدَ آخر مختلفاً عنه، فالأرنب مثلاً لا يمكن أن يلد حملاً، والشوك لا يمكن أن يُنتجَ عنباً، وبما أن آدم الذي وُلد منه البشر جميعاً كان قد فقد بعصيانه الطبيعة المقدسة التي خلقه الله عليها، وأصبح خاطئاً قبل أن يُنجب نسلاً؛ إذن كان أمراً بديهياً أن يولد أبناؤه جميعاً خطاة بطبيعتهم مثله، وهكذا صار جميع الناس يولدون بطبيعةٍ فاسدةٍ، مثلهم في ذلك مثل من يولد من أبوين مريضين فيرث عنهما المرض والضعف).إيماننا المسيحي صادق وأكيد: ٦٨، وانظر حول القانون: ثلاث دراسات عن الصليب والألم: ٢١.

(٢) ثلاث دراسات عن الصليب والألم: ١٥.

(٣) إيماننا المسيحي صادق وأكيد: ٦٤-٦٥.

٢/ عملية الفداء تحل مشكلة عبارة «ما ذنبنا نحن؟»[١]

لماذا إذن نُعمِّد الأطفال؟

لأنهم ورثوا الخطية الأصلية الجَديّة، وعاقبتها الموت)[٢].

وقد اشترط النصارى الأقباط لهذا الفادي صفاتٍ يلزم توافرها فيه، فمن شروطهم في الفادي: أن يكون إنساناً غير محدودٍ، نزيهاً عن الذنوب، وألا يموت إلا باختياره[٣]!

ويُبرّر النصارى الأقباط الحاجةَ إلى الفداء والفادي بأن الخطيئة الأولى لآدم لم تكن لتغفر بدون دم، وقد ارتضى اللهُ الفاديَ أن يكون ابنه - كما يزعمون -، ولولا دم المسيح لم يُغفر ذنبٌ بالتوبة وحدها، إذ التوبة والأعمال الصالحة إنما تمنع من الوقوع في الخطأ المستقبلي لا أنها تغفر الزلل السابق!

يقول القديس أثناسيوس الرسولي: (أيُّ طريقٍ كان ممكناً أن يسوقه الله؟ أيطلب من البشر التوبة عن تعدياتهم؟ ولكن لا تستطيع التوبة أن توفِّي مطلب الله العادل، لأنه إن لم يظل الإنسان في قبضة الموت يكون الله غير صادق.

تعجز التوبة عن أن تغير طبيعة الإنسان، لأن كل ما تفعله هو أنها تقف حائلاً بينه وبين ارتكاب الخطية)[٤].

ويقول البابا شنودة الثالث: (ومهما عمل الإنسان فإن أعماله محدودة، لذلك لا تَغْفر الخطية إلا كفارةٌ غير محدودةٍ، ولا يوجد غيرُ محدودٍ إلا الله، لذلك لم يكن هناك حلٌّ لمغفرة الخطية سوى أن يتجسد اللهُ ذاته ويموت، ويكون بموته كفارةً غير محدودة)[٥].

---

(١) أي أن براءتنا حلتها عملية الفداء.

(٢) سنوات مع أسئلة الناس «لاهوتية وعقائدية (ب)»: ٨٤-٨٥.

(٣) انظر: إيماننا الأقدس: ١٥٩-١٦١، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٢٧١.

(٤) إيماننا المسيحي صادق وأكيد: ٦٩-٧٠.

(٥) الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي: ١٨.

ويقول الأنبا يوأنس: (هل يمكن للأعمال الصالحة كالصلاة والصوم والصدقة أن تغفر خطية الإنسان؟ وأرجو أن تلاحظوا أني أتكلم هنا عن الأمر خارج دائرة المسيحية، أي بدون المسيح.

الجواب: لا، لا يمكن ..

لماذا؟

لأن الأعمال الصالحة إنما هي واجب على الإنسان، ولا فضل وشكر على واجب.. **هل يُمكن القول: إن الحسنات يذهبن السيئات؟!**[١]..إن هذه الأفكار البدائية لن تُعبِّر عن الحقيقة في شيءٍ، بل لعلها استخفاف بالعقل...

هل يمكن للتوبة أن تغفر للإنسان خطيته؟

وللمرة الثانية أَلْفِتُ النظر أني أعالج الأمر خارج دائرة المسيحية أي بدون المسيح.

سبق أن قلنا: إن الخطية إساءة بالغة إلى الله، وتشويه لصورته التي خَلَقَنا على مثالها، وتوبةُ الإنسان لا ترد لله كرامته ومجده، وتمحو الإساءة التي وُجهتْ إليه، وكأنها لم تكن)[٢].

ويقول الأنبا بيشوي: (إن الله إذا غفر بدون قصاصٍ كاملٍ وعادل للخطية؛ يكون كمن يتساوى عنده الخير والشر، وإذا كان الغفران هو علامةً لرحمته؛ فأين قداسته الكاملة كرافضٍ للشر إن لم تأخذ الخطية قصاصاً عادلاً، نحن نفهم أن الله يقول لنا: أنا أغفر لكم، لكنّي أغفر لمن يدرك قيمة الغفران أن ثمنه قد دُفع غالياً جداً)[٣].

ويُقرُّ النصارى الأقباط أن الصلب كان في أصله للمجرمين، يقول الدياكون ميخائيل إسكندر: (وقد ظلَّت هذه العقوبة في عهد الأباطرة الآخرين قاصرة على العبيد

---

(١) هكذا كتبها في كتابه مميزةً بالبنط العريض، وهو يريد بذلك المسلمين في اعتقادهم مغفرةَ الذنوب بالتوبة والأعمال الصالحة، كما في الآية الكريمة: {إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾}، وقد وقفتُ على مواضع عدة للكاتب يُناقش فيها آيات من القرآن الكريم، انظر على سبيل المثال: إيماننا الأقدس: ١٣٦، ١٥٢، ١٥٨، ١٦٨.

(٢) إيماننا الأقدس: ١٥٢-١٥٥.

(٣) مئة سؤال وجواب في العقيدة المسيحية الأرثوذكسية: ٣٩.

المجرمين، وعلى عتاة المجرمين من الطبقات الدنيا في المجتمع الروماني الطبقي، واستُثْنِيَ منها كل مجرم حاصل على الرعوية - أي الجنسية - الرومانية)[1].

ويقول البابا شنودة الثالث: (لقد كان الموت بالصليب يُعتبر عاراً، فاختار الربُّ أشنع الميتات، وأكثرها عاراً في ذلك الزمان)[2].

ويؤكد الكتاب المقدس هذا المعنى، فقد جاء في العهد القديم: (فقال الملك أحشويروس لأستير الملكة ولمردخاي اليهودي: ها أنا أعطيتُ هامان لأستير، وأما هو فعلقوه على الخشبة، لأنه رفع يده على اليهود)[3].

وكان أول من أمرَ بإلغاء تعذيب المجرمين بالصلب الإمبراطور قسطنطين، توقيراً لصلب المسيح عليه السلام[4].

صلب المسيح:

تَعرضُ الأناجيلُ تفاصيل قصة صلب المسيح عليه السلام في أكثر من موضع، وتتفق جميعها - عدا إنجيل برنابا - على أن المسيح عليه السلام كان عارفاً بصلبه، وأن يهوذا الأسخريوطي هو الذي سيُسلِّمه لليهود كي يصلبوه، ويعود مجملُ قصةِ صلب المسيح في الكتاب المقدس إلى أن رؤساء الكهنة كانوا يريدون قتله عليه السلام، ولم يريدوا أن يكون ذلك في يوم العيد حتى لا يحدث الشغب بين الشعب، وكان يهوذا الأسخريوطي ينوي تسليمه لليهود، ولما كان المسيحُ عليه السلام مُدركاً لذلك وعالماً به؛ أخبرَ تلاميذه بأن أحدهم سيُسلِّمهُ لليهود، وبينما هو مع تلاميذه أقبل عليه يهوذا ومعه جمعٌ من الرجال حاملين السيوف، فقُبض عليه وقُيِّدَ إلى دار الولاية، فعرَّوه وألبسوه رداءً معيَّناً، وكانوا يستهزئون به ويضربون رأسه، ثم نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به إلى الصليب، وحمل رجلٌ يقال له: سمعان، الصليبَ إلى مكان الجُلجُثة، فسقوا

(١) ثلاث دراسات عن الصليب والألم: ١٥.
(٢) سنوات مع أسئلة الناس «لاهوتية وعقائدية (أ)»: ٨٦.
(٣) أستير: ٨/ ٧.
(٤) انظر: ثلاث دراسات عن الصليب والألم: ١٥.

المسيح شراباً به خَلٌّ، ثم صلبوه، وكان يسخرون منه وهو مصلوب، ويقولون له: إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب. وكان ذلك في الساعة الثالثة من صباح يوم الجمعة، ولما جاءت الساعة التاسعة من مساء ذلك اليوم؛ صرخ عيسى عليه السلام بصوت عظيم قائلاً: إيلي إيلي لم شبقتني؟ أي إلهي إلهي لماذا تركتني؟ ثم مات، وحدث أن تزلزلَت الأرض بعد موته، وتشققت الصخور، فعلم اليهود والرومان أنه ابن الله!

ثم وُضِعَ المسيحُ في القبر، وبقي فيه ثلاثة أيام، ثم قام بعد ثلاثة أيام، واستمر أربعين يوماً، ثم رُفع إلى العرش، ليجلس عن يمين الآبِ، ويحاسب الخلق يوم القيامة[1].

هكذا تُصَوِّر الأناجيل قصة موت المسيح عليه السلام وصلبه، على اختلافٍ وتباينٍ يصل إلى حدِ التناقض بينها في عرض القصة وتفاصيلها.

ومما تَجْدُر الإشارةُ إليه عند موقف النصارى الأقباط من موت المسيح عليه السلام؛ أنهم لما كانوا يقولون باتحاد الطبيعتين، وصيرورتهما طبيعةً واحدةً، بدون انفصال؛ فعند موت المسيح على الصليب - كما يزعمون - هل انفصل لاهوته عن ناسوته؟

يعتقد النصارى الأقباط أن المسيح عليه السلام لما كان من طبيعةٍ واحدةٍ غير منفصلةٍ؛ فإنه لما مات لم ينفصل لاهوته عن ناسوته، لأن انفصالهما يُبطل القول بالطبيعة الواحدة التي تقوم عليها عقيدتهم، وإنما الانفصال الذي حصل في موته محصورٌ في ناسوته، ويتمثل ذلك بانفصال روحه عن جسده، مع اتحاد اللاهوت بالروح والجسد.

وللتوضيح يُقال: إن النصارى الأقباط يعتقدون أن المسيح عليه السلام له طبيعةٌ واحدة، هي طبيعة الكلمة المتجسدة، وهذه الطبيعة أتت من طبيعتين: لاهوتية وناسوتية، والناسوتُ عندهم مُركبٌ من جزأين: الروح والجسد، واللاهوت متحدٌ بالناسوت (الروح والجسد)، ولا يمكن أن ينفصل عنه، وإلا للزم القول بالطبيعتين، وموتُ المسيح عندهم تمَّ بانفصال جزأي الناسوت (الروح والجسد) عن بعضهما مع بقاء اللاهوت متحداً بهما.

---

(١) حول قصة صلب المسيح عليه السلام، انظر: متّى: الإصحاح: ٢٦-٢٨، مرقس: الإصحاح ١٤-١٦، لوقا: الإصحاح: ٢٢-٢٤، يوحنا: الإصحاح: ١٨-٢١.

يقول ابن كبر: (وقولنا: صُلِبَ الإله؛ إنما ذلك قد وقع على الناسوت باعتبار أن المركب إذا حدث لأحد أجزائه أمر، يوصف بما نال بذلك الجزء)[1].

ويقول البابا شنودة الثالث: (ولم يحدث انفصال بين اللاهوت والناسوت في موت المسيح.. انفصلت نفسه عن جسده، ولاهوته لم ينفصل قط عن نفسه ولا عن جسده، وهكذا نفسه وهي متحدةٌ باللاهوت ذهبتْ إلى الجحيم لتبشر الراقدين على الرجاء.. وبقي جسده في القبر متحداً باللاهوت)[2]، ويقول أيضاً: (موت المسيح معناه انفصال روحه عن جسده، وليس معناه انفصال لاهوته عن ناسوته، الموت خاصٌّ بالناسوت فقط، إنه انفصال بين شقي الناسوت، الروح والجسد، دون أن ينفصل اللاهوت عن الناسوت.. انفصلتِ الروحُ البشريةُ عن الجسد البشري، ولكن اللاهوتَ لم ينفصل عن أيٍّ منهما، وإنما بقي متحداً بهما كما كان قبل الموت، وكل ما في الأمر أنه قبْلَ الموت كان اللاهوت متحداً بروح المسيح وجسده، وهما (أي الروح والجسد) متحدان معاً، أما في حالة الموت فكان اللاهوت متحداً بهما وهما منفصلان عن بعضهما البعض، أي صار متحداً بالروح البشرية على حدةٍ، ومتحداً بالجسد على حدةٍ)[3].

ويقول الأنبا بيشوي: (إن السيد المسيح قد مات بحسب الجسد، لكن لم يمت بحسب طبيعته الإلهية، فالإنسان العادي له روح وجسد، فروحه لا يموت، ولكن جسده يموت، وهو إنسان واحد، فبعد أن يموت جسد الإنسان يبقى روحاً حياً.. هكذا أيضاً عندما مات السيد المسيح على الصليب فإنه مات بالجسد، أما روحه الإنساني فبقي حياً، وكلاهما متحدٌ باللاهوت)[4].

ويقول فوزي جرجس: (فلما مات على الصليب مات بالجسد، يعني: الذي انفصل بهذا الموت من الجسد هو الروح البشرية، مع بقاء اللاهوت متصلاً بها ومتصلاً

(١) مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ١٠.
(٢) طبيعة المسيح: ١٨.
(٣) سنوات مع أسئلة الناس «لاهوتية وعقائدية (أ)»: ٨٧-٨٨.
(٤) مئة سؤال وجواب في العقيدة المسيحية الأرثوذكسية: ٤٥.

بالجسد)[1].

ولما كان قولهم في موت المسيح عليه السلام ظاهر التناقض لأصل معتقدهم؛ كان متقدموهم أقرب إلى العقل في تقريرهم للمسألة من متأخريهم، فأوائل النصارى الأقباط يرفضون التعبير بالموت للمسيح عليه السلام، لأن التعبير بالموت يقتضي القول بانفصال الطبيعة الواحدة حتى لا يقال بموت اللاهوت، وإلا لزم موتُ الطبيعتين، أما أن يُقال ببقاء الاتحاد مع موتِ أحدهما؛ فهذا ما لا يُعقل.

يقول ابن سبَّاع في شرحه لكلمة (وقُبِرَ) الواردة في قانون الأمانة: (ولم يقولوا (ومات) مع تحقيقهم بأن موته قد تمَّ وهو على الصليب، لأن الكلام قد سبق بأن المسيح لا يُسمى مسيحاً إلا لمعنيين مختلفين، أحدهما سماويٌّ لطيف، والآخر أرضيٌّ كثيف، أي أن المسيح من جوهر لاهوته الحي الأزلي الذي لا يموت، ومن جوهر الناسوت الذي يموت، وباتحاد المعنيَيْن صار واحداً، أقنوماً واحداً من أقنومين، وطبيعةً واحدة من طبيعتين، مشيئةً واحدةً من مشيئتين، ولعدم مفارقة اللاهوت للناسوت لحظةً واحدةً أو طرفةَ عينٍ؛ قالوا: (قُبر أو دُفن) ولم يقولوا: (مات))[2].

وكما حصروا موتَ المسيح عليه السلام بناسوته؛ حصروا آلامه على الصليب كذلك بناسوته، مع اتحاد الناسوت باللاهوت إلا أنهم يرفضون القول بأن اللاهوت قد تألم!

ويقول البابا شنودة الثالث: (حقاً إن اللاهوت غير قابلٍ للآلام، ولكن الناسوت حينما وقع عليه الألم كان متحداً باللاهوت، فنُسِبَ الألم إلى هذه الطبيعة الواحدة غير المحدودة.. فرق كبير بين أن نقول: إن الناسوت وحده منفصلاً عن اللاهوت قد تألم، وبين أن نقول: إن الابن الوحيد تجسد وصُلب وتألم وقبر وقام، هنا فائدة الإيمان بالطبيعة الواحدة.. فهل تألم اللاهوت إذن؟ نقول: إنه بجوهره غير قابلٍ للألم، ولكن السيد المسيح تألم بالجسد، وصُلب بالجسد.. مات بالجسد، الجسد المتحد

(١) التثليث والتوحيد: ١٠٨.

(٢) الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ٦٨.

باللاهوت، فصار موته يعطي عدم محدودية للكفارة)[1].

ولما وُضِعَ المسيح عليه السلام في القبر فإن الذي وُضِعَ هو الناسوت مع بقاء اللاهوت متحداً به!

يقول الأنبا بيشوي: (إن الذي وُضِعَ في القبر هو جسد السيد المسيح المتحد باللاهوت، ولكن في نفس الوقت لاهوته يملأ الوجود كله، ولا يحده القبر، ويدير العالم كله)[2].

قيامة المسيح عليه السلام:

مما يتصل بعقيدة الصلب والفداء عند النصارى عموماً؛ عقيدةُ قيامة المسيح عليه السلام بعد موته، جاء في قاموس الكتاب المقدس: (أصبحت قيامة المسيح إحدى الدعائم الأساسية القويمة التي بُنيت عليها مناداة الرسل، فكان محور تبشيرهم أن المسيح قد قام من بين الأموات)[3].

وترتبط عقيدة قيامة المسيح ارتباطاً وثيقاً بتأليهه، يقول ابن سبَّاع: (هذا الجسد - جسد المسيح - ليس له قدرة على القيام من الأموات وحده مطلقاً، إلا بقوة لاهوت الابن الكلمة الذي اتحد به، وصيَّره قادراً على القيام من الموت)[4]، ويقول البابا شنودة الثالث: (فلما قام السيد المسيح؛ كانت قيامته برهاناً عظيماً على لاهوته، إذ إنه الوحيد الذي قام بذاته من بين الأموات، دون أن يقيمه أحد)[5].

وذلك أنهم يؤمنون أن المسيح بعدما صُلب وقُبر، بقي في قبره ثلاثة أيام - كما يزعمون -، ثم قام وخرج من القبر، ومكث بين تلاميذه أربعين ليلةً، ثم صعد إلى السماء، وكان قد أخبر تلاميذه بذلك قبل أن يُصلب، إلا أن التلاميذ لم يُدركوا ذلك إلا بعد قيامته.

---

(١) طبيعة المسيح: ٢١-٢٢.

(٢) مئة سؤال وجواب في العقيدة المسيحية الأرثوذكسية: ٤٥.

(٣) قاموس الكتاب المقدس، مادة «القيامة».

(٤) الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ٦٨.

(٥) سنوات مع أسئلة الناس «لاهوتية وعقائدية (أ)»: ١١٤.

جاء في سفر متّى: (وبدأ يسوع من ذلك الوقت يُصرِّح لتلاميذه أنه يجب عليه أن يذهب إلى أورشليم، ويتألم كثيراً على أيدي شيوخ الشعب ورؤساء الكهنة ومعلمي الشريعة، ويموت قتلاً، وفي اليوم الثالث يقوم، فانفرد به بطرس، وأخذ يعاتبه، فيقول: لا سمح الله يا سيد، لن تلقى هذا المصير)[1].

وجاء في مرقص: (وبعدما قام يسوع في صباح الأحد، ظهر أولاً لمريم المجدلية التي أخرج منها سبعة شياطين، فذهبتْ وأخبرتْ تلاميذه، وكانوا ينوحون ويبكون، فما صدقوها عندما سمعوا أنه حيٌّ، وأنها رأته)[2].

وقد وردتْ نصوصٌ عديدةٌ في الكتاب المقدس حول قصةِ قيامةِ المسيح بعد موته[3].

كما جاء في قانون الأمانة إثباتُ هذه العقيدة، فقد جاء في وصف المسيح: (الذي لأجلنا نحن البشر، ولأجل خلاصنا؛ نزل وتجسد وتأنَّس وتألَّم، وقام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء، وسيجيء ليدين الأحياء والأموات)[4].

ويعتقد النصارى الأقباط أن الموتَ هو عقوبة العصاةِ، وذلك قبل مجيء المسيح عليه السلام، وأن الشيطان كان يأخذ الأرواح بعد موتها إلى الجحيم، وأن له نفوذاً على العالم بأسره، ولذا كان الناس يخافون الموت، حتى جاء المسيح وصُلب ومات، ثم قام من موته، وقهر الموت!

يقول الأنبا بيمن: (قبل مجيء المسيح؛ كان الموت أُجرة العصيان، والنتيجة الحتمية للفساد الذي دخل حياة الإنسان بحسد إبليس..، وكان الموت مُخيفاً، لأن إبليس وجنده كانوا يأخذون الأرواح إلى الهاوية، وكان لعدوِ الخير سلطانٌ على جميع الأرواح، كما كان له السلطان على كل العالم.. [و] بعد تجسّد المسيح وموته وقيامته؛ فالموت بدلاً من أن يكون لعنةً صار بركةً وربحاً)[5].

(١) متى: ١٦/ ٢١-٢٢.

(٢) مرقس: ١٦/ ٩-١١.

(٣) انظر: متّى: ١٢/ ٣٨-٤٠، ١٦/ ٢١، مرقس: ٨/ ٣١، ٩/ ٩، لوقا: ٩/ ٢٢، ويوحنا: ٢/ ١٩-٢١.

(٤) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ١٩٦، الأرثوذكسية قانون إيمان لكل العصور: ٢٤، التثليث والتوحيد: ٧.

(٥) موسوعة الأنبا بيمن: ٢/ ٢٠٦.

ويعتمد النصارى الأقباط في إثبات قصة قيامة المسيح على مجموعة من الدلائل الحسيّة التي يزعمونها، فمن ذلك:

١ - خلو القبر من المسيح:

ينقلون في كتبهم أن القبرَ قد خلا من المسيح مع حرص اليهود الذين قتلوه واحتياطاتهم لمنع القيامة، يقول البابا شنودة الثالث: (كان رؤساء الكهنة والفريسيون يعرفون ما تنبأ به الرب عن قيامته.. لذلك قاموا بكل الإجراءات التي تضمن في نظرهم منع القيامة، إذ وضعوا على باب القبر حجراً كبيراً وختموا الحجر، وضبطوا القبر بالحراس.. ولكن كل احتياطاتهم أصبحتْ أدلةً على القيامة بالأكثر، إذ قام المسيح على الرغم من كل ذلك..)[1]، ويقول الدياكون ميخائيل مكسي: (كما أن القبر الفارغ يدل على قيامة المسيح فعلاً)[2].

٢ - وجود الأكفان والمناديل عند قبره:

يزعم النصارى الأقباط أن كفن المسيح ومناديله التي لُفَّ فيها، قد وُجدتْ عند قبره بعد خروجه، مما يدلّ على قيامته، يقول البابا شنودة الثالث: (من الإثباتات الواضحة للقيامة؛ وجود الأكفان موضوعةً، والمنديل ملفوفاً في ناحيةٍ واحدةٍ، فكيف أمكن الخروج من هذه الأكفان التي كانت لاصقة بالجسد تماماً؟)[3].

٣ - ظهورات المسيح بعد القيامة:

وذلك أن المسيح ظهر عدة مرات، بعد قيامته وخروجه من قبره، وأنه قد شهد بذلك عددٌ من الناس، وكان ظهوره في أماكن عديدة متفرقة، ومتباعدة عن بعضها بمسافات شاسعة، وكان ذلك في ظروفٍ ومناسباتٍ متعددةٍ ومتباينة، يقول الدياكون ميخائيل مكسي: (أكّد الفادي على صحة قيامته من بين الأموات بنحو ١٢ ظهوراً للتلاميذ

(١) تأملات في القيامة: ٣٤-٣٥.
(٢) هل حقاً صُلب المسيح؟: ٣٩.
(٣) تأملات في القيامة: ٣٥.

والرسل والمريمات، في عدة أوقات وأماكن)[1]، ثم أخذ يُعدِّد هذه الظهورات[2].

٤ - التغير الذي حدث في حياة التلاميذ:

فقد كانوا قبل القيامة في حالة خوف وذعر، ويأسٍ وقنوطٍ، فلما قام المسيح تبدلتْ حالتهم وتغيرتْ، يقول الدياكون ميخائيل مكسي: (ويؤيد صحة القيامة؛ التحول الذي ظهر في سلوك التلاميذ، حيث تحولوا من الخوف والجبن والهرب إلى الشجاعة)[3].

وبعد قيامة المسيح، يذكر النصارى الأقباط أن المسيح مكث في الأرض بين تلاميذه أربعين يوماً، ثم بعدها صعد إلى السماء، يقول زكي شنودة: (ظهر يسوع بعد ذلك مراراً لتلاميذه، وبعد أربعين يوماً من قيامته اجتمع بهم على جبل الزيتون، وراح يعلمهم، ثم ارتفع وهم ينظرون، وأخذته سحابةٌ عن أعينهم)[4].

مناقشة النصارى الأقباط في عقيدة الصلب والفداء:

معلومٌ أن قول النصارى الأقباط المتقدم في عقيدة الصلب والفداء؛ يقتضي أن الذي وقع عليه الصلب وتألم هو الله - تعالى الله عن ذلك -، ولا شك أن بطلان هذا المعتقد ظاهر الدلالة، تدلُّ عليه الفطرة السليمة، ولنا أن نُجمل الردّ والمناقشة لمن يعتقد بهذا المعتقد في عدة نقاطٍ كما يلي:

١ - القول بالصلب للمسيح عليه السلام لا يليق بمقامه إذا ما أردنا أن ننظر لحكم المصلوب في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، فقد جاء في الكتاب المقدس أن من عُلق على خشبةٍ فهو ملعون! بل يؤكد العهد الجديد أن المسيح أصبح لعنةً!! فهل يُعقل أن يكون الإله - كما يعتقدون - ملعوناً؟ إننا ننزهه عليه السلام عن أقل من ذلك مع اعتقادنا بأنه رسول وبشر، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ

(١) هل حقاً صُلب المسيح؟: ٣٤.
(٢) انظر: هل حقاً صُلب المسيح؟: ٣٤-٣٧.
(٣) هل حقاً صُلب المسيح؟: ٣٨-٣٩.
(٤) موسوعة تاريخ الأقباط: ١/ ٦٥.

﴿انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة: ٧٥]، فكيف بمن يؤلهه؟!

وإليك ما ورد في الكتاب المقدس حول الصلب:

أ- العهد القديم:

جاء في سفر التثنية: (وإذا وجدتم على أحدٍ جريمةً تستوجب القتل، فقُتل وعُلِّق على خشبة، فلا تتركوا جثته على الخشبة إلى اليوم الثاني، بل في ذلك اليوم تدفنونه، لأن المعلَّقَ ملعونٌ من الله، فلا تُنجِّسوا أرضكم التي أعطاكم الرب إلهكم مُلكاً لكم)(١).

ب-العهد الجديد:

جاء في سفر غلاطية: (والمسيح حرَّرنا من لعنة الشريعة، بأن صار لعنةً من أجلنا، فالكتاب يقول: ملعون كل من مات معلقاً على خشبة. وهذا ما فعله المسيح)(٢).

٢ - قصةُ الصلب والفداء تُخالف ما جاء في الأناجيل عن المسيح عليه السلام نفسه، عندما أخبر أن الله سيحفظه من الأشرار، وأنهم لن يستطيعوا النيل منه ولا الإمساك به، جاء في لوقا: (يوصي اللهُ ملائكتَهُ بك ليحفظوك)(٣)، وجاء في سفر يوحنا: (وسمع الفريسيون أن الناس يتهامسون بهذه الأمور على يسوعٍ، فأرسلوا هم ورؤساء الكهنة حرساً ليُمسكوه، فقال يسوع: سأبقى معكم وقتاً قليلاً ثم أمضي إلى الذي أرسلني، ستطلبوني فلا تجدوني، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تجيئوا)(٤)، فهل نُصدِّق المسيح في كلامه الوارد في كتابهم المقدس؟ أم نُصدِّق ما ادعوه عنه؟

٣ - الاختلاف والتباين بين الأناجيل في رواية أحداث الصلب للمسيح عليه السلام، وهذا ظاهرٌ لكل من تمعَّن في أسفار العهد الجديد، ومواطن الاختلاف كثيرة، وسأكتفي بذكر بعضٍ منها:

---

(١) التثنية: ٢١/ ٢٢-٢٣.

(٢) غلاطية: ٣/ ١٣.

(٣) لوقا: ٤/ ١٠.

(٤) يوحنا: ٧/ ٣٢-٣٤.

أ- تُهمةُ المسيح عليه السلام:

يذكر إنجيلُ متّى أن تهمة المسيح التي اتُهم بها أنه قال بقدرته على هدم الهيكل، وإعادة بنائه في ثلاثة أيام: (هذا الرجل قال: أقدرُ أن أهدم هيكلَ الله، وأبنيه في ثلاثة أيامٍ)[1]، ومثله إنجيلُ مرقس[2]، بينما باقي الأناجيل لم تذكر شيئاً حول هذه التهمة[3].

ب-حمْلُ الصليب:

اختلفتِ الأناجيلُ في تسمية حامل صليب المسيح مَنْ يكون؟ جاء في متّى: (وبينما هم خارجون من المدينة؛ صادفوا رجلاً من قيرين اسمه سمعان، فسخَّروه ليحمل صليب يسوع)[4]، فهو هنا سمعان القيرواني، ويتفق إنجيلا مرقس[5] ولوقا[6] مع متّى على أن سمعان هو الذي حمل الصليب، بينما إنجيل يوحنا يذكر أن الذي حمل الصليب هو المسيح نفسه: (فأخذوا يسوع، فخرج وهو يحمل صليبه إلى مكانٍ يُسمَّى الجمجمة، وبالعبرية جُلجُثة)[7].

ت- مخاطبةُ المسيحِ للنساء:

ينفردُ إنجيل لوقا بذكر كلمةٍ وجهها المسيحُ للنساء اللاتي كُنّ يَبْكِينَ صَلْبَهُ: (وتبعه جمهورٌ كبير من الشعب، ومن نساءٍ كنَّ يلطمن صدورهن ويَنُحْنَ عليه، فالتفت يسوع إليهن، وقال: لا تبكين عليَّ يا بنات، بل ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن، ستجيءُ أيامٌ يقال فيها: هنيئاً للواتي ما حبلن ولا ولدن ولا أرضعن...)[8]، بينما تخلو باقي الأناجيل من ذكر أيِّ كلامٍ للمسيح!

(١) متّى: ٢٦/ ٦١.
(٢) مرقس: ١٤/ ٣٨.
(٣) انظر: لوقا: ٢٢/ ٥٤، يوحنا: ١٨/ ١٥-١٨.
(٤) متّى: ٢٧/ ٣٢.
(٥) مرقس: ١٥/ ٢١.
(٦) لوقا: ٢٣/ ٢٦.
(٧) يوحنا: ١٩/ ١٦-١٧.
(٨) لوقا: ٢٣/ ٢٧-٢٩.

ث-اللِّصانِ المصلوبانِ مع المسيح:

تختلفُ الأناجيل في إيراد موقف المصلوبَيْنِ مع المسيح منه، فإنجيل متّى يذكر أنهما عيَّرا المسيح عليه السلام: (وعيَّره اللِّصانِ المصلوبان معه)[1]، ومثله ما جاء في مرقس[2]، أما لوقا فيذكر أن أحدهما استهزأ به، بينما الآخر دافع عنه: (وأخذ أحدُ المجرمين المُعلّقين على الصليب يشتمه، ويقول له: أما أنت المسيحُ فخلّص نفسك وخلِّصنا، فانتهره المجرم الآخر، وقال: أما تخاف الله وأنت تتحمّل العقاب نفسه؟ نحن عقابنا عدلٌ، نلناه جزاءَ أعمالنا، أما هو فما عمل سوءاً)[3]، أما يوحنا فلم يذكر شيئاً من ذلك البتة!

ج- أحداثُ ما بعد الصلب:

يذكر إنجيلُ متّى أنه بعد صلب المسيح، تزلزلت الأرضُ، وانفتحتِ القبورُ، وقامت أجسادُ القدِّيسين الميتين: (وتزلزلت الأرض، وتشققت الصخور، وانفتحت القبور، فقامت أجساد كثيرٍ من القديسين الراقدين)[4]، بينما باقي الأناجيل لا تذكر شيئاً من هذه الأحداث[5].

ولو أردنا أن نستطرد في عرض تفاصيل الاختلافات بين ما روي في الأناجيل لطال بنا المقام[6].

ولما كانت الأناجيل بهذا الخلاف فيما بينها، كان ذلك كافياً لرفض هذه القصة المختلقةِ، ومُبطلاً لعقيدتهم من أصلها.

٤ - ادعاءُ قيام هذه العقيدة على صفتي الرحمة والعدل لله، ادعاءٌ باطلٌ، وبيان ذلك أن يُقال: إن كان آدم قد أخطأ فما ذنب ذريته؟ وقد جاء في الكتاب المقدس أن الأبناء

(١) متى: ٢٧/ ٤٤.

(٢) مرقس: ١٥/ ٣٢.

(٣) لوقا: ٢٣/ ٣٩-٤١.

(٤) متى: ٢٧/ ٥١-٥٣.

(٥) انظر: مرقس: ١٥/ ٣٧، لوقا: ٢٣/ ٤٥، يوحنا: ١٩/ ١٧-٢٧.

(٦) انظر: رسالة صلب عيسى بين الوهم والحقيقة، لعبد العزيز الجزائري بكاملها.

لا يتحملون ذنب أبيهم، ففي سفر التثنية: (لا يُقتلُ الآباء بخطيئة البنين، ولا يُقتلُ البنونُ بخطيئة الآباء، بل كل إنسانٍ بخطيئته يُقتل)[1]، وفي سفر حزقيال: (تسألون: لماذا لا يحمل الابنُ إثمَ أبيه؟ والجواب هو أن الابن فعل ما هو حقٌّ وعدلٌ، وعمل بجميع فرائضي، فهو لذلك يحيا، النفس التي تُخطأ هي وحدها تموت، الابن لا يحمل إثم أبيه، والأب لا يحمل إثم ابنه)[2]، وهذا مقتضى العدل ألاَّ يَحْمِلَ الإثمَ إلا من كان مستحقاً له، فما بال المسيح يصلى ذلك العذاب الأليم، ويتحمل تلك الآلام، وهو لم يذنب؟ وإذا كان الكتاب المقدس قد شَهِد بعدم توريث الخطيئة، فعلى أيِّ أساس تقوم عقيدة الصلب؟ ثم أين هي تلك الرحمة التي يزعمونها من طريقة التعذيب التي أوردتها أسفار العهد الجديد؟ فإن قيل: هو الذي اختار وقَبِل ذلك! قيل: (إن من يقطع يده، أو يعذِّب بدنه، أو ينتحر؛ مُذنبٌ ولو كان يُريد ذلك)[3]، وإن كان المسيح ابناً لله - كما يزعمون - فأين رحمة الأب لابنه[4]؟

٥ - مُقتضى عقيدة الصلب والفداء أن جميع أبناء آدم من بعده وارثون للذنب، كبيرهم وصغيرِهم، ولئن سَلَّمْنَا جدلاً باستحقاق الكبير، فما ذنب الطفل الصغير الذي لم يعمل ذنباً قطُّ؟ كيف وقد جاء في الكتاب المقدس ما ينقضُ ذلك، ففي إنجيل مرقس: (وجاء إليه بعض الناس بأطفالٍ ليضع يديه عليهم، فانتهرهم التلاميذ، ورأى يسوع ذلك فغضب، وقال لهم: دعوا الأطفال يأتون إليَّ ولا تمنعوهم، لأن لأمثال هؤلاء ملكوت الله، الحق أقول لكم: من لا يقبل ملكوت الله، كأنه طفل، لا يدخله، وحَضَنَهم ووضع يديه عليهم وباركهم)[5].

٦ - أثبت الكتاب المقدس أن آدم عليه السلام - وهو محلُّ الخطيئة عندهم - قد عوقب على ذنبه، فإن كان العقاب قد حلَّ بالمُذنب فَلِمَ يستمر الذنبُ محمولاً إلى عهد المسيح عليه السلام؟

(١) التثنية: ٢٤/١٦.

(٢) حزقيال: ١٨/١٩-٢٠.

(٣) المسيحية لشلبي: ١٧٣.

(٤) انظر: المسيحية لشلبي: ١٧٣.

(٥) مرقس: ١٠/١٣-١٥.

جاء في سفر التكوين: (وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، فيوم تأكل منها تموت موتاً)[1]، وقد حصل هذا لآدم، وأُخرج من الجنة عقاباً على أكله، فلا يُعقل بقاء الذنب مع حصول العقوبة والجزاء[2].

٧ - أن ما وقع من آدم عليه السلام يُعتبرُ يسيراً بالنسبة لمعاصي مَنْ بعده، ففي نسله من يسبُّ الله تعالى صراحةً، وفيهم من يستهزئ بدين الله، وفيهم من يرتكب الكبائر، وهذا يلزم على عقيدة الصلب والفداء أن يُنزلَ اللهُ كل وقتٍ من يفتدي تلك الذنوب، تحقيقاً لعدله ورحمته[3].

٨ - يقتضي القول بعقيدة الصلب، أن الأنبياء وعباد الله الصالحين الذين سبقوا مجيء عيسى عليه السلام، لم يبيّنوا للناس الحقَّ، إذ لم يُنقل عن أحدٍ من أنبياء الله أنه بيَّن لقومه لزوم الخطيئة لبني آدم من بعد أبيهم، ولازم هذا هو القدحُ في أنبياء الله، وعدمُ نُصحهم لقومهم[4].

٩ - يلزم من عقيدة الصلب والفداء عند النصارى الأقباط، أن لاهوت الله المتحد بناسوته قد دُفن في قبر المسيح، وغاب عن العالم ثلاثة أيام، فهل يليق بالإله أن يكون كذلك؟ وإن كان قد مات ثلاثة أيام فمن الذي كان يدبرِّ المخلوقات في فترة موته؟

١٠ - بالرجوع إلى أسفار الكتاب المقدس نُلاحظ أنه لم يرد على لسان المسيح ولا غيره من الأنبياء الذين جاؤوا من قبله نصٌّ يُشير إلى خطيئة آدم الأزلية التي توارثها الأبناء من بعده، وإنما نجد كلام المسيح عليه السلام فيما يتعلق بذنوب الناس التي يكتسبونها بفعل أيديهم، وباقتراف ألسنتهم وأيديهم، وهذا ينقض قولهم في هذه العقيدة الباطلة.

والله أعلم.

---

(١) التكوين: ٢/ ١٧.

(٢) انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: ٣٢٧.

(٣) انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: ٣٢٧.

(٤) انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: ٣٢٧.

المبحث الثالث: عقيدتهم في البعث واليوم الآخر، ومناقشتها

الإيمان بالبعث واليوم الآخر ضرورةٌ شرعيةٌ، وحاجةٌ إنسانيةٌ أصيلةٌ، وفطرةٌ سلوكيةٌ سليمةٌ، رافقتِ الإنسانَ في جميع العصور، ولا يزال الإنسانُ يشعر بحاجته الملحّة إلى تلمُّس عالم الغيب، والاسترشاد به في حياته اليومية.

إن الإيمان بالله واليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب؛ هو الموجّه الحقيقي، والداعمُ الأساسيُّ لسلوك الإنسان في دنياه، ولهذا فإن هناك فرقاً كبيراً، وبوناً شاسعاً بين سلوكِ من يؤمن بالله واليوم الآخر - على أي دينٍ كان - وبين من يُلحد في ذلك ويُنكر المعاد والحساب والجزاء.

والإيمان باليوم الآخر وبعث الخلائق للحساب؛ هو مقتضى الحكمةِ من تكليف العباد، فلولا المعادُ لبطل مبدأ التكليف، إذ النفسُ لا تقوم بالأعمال الشاقة، ولا ترتدع عن شهواتها، إلا إذا صحب أَمْرَها أو نهيها شيءٌ من الوعد أو الوعيد.

والإنسان عندما يشعر بأنه موعودٌ بثوابٍ على عملٍ ما، فإن ذلك يحمله على المبادرة إلى العمل رغبة في الثواب، إذ الثواب هو المحفِّز للسلوك الإيجابي، والعكس صحيح بالنسبة للعقاب.

ولأهمية الإيمان باليوم الآخر ومبدأ الثواب والعقاب؛ اتفقت الكتب السابقة على إثبات اليوم الآخر، ووجوب الإيمان به من حيث المبدأ[1]، وقد ألَّف الإمام محمد بن علي الشوكاني - رحمه الله - كتاباً في ذلك أسماه (المقالة الفاخرة في بيان اتفاق الشرائع على إثبات الدار الآخرة)، كما ذكر في كتابه (إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات)[2] كثيراً من النصوص التي وردت في كتب أهل الكتاب، تدل على إثبات هذا اليوم العظيم.

وقد أَخبرَ الله في كتابه عن ذلك اليوم في مواضع كثيرة، وقرَّرَ أن الساعة آتيةٌ لا

(١) على اختلافٍ في أحداث ووقائع ذلك اليوم.

(٢) انظر: إرشاد الثقات: ١٠-٢٥.

محالة، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٧ ﴾ [الحج: ٦-٧]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ۝١٨ ﴾ [محمد: ١٨].

وإلى جانب دلالة النصوص على اليوم الآخر، فقد دلَّ العقلُ والفطرةُ أيضاً عليه.

وفي هذا المبحث سأُبيِّنُ عقيدةَ النصارى الأقباط في البعث واليوم الآخر، وأَبْرَزِ حقائقها ووقائعها عندهم، وكذا استدلالهم عليها، مُتْبعاً ذلك بمناقشتهم.

عقيدة النصارى الأقباط في البعث واليوم الآخر:

يُؤمن النصارى الأقباط بالبعث واليوم الآخر، وبمبدأ العقوبة والمجازاة إجمالاً، يقول البابا شنودة الثالث: (مبدأ العقوبة والمجازاة، واضحٌ في الكتاب المقدس، وفي طقوس الكنيسة)[١]، ويقول سعيد عبد الحكيم: (إن الحياة الأخروية هي الغاية النهائية التي تتجه إليها الخليقة.. هي النهاية التي ينتظرها الجميع في المستقبل، وهي قائمة في الحاضر كهدف، ولهذا فإن الغاية المسيحية التي ننتظر تحقيقها، هي ملكوت الله[٢] الذي ننتظره في نهاية التاريخ)[٣].

ويُسمي الأقباطُ العلمَ الذي يتحدث عن الحياة الأخيرة بـ (الإسخاتولوجيا)، وبعضهم يُحرِّفه إلى (الاسخاطولوبي)[٤].

وقد ظهر مصطلح (الإسخاتولوجيا) في القرن التاسع عشر، وهو مصطلحٌ يونانيٌّ، مكونٌ من كلمتين: الأولى (إسخاتوس) ومعناها: الأخير، والثانية (لوغوس) ومعناها: كلمةٌ أو مقال أو نحوه، فهي العلم المختص بالأخرويات، والذي يبحث في مآل النفس

(١) بدع حديثة: ٢٠.
(٢) ملكوتُ الله عندهم هو الجنة، كما سيأتي.
(٣) دراسات آبائية ولاهوتية: ٣٢.
(٤) انظر: بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ١٣.

البشرية بعد موتها، أو مصير البشر على وجه العموم[1].

والحديث عن اليوم الآخر والبعث في الكتاب المقدس لم يكن حديثاً مطوَّلاً[2]، إلا أن مؤلفات النصارى تحوي شيئاً من تفاصيل ذلك اليوم وأحداثه.

و سأُجملُ الحديثَ عن عقيدة النصارى الأقباط في البعث واليوم الآخر من خلال النقاط التالية:

أولاً: الموت[3]:

أ - مفهوم الموت:

عَرَّف النصارى الأقباط الموتَ بعدة تعريفات، منها:

١. خلعُ المسكن الأرضي.
٢. التغرب عن الجسد.
٣. بعضهم يُعرِّفه بتعريفٍ فلسفي، بأنه: جسرٌ ذهبي، نعبرُ به من الحياة الأرضية إلى الحياة السماوية، وهو الطريق النوراني الوحيد للانطلاق إلى الحياة النورانية السعيدة[4].

والموتُ عندهم إنما يكونُ للجسد دون الروح، لأن الروح عندهم حيةٌ لا تموت، يقول البابا شنودة الثالث: (لا يوجد موتٌ كلي للإنسان، إنما هو موتٌ للجسد فقط، بانفصاله عن الروح التي تبقى حيةً بعد موت الجسد، وعلى هذا فالقيامة هي قيامة الجسد وحده.. لا نقول بقيامة الروح، إنما بعودة الروح)[5].

---

(١) انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ١/ ٨٨-٨٩.

(٢) انظر: اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام: ٤٣١.

(٣) استفدتُ في ترتيب بعض هذه الفقرات من كتاب: اليوم الآخر في الأديان السماوية، وكتاب: اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام.

(٤) انظر: الموت والقيامة: ١٣-١٤، معجم الإيمان المسيحي: ٤٨٦-٤٨٧.

(٥) لماذا القيامة؟: ١٤.

ب - أنواع الموت:

يُقسِّمُ النصارى الأقباط الموتَ إلى أربعة أنواع:

١. الموت الروحي:

وهو ما كان الانفصال فيه بين الله والمخلوق، ويُمثِّلون لذلك بآدم عندما لم يحفظ أمر الله بالامتناع من الشجرة، وأنه هُدِّدَ إن أكل منها فإنه يموت، كما جاء في الكتاب المقدس: (أما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت)[1]، فلما أكل ولم يمت في لحظته؛ فسَّروا الموتَ بالموتِ الروحي المتمثل في قطع العلاقة بين الله وبين آدم، ويستدلون على ذلك بما ورد في الكتاب المقدس: (أنا أعرف أعمالك، أنت حيٌّ بالاسم مع أنك ميتٌ)[2].

٢. الموت الجسدي:

وهو خروج الروح من الجسد، فيُعتبرُ الجسدُ ميتاً، ويرجع إلى موضع راحته.

وهذا النوع هو المراد معنا في هذا المبحث، ويستدلون على هذا الموت بما جاء في سفر الجامعة: (فيرجع الجسد إلى الأرض حيث كان، وترجع الروح إلى الله الذي وهبها)[3].

ويرون أن هذا الموت لم يعد موتاً بالحقيقة، لأنه انتقالٌ إلى الفردوس، وإلى لقاء المسيح.

٣. الموت الأبدي:

ويريدون به دخول الجحيم مع الشيطان ومن تبعه، وهذا النوع من الموت يقعُ على الروح والجسد معاً، وهو هلاكٌ أبديٌّ سرمديٌّ لا ينقطع، ويستدلون عليه بما جاء في سفر متّى: (لا تخافوا الذين يقتلون الجسد، ولا يقدرون أن يقتلوا النفس، بل خافوا

---

(١) التكوين: ٢/ ١٧.

(٢) رؤيا يوحنا: ٣/ ١.

(٣) الجامعة: ١٢/ ٧.

الذي يقدر أن يُهلك الجسد والنفس معاً في جهنم)[1].

٤. الموت الأدبي:

ويعرّفونه بأنه كسر وصيةِ الربِّ، فالذي يكسر وصية الرب ميتٌ من الناحية الأخلاقية والأدبية، لأن وصيةَ اللهِ حياةٌ، وكسْرُها موتٌ، ويستدلون له بما جاء في رسالة يوحنا الأولى: (انظروا كم أحبنا الآب حتى نُدعى أبناء الله، ونحن بالحقيقة أبناؤه، إذا كان العالم لا يعرفنا فلأنه لا يعرف الله)[2][3]، وواقع هذا النوع قريبٌ من الموت الروحي عندهم.

وبعض النصارى الأقباط - وهم قلة - يُقسّمون الموتَ إلى ثلاثة أقسام، هي نفس الأقسام السابقة باستثناء الموت الأبدي فلا يذكرونه[4].

ج - نشأة الموت:

يعتقد النصارى الأقباط أن الموتَ وافدٌ على الحياة، وأنه في الأصل لم يكن موجوداً، ولم يكن مقضياً على البشر أن يموتوا، حتى وقع آدمُ في الخطيئة، فجاء الموتُ عقاباً على الذنب.

يقول البابا شنودة الثالث: (فعندما خلق اللهُ الإنسان خلقه للحياة.. نفخ فيه نسمةَ حياةٍ، فصار نفساً حيةً، وأراد اللهُ له الحياة والخلود، ولكن حرية الإنسان انحرفتْ إلى الخطيئة، فجلب لنفسه الموت كنتيجة لخطيئته، لأن أُجرة الخطية هي موت، وهكذا دخل الموتُ إلى العالم، وساد على الجميع، لذلك نحن نفرح بالقيامة[5]، لأنها انتصارٌ على الموت، وعودةٌ بطبيعة الإنسان إلى الحياة، فالله خلق الإنسان ليحيا لا ليموت)[6].

---

(١) متى: ١٠/٢٨.

(٢) يوحنا الأولى: ٣/١.

(٣) حول أنواع الموت عند النصارى الأقباط، انظر: إيماننا المسيحي صادق وأكيد: ٨٣-٨٤، الموت والقيامة: ١٧-١٩، سنوات مع أسئلة الناس «لاهوتية وعقائدية (ب)»: ٧٢-٧٤، مفهوم الحياة والموت في المسيحية: ٧-٨.

(٤) انظر: مفهوم الحياة والموت في المسيحية: ٧.

(٥) يُريد بذلك قيامة المسيح من قبره، وحياته بعد موته ثلاثة أيام، كما تقدم في معتقدهم في الصلب والفداء.

(٦) تأملات في القيامة: ١٩.

ويقول القس أبانوب حنا إبراهيم: (ولقد أتى حُكمُ الموت على الجنس البشري بوجه عام، رجل وامرأة.. فالرجل وقع في الضلال بسبب المرأة.. والمرأة تقول: الحيةُ أغوّتني.. وسقط الإنسان كلّه في عقاب الموت)[1]. ويقول سعيد حكيم: (إن دخول الموت إلى العالم هو ثمرة انفصال الإنسان عن الله مصدر حياته ووجوده وبقائه.. لكن الإنسان قَبلَ مشورةَ الانحصار في الذات، قَبلَ مشورة الاكتفائية والأنانية وتغرّب عن الله، فأصبح الموتُ حتمياً بالنسبة له، قَبلَ مشورة الشيطان الذي أغوى آدم وحواء)[2]، فالموت عندهم إنما نشأ عن خطيئة آدم عليه السلام، وأما قبل ذلك فلم يكن موجوداً، فلو لم يُخطأ آدم عليه السلام لكانت هناك حياةٌ أبديَّةٌ.

د - وقت انصراف الروح:

يُقرِّر النصارى الأقباط أن الروح بمجرد مفارقتها للجسد، تذهب إلى مصيرها الذي كُتبَ لها مباشرةً، إما شقاءً وإما سعادةً، وهذا هو المعتقد السائد الذي تتبناه الكنيسة القبطية بمصر.

يقول القس أبانوب حنا إبراهيم: (هذا الموضوع قد أُخذت فيه أقاويل عدة، وقد تكلم الكثيرون بأشياء تليق ولا تليق، وقد توارثت الأجيال عادات خاطئة بسبب عدم الفهم الصحيح لكتابهم المقدس ولرأي الكنيسة الصحيح.. إن الرأي الرسمي للكنيسة: هو أن الروح تنصرف بمجرد انفصالها عن الجسد، فهي تنطلق مباشرة لكي تستقر في الموضع المحدد لانتظارها، وهو الفردوس بالنسبة للأرواح البارّة، والهاوية أي الجحيم بالنسبة للأرواح الشريرة)[3].

وفي مقابل هذا الرأي هناك آراء ومعتقدات أُخرى تُنسبُ لعوام النصارى الأقباط، منها القول بأن الروح تبقى بعد مفارقتها للجسد تحوم حول صاحبها ثلاثة أيام، ثم تنصرف إلى مصيرها، وبعض الأرواح تحتاج في انصرافها لمساعدة من القس أو

---

(١) الموت والقيامة: ١٢-١٣.

(٢) الحياة والموت رؤية آبائية: ١٨-١٩.

(٣) الموت والقيامة: ٥٠.

الراهب، وهناك من يقول: بأن الروح بعد انصرافها في اليوم الثالث لا تنطلق مباشرةً لتستقر في مكان انتظارها، وإنما تنطلق في جولة مستمرة حتى تُتمّ أربعين يوماً على مفارقة الجسد، ثم بعدها تستقر في الموضع المخصص لانتظارها فيه إلى يوم القيامة.

يقول القس أبانوب حنا إبراهيم: (كثيرٌ من الاعتقادات المتوارثة هي خاطئة، ومنها أن الروح بعد خروجها من الجسد لا تنطلق مباشرةً لتستقر في المكان المخصص لانتظارها، وإنما تحوم حول جسدها لمدة ثلاثة أيام، وأن بعض الأرواح تكون متلكئةً بحيث يحتاج صرفها لاستدعاء الكاهن لصرفها يوم الثالث بإقامة صلاة في المكان الذي كان فيه جسد الميت لحظة موته)[1].

وفي حديثه عن صلاة الثالث؛ يُبيِّن الدياكون ميخائيل مكسي إسكندر أن هذه الصلاة (يقوم بها الكاهن في بيت المُنتقل في اليوم الثالث لنياحته، بهدف صرف روح الحزن، وليس كما يزعم البعض صرف روح الميت، لأنها تخرج من الجسد فور الموت، وتمضي إلى مكان الانتظار المؤقت)[2].

ويُسهب البابا شنودة الثالث في حديثه عن الأرواح ومصيرها، والردّ على مخالفي الكنيسة القبطية في معتقدها في كتابه الأرواح بين الدين وعلماء الروح[3].

ثانياً: البرزخ:

يُعرَّف البرزخُ بأنه: ما بين كل شيئين من حاجز[4]، والبرزخ: ما بين الدنيا والآخرة قبل الحشر، من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ، قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، قال مجاهد: (البرزخ: الحاجز ما بين الدنيا والآخرة)[5]، والميتُ في برزخٍ لأنه بين الدنيا والآخرة[6].

(١) الموت والقيامة: ٥١ بتصرف.
(٢) موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ١/ ٧٨.
(٣) انظر: الأرواح بين الدين وعلماء الروح: ٢٣-٣٦.
(٤) انظر: النهاية في غريب الأثر: ١/ ٢٩٦.
(٥) تفسير القرآن العظيم: ٥/ ٤٩٤.
(٦) انظر: لسان العرب: ٣/ ٨.

والمراد هنا البحثُ في مصير الأرواح بعد الوفاة، فإذا كان النصارى الأقباط يرون أن الميت إنما مات بجسده دون روحه؛ فما هو حال الروح بعد وفاة صاحبها؟

أ/ مصير الأرواح قبل وبعد الفداء:

يؤمن النصارى الأقباط إجمالاً بنوع من العذاب والنعيم للأرواح فقط دون الجسد، وذلك بعد مفارقتها للجسد مباشرةً[1]، وهو دون الجزاء الدائم الأخير، إلا أن أرواح الموتى في القديم - قبل الفداء - لم يكن لها إلا مصيرٌ واحدٌ وهو الجحيم، فالجحيمُ مُنتهى الأخيار والأشرار على السواء لا فرق بينهما، وسبب ذلك راجعٌ لخطيئة آدم، فَقَبْلَ كفارة المسيح كان الجميعُ يتحمل الذنب، ولم تكن الفردوس[2] مفتوحةً لأحد، حتى قدَّم المسيح نفسه فداءً عن الناس، ففُتحت الفردوس.

ويستدلون على أن الروح هي التي تنال الجزاء دون الجسد بما ورد في الكتاب المقدس: (فيرجع الجسد إلى الأرض حيث كان، وترجع الروح إلى الله الذي وهبها)[3].

يقول القس أبانوب حنا: أماكن الانتظار قديماً ليست كأماكن الانتظار حديثاً؛ فالأرواح قديماً كانت جميعها تنطلق بعد الموت مباشرة لتستقر في مكان انتظارٍ واحدٍ هو الهاوية أو الجحيم، واستمر هذا الوضع إلى أن جاء المسيحُ وتممّ الفداء وفتح الفردوس[4].

فلما تمَّ الفداءُ؛ أصبح النصارى الأقباط يعتقدون بأن الروح بعد خروجها من جسد صاحبها تَنْتَظِرُ في أحدِ مكانين بحسب عملها في الدنيا، يقول البابا شنودة الثالث: (أما في الفترة ما بين الموت والقيامة، فتكون الأرواح في مكان انتظار؛ الأبرار في الفردوس، والأشرار في الجحيم أو الهاوية)[5]، فالأرواح إذن إما مُنعمة وإما مُعذَّبة، ولا يقولون بانتقالها إلى مَخلوقٍ آخر.

---

(١) انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣٩٦، اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام: ٩٣.

(٢) الفردوس لا يُريدون بها الجنة، وإنما المكان الذي تبقى فيه الروحُ المُنعمة إن كانت صالحةً بعد وفاة صاحبها، وتظلُّ في هذا المكان حتى مجيء المسيح ثانيةً في نهاية الزمان، أي حتى القيامة. انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ٣/ ١٠٢.

(٣) الجامعة: ١٢/ ٧.

(٤) الموت والقيامة: ٧٨بتصرف.

(٥) الأرواح بين الدين وعلماء الروح: ٣٧.

فالنصارى الأقباط يُنكرون القولَ بتناسخ الأرواح، يقول البابا شنودة الثالث: (ولا تؤمن المسيحية بتجسداتٍ متعددةٍ للروح بعد الموت، وحيواناتٍ متتابعةٍ[1] للإنسان كما ينادي بذلك علماء الروح حالياً، وكما نادت بذلك الديانات الهندية والبوذية وبعض الفلسفات..)[2].

ب: أماكن الانتظار:

يعتقدُ النصارى الأقباط أن الأرواح بعد خروجها من جسد صاحبها، لا تخلو من أحد أمرين: فإما أن تكون روحاً صالحةً بارةً؛ فهذه تنتظرُ في الفردوس، وإما أن تكون روحاً فاسدةً شريرةً؛ فهذه تنتظرُ في الجحيم أو الهاوية.

١. الفردوس[3]:

جاء ذكرُ الفردوس في الكتاب المقدس دالاً على مكان انتظار أرواح الصالحين في ثلاثة مواضع[4]، ويُسمون الفردوس بعدة أسماء، منها: نور القديسين، والسماء الثالثة، وحضن إبراهيم، وموضع خضرة[5].

أما مكان الفردوس فهو في السماء الثالثة، ويستدلون على ذلك بما جاء في الكتاب المقدس: (أعرفُ رجلاً مؤمناً بالمسيح خُطف قبل أربع عشرة سنة إلى السماء الثالثة، أبجسده؟ لا أعلم، أم بغير جسده؟ لا أعلم، الله يعلم، وإنما أعلم أن هذا الرجل خُطف إلى الفردوس)[6].

٢. الجحيم أو الهاوية[7]:

وهي – كما تقدم – مكان انتظار الأرواح الشريرة فقط بعد الفداء، أما قبله فهي مكان

(١) فسّر البابا شنودة – في موضع آخر – المراد بالحيوانات المتتابعة: أن (الروح البشرية بعد مفارقتها للجسد تعود إلى تجسدٍ آخرٍ، متحدة مع إنسان آخر أو حيوان، وربما تدخل تجسداتٍ عديدة).الأرواح بين الدين وعلماء الروح: ٣٧.

(٢) الأرواح بين الدين وعلماء الروح: ٣٧.

(٣) حول الفردوس، انظر: موسوعة علوم الدين: ٣/ ١٥٤، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣٩٧-٣٩٨، الموت والقيامة: ٨٣-٨٤.

(٤) انظر: لوقا: ٢٣/ ٤٣، رسالة كورنثوس الثانية: ١٢/ ٤، رؤيا يوحنا: ٢/ ٧.

(٥) انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣٩٧.

(٦) رسالة كورنثوس الثانية: ١٢/ ٢-٤.

(٧) حول الجحيم، انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣٩٨-٤٠١، الموت والقيامة: ٧٨-٨٢.

انتظار جميع الأرواح، ويُسمون الجحيمَ بعدة أسماء، منها: الهاوية، والجب الأسفل، والسجن، والحبس، والحفرة، وهي عندهم مكان سفليٌّ عميق مظلم، لها مفاتيح وأبواب وحبال، وعليها مَلَكٌ مُهلِكٌ[1].

وطبيعةُ العذاب في الجحيم عذابٌ معنويٌّ نفسيٌّ وليس جسدياً، يقول الأنبا بيشوي: (ونستطيع القول بأنه لا يمكن أن يكون بالهاوية نيرانٌ مادية، إذ إن ساكني الهاوية هم أرواحٌ وليسوا أجساداً.. ولكن هذه النار وذلك العذاب هو نارُ عذابٍ وتأنيبِ الضمير)[2].

ولم يُحدّد النصارى الأقباطُ مكانَ الجحيم كتحديد الفردوس، إلا أنهم ينفون أن تكون هي القبر[3].

ثالثاً: أشراط الساعة (أشراط المجيء الثاني):

الشرط بالتحريك العلامة، والجمع أشراط، وأشراط الساعة علاماتها، وفي التنزيل: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ [محمد: ١٨]، أي علاماتها[4].

وعلامات الساعة هي ما يسبق وقوعها، ويعتقد النصارى الأقباط بأن هناك علاماتٍ تسبق وقوع الساعة، أو كما يسمونه بالمجيء الثاني للمسيح.

أ - المجيء الثاني:

يؤمن النصارى الأقباط بمجيئين للمسيح عليه السلام، أما المجيء الأول فهو بعدما تجسّد، وصار إنساناً كاملاً وإلهاً كاملاً كما يزعمون، واستمرَ المجيء الأول حتى صعوده إلى السماء، بعد مكوثه في القبر ثلاثة أيام، ثم خروجه إلى الأرض، وبقاؤه عليها أربعين يوماً[5].

(١) انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣٩٨-٤٠٠.

(٢) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٤٠١، وانظر: سنوات مع أسئلة الناس «لاهوتية وعقائدية (ب)»: ١٣٠.

(٣) انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٤٠١.

(٤) انظر: لسان العرب: ٧/ ٣٢٩، معجم مقاييس اللغة: ٣/ ٢٦٠.

(٥) انظر: المجيء الثاني والدينونة: ٢٠، معجم الإيمان المسيحي: ٤٣٩-٤٤٠.

أما المجيء الثاني؛ فمرادهم به مجيءُ المسيحِ في آخرِ الزمان ليحاسب الناس، ويدينَ الأحياء والأموات، فهو بمثابة قيام الساعة ونَهاية الزمان[1].

يقول ابن كبر: (فالمسيح له مجيئان: الأول عندما جاء ليُخلِّص البشر من يد العدو، والآخر عند مجيئه الثاني ليدين الأحياء والأموات عند انقضاء العالم، ووقوف حركاته)[2].

و المجيء الثاني هو المُراد في قانون الأمانة، في قولهم: (وسيجيء ليدين الأحياء والأموات)[3].

ولم يرد في العهد الجديد مصطلح «المجيء الثاني»، وما ورد إنما هو وصف لذلك المجيء، فقد استُخدمتْ ثلاث كلمات للدلالة عليه، هي:

١/ باروسيا: وهي كلمة يونانية، تعني وجود إنسانٍ بشخصه، وفي استخدام هذه الكلمة دلالة على أن مجيء المسيح في نهاية الزمان سيكون بشخصه وذاته.

٢/ إبيفانيا: وتعني ظهور شيءٍ أو شخصٍ، وهذا المصطلح يدل على وجود الشيء مع اختفاءه، فالظهور لاحقٌ للاختفاء.

٣/ أبوكاليبسيس: وتعني في اليونانية: أن تُظهر شيئاً، أو تُعلن أمراً[4].

ويُسمون يوم المجيء الثاني بعدة أسماء، منها: يوم الرب[5]، يوم المسيح[6]، اليوم الأخير[7]، اليوم[8]، اليوم العظيم[9]، يوم الغضب[10].

(١) انظر: طريق السماء: ١٦٣ وما بعدها.
(٢) مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٣٩.
(٣) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ١٩٦، الأرثوذكسية قانون إيمان لكل العصور: ٢٤، التثليث والتوحيد: ٧.
(٤) انظر: الأرثوذكسية قانون إيمان لكل العصور: ٢٠٨.
(٥) انظر: أعمال الرسل: ٢/ ٢٠.
(٦) انظر: فيلبي: ١/ ١٠.
(٧) انظر: يوحنا: ٦/ ٣٩-٤٠.
(٨) انظر: كورنثوس الأولى: ٣/ ١٣.
(٩) انظر: يهوذا: ٦.
(١٠) انظر: رومية: ٢/ ٥.

ومما يستدل به النصارى الأقباط على هذا المجيء، ما ورد في سفر متّى: (ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه، فحينئذ يجلس على كرسي مجده، ويجتمع أمامه جميع الشعوب، فيميز بعضهم من بعض، كما يميز الراعي الخراف من الجداء)[1]، وجاء في أعمال الرسل: (ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء؟ إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء، سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء)[2].

ب - موعد المجيء الثاني:

يعتقدُ النصارى الأقباط بأنه لا أحدَ يعرفُ وقتَ المجيء الثاني للمسيح، ولهم في ذلك ردود على الطوائف التي تعتقد أن وقت المجيء الثاني قد حُدّد[3].

ويستدلون على عدم العلم بموعد المجيء الثاني، بما جاء في أعمال الرسل: (ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه)[4]، ويُفنِّدون كل ما يستدل به خصومهم من الأرقام الواردة في الكتاب المقدس حول موعد المجيء الثاني، بأنها أرقامٌ رمزيةٌ ليست على حقيقتها.

يقول القس بيشوي حلمي عن الأرقام التي يستدل بها المخالفون: (هي أرقامٌ رمزيةٌ فيها جانب خفيٌّ مختوم، بحيث لا يستطيع البشر التوصل إلى معرفة حساب الأزمنة إلا بعد تمامها.. إذن ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعلم بهما أحدٌ من البشر ولا الملائكة أيضاً)[5].

ويعتقدون أن المجيء الثاني للمسيح عليه السلام بات قريباً، وأن النصارى الأوائل كانوا يظنون في كل يوم أن المسيح سيعود ثانيةً، مما يدل على اعتقادهم بقرب

---

(١) متى: ٢٨/ ٣١-٣٢.

(٢) أعمال الرسل: ١/ ١١.

(٣) انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٤٠٥، المجيء الثاني والدينونة: ٢٢-٢٤.

(٤) أعمال الرسل: ١/ ٧.

(٥) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٤٠٥.

عودته[١]، يقول القمص لوقا الأنطواني: (يجب أن ننادي دائماً أن مجيء الرب قريبٌ على الأبواب، دون تحديدٍ أو تقييد)[٢].

وتعارضُ الكنيسةُ القبطيةُ قولَ بعضِ أتباعها بتحديد فترة المجيء الثاني دون وقته بدقةٍ، معتمدين على بعض النصوص من الكتاب المقدس، كمن يقول بأن مجيء المسيح سيكون ليلاً أو في يوم أحد أو نحوه، ويرُدّون على تلك النصوص كردّهم على من يُحدد وقتَ المجيءِ بدقة، بأن تلك الأوقات إنما هي رموز.

يقول القس أبانوب حنا: (لقد اعتمد الكثيرون أن مجيء المسيح الثاني سيكون في الليل، معتمدين على التفسير الحرفي لبعض آيات الكتاب المقدس.. ولكن الكلامَ عن مجيء المسيح في الليل لا يُفسَّر تفسيراً حرفياً، إنما يجب النظر إليه بالمعنى الروحي، أو بالمعنى الرمزي لا الحرفي)[٣].

ويُبيّنُ النصارى الأقباط العلةَ في عدم العلم بوقت المجيء الثاني؛ أنه راجع لحكمةٍ إلهيةٍ، ليستعدَّ الإنسانُ دائماً وفي كل وقتٍ، لساعةِ مفارقةِ الحياةِ، وليتعاهد التوبةَ مع نفسه[٤].

أما عِلْمُ المسيح عليه السلام بموعد مجيئهِ ثانيةً فهو محلُّ خلافٍ بينهم، والرأي المُشتهر عند النصارى الأقباط أن المسيح عليه السلام يعلمُ وقتَ مجيئه لكنه أخفاه، يقول علاّمتهم ابن المكين[٥]: (وقد اقتضت حكمة الرب يسوع إخفاء موعد القيامة، لفوائد كثيرة عاجلة وآجلة، خاصةً أن التلاميذ كانوا تحت الضعف، ولو أنهم عرفوا هذا السرَّ العظيم لأضرَّ بهم وبكل البشر الذين سوف يعرفونه منهم، لذا حجبه عنهم)[٦]،

---

(١) انظر: معجم اللاهوت الكتابي، مادة «يوم الرب».

(٢) المجيء الثاني للرب: ٥١.

(٣) المجيء الثاني والدينونة: ٢٣.

(٤) انظر: الأرثوذكسية قانون إيمان لكل العصور: ٢١٤، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٤٠٥، المجيء الثاني والدينونة: ٢٨.

(٥) هو جرجس العميد، اشتهر بابن المكين، ولد عام (١٢٠٥م)، سرياني الأصل، من علماء النصارى الأقباط، وله مؤلفاتٌ عديدة في تأصيل العلم اللاهوتي عندهم، هلك عام (١٢٧٣م). انظر: مقدمة كتاب موسوعة علوم الدين: ٥.

(٦) موسوعة علوم الدين: ٤/ ٢٨٨.

ويقول القس أبانوب حنا: (الابن يعرف كل شيءٍ، ويعرف الغيبيات بصفته الإلهية أنه الله الظاهر في الجسد، فهو إنسان كاملٌ يعرف كل المعرفة مثل الآب، وخاصةً معرفةُ يومِ وساعةِ المجيء)[1].

ويقابله رأي آخر أقلُّ شهرةً منه، وهو أن المسيح عليه السلام لم يكن يعلم بوقت ذلك المجيء، يقول الأب أنتوني كونيارس: (لا يعلمُ أحدٌ متى سوف يكون المجيء الثاني ولا حتى الابن، إن هذا يعلمه الآب فقط)[2].

ج - علامات المجيء الثاني:

يؤمن النصارى الأقباط بجملةٍ من العلامات التي تسبق مجيء المسيح الثاني، منها ما يكون بصورة محسوسة، ومنها ما يكون بصورةٍ رمزيةٍ، فمن تلك العلامات التي يعتقدون أنها تسبق مجيء المسيح[3]، ما يلي:

١. التبشير بالإنجيل، وانتشاره بين الأمم:

ويستدلون على ذلك بما جاء في الكتاب المقدس: (وينبغي أن يكرِّز أولاً بالإنجيل في جميع الأمم)[4]، ويذكر القس بيشوي حلمي أن الكتاب المقدس وُزِّع في عام (٢٠٠٤م) على أكثر من ٩٥٪ من بلدان العالم![5].

٢. تجمع اليهود بعد تعرضهم للسبي، ثم دخولهم في النصرانية:

فاليهود قد تعرضوا للسبي في خراب أورشليم سنة (٧٠م) ولم يحصل لهم تجمّع بعد ذلك، ثم هم الآن في طور التحام ملحوظٍ، يتمثّلُ في تواجدهم واحتشادهم في فلسطين، وهذا يُعطيهم - أعني النصارىَ الأقباط - مؤشراً بقرب العلامة الثالثة[6] وهي

---

(١) المجيء الثاني والدينونة: ٣٠.

(٢) الأرثوذكسية قانون إيمان لكل العصور: ٢١٢.

(٣) مُجمل هذه العلامات مذكورٌ في: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٤٠٦-٤١٢، المجيء الثاني والدينونة: ٣٥-٥١.

(٤) مرقص: ١٣/ ١٠.

(٥) انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٤٠٦.

(٦) المراد بالعلامات الثلاث: سبي اليهود، ثم تجمعهم في فلسطين، ثم العلامة الثالثة دخولهم في النصرانية.

تنصّر اليهود، ثم بعدها تقوم الساعة[1]، ويستدلون على هذه العلامة بما ورد في رومية: (فإني لست أريد أيها الإخوة أن تجهلوا هذا السر، لئلا تكونوا عند أنفسكم حكماء، إن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل إلى أن يدخل ملؤ الأمم، وهكذا سيخلص جميع بني إسرائيل، كما هو مكتوب سيخرج من صهيون المنقذ ويَرُدّ الفجور عن يعقوب، وهذا هو العهد من قبلي لهم متى نزعت خطاياهم، من جهة الإنجيل هم أعداء من أجلكم، وأما من جهة الاختيار فهم أحباء من أجل الآباء، لأن هبات الله ودعوته هي بلا ندامة)[2].

٣. كثرةُ ظهور المُسَحَاء والهراطقة:

يريدون بذلك كثرة ظهور من يدّعي أنه هو المسيح[3]، وأما الهراطقة عندهم فهم المبتدعة الذين يظهرون في كل زمانٍ بتعاليم تُخالف تعاليمهم، ويستدلون على ذلك بما جاء في متّى: (فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين: أنا هو المسيح، ويُضلون كثيرين)[4]، وبما جاء في رسالة بطرس الثانية: (ولكن كان أيضاً في الشعب أنبياء كذبة، كما سيكون فيكم أيضاً معلمون كذبة، الذين يدُسُّون بدعَ هلاكٍ، وإذ هم ينكرون الرب الذي اشتراهم؛ يجلبون على أنفسهم هلاكاً سريعاً، وسيتبعُ كثيرون تَهْلُكَاتِهم الذين بسببهم يجدف على طريق الحق)[5].

٤. كثرة المصائب والمواجع وتنوعها (علامات مبتدأ الأوجاع):

وهي وإن كانت تأتي في كل زمان؛ إلا أنهم يعتقدون كثرتها في الأزمنة الأخيرة، وذلك كظهور الأمم على بعضها، وانتشار الأوبئة والأمراض، وكثرة الزلازل، وانتشار المجاعات، وغيرها[6].

---

(١) انظر: المجيء الثاني للرب: ٦٧.

(٢) رومية: ١١/ ٢٥-٢٩.

(٣) انظر: المجئ الثاني للرب: ٦١.

(٤) متّى: ٢٤/ ٥.

(٥) بطرس الثانية: ٢/ ١-٢.

(٦) انظر: المجيء الثاني والدينونة: ٤٠-٤٢، انظر: المجيء الثاني للرب: ٦٢-٦٣.

ويستدلون لهذه العلامة بما ورد في متى: (وسوف تسمعون بحروبٍ وأخبارِ حروب، انظروا لا ترتاعوا، لأنه لابد أن تكون هذه كلها، ولكن ليس المنتهى بعد، لأنه تقوم أمةٌ على أمة، ومملكةٌ على مملكةٍ، وتكون مجاعاتٌ وأوبئةٌ وزلازل في أماكن، ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع)[1].

٥. تسلُّط الشيطان، وحلُّه من قيده:

فمن علامات الساعة عندهم أن الشيطان يُحلُّ من قيده الذي قُيِّدهُ ألف سنة على يد أحد الملائكة - كما يعتقدون -، والمرادُ أنه يكون قادراً على إضلال الناس بصورة أكبر، والقيد والحلُّ كلاهما أمورٌ رمزيةٌ[2] عندهم، وليست على الحقيقة[3].

ويستدلون على ذلك بما ورد في رؤيا يوحنا: (ورأيتُ ملاكاً نازلاً من السماء، معه مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمةٌ على يده، فقبض على التنين تلك الحية القديمة، الذي هو إبليس والشيطان، وقيَّده ألف سنة، وطرحه في الهاوية، وأغلق عليه، وختم عليه لكي لا يضل الأمم فيما بعد حتى تتم الألف السنة، وبعد ذلك لا بد أن يُحلَّ زماناً يسيراً)[4].

٦. ظهور المسيح الدجال:

ويُسمى عند النصارى الأقباط بـ«ضد المسيح» أو «الوحش»[5]، وسيكون من بني إسرائيل[6]، وسيخرج في آخر الزمان ليدّعي الألوهية، ويعتبرونه من أشد المعادين للمسيح عليه السلام[7].

ويستدلون على ذلك بما جاء في رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكي: (لا يخدعنكم أحد على طريقة ما، لأنه لا يأتي إن لم يأت الارتداد أولاً، ويستعلن إنسان

(١) متى: ٢٤/ ٦-٨.

(٢) القول بالرمزيةِ يُمثِّلُ نقطة خلافٍ بينهم وبين البروتستانت كما سيأتي بحول الله.

(٣) انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٤٥٤-٤٥٥.

(٤) رؤيا يوحنا: ٢٠/ ١-٣.

(٥) انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٤٠٨.

(٦) انظر: موسوعة علم اللاهوت: ٢/ ١٩٣.

(٧) انظر: المجيء الثاني للرب: ٦٦.

الخطية ابن الهلاك المقاوم، والمرتفع على كل ما يُدعى إلهاً أو معبوداً، حتى إنه يجلس في هيكل الله كإلهٍ مظهراً نفسه أنه إله.. وحينئذ سيستعلنُ الأثيمُ ..الذي مجيئه بعمل الشيطان، بكل قوةٍ وبآياتٍ وعجائبَ كاذبة)[1].

ويذهب آخرون إلى أن المسيح الدجال قد يكون شخصيةً معنويةً وليست حقيقيةً، تتمثل شخصيته في الإلحاد، وإنكار الألوهية، وتأليه الذات، ونحوها[2].

ويُنكر القمص ميخائيل مينا هذا القول حيث يقول: (يزعم البعض أن ضد المسيح ليس سوى انتشار الشر والضلال في العالم، والواقع أن الكتاب قد أكَّد أنه شخصيةٌ حقيقيةٌ)[3].

٧. الارتداد عن النصرانية:

فمن علامات المجيء الثاني عندهم كثرةُ ارتداد النصارى عن النصرانية، وانتقالهم لغيرها من الديانات، أو بقائهم على الإلحاد من غير دين، والارتداد هو تركُ الدين، وتركُ الدينِ عندهم يشملُ تركه بالكلية، أو تركَ الجوانب الإيمانية والروحانية، والأعمال التي يجبُ على كل نصراني أن يعملها[4].

ودليلهم على هذه العلامة؛ ما ورد في رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكي: (لا يخدعنكم أحدٌ على طريقة ما، لأنه لا يأتي إن لم يأت الارتداد أولاً)[5].

رابعاً: البعث (أحداث المجيء):

يعتقدُ النصارى الأقباط أنه بعد اكتمال العلامات السابقة للمجيء الثاني؛ يُبعث الناس من قبورهم للحساب والجزاء، وذلك أن الأجسام الميتة تعود إليها الحياة، فتتحدُ بأرواحها

(١) تسالونيكي الثانية: ٢/ ٣-١٠.

(٢) انظر: المجيء الثاني والدينونة: ٤٩.

(٣) انظر: موسوعة علم اللاهوت: ٢/ ١٩٣.

(٤) انظر: المجيء الثاني والدينونة: ٤٤.

(٥) تسالونيكي الثانية: ٢/ ٣.

التي لم تمت بل كانت في انتظارها[1]، ويستدلون على ذلك بما ورد في سفر يوحنا: (لا تتعجبوا من هذا، فإنه تأتي ساعةٌ فيها يسمعُ جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة)[2].

وتُمثِّل عقيدة قيامة الأموات أساساً مهماً عند النصارى الأقباط، يقول القس منسى يوحنا: (عقيدة قيامة الأموات أُسُّ العقائد المسيحية، وعليها تتأسس هذه الديانة، لأنه إذا بطل رجاء القيامة؛ بطل رجاء الخلاص ورجاء السعادة الأبدية)[3].

ويعتقد النصارى الأقباط أنه يُصاحبُ هذا البعث عددٌ من الأحداث، يُمكنُ إجمالها فيما يلي:

١ - الدمار الكوني وزوال العالم:

فأما الدمار فيشمل أفراد الكون العظيمة، كالشمس والقمر والنجوم وغيرها، ويستدلون له بما جاء في الكتاب المقدس: (وللوقت بعد ضيق تلك الأيام؛ تظلم الشمس، والقمر لا يعطي ضوءه، والنجوم تسقط من السماء، وقوات السماوات تتزعزع)[4]، ويزيدُ لوقا على ذلك: (بحيرة البحر والأمواج تضج، والناس يُغشى عليهم من خوف وانتظارِ ما يأتي على المسكونة)[5].

و أما زوال العالم فيتمثل بزوال السماء والأرض، ويستدلون على ذلك بما ورد في إشعيا: (ارفعوا إلى السماوات عيونكم، وانظروا إلى الأرض من تحت، فإن السماوات كالدخان تضمحل، والأرض كالثوب تبلى، وسُكّانها كالبعوض يموتون، أما خلاصي فإلى الأبد يكون)[6][7].

---

(١) انظر: الموت والقيامة: ١١٨، مفهوم الحياة والموت في المسيحية: ٢٦-٢٧.

(٢) يوحنا: ٥/ ٢٨-٢٩.

(٣) طريق السماء: ١٥٤.

(٤) متى: ٢٤/ ٢٩، وانظر: مرقص: ١٣/ ٢٤-٢٥.

(٥) لوقا: ٢١/ ٢٥-٢٦.

(٦) أشعيا: ٥١/ ٦.

(٧) انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٤١٣، المجيء الثاني والدينونة: ٥٢-٥٤.

٢ - ظهور علامة الصليب في السماء (علامة ابن الإنسان):

يُسمي النصارى الأقباط هذا الحدث بـ«ظهور علامة ابن الإنسان»، وينقلُ القس بيشوي حلمي إجماع آباء الكنيسة على أن المراد بعلامة ابن الإنسان: الصليب[١]، ويُفسِّرون ذلك أنه بعد أن تُظْلِمَ الشمس، ويذهب ضوء القمر، وتسقط النجوم؛ يكون هناك ظلامٌ دامسٌ يعمُّ الكون، فلا يقدر الإنسانُ أن يرى شيئاً، لذا تظهر هذه العلامة في السماء، ويكون ضوؤها أشدَّ من ضوء الشمس[٢]!

ويستدلون لذلك بما ورد في متّى: (حينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء، وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض)[٣].

٣ - هتاف الملائكة، والنفخ في البوق:

يكون هتاف الملائكة بصوت عالٍ، يُنادي به رئيسهم ليُمهِّد به مجيءَ المسيح، أو كما يسمونه ابن الإنسان، ثم بعد هتاف الملَك يُنفخ في بوق الله، وهذا البوق الأول، ثم يُنفخ في البوق الأخير ويصاحب النفخَ الأخيرَ نداءُ المسيح، فيسمعه كل من في القبور[٤]، ويستدلون على ذلك بما ورد في الكتاب المقدس: (لأن الرب نفسه بهتافٍ بصوت رئيس ملائكة وبوق الله؛ سوف ينزل من السماء، والأموات في المسيح سيقومون أولاً)[٥].

٤ - ظهور المسيح على السحاب بقوةٍ ومجدٍ، ومعه الملائكة والقديسون:

ويسمونه بـ«ظهور ابن الإنسان»، فيعتقدون أنه بعد هتاف الملائكة والنفخ الأول والثاني؛ يظهر المسيح في السماء على السحاب، وله قوةٌ ومجدٌ عظيم، ومعه الملائكة والقديسون، فيندم كلّ من لم يؤمن به[٦]، ويستدلون على ذلك بما جاء في متّى:

(١) انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٤١٤.

(٢) انظر: المجيء الثاني والدينونة: ٥٤، انظر: المجيء الثاني للرب: ٦٨-٦٩.

(٣) متّى: ٢٤/ ٣٠.

(٤) انظر: الملائكة: ٢١.

(٥) تسالونيكي الأولى: ٤/ ١٦.

(٦) انظر: الملائكة: ٢٠، انظر: المجيء الثاني للرب: ٧١.

(يُبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير)[1]، وفي رؤيا يوحنا: (وينوح عليه جميع قبائل الأرض)[2]، وجاء في متّى: (ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة والقديسين معه؛ فحينئذ يجلس على كرسي مجده)[3].

٥ - بعثُ الأموات من قبورهم واختطافهم:

وهذا يكون بعد مجيء المسيح عليه السلام على السحاب، فيعتقد النصارىٰ الأقباط أن الموتى يقومون من موتهم، الأخيار والأشرار، ثم يُختطفُ الأخيارُ فقط ليُلاقوا المسيحَ في السماء، ويستدلون على ذلك بما جاء في الكتاب المقدس: (الأموات في المسيح سيقومون أولاً، ثم نحن - الأحياء الباقين - سنُخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء، وهكذا نكون كلَّ حينٍ مع الرب)[4].

٦ - خوف الأشرار، ومحاولتهم الاختفاء:

والأشرار هنا يشملُ الأموات الأشرار وكذلك من بقي حياً إلى قيام الساعة، وفي تلك اللحظة: (يبتدئون يقولون للجبال: اسقطي علينا وللآكام غطينا)[5].

٧ - اكتمال الدمار الكوني:

وهذا الحدث هو آخرُ أحداثِ البعثِ ومجيءِ المسيح عند النصارى الأقباط، وهو مُكملٌ للدمار الأول، فيعتقدون أن الأرض تتغير وتخرب، والسماء تزول، تمهيداً للبدء في الحساب والجزاء، ودليلهم في ذلك ما جاء في سفر إرميا: (نظرتُ إلى الأرض وإذا هي خربة وخالية، وإلى السماوات فلا نور لها، نظرت إلى الجبال وإذا هي ترتجف، وكل الآكام تقلقلت)[6].

---

(١) متى: ٢٤/ ٣٠.

(٢) رؤيا يوحنا: ١/ ٧.

(٣) متى: ٢٥/ ٣١.

(٤) تسالونيكي الأولى: ٤/ ١٦-١٧.

(٥) لوقا: ٢٣/ ٣٠.

(٦) إرميا: ٤/ ٢٣-٢٥.

خامساً: الحساب والجزاء (الدينونة):

يُؤمنُ النصارى الأقباط أنه بعد بعث الموتى من قبورهم فإنهم يُحاسبون جميعاً، ويُجزون بأعمالهم التي عملوها في الدنيا، ويسمون الحسابَ والجزاءَ بالدينونةِ.

ويُعرِّفون الدينونةَ بأنها حُكمُ اللهِ على الناس بحسب أعمالهم[1]، وسُميتْ بالدينونة، لأنها اليوم الذي يُدانُ فيه الناس، ويُحاسبون على أعمالهم.

والذي يدينُ الخلقَ عندهم هو المسيح عليه السلام (الابن) وليس الآب، ودليلهم في ذلك: (الآب لا يدينُ أحداً، بل قد أعطى كل الدينونةِ للابن)[2]، (لأننا جميعاً سوف نقف أمام كرسي المسيح)[3].

يقول ابن سبَّاع في شرحه لنصّ: (ليدين الأحياء والأموات)، من قانون الأمانة: (أي أن الآب قد سلَّم الحكمَ والدينونةَ للابن)[4].

ويقول الأنبا يوأنس: (أوضحَ الرب يسوعُ مراراً في مواضع متفرقة أنه هو بعينه الديّان، وأنه سيأتي في مجيئه الثاني ليدينَ الأحياءَ والأموات)[5].

ويُبيِّنُ القمص ميخائيل مينا سببَ اختصاص الابن بالحساب فيقول: (اختص اللهُ الآبُ ابنه بالحساب، لأنه يلزم أن يكون مرئياً لمن يُحاكمهم، ولهذا اختُص ابن الإنسان بالدينونة، لأنه الأقنومَ المحسوس والذي اتخذ جسداً بشرياً)[6].

ويقول القس منسى يوحنا: (أما الديَّان فهو سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح، وبحقٍ ينبغي أن يدين البشر، لأنه هو الإله القادر على كل شيءٍ، الذي جاء لخلاصهم ومات لأجلهم، فمن حقه أن يحاسبهم على هذه النعمة التي تفضَّل عليهم بها، ليرى هل

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، مادة «دَان، يدين، دِين، دَينونة».

(٢) يوحنا: ٥/ ٢٢.

(٣) رومية: ١٤/ ١٠.

(٤) الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ٧٠.

(٥) عقيدة المسيحيين في المسيح: ٩٦.

(٦) موسوعة علم اللاهوت: ٢/ ١٧٩.

اعتبروها أم أنكروها)[1].

ويَصفون الدينونة بأنها دينونةٌ عادلةٌ: (يدينُ المسكونةَ بالعدل، والشعوبَ بأمانة)[2]، ولا تقتصر الدينونةُ على البشرِ فحسبْ، بل تتعداهم إلى الملائكة: (والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم، حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام)[3].

والحسابُ في هذه الدينونة بحسبِ الأعمال والأقوال والنوايا: (سأُعطي كل واحدٍ منكم بحسب أعماله)[4]، (كل كلمةٍ بطالة يتكلم بها الناس سوف يُعطون عنها حساباً يوم الدين)[5]، (في اليوم الذي فيه يدينُ اللهُ سرائرَ الناس حسب إنجيلي بيسوع المسيح)[6].

ويؤكد النصارى الأقباط على أهمية الأعمال الصالحة للخلاص في الدينونة، فلا يكفي مجرد التلفظ بالإيمان المسيحي دون أن يصحبه عملٌ يؤكدُ إيمان صاحبه، إذ العملُ عندهم ثمرةُ الإيمان، يقول البابا شنودة الثالث: (الأعمال الصالحة هي ثمرةُ الإيمان، وبرهانٌ على وجود الإيمان، وبها نُكمل الإيمان.. وستكون الدينونة في اليوم الأخير بحسب الأعمال)[7]، ويقول أيضاً: (الأعمال إذن هي ثمرة الإيمان، إن كان لك إيمان ولا يُعطي ثمراً؛ فهو إذن إيمانٌ ميتٌ، لأنه لو كان حياً لأعطى ثمراً)[8].

ويؤكدون على جانب المحاسبة على دقائق الأعمال والأقوال، يقول القديس باسيليوس الكبير: (ماذا يفيدني لو عملتُ كل البر، ثم أقول لأخي: يا أحمق، فأكون مستحقاً نار جهنم)[9].

---

(١) طريق السماء: ١٧٤.

(٢) المزامير: ٩٦/ ١٣.

(٣) يهوذا: ٦.

(٤) رؤيا يوحنا: ٢/ ٢٣.

(٥) متى: ١٢/ ٣٦.

(٦) رومية: ٢/ ١٦.

(٧) الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي: ٣٩.

(٨) الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي: ٥١.

(٩) الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي: ٤٧.

وفي المحاسبة سيكون الناطقُ والشاهدُ على الإنسان أعمالهُ ذاتها، ولن يستطيع الإنسانُ أن يُنكرَ شيئاً من ذلك، يقول القس أبانوب حنا إبراهيم: (كثيراً من الناس يفعلون أفعالاً شريرةً، ثم يتملصون منها، ومنهم من يفكر أنه لم يقم بمثل تلك الأعمال، ولكن في الدينونة فخطايانا تشهد علينا وتديننا.. وآثام الإنسان تقف في وجهه.. سوف نُستجوبُ بواسطة أفكارنا وأعمالنا السابقة)[1].

ومما يعتقدونه في الحساب والجزاء، أنه بعدما يخلصُ المؤمنون ويتبررون أمام الابن، فإنهم يجلسون بجانبه على عروشٍ أخرى، ثم يشاركونه في القضاءِ والحكمِ على الخلق، يقول القس بيشوي حلمي: (بعدما يتبرر المؤمنون أمام كرسي المسيح، ويسمعون التطويب من فمه القدوس؛ فإنه يُجلسهم معه على عروش، ويُشركهم معه في القضاء، فيدينون إبليسَ وملائكتَهُ[2]، ويحكمون على أتباعه من البشر الأشرار)[3]، ويستدلون على ذلك بما جاء في الكتاب المقدس: (فقال لهم يسوع: الحق أقول لكم أنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد، متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده؛ تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً، تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر)[4].

سادساً: الجنة والنار (المقار الأبدية):

يُطلقُ النصارى الأقباط على النعيم والعذاب في اليوم الآخر «المقارّ الأبدية» لأنهم يعتقدون أن من يدخلها يستقر فيها ولا يخرج منها.

أ - الجنة (ملكوت السماوات):

يؤمن النصارى الأقباط بنعيم للمؤمنين بعد الحساب، ويُسمّونه الملكوت أو ملكوت السماوات[5]، فالملكوتَ عندهم هو جزاءُ ومصيرُ الصالحين والمُصلحين،

---

(١) المجيء الثاني والدينونة: ٦٥.

(٢) يعتقدُ النصارى الأقباط أن في الملائكة عصاة، وأن منهم من تَبع الشيطان فسقط معه إلا أنه لم يفقد رتبته بين الملائكة، يقول البابا شنودة الثالث: (وبسقوط الشيطان؛ أسقط معه كثيراً من الملائكة، وصار أولئك من قواته وجنوده.. وإن كان الشياطين بسقوطهم قد فقدوا نقاوتهم؛ إلا أنهم لم يفقدوا طبيعتهم كملائكة وما لها من قوة). الملائكة: ٢٧-٢٨.

(٣) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٤٣٠.

(٤) متّى: ١٩/ ٢٨.

(٥) مصطلحات ورموز في الكتاب المقدس: ٣٩.

الذين بذلوا حياتهم في المسيحية ولأجلها، ودافعوا عن إيمانهم الأرثوذكسي[1]، ونعيمُ هذا الملكوتِ يُعادلُ نعيمَ الدنيا بمئاتِ الأضعاف، وبقاؤهم في الملكوت هو بقاءٌ أبديٌّ لا يلحقه فناءٌ ولا عدمٌ ولا خروجٌ منه[2].

ومما يستدلون به على الملكوت ما ورد في متّى: (طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السماوات)[3]، وأيضاً: (ليس كل من يقول لي: يا ربِّ يا ربِّ يدخل ملكوت السماوات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السماوات)[4].

وفي الملكوت نعيمٌ لم تره عينٌ، ولم تسمع به أذنٌ، ولم يخطر على قلبِ بشر[5]، والنعيم العظيم في الملكوت هو رؤية اللهُ، جاء في رسالة يوحنا الأولى: (أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله، ولم يظهر بعدُ ماذا سنكون، ولكن نعلم أنه إذا ظهر نكون مثله، لأننا سنراه كما هو)[6]، ويقول القمص ميخائيل مينا: (إذا كان عذابُ الأشرار في طرحهم في النار الأبدية، وإبعادهم عن الله، فإن نعيم الأبرار في رؤيتهم لجلاله، وتحقيق سعادتهم فيه وبه)[7]. وأعظم من ذلك عندهم العيش معه، والاتحاد بروحه - تعالى الله عن ذلك - يقول القس أبانوب حنا: (والأكثرُ من الرؤية هو التواجد المستمر معه في حضرته بلا انقطاع.. بل من خلال اتحادِ المؤمنين بروحه؛ يكشف لهم الروحُ عن أعماق الله)[8].

ويستدلون بديمومة النعيم في الملكوت بما جاء في الكتاب المقدس: (مباركٌ الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولَدَنا ثانيةً، لرجاءٍ حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات، لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل، محفوظٌ في السماوات لأجلكم)[9].

---

(١) وقد يُطلق الملكوت على أمورٍ أخرى لها قدسيةٌ عندهم، كالكنيسة مثلاً. انظر: اللاهوت الطقسي: ١٧٨.

(٢) المجيء الثاني والدينونة: ٦٧.

(٣) متى: ٥/ ٣.

(٤) متى: ٧/ ٢٢.

(٥) انظر: كورنثوس الأولى: ٢/ ٩.

(٦) يوحنا الأولى: ٣/ ٢.

(٧) انظر: موسوعة علم اللاهوت: ٢/ ١٨٧.

(٨) المجيء الثاني والدينونة: ٦٨.

(٩) بطرس الأولى: ١/ ٣-٤.

ومن نعيم أهل الملكوت مشابهتهم لصورة الله الابن، يقول القس بيشوي حلمي: (نتيجةٌ طبيعيةٌ لوجود الأبرار في الحضرة الإلهية والتمتع بالنظر إلى الله ومعرفته، فإن هذه الأمور تتفاعل فيهم لتجعلهم يتشبهون بصورة ابن الله)[١].

وأهل الملكوت في حال طاعة دائمة، لا يجوز عليهم الذنب، يقول البابا شنودة الثالث: (طبيعتنا تتكلل بالبر، ويصبح البر طبيعة لها، بحيث لا تخطئ فيما بعد.. حالياً نعرف الخير والشر، وهناك سنعرف الخير فقط ونحبه ونحيا به)[٢].

ويعتقدون أن للملكوت درجات متفاوتة، وأن أهله في درجات بحسب أعمالهم في الدنيا[٣]، يقول القس بيشوي حلمي: (وحيث إن المؤمنين متفاوتون في نوعية أعمال البر ودرجاتهم؛ إذن فكل واحدٍ سيأخذ أجرته بحسب تعبه، ولهذا فمن الطبيعي أن تتفاوت الدرجات في المجد للمؤمنين)[٤].

ويُنكرون أن يكون في الملكوت نعيمٌ محسوس كالأكل والشرب والتزاوج وغيرها من الماديات، لأنها كلها رأتها العيون، وسمعتها الآذان فلا يصح أن تكون أيضاً في الملكوت!

يقول البابا شنودة الثالث: (مُحالٌ أن تجذبه - المُنَعَّم في الملكوت - الأرضُ وهو في السماء، وإلا فإنه يسقط من السماء إلى الأرض، لذلك نؤمن أن الأجساد بعد القيامة، ستكون في الدهر الآتي بطبيعة سمائية.. إن المتعة في السماء ستكون غير المتعة على الأرض، لأنه لو كانت المتعةُ في الدهر الآتي من نوع المتعة الأرضية؛ فما الفرق إذن بين مباهج الأرض ومباهج السماء؟ وماذا عن الذين جربوا كل أنواع المتعة الأرضية وملّوها وسئموها؟.. إنه ارتفاع عن كل الأرضيات وكل الماديات وكل الجسدانيات[٥].. وفي حياة الدهر الآتي لا يوجد تزاوج ولا توالد)[٦].

(١) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٤٤٠.

(٢) سنوات مع أسئلة الناس «لاهوتية وعقائدية (ب)»: ٨٢-٨٣.

(٣) انظر: موسوعة علم اللاهوت: ٢/ ١٨٨.

(٤) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٤٣٥.

(٥) هكذا في الأصل.

(٦) لماذا القيامة؟: ٧٩.

ب - النار (جهنم النار):

يُعرِّف النصارى الأقباطُ النار أو جهنم بأنها: مكانُ عذابِ الأشرار إلى الأبد بعد يوم الدينونة، ويُبيِّنُ القس بيشوي حلمي أصلَ (جهنم) بأنها كلمةٌ مركبة من كلمتين: (جي) وتعني أرض، (هنم) ويُراد بها هنوم[١].

وجهنمُ في أصلها مشتقةٌ من الكلمة العبرية جيهنوم، أي وادي ابن هنوم، ويقعُ جنوب شرق القدس، حيثُ كان الأشرار يَحرِقُون أطفالهم هناك، قرباناً للإله الوثني[٢].

وكلمة (جهنم) هي أكثر الكلمات وروداً في العهد الجديد تعبيراً عن النار الأبدية[٣].

ومن صور العذاب الذي يعتقده النصارى الأقباط في جهنم[٤]، ما يلي:

١. ربط اليدين والرجلين:

وهو إشارةٌ عندهم إلى فقدِ تامٍ للحرية[٥]، ويستدلون على ذلك بما جاء في متّى: (اربطوا رجليه ويديه)[٦].

٢. الطرح في الظلمة:

ويصفون هذه الظلمة بأنها خارجيةٌ؛ إشارة إلى بعدها عن النور الإلهي، والحضرة الإلهية[٧]، ويستدلون لذلك بما جاء في متّى: (خذوه واطرحوه في الظلمة الخارجية، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان)[٨].

٣. النفيُ والقطعُ:

---

(١) انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٤٤٢.

(٢) انظر: بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ٣٥، معجم المصطلحات الكنسية: ١/ ٢٩٠.

(٣) انظر: متّى: ٥/ ٢٢، ٥/ ٣٠، ١٠/ ٢٨، ٢٣/ ١٥، ٢٣/ ٣٣، بطرس الثانية: ٢/ ٤، يعقوب: ٣/ ٦.

(٤) انظر: موسوعة علم اللاهوت: ٢/ ١٨٢-١٨٦.

(٥) انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٤٤٣، المجيء الثاني والدينونة: ٧٥.

(٦) متّى: ٢٢/ ١٣.

(٧) انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٤٤٣، المجيء الثاني والدينونة: ٧٥.

(٨) متّى: ٢٢/ ١٣.

والذي يظهر من نصوصهم أن هذا النوع من العذاب يكون للمنافقين من النصارى، ويُبيِّن القس أبانوب حنا ماهية القطع، بأن تُنزعَ منه المواهب التي نالها بالمعمودية والأسرار وبنعمة الروح القدس[1]، ودليلهم على ذلك ما جاء في متّى: (يأتي سيد ذلك العبد في يوم لا ينتظره، وفي ساعة لا يعرفها، فيقطعه ويجعل نصيبه مع المرائين، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان)[2].

٤ . الطرح في أتون النار، وبحيرة الكبريت:

يُعرِّفون الأتون بأنه النار المحمَّاة، وهي (محمّاةٌ أضعاف المرات، وسيُطرح فيه - الأتون - الأشرار)[3]، أما بحيرة الكبريت فهي عبارةٌ عن بحيرةٍ من نارٍ، قاعها من الكبريت الذي يُجدد النار كلما انطفأتْ.

جاء في الكتاب المقدس: (ويُطرحون في أتون النار)[4]، و(وطُرِحَ الاثنين إلى بحيرة النار المتقدةُ بالكبريت)[5].

ويبيّن القس بيشوي حلمي الفرقَ بين هذه النار ونار الدنيا، بأن نارَ جهنم أبدية ومظلمةٌ، بينما نار الدنيا مؤقتة ومُنيرة[6].

ويستدلون لعذاب النار الأبدي بعدة نصوص، منها: (اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدَّة لإبليس وملائكته)[7]، و(ويصعد دخان عذابهم إلى أبد الآبدين)[8]، و(وسيُعذبون نهاراً وليلاً إلى أبد الآبدين)[9]، ويؤكد القمص ميخائيل مينا أبدية العذاب في النار، وعدم الشفاعة لأهلها، وأن ذلك مقتضى العدل الإلهي، ويُسهب في

---

(١) انظر: المجيء الثاني والدينونة: ٧٥-٧٦.

(٢) متّى: ٢٤/ ٥٠-٥١.

(٣) المجيء الثاني والدينونة: ٧٦.

(٤) متّى: ١٣/ ٤٢.

(٥) رؤيا يوحنا: ١٩/ ٢٠.

(٦) انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٤٤٤.

(٧) متّى: ٢٥/ ٤١.

(٨) رؤيا يوحنا: ١٤/ ١١.

(٩) رؤيا يوحنا: ٢٠/ ١٠.

الاستدلال له[1].

ولما كان عذاب النار أبدياً، ولنفيهم الشفاعة في الآخرة[2]؛ جعلوها في الدنيا فقط، وهي تتمثل في شفاعة مريم العذراء وصلوات الملائكة[3] والقديسين والآباء ونحوهم[4]، يقول القديس ديوناسيوس: (إن صلوات القديسين تنفع جداً، وكذا من تقدم إلى رجلٍ بارٍ واعترف له بآثامه، فإنه ينال صفحاً كأنه من الله، وتتمحص خطاياه، وينال المواهبَ الإلهية التي يحتاجها، لأن ذلك شرعٌ في الأحكام الإلهية أن يمنح اللهُ المواهبَ ويعطيها بتوسط الآباء)[5]، ويقول البابا شنودة الثالث: (وتؤمنُ الكنيسة بشفاعة السيدة العذراء، وتضع شفاعتها قبل الملائكة ورؤساء الملائكة، فهي والدة الإله)[6].

وكما أن الجنة عندهم على درجات وأهلها متفاوتون فيها؛ فكذلك الجحيم درجات، فـ (الأشرار وإن كانوا يتساوون جميعاً في حرمانهم من الملكوت إلى الأبد، وفي استمرارية عذابهم بلا انقطاع في جهنم النار التي لا تطفأ، والدود الذي لا يموت ..؛ إلا أنهم مع كل ذلك لا يتساوون في الحالة، فلا تكون حالةً واحدةً لجميعهم، لأن عذابهم يكون بدرجاتٍ متفاوتة، تتناسب مع بشاعة جرائمهم، ودرجة شرهم)[7]،

هذا أبرزُ ما يتعلق باليوم الآخر والبعث عند النصارى الأقباط.

---

(١) انظر: موسوعة علم اللاهوت: ٢/ ١٨٢، وموسوعة علوم الدين: ٢/ ١٤٠-١٤١.

(٢) يختارُ أستاذي وشيخي الدكتور/ عبد الباري فرج الله أبو عطا الله، أن النصارى لا يقولون بالتفريق بين الذنوب الكبيرة والصغيرة، لقولهم بنفي الشفاعة في الآخرة وديمومة العذاب لغير المؤمنين (انظر: اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام: ٢٢٢)، وهذا بعيدٌ، والله أعلم، لأنهم - وكما تقدم في الجنة، وسيأتي أيضاً في معتقدهم حول النار - يرون أن أصحاب النعيم والجحيم على درجاتٍ في منازلهم، وإن كانوا يقولون بالديمومة، فهذه الديمومة تكون على درجات في العذاب، فالذي أذنب ذنوباً كبيرةً؛ سيكون في عذابٍ عظيم دائم، والذي أذنب دون ذلك؛ سيكون في عذاب أقلّ وإن كان دائماً، والحاصل أن إثباتهم الديمومةَ لا يدل على نفيهم التفريقَ بين كبائر الذنوب وصغائرها.

(٣) انظر: الملائكة: ٢٥.

(٤) انظر: طريق السماء: ٢١٥ وما بعدها، موسوعة علوم الدين: ٢/ ١٤٢.

(٥) أسرار الكنيسة السبعة لحبيب جرجس: ١١٣.

(٦) السيدة العذراء: ١٦.

(٧) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٤٤٨.

مناقشة النصارى الأقباط في البعث واليوم الآخر:

تبيَّن لنا مما تقدم أن النصارى الأقباط يؤمنون بمبدأ البعث والمعاد، والمحاسبة والجزاء، ولا غرابة في ذلك إذ الأديان السماوية متآخيةٌ في أصلها ودعوتها، وما يقع من خلافٍ بينها في الأصول أو المقاصد فمردّه إلى التحريف[1].

وقد رأينا فيما تقدم من عرضٍ لأبرز عقائد النصارى الأقباط في اليوم الآخر شيئاً من التشابه في أحداثه بين الإسلام والنصرانية، كالحديث عن شمول الموت لجميع الناس، وأن وقته غير معلوم للبشر، وكذا المشابهة في بعض علامات اليوم الآخر، وأن في النعيم الأخير مالم تره عينٌ، ولم تسمعه أُذنٌ، ولم يخطر على قلبِ بشر، وهذا كله يؤكد أن منبع الرسالة ومصدرها واحد، ولولا التحريف الذي طرأ على النصرانية؛ لما وجدنا تناقضاً في عرض المسيحية والإسلام لمشهد اليوم الآخر.

والتحريفُ والتشويه الذي أصاب عقيدة النصارى الأقباط في اليوم الآخر، إنما أصابها لتتناسب مع تحريف أصولها الحقة التي جاء بها عيسى عليه السلام داعياً لعبادة الله وحده دون غيره، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧].

وهذا التحريف والخلطُ يُعرِّض معتقدهم للتناقض، وسأُناقش بعضاً مما تقدم في معتقدات النصارى الأقباط حول اليوم الآخر من خلال ما يلي:

١. تحدَّث النصارى الأقباط عن أهمية البعث واليوم الآخر، وتقدم شيءٌ من تقريرهم لذلك، وأن الحياةَ المسيحيةَ كلها تقوم على ذلك المبدأ، وقد جعلوا أول منازل الآخرةِ الموتَ، وإذا كان الموتُ - كما يزعمون - وافدٌ على الحياة، وأن الأصل

(١) انظر: اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة: ٦٢.

في الإنسان أنه خُلِقَ ليَحيا حياةً أبدية، حتى وقع آدم عليه السلام في الخطيئة فجلب الموت لنفسه ولأبنائه؛ فمقتضى ذلك أنه لو لم يقع في الخطيئة لم يحصل موتٌ للبشر! وهذا يتعارض مع ما قرّروه من أهمية اليوم الآخر، وضرورة الإيمان بمبدأ الثواب والعقاب، ودلالة العقل والفطرة عليه، إذ كيف سيكون الحساب والجزاء والإنسان لم تنته حياته بعد؟ فقد يُكتب له الرجوع للإيمان أو عنه في آخر حياته!

٢. يعتقد النصارى الأقباط أن المسيح عليه السلام جاء ليقهر الموت ويتحمل الأخطاء عن البشر بعد خطيئة آدم عليه السلام، لأنهم ورثوا الخطيئة من أبيهم، وهذا يلزم منه (أن يرفع المسيحُ الموتَ عن الناس مادام قد تحمَّل جميع خطاياهم التي تُسبِّبُ الموت لهم)[١] وهو ما لا يقولونه.

٣. يُصرِّح النصارى الأقباط بأن الموتَ بالنسبة للنصراني من أعظم أمور السعادة، وأنه بدايةُ حياةٍ أبديةٍ سعيدةٍ، يقول الأنبا يوأنس: (إنه ليس هو النهاية أو الخاتمة، إنما هو رحلةٌ مؤلمةٌ من مراحل حياة الإنسان في عالم الشقاء والتعب، كما أنه بدايةٌ لحياةٍ سعيدة لا تنتهي، فالسيد المسيح له المجد ذاقَ الموتَ بإرادته فحوَّله إلى حياة)[٢]، فإذا كان المسيحُ قد ذاقَ الموتَ بإرادته فحوَّله إلى حياةٍ أبديةٍ سعيدةٍ؛ فلماذا يصرخ وهو على الصليب؟ ولماذا نادى عند موته - كما يعتقدون - بأعلى صوته: (إيلي إيلي لم شبقتني؟ أي إلهي إلهي لماذا تركتني؟.. ..، فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم، وأسلم الروح)[٣] فلماذا يصرخُ وهو قد حوَّل الموت إلى سعادة؟[٤]

٤. يذكر النصارى الأقباط أن للموتِ أربعةَ أنواعٍ، تقدّم ذكرها، وبالنظر إلى هذا التقسيم؛ نجده تقسيماً فلسفياً رمزياً، قائماً علىَ التأويل، وهو مخالف لما عليه عموم النصارى من الكاثوليك[٥] والبروتستانت[٦] في تقسيم الموت، فلا دليل نقلي

(١) اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام: ٧٣.
(٢) السماء: ٩٤.
(٣) متى: ٢٧/ ٤٦-٥٠.
(٤) انظر: اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام: ٧٤بتصرف يسير.
(٥) انظر: المسيحية في عقائدها: ٤٥٤-٤٥٥.
(٦) انظر: علم اللاهوت النظامي: ٦٤٣.

أو عقلي على هذه الأنواع الأربعة، بل الوارد في كتابهم المقدس تقسيمُ الموتِ إلى قسمين، فقد جاء في متّى: (لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها، بل خافوا بالحري من الذي يقدر أن يُهلك النفس والجسد كليهما في جهنم)[1]، وهو ما يُؤكِّده قاموس الكتاب المقدس - وهو من المراجع الهامة عند النصارى عموماً - في تقسيم الموتِ إلى قسمين، جاء في مادة «موت»: (والموت ينقسم إلى: ما يصيبُ الجسدَ فقط دون النفس، وإلى ما يصيبهما معاً)[2]، وكما أسلفتُ سابقاً، أن النصارى الأقباط لا يجدون حرجاً في التأصيلِ بغير أصلٍ مُعتمدٍ، لأجل تقرير عقيدةٍ من عقائدهم.

٥. في المجيء الثاني للمسيح عليه السلام لا يكاد يخلو كتاب من كتب النصارى الأقباط التي تناولت اليوم الآخر إلا وينصُّ على هذه التسمية «المجيء الثاني»، ومع كون عقيدة المجيء الثاني تُشكِّلُ أساساً في إيمانهم؛ إلا أن العهد الجديد - كما تقدم - يخلو تماماً من النصِّ على هذه العبارة![3]، مما يدل على تبديلٍ وتغييرٍ لهذه العقيدة.

٦. يعتقد غالبية النصارى الأقباط أن المسيح عليه السلام يعلمُ موعد المجيء الثاني، أي أنه يعلم موعِد الساعة، وذلك لأنه إلهٌ كاملٌ له من العلم كما للآب، فهو اللهُ الظاهرُ في الجسد، وهذا القول مناقضٌ مناقضةً صريحةً لما ورد في كتابهم المقدس، ففي مرقس: (وأما ذلك اليوم وتلك الساعة؛ فلا يعلم بهما أحدٌ، ولا الملائكةُ الذين في السماء، ولا الابن إلا الآب)[4]، وفي هذا النص نفيٌ صريح بعدم علم المسيح عليه السلام بوقت الساعة، وأنه لا يعلمها غير الآب، وأمام هذا النص: إما أن يرفضوه؛ فيعترفوا بتحريف كتابهم المقدس، وإما أن يُقرّوا به؛ فيسقطُ قولهم بألوهية المسيح، لأن الإله لا يجوز عليه أن يجهل وقت الساعة.

٧. تقدم في معتقد النصارى الأقباط حول الدينونة أن المسيح عليه السلام هو الذي

(١) متّى: ١٠/ ٢٨.
(٢) قاموس الكتاب المقدس، مادة «موت».
(٣) انظر: دائرة المعارف الكتابية، مادة «مجيء المسيح ثانية».
(٤) مرقس: ١٣/ ٣٢.

يدينُ الناس، وهو الذي سيُحاسبهم وليس الآب، واستدلوا لذلك ببعض النصوص الواردة في الكتاب المقدس، إلا أن نفيهم محاسبةَ الآب للناس، وإثباتهم ذلك للابن فقط مُعارَضٌ بنصِّ الإنجيل، فقد جاء في يوحنا: (أنتم حسب الجسد تدينون، أما أنا فلستُ أدينُ أحداً، وإن كنتُ أنا أدين؛ فدينونتي حقٌّ لأني لست وحدي، بل أنا والآب الذي أرسلني)[1]، فقد نفي في البداية إدانته للناس، ثم أثبتها ولكن مع الآب، وهذا يخالف ما يُقررونه من أن الآب ليس يدين أحداً.

٨. يعتقدُ النصارى الأقباط أن النعيم العظيم في الملكوت يتمثل في رؤية الله والاتحاد معه، ولا شك أن رؤية الله أعظم نعيم في الجنة عندنا نحن المسلمين، وليس الاستدراك على جانب رؤية الله في الجنة أو الملكوت، وإنما يُقال لهم: إنه إن كان النعيم العظيم في الملكوت يتمثل في رؤية الله؛ فقد رُئي في الدنيا، وهم يُنكرون أن يكون شيءٌ من النعيم قد رُئِي في الدنيا، ولما كان المسيح عليه السلام عندهم هو الله، والمسيح بإجماعهم قد رآه كل من حضر معه؛ لزم من ذلك أنه لا نعيم زائد في الملكوت لمن رأى المسيح في الدنيا، بل يقتضي أن اليهود استمتعوا بنعيم الملكوت عندما رأوا المسيح، وأعظم من ذلك؛ قتلةُ المسيح وصالبوه - كما يعتقدون - جميعاً قد تحصَّل لهم نعيم الملكوت!

٩. يُنكر النصارى الأقباط النعيمَ المحسوسَ في الملكوت، وقد تقدم بيانُ ذلك، وهذا المعتقد يُخالف ما جاء في بعض نصوصِ كتابهم المقدس، فمن ذلك:

أ- الأكل والشرب: جاء في لوقا: (وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً، لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي، وتجلسوا على كراسي تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر)[2]، وجاء في يوحنا: (اعملوا لا للطعام البائد، بل للطعام الباقي للحياة الأبدية، الذي يعطيكم ابن الإنسان، لأن هذا الله الآب قد ختمه)[3].

---

(١) يوحنا: ٨/ ١٥-١٦.

(٢) لوقا: ٢٢/ ٢٩-٣٠.

(٣) يوحنا: ٦/ ٢٧.

ب- النكاح: جاء في متّى: (وكل من ترك بيوتاً أو إخوةً أو أخواتٍ أو أباً أو أماً أو امرأةً أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمي يأخذ مئةَ ضعف ويرثُ الحياةَ الأبدية)[1]، وهذا النصُّ يَردُّ صراحةً على قول البابا شنودة الثالث الذي يُنكر فيه تشابه نعيم الآخرة بشيءٍ من نعيم الدنيا ولو في النوع، وكذا في إنكاره للتزاوج، إذ النصُّ دالٌّ على أن من ترك زوجته فله مئة زوجة.

ويتضح مما سبق الاضطراب الذي يُعاني منه النصارى الأقباط في تقرير عقيدتهم في البعث واليوم الآخر، والله أعلم.

(١) متّى: ١٩/ ٢٩.

الفصل الثاني: شعائر وعادات النصارى الأقباط

ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الصلوات والأدعية.

المبحث الثاني: الصوم.

المبحث الثالث: الأعياد وطقوسها، والزيارات المقدسة.

الفصل الثاني: شعائر وعادات النصارى الأقباط

لما كان الإيمانُ عملاً قلبياً غيرَ ظاهرٍ؛ كانت أعمالُ الجوارحِ تُصَدِّقُ ذلك الإيمان أو تُكذِّبه، لذلك جاء الإيمان عندنا - نحن أهل السنة والجماعةَ - مبنياً على الاعتقاد والقول والعمل[1]، فلا يكفي أن يتلفظ المُسلم بالشهادتين، أو أن يعتقد صحة الإسلام دون أن يعمل، إذ الأعمال شواهد على النية والمعتقد.

وقد تقدم تأكيدُ النصارى الأقباط على أهمية العمل وأنه شرطٌ للخلاص، وهو ثمرة الإيمان ونتيجته، وبدونه لا يصح إيمانُ مؤمنهم، ومن أهمية هذه العبادات والأعمال؛ أنها وسائطُ للخلاص[2]، بل هي عندهم وسائط الخلاص، فمن دونها لا يُمكن لأحدٍ أن يخلُص.

ومن تأكيدهم على جانب القول والعمل وعدم الاكتفاء بالنية؛ أن جعلوا الحساب في اليوم الآخر منصباً على دقائق الأعمال والأقوال، يقول القديس باسيليوس الكبير: (ماذا يفيدني لو عملتُ كل البر، ثم أقول لأخي: يا أحمق، فأكون مستحقاً نار جهنم)[3].

ويؤكِّدُ النصارى الأقباط على الاعتقاد قبل العمل، فالعقيدة تأتي أولاً، ثم الأعمال ثانياً.

وإذا كان النصارى عموماً قد حرَّفوا وبدلوا في الجانب الأهم أعني العقيدة؛ فمن باب أولى وأحرى أن تطال يدُ التحريفِ جانبَ الشرائعِ والأعمال، وإذا كان الاعتقاد بالتثليث قد سبقه القول بالتوحيد وإفراد الله بالعبادة مما له أصل في الديانة - قبل التحريف -؛ فإن العبادات والطقوس التي يزعمها النصارى ليس لأكثرها أصلٌ عن المسيح عليه السلام، ولا عن أتباعه الأوائل، وإنما هي وليدةُ الكنيسة من حيث نشأتها، وكيفياتها، وتقرير أوقات أدائها، فالمسيحية في أصلها لم يكن لديها مزيدُ تشريعات

---

(١) وهو قول أهل الحديث، وقول الإمام مالك والشافعي وأحمد وغيرهم. انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: ٤/ ١٠٢، شرح العقيدة الطحاوية: ٣٧٣.

(٢) انظر: اللاهوت العقيدي لغريغوريوس: ٥/ ٢٧٠.

(٣) الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي: ٤٧.

على التوراة[1]، وهذا على لسان المسيح عليه السلام نفسه، حيث يقول: (لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأُكمل)[2].

ولما كانت تلك الشرائع والعبادات من وضع الكنيسة؛ سلكَ القساوسةُ والباباواتُ في ذلك مسلك التعظيم لهذه العبادات والشعائر، وأحاطوها بهالةٍ من القداسة.

وفي هذا الفصل سأتناول بحول الله ثلاثَ شرائع وعبادات للنصارى الأقباط بشيءٍ من البيان والتفاصيل.

(١) انظر: النصرانية تاريخاً وعقيدةً: ٢٢٧.

(٢) متى: ٥/١٧.

المبحث الأول: الصلواتُ والأدعيةُ

تعريف الصلاة:

أ - لغة:

الصلاة في اللغة: الدعاء، والصلاة من الله تعالى الرحمة، ومن الملائكة دُعاءٌ واسْتِغْفارٌ، وبالدعاء سُمِّيَت الصلاةُ لاشتمالها عليه، فالصلاة والدعاء بمعنى واحد.

والصلاةُ اسمٌ يوضَعُ مَوْضِعَ المَصْدر، يُقال: صَلَّيْتُ صلاةً، وقد تكرر في الحديث ذكرُ الصلاةِ، وهي العبادةُ المخصوصةُ.

وقيل: أَصلُها في اللغة: التعظيم، وسُمِّيت الصلاةُ المخصوصة صلاةً لما فيها من تعظيم الرَّبِّ[1].

ب - اصطلاحاً:

عرَّف النصارى الأقباطُ الصلاةَ بعدةِ تعريفات، منها:

١. قال ابن سباع: (الصلاة هي مناجاة الروح لخالقها، برفع القلب والنفس والحاسيات)[2].

٢. قال ابن كبر: (هي مخاطبة الإنسان للرب، والاعتراف له بالذنوب، وشكره على بركاته ونعمه الروحية والمادية الكثيرة)[3].

٣. قال ميخائيل مكسي: (الصلاة تعني حرفياً الدعاء أو التوسل، وهي ارتفاع العقل إلى الله، وسكب نفسه أمامه، وهي صلةٌ دائمةٌ بين الإنسان والله)[4].

ومن هذه التعريفات يتبيّن أنه ليس للصلاة تعريفٌ محدد عند النصارى الأقباط، وما

(١) انظر: لسان العرب: ١٤/ ٤٦٥، مختار الصحاح: ١/ ١٥٤.

(٢) الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ٧٣.

(٣) مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٢٣٩.

(٤) موسوعة الكنيسة القبطية: ٤/ ٤١.

جاء عندهم من تعريفٍ لها فإنما يتناول معناها العام (الدعاء) وليس الخاص المُتعلق بمضمون صلاتهم وكيفيتها، ومن أشار إلى جانب الصلاة العملي في التعريف فإنه يُقدم له بالجانب الروحي المُتمثل في اتصال العبد بالله ومشاركته، ففي قاموس الكتاب المقدس: (الصلاة هي شركة الابن مع أبيه السماوي، هي سجودٌ وشكرٌ واعترافٌ وطلب)[1].

أهمية الصلاة ومكانتها:

تُمثلُ الصلاةُ عند النصارى الأقباط أهميةً كبرى، فبها تتساوى النفس البشرية مع الملائكة، وبها يُخاطِبُ العبدُ ربَه، وفيها دفعٌ للبلاء، يقول القديس مار إفرام[2]: (الصلاة هي خدمة لله عز وجل، وتتساوى بها النفس البشرية بالملائكة، وبها يُخاطِب الإنسان خالقه ويُناجيه، وبها النمو في الفضيلة.. وهي جامعة للفكر، ومنبهة للذكر، والمُشغلة عن فتن الشيطان، والنافية للغموم.. والدافعة للبلاء، والصارفة للمكاره والعثرات)[3]، ومن هذا القول يتضح أن أمر الصلاة عندهم أمرٌ جامعٌ لما يحتاجه العبد[4].

ويؤكد الأنبا غريغوريوس على أهمية الصلاة وأنها تُمثلُ غذاءً روحياً، وسمواً قلبياً وعقلياً لمن يؤديها، يقول: (ومن بين هذه الوسائط - أي وسائط الخلاص -: الصلاة التي بلا انقطاع، لأنها من وسائط الغذاء الروحاني، لأن الروح بالتأمل وبالتفكير وبالتعبد تنصرف عن الأرض، وتتطلع إلى العالم العلوي، وتُحلّق في السماء، وتتأملُ في الله، بها يرتفع العقل، ويرتفع القلب، وترتفع الرغبات إلى ما هو فوق المستوى العادي)[5].

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، مادة «صَلّ يُصلّي صَلَوة».

(٢) مار إفرام السرياني من قديسي الأقباط المشاهير، كان أبوه وثنياً، تتلمذ مار إفرام على يد القديس يعقوب أسقف نصيبين، يُحيطه النصارى الأقباط بهالة من القصص الخيالية التي يزعمون أنها تدل على معجزاته، هلك عام (٣٧٩م). انظر: الأقباط النشأة والصراع: ١٥١-١٥٢.

(٣) مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٢٤٠.

(٤) انظر: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ١/ ١٢٤-١٢٧.

(٥) اللاهوت الطقسي: ٢٧٠.

ولأهمية الصلاة عندهم؛ قرَّر بعضهم جواز الاقتصار عليها دون بعض العبادات البدنية الأخرى، التي قد يظهر معها شيءٌ من المشقّة والكَلَفة، كتقديم القرابين ونحوها.

يقول ابن كبر: (ولهذا طَلَبَ منا الآباء الرسل أن نقتصر على الصلاة دون تقديم الذبائح الحيوانية، وأمرونا باستعمال الصلاة مع تقديم البكور إلى الكنيسة، أي قبل بدء أي عمل)[1].

ويُجمل القس بيشوي حلمي أهمية الصلاة عندهم في النقاط التالية:

١. تُعطي الإنسان فرصةً أطول للوقوف في الحضرة الإلهية.

٢. تضعُ أمام الإنسان طوال اليوم مراحل حياة السيد المسيح على الأرض، ليتأملها ويعيش فيها.

٣. تجعل الإنسان يقرأ أجزاء كثيرة من الإنجيل والمزامير والرسائل.

٤. تُعطي المؤمن إرشادات وتعاليم تعينه في حياته اليومية.

٥. تشغل يوم الإنسان كله بالروحيات والتأمل في كلام الله.

٦. تُعلِّمُ الإنسان طلب الرحمة بلجاجة إذ يكرر: (يارب ارحم)[2].

حكم الصلاة وأدلتها عند النصارى الأقباط:

يعتقدُ النصارى الأقباط بوجوب سبع صلواتٍ في اليوم، وأنها فريضة على كل نصراني، يقول القمص يوحنا سلامة: (الصلاة واجبة، وأهميتها ليست قاصرةً على لزومها للإنسان فقط، بل إنها مفروضةٌ عليه من الله، لتكون دليلاً على عبودية العبد وربوبية الرب، فإن الله خلق الإنسان ليعبده)[3].

ويستدلون على مشروعية الصلاة بجملة من الأدلة من الكتاب المقدس، كما يلي:

---

(١) مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٢٤١.

(٢) انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣٤٦.

(٣) اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ١/ ١١٦.

١. جاء في لوقا: (وإذ كان يصلي في موضع لما فرغ؛ قال واحدٌ من تلاميذه: يا ربّ علّمنا أن نُصلي كما علّم يوحنا أيضاً تلاميذه، فقال لهم: متى صليتم فقولوا: أبانا الذي في السماوات، ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض خبزُنا كفافُنا، أعطنا كلّ يوم، واغفر لنا خطايانا، لأننا نحن أيضاً نغفرُ لكل من يذنب إلينا، ولا تدخلنا في تجربةٍ، لكن نجنا من الشرير)[١].

٢. جاء في متّى: (ومتى صليتَ فلا تكن كالمرائين، فإنهم يُحبون أن يصلوا قائمين في المجامع وفي زوايا الشوارع لكي يظهروا للناس، الحقُّ أقولُ لكم: إنهم قد استوفوا أجرهم، وأما أنت فمتى صليتَ فادخل إلى مخدعك، وأغلق بابك وصلِّ إلى أبيك الذي في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانيةً، وحينما تُصلّون لا تُكرِّروا الكلام باطلاً كالأمم، فإنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يستجاب لهم، فلا تتشبهوا بهم، لأن أباكم يَعلَمُ ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه)[٢].

٣. جاء في يوحنا: (فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعاً، ورفع يسوعُ عينيه إلى فوق، وقال: أيها الآب أشكرك لأنك سمعتَ لي، وأنا علمتُ أنك في كل حينٍ تسمعُ لي، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلتُ ليؤمنوا أنك أرسلتني)[٣].

وسيأتي مزيدُ أدلة عند الحديث عن كل صلاة بذاتها.

أنواع الصلاة:

يُقسِّم النصارى الأقباط الصلاةَ إلى ثلاثة أنواع، يقول القمص يوحنا سلامة: (الصلاةُ ثلاثةُ أنواع، أولاً: انفرادية، ثانياً: عائلية، ثالثاً: جمهورية)[٤]، ويؤكد الأنبا غريغوريوس ذلك[٥]، وبيانها كما يلي:

(١) لوقا: ١١/ ١-٤.

(٢) متّى: ٦/ ٥-٨.

(٣) يوحنا: ٢١/ ٤١-٤٢.

(٤) اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ١/ ١١٥.

(٥) انظر: اللاهوت الطقسي: ١٦٩.

أ - الصلاة الانفرادية:

وهي التي تكون على مستوى الفرد وحده، ويستدلون لها بما جاء في سفر متّى: (وأما أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك، وأغلق بابك، وصلِّ إلى أبيك الذي في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية)[1].

ب - الصلاة العائلية:

وهي التي تُؤدَّى بحضور الرجل وزوجته وأهل بيته، ويستدلون لها بما ورد في سفر يشوع: (وأما أنا وبيتي فنعبد الرب)[2]، وأيضاً بما ورد في متّى: (وأقول لكم أيضا إن اتفق اثنان منكم على الأرض في أي شيءٍ يطلبانه، فإنه يكون لهما من قبل أبي الذي في السماوات، لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم)[3].

ج - الصلاة الجمهورية:

وهي الصلاةُ التي تُؤدى جماعةً في الكنيسة، ويستدلون لها بما ورد في يشوع: (فمزّق يشوع ثيابه وسقط على وجهه إلى الأرض أمام تابوت الرب إلى المساء هو وشيوخ إسرائيل، ووضعوا تراباً على رؤوسهم)[4][5].

نشأة وتطور الصلاة:

لا يجد النصارى الأقباط حرجاً في تقرير القول بوضع الكنيسة وبطاركتها لكثيرٍ من شرائعهم، بل يعتقدون أن هذا حقٌّ من الحقوق المشروعة للكنيسة، يقول القمص يوحنا سلامة: (ولا يخفي أن للكنيسة سلطاناً على فرض وصايا، وسنِّ شرائع مفيدة لبنيها، ونافعة لخيرهم الروحي، ومساعدة على خلاص نفوسهم، وأن كل تعاليمها وأعمالها موضوعة بإرشاد الروح القدس نفسه الذي كان ولا يزال إلى انقضاء الدهر

(١) متّى: ٦/٦.

(٢) يشوع: ٢٤/١٥.

(٣) متّى: ١٨/١٩-٢٠.

(٤) يشوع: ٧/٦.

(٥) حول أنواع الصلاة عند النصارى الأقباط، انظر: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ١/١١٥، اللاهوت الطقسي: ١٦٩-١٧٤.

يُدبِّرها ويرشدها إلى سياسة شعبه وتدبير رعية الله.. فمن الواجب شرعاً قبول ما تأمرُ به وتفرضه الكنيسة، كما أنه من الله نفسه الذي أمر بطاعتها وسماع كلمتها، ووعد بالعقاب الصارم كل من يتعمد مخالفتها)[1].

ومن ذلك تنظيم الصلاة وتقنينها، فقد كان من وضع الآباء، يقول القديس جيروم: (يجبُ أن نُعيِّن أوقاتاً للصلاة، حتى إذا حدث وانشغلنا بأي عملٍ، فإن الوقت نفسه يُذكِّرنا بواجبنا)[2].

وينقل القس بيشوي حلمي إجماعَ الآباء الأوائل على وجوب الالتزام بقانونٍ منظمٍ للصلاة، لأنهم رأوا أن هذا الأمر يناسب الجميع، ولاسيما المبتدئين في حياتهم الروحية، حتى يتعودوا على النظام في صلواتهم[3].

فقوانين الصلاة، وترتيباتها، ووقت أدائها، من تقرير الآباء أنفسهم وليس وحياً منزلاً.

وإذا ما أردنا أن نستقرئ تاريخ الصلاة عند النصارى الأقباط، فيمكن أن نُجمل التطور الذي مرَّت به على ثلاث مراحل:

أ- المرحلة الأولى:

تمثل هذه المرحلة ما قبل المسيحية، وأعني بذلك حياة بني إسرائيل مع الصلاة، فقد كان اليهود يصلون ثلاث صلوات في اليوم، هي صلاةُ الساعة الثالثة، والساعةِ السادسة، والساعةِ التاسعة[4]، فقد جاء في أعمال الرسل: (وكانوا كلَّ يوم يواظبون في الهيكل بنفسٍ واحدة، وإذ هم يكسرون الخبز في البيوت؛ كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلبٍ، مسبحين الله، ولهم نعمةٌ لدى جميع الشعب، وكان الربُّ كل يوم يضمُ إلى الكنيسة الذين يخلصون)[5]، وفيه أيضاً: (ثم في الغد فيما هم يسافرون ويقتَربون

(١) اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣١٨-٣١٩.
(٢) كنيستي الأرثوذكسية: ٢٢٤.
(٣) انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣٤٤.
(٤) انظر: اللاهوت الطقسي: ١٦٥.
(٥) أعمال الرسل: ٢/ ٤٦-٤٧.

إلى المدينة؛ صعد بطرس على السطح ليصلي نحو الساعة السادسة)[1]، وفيه أيضاً: (وصعد بطرس ويوحنا معاً إلى الهيكل في ساعة الصلاة التاسعة)[2].

ب-المرحلة الثانية:

وتمثل هذه المرحلة بداية المسيحية، وقد زيد في هذه المرحلة على الصلوات الثلاث السابقة ثلاثُ صلواتٍ أخرى، هي صلاة باكر، وصلاة النوم، وصلاة نصف الليل، فقد أشار القديس إكليمندوس السكندري[3] إلى أن الصلوات في كنيسة مصر في عهده - القرن الثاني الميلادي - كانت ست صلوات، هي: الثالثة والسادسة والتاسعة، فضلاً عن وقت الاستيقاظ، وقبيل النوم، وأثناء الليل[4].

وكان علّامتهم ترتليان - من القرن الثاني الميلادي - يؤكدُ على وجوب الصلاة في بداية ونهاية كل يوم، مع توصيةٍ بالصلاة في الساعات الثالثة والسادسة والتاسعة وليلاً[5].

ت-المرحلة الثالثة:

وتبدأ المرحلة الثالثة من بداية القرن الرابع الميلادي، حيث يذكر القس بيشوي حلمي أنه مع بدايات القرن الرابع الميلادي ظهرتِ الرغبةُ ملحةً بين المسيحيين في جعل الصلوات سبعاً[6]، كما جاء في المزامير: (سبع مرات في النهار سبّحتُك على أحكام عدلك)[7]، وعندما تحدث القديس باسيليوس الكبير عن الصلوات السبع؛ تحدَّث عنها كأمرٍ مستقرٍ في الكنيسة في ذلك الوقت[8]، ولا يزال التجديد والتطوير أبرز سمةٍ لهذه الصلوات السبع، يقول الراهب أثناسيوس: (إن كتاب صلوات السواعي

(١) أعمال الرسل: ١٠/ ٩.

(٢) أعمال الرسل: ٣/ ١.

(٣) هو طيطس فلاديوس إكليمندس السكندري، ولد عام (١٥٠م)، في أثينا، ونشأ على تعلم الفلسفة، تتلمذ على يد القديس بنتينوس، هلك عام (٢١٥م). انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٨٤-٨٥.

(٤) نقلاً عن: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣٤٥.

(٥) نقلاً عن: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣٤٥.

(٦) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ٢٢٦.

(٧) المزامير: ١١٩/ ١٦٤.

(٨) انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣٤٦.

هو من أكثر الكتب الطقسية في الكنيسة تَعَرُّضاً للتطور على مدى القرون المتتابعة)[١]، وكتاب صلوات السواعي هو الكتاب الذي يتحدث عن هذه الصلوات السبع، سُمي بالسواعي نسبةً إلى الساعات التي يُصلى فيها.

ويُسمي النصارى الأقباط هذه الصلوات السبع بصلوات الأجبية.

هكذا مرَّت مراحل الصلاة عند النصارى الأقباط، وانتهت إلى سبع صلوات في اليوم يأتي بيانها بالتفصيل.

شروط الصلاة:

لمكانة الصلاة عند النصارى الأقباط؛ فإنهم يشترطون لها شروطاً لا بد من توفرها لتكون صلاةً مقبولةً، إلا أن هذه الشروط ليست محلَّ إجماعٍ بينهم، فبعضهم يذكر ثمانية شروط[٢]، وآخرون يجعلونها تسعة شروط[٣]، وآخرونَ يزيدونها إلى عشرين شرطاً[٤] وهكذا، وباستقراء هذه الشروط يُمكن أن نُجملها فيما يلي:

١. الإيمان:

ويفسرون الإيمان بأنه (الثقة بقدرة الله وسخائه وجوده ووفائه بمواعيده)[٥]، ويؤكدون أن الإيمان هو أساس الصلاة فإن ذهبَ ذهبتْ معه[٦].

٢. تقدِمَتُها باسم المسيح:

ويُعللون ذلك بأن الصلاة التي تُقَدَّمُ باسمه تخرق السحب، وتدخل إلى ملكوت الله، وبالتالي تأتي بالثمرة المرجوة من إقامتها[٧].

---

(١) معجم المصطلحات الكنسية: ١/ ٤٣.

(٢) انظر: اللاهوت الطقسي: ١٤٦-١٥٠.

(٣) انظر: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ١/ ١٢٠-١٢٤.

(٤) انظر: موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ٤/ ٤٢-٤٤.

(٥) اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ١/ ١٢١.

(٦) انظر: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ١/ ١٢٠-١٢١، اللاهوت الطقسي: ١٤٧-١٤٨، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ٤/ ٤٣.

(٧) انظر: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ١/ ١٢١، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ٤/ ٤٢.

٣. التواضع:

ويُعبِّر بعضهم عن ذلك بقوله: (أن تكون بانسحاق لا بكبرياء وتشامخ)[١]، فمن صلى وهو متكبرٌ فصلاته باطله[٢]، ويذهب الأنبا غريغوريوس إلى تفسير التواضع بأنه الاعتراف بالخطيئة تحديداً[٣].

٤. المواظبة والإلحاح:

فتكون الصلاة من غير انقطاع، وهم في ذلك يعتقدون أنهم يُطبِّقون أمر الله الوارد في كتابهم المقدس: (اسهروا إذاً وتضرعوا في كل حين)[٤]، يقول القمص يوحنا سلامة: (فيجب علينا أن نُلحَّ على أخينا البكر[٥]، وحبيبنا السماوي، في أوقات الشدة حتى يُعطينا ما نسأل)[٦].

٥. سلامةُ القلب:

لأنَّ المسيح عليه السلام في اعتقادهم قد قال: (ومتى وقفتم تصلون؛ فاغفروا إن كان لكم على أحدٍ شيء، لكي يَغفِرَ لكم أيضاً أبوكم الذي في السماوات زلاتكم)[٧].

٦. قرنها بالمشيئة:

لذلك دائماً يقرنون صلاتهم بالدعاء الوارد في الصلاة الربانية: (لتكن مشيئتك)[٨].

هذه أبرز الشروط التي يُجمعون عليها، وما عداها فإنه في الغالب يدور في حكم المستحب وليس الشرط.

(١) اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ١/ ١٢١.

(٢) انظر: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ١/ ١٢١، اللاهوت الطقسي: ١٤٩، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ٤/ ٤٣-٤٤.

(٣) انظر: اللاهوت الطقسي: ١٤٩.

(٤) لوقا: ٢١/ ٣٦.

(٥) يريد المسيحَ عليه السلام.

(٦) اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ١/ ١٢١-١٢٢.

(٧) مرقس: ١١/ ٢٥.

(٨) انظر: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ١/ ١٢٢، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ٤/ ٤٣.

صلوات الأجبية:

تعريفها:

الأجبية كلمة معرَّبةٌ عن الكلمة القبطية (آجب) وتعني: ساعة أو زمن، وهي تشير إلى كتاب السبع صلوات النهارية والليلية في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وكونها سبع صلواتٍ إشارة لمواهب الروح القدس السبع[1].

ويُقرأ في هذه الصلوات بسفر المزامير، وشيء من الإنجيل[2]، وكانت العادة في الشرق أن يُقرأ سفر المزامير كاملاً في اليوم الواحد، ثم امتدت الفترة إلى ثلاثة أيام، ثم أصبح يُقرأ على مدى أسبوع[3].

وتُعتبر الكنيسة القبطية المصرية هي أوّل من صدَّر طقوس هذه الصلاة للعالم النصراني الشرقي والغربي[4].

ويعتمدون في تقرير هذه الصلوات السبع على أن داود عليه السلام كان يُصلّي في اليوم سبع صلوات، جاء في سفر المزامير: (سبعُ مراتٍ في النهار سبحتُك على أحكام عدلك)[5].

عدد الصلوات ومواقيتها:

تقدَّم أن الصلوات التي انتهت إليها الكنيسة القبطيةُ سبعُ صلواتٍ في اليوم، تُعرف بصلوات الأجبية، وكل صلاةٍ من هذه الصلوات السبع ترمز إلى أمرٍ معين، وقولنا: (انتهت إليها الكنيسة) لأنه لم يرد تحديد هذه الصلوات بدقة في الكتاب المقدس لا في العهد الجديد ولا في القديم، وما ورد من نصوصٍ في ذلك إنما تدعو إلى الصلاة

(١) انظر: موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ١/ ٧٩-٨٠.

(٢) انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ١/ ٤٢-٤٣، بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ٩-١٠، كنيستي الأرثوذكسية: ٢٢٣.

(٣) انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ١/ ٤٣.

(٤) انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ١/ ٤٣.

(٥) المزامير: ١١٩/ ١٦٤.

الدائمة من غير انقطاع! فقد جاء في تسالونيكي: (صلوا بلا انقطاع)[1]، وقد انتهى الأمر بتحديدها في سبع صلوات، هي كما يلي:

١. صلاة باكر (صلاةُ الغداة):

وتُصَلَّى في الساعة السادسة صباحاً، وهي ترمز عندهم لقيامة المسيح بعد موته، وظهوره ثانيةً للناس، والغاية من هذه الصلاة شكرُ الله على مرور الليل بسلامٍ، وطلبه سلامةَ اليومِ الجديد[2].

ويستدلون لهذه الصلاة بما جاء في المزامير: (يا ربِ بالغداةِ تسمع صوتي بالغداة، أُوَجهُ صلاتي نحوك وأنتظر)[3].

٢. صلاة الثالثة:

وتُصَلَّى في الساعة التاسعة صباحاً، وهي ترمز عندهم لحلول الروح القدس على أتباع المسيح عليه السلام، وكذلك محاكمة بيلاطس للمسيح عليه السلام، والغاية من هذه الصلاة؛ الطلبُ من الروح القدس أن يحلَّ فيهم، وأن يُطهِّرهم، ويُقدِّس يومهم[4]، ويستدلون لهذه الصلاة بما جاء في المزامير: (تقدمتُ في الصبح، وصرخت كلامَك انتَظَرتُ)[5].

٣. صلاة السادسة:

وتُصَلَّى في الساعة الثانية عشرة ظهراً، وهي ترمز عندهم لصلب المسيح، والغاية

---

(١) تسالونيكي الأولى: ٥/ ١٧.

(٢) انظر: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٢٤٢، الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ٧٣، اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ١/ ١٣٣-١٣٤، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣٤٧، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ١/ ٨٠.

(٣) المزامير: ٥/ ٣.

(٤) انظر: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٢٤٢، الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ٧٣، اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ١/ ١٣٥، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣٤٧، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ١/ ٨٠.

(٥) المزامير: ١١٩/ ١٤٧.

من هذه الصلاة شكر المسيح على الفداء، وأن يُعطيهم حياةً مقدسةً[1].

ويستدلون لهذه الصلاة بما جاء في أعمال الرسل: (ثم في الغد فيما هم يسافرون ويقتربون إلى المدينة صعد بطرس على السطح ليصلي نحو الساعة السادسة)[2].

٤. صلاة التاسعة:

وتُصَلَّى في الساعة الثالثة بعد الظهر، وهي ترمز عندهم لموت المسيح وصلبه، وفتح الفردوس للمؤمنين، والغاية من هذه الصلاة؛ الطلب من الرب أن يجعل لهم نصيباً في الفردوس[3].

ويستدلون لهذه الصلاة بما جاء في أعمال الرسل: (وصعد بطرس ويوحنا معاً إلى الهيكل في ساعة الصلاة التاسعة)[4].

٥. صلاة الحادية عشرة (الغروب):

وتُصَلَّى في الساعة الخامسة عصراً، وهي ترمز عندهم لإنزال المسيح من الصليب وتكفينه، والغاية من هذه الصلاة شُكر الله على أن أمضى النهار بسلام، وأبلغهم المساء بسلام[5].

ويستدلون لهذه الصلاة بما جاء في المزامير: (لتستقم صلاتي كالبخور قدّامك، ليكن رفع يديّ كذبيحة مسائية)[6]، يقول الأنبا غريغوريوس: (المساء هنا ينصرف إلى

---

(١) انظر: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٢٤٢، الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ٧٣، اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ١/ ١٣٦، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣٤٧، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ١/ ٨٠.

(٢) أعمال الرسل: ١٠/ ٩.

(٣) انظر: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٢٤٢، الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ٧٣، اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ١/ ١٣٧، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣٤٧، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ١/ ٨٠.

(٤) أعمال الرسل: ٣/ ١.

(٥) انظر: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٢٤٢-٢٤٣، الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ٧٣، اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ١/ ١٣٧، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣٤٧، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ١/ ٨٠.

(٦) المزامير: ١٤١/ ٢.

ساعة الغروب وليس الليل)[1].

٦. **صلاة الثانية عشرة (النوم):**

وتُصَلَّى في الساعة السادسة مساءً، وهي ترمز عندهم لدفن المسيح في قبره، والغاية من هذه الصلاة؛ الطلبُ من الربِّ أن يغفر خطايا اليوم كاملةً، وأن يمنحهم نوماً هادئاً[2].

ويستدلون لهذه الصلاة بما جاء في المزامير: (بالنهار يوصي الربُ رحمته، وبالليل تسبيحةٌ عندي صلاةٌ لإله حياتي)[3].

٧. **صلاة نصف الليل:**

ويُقسِّمون الليل إلى:

أ- الهزيع الأول: ويبدأ من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة مساءً[4].

ب- الهزيع الثاني: ويبدأ من الساعة التاسعة مساءً إلى منتصف الليل[5]، ويعتقدون أنه يرمز لمجيء المسيح الثاني فجأةً كاللص في منتصف الليل[6].

ت- الهزيع الثالث: ويبدأ من منتصف الليل إلى الساعة الثالثة صباحاً[7]، وهو يذكرهم باليوم الآخر[8].

ث- الهزيع الرابع: ويبدأ من الساعة الثالثة صباحاً إلى ما قبل السادسة صباحاً[9]، وهو

---

(١) اللاهوت الطقسي: ١٦٧.

(٢) انظر: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٢٤٢-٢٤٣، الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ٧٣، اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ١/ ١٣٨، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣٤٧، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ١/ ٨٠.

(٣) المزامير: ٤٢/ ٨.

(٤) انظر: بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ٩٣.

(٥) انظر: بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ٩٣.

(٦) انظر: موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ١/ ٨٠.

(٧) انظر: بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ٩٣.

(٨) انظر: موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ١/ ٨٠.

(٩) انظر: بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ٩٣.

يذكرهم بالتوبة ومحاسبة النفس[1].

فصلاة نصف الليل في الهزيع الثالث.

ويستدلون لهذه الصلاة بما جاء في المزامير: (في منتصف الليل أقوم لأحمدك على أحكام بِرِّك)[2].

هذه هي الصلوات السبع التي يُصلِّيها عامةُ النصارى الأقباط في اليوم والليلة، وهناك صلاةٌ أُخرى تُسمّى صلاةُ السِّتار (يُصَلُّونها قبل النوم مباشرةً، وتبتدئ بالمزمور الرابع الذي يتضمن تفكير الإنسان قبل نومه بما فعله في يومه، والسلوك بما يرضي الله حسب وصاياه)[3]، ويختصُّ وجوبها بالرهبان والقساوسة، يقول البابا شنودة الثالث: (هذه الصلاة ضمن قانون الراهب، فواجبٌ عليه أن يُصليها، أما بالنسبة إلى العلماني[4] فليست واجبةٌ عليه، ولكن يجوز أن يصليها، ويمكن ذلك أن يكون بعد صلاة النوم)[5].

مضمونُ الصلاة:

تتضمَّنُ كلّ صلاة من صلوات الأجبية السابقة أفعالاً تؤدّى، وأقوالاً تُتلى بشكلٍ منتظمٍ، كما يلي:

أولاً: أفعال الصلاة:

ليس للصلاة عند النصارى الأقباط أفعالٌ موحدة يجب على الجميع الالتزام بها، وذلك راجعٌ - والله أعلم - لأمرين:

أ/ تعدد الصور الواردة للصلاة في الكتاب المقدس ما بين القيام والركوع والسجود والجلوس على الركبتين وعدم تحديدها بدقة، يقول الأنبا يوأنس: (كانت العادة أن

---

(١) انظر: موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ١/ ٨٠.

(٢) المزامير: ١١٩/ ٦٢.

(٣) موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ٤/ ٦٢.

(٤) يُطلق على عامة النصارى علمانيين، جاء في معجم الإيمان المسيحي في تعريف العلماني: (من لم يكن من رجال الإكليروس، بل كان عضواً عادياً من أعضاء الشعب).معجم الإيمان المسيحي: ٣٣٢.

(٥) سنوات مع أسئلة الناس «أسئلة متنوعة»: ١٥٧.

يُصلي الناس إما وقوفاً والأيدي مرفوعة قليلاً نحو السماء، وإما ركوعاً على الركبتين، وإما سجوداً والوجه على الأرض)[1].

ب/ تركيز النصارى واهتمامهم بعمل القلب بشكل أكبر من أعمال الجوارح، يقول القمص يوحنا سلامة: (اللهُ يعتبر حال القلب أكثر مما يعتبرُ هيئة الجسد في عبادته)[2]، لذا لم يهتموا لجانب أفعال الصلاة.

وبالجملة يُمكنُ حصر حركات الصلاة وأفعالها عند النصارى الأقباط بما يلي:

١. الوقوف على القدمين:

ويستدلون له بما جاء في الكتاب المقدس: (وقالت: أسألك يا سيدي: حيةٌ هي نفسك؟ يا سيدي أنا المرأةُ التي وَقَفتْ لديكَ هنا تصلي إلى الرب)[3]، ومن عادة النصارى الأقباط أن يقفوا أثناء القراءات المقدسة[4]، ولا يُسمح بالجلوس إلا في حال المرض والضعف[5].

٢. شدُّ الوسطِ بالزنار[6].

٣. التوجه إلى جهة الشرق:

كانت الصلوات قبل المسيحية تُرفع إلى أورشليم عند اليهود، وبعد المسيحية أصبحوا يتجهون ناحية الشرق، ويعلِّلون اتجاههم للشرق بأمورٍ كثيرةٍ، منها: أن الشرق هو مصدر النور الذي تأتي منه الشمس، والله مصدر ذلك كله، ولأن المسيح - كما

---

(١) نقلاً عن: الكنيسة أسرارها وطقوسها: ٤٧٣.

(٢) اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ١/ ١٥٦.

(٣) صموئيل الأول: ١/ ٢٦.

(٤) انظر: موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ٤/ ٤٤.

(٥) انظر: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٢٣٩.

(٦) الزِّنّار: هو الحزام أو الوشاح المصنوع من القماش، يُشدُّ على الخصر أو الصدر لتثبيت الرداء، بأن يوضع تحت الإبط الأيمن وفوق الكتف الأيسر، وغالباً يُصنع من اللون الأحمر. انظر: بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ٤٤، معجم المصطلحات الكنسية: ٢/ ١٥١.

يزعمون - سيأتي من جهة الشرق[1].

٤. الرشم بالأصبع أو الصليب:

ويزعمون أن ذلك يطرد الشيطان، لأنه بالصليب تم خلاص الناس من الإثم، والرشم للصليب عندهم يكون من أعلى إلى أسفل، ومن اليمين إلى اليسار، وهذه الطريقة ترمز إلى أن المسيح نزل من السماء إلى الأرض، ثم نقلهم من الشر إلى الخير[2].

٥. الجثو والركوع والسجود:

ويعلّلون ذلك بأن المسيح كان دائماً يفعلُ ذلك، وتكون السجدة بعد إعلان الشماس السجود، أيضاً يُسجد بعد كل مزمور.

وفي الجثو والركوع والسجود أعظم دلالة على العبودية، إلا أن ذلك لا يُفعل دائماً بل تُستثنى بعض الأيام منه[3].

٦. رفع العينين واليدين وبسطهما:

وهي عادةٌ قديمةٌ عندهم، فيها دلالة على الخضوع والذل، ويرى القس سلامة يوحنا أن (معنى رفع الأيدي: رفعُ القلوب والعقول إلى الله.. وهو دالٌ أيضاً على شكرنا لله على ما وهب من البركات، كما على شعورنا باحتياجنا إلى الرحمة والمغفرة)[4].

٧. قرع الصدر وانحناء الرأسِ:

أما قرع الصدر فيُشير عندهم إلى الحزن والندم والإقرار بالذنب والمعصية، ويستدلون بأن صالبي المسيح لما رأوا العجائب بعد صلبه؛ رجعوا وهم يدقون ويقرعون صدورهم حزناً وندماً على فعلهم، وأما انحناءُ الرأس فيُشير إلى خجل واستحياء المصلي من أن يرفع عينيه إلى الله[5].

(١) انظر: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ١/ ١٤٩-١٥٠، كنيستي الأرثوذكسية: ٦٥.

(٢) انظر: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٢٣٩.

(٣) انظر: موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ٤/ ٤٤-٤٥.

(٤) اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ١/ ١٥٨.

(٥) انظر: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ١/ ١٥٩، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ٤/ ٤٥.

هذه جملة من الأفعال التي يلتزمها أكثر النصارى الأقباط في صلواتهم، وقد تقدم الكلام حول أن هذه الأفعال ليست محلَّ إجماعٍ بينهم.

ثانياً: أقوال الصلاة:

تشتملُ صلاتهم على جملةٍ من الأقوال[1]، يمكن ترتيبها كالتالي:

١. مقدمةٌ عامةٌ لكل ساعة:

يقال فيها: (باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد آمين، يا رب ارحم، يا رب ارحم، يا رب بارك، آمين. المجد للآب والابن والروح القدس، الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين)[2].

٢. الصلاة الربانية:

وتُسمى أيضاً الصلاة الرِّبيَّة، وهي عندهم أنموذجٌ للصلاة المثالية، التي تشتمل على كل الحاجات البشرية، ويعتقدون أنها سُميت بالربانية لأن الرب هو الذي سمَّاها[3]، ونصُّها: (أبانا الذي في السماوات، ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض خبزُنا[4] كفافُنا، أعطنا كلّ يوم، واغفر لنا خطايانا، لأننا نحن أيضاً نغفرُ لكل من يذنب إلينا، ولا تُدْخِلْنا في تجربةٍ[5]، لكن نجنا من الشرير)[6][7].

٣. صلاة الشكر:

وتأتي بعد الصلاة الربانية، ونصُّها: (فلنشكر صانع الخيرات الرحومِ الله، أبا ربنا

---

(١) الأقوال التي تُقال في صلاتهم طويلةٌ جداً، يحتاج بسطها كاملةً لقرابة (١٦) صفحة لكل صلاة، لذا رأيتُ أن أكتفي بذكر طرف من الدعاء وأحيل لمن أراد الاستزادة.

(٢) انظر: الطقوس في الكنيسة أصولها الروحية والتعليمية: ٧١، وعقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣٤٧.

(٣) انظر: اللاهوت العقيدي لغريغوريوس: ٥/ ٢٧٢.

(٤) لا يُريدون به الخبز المادي المعروف، إنما يريدون بذلك خبزاً معنوياً تقتاتُ منه الروح، وهو كلامُ الله. انظر: الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ٥٨، اللاهوت العقيدي لغريغوريوس: ٥/ ٢٧٢.

(٥) يُريدون بالتجربة: الابتلاءَ والامتحانَ بالمعاصي، وغواية النفس. انظر: الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ٦٠-٦١.

(٦) لوقا: ١١/ ١-٤.

(٧) انظر: تأملات في الصلاة الربية للبابا شنودة الثالث بكاملها.

وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، لأنه سترنا وأعاننا وحفظنا، وقَبلنا إليه وأشفق علينا وعضدنا، وأتى بنا إلى هذه الساعة. هو أيضاً فلنسأله أن يحفظنا في هذا اليوم المقدس وكلِّ أيامِ حياتنا بكل سلام، الضابط الكل الرب إلهنا، أيها السيد الإله ضابطُ الكل، أبو ربنا وإلهَنا ومخلصنا يسوع المسيح، نشكرك على كل حال ومن أجل كل حال، وفي كل حال، لأنك سترتنا وأعنتنا وحفظتنا وقبلتنا إليك، وأشفقت علينا وعضدتنا، وأتيت بنا إلى هذه الساعة..إلخ)[1].

٤. المزمور الخمسون:

ويلتزمُ النصارى الأقباط فيه بالترجمة القبطية، ونصُّها: (ارحمني يا الله كعظيم رحمتك، ومثلُ كثرةِ رأفتك تمحو إثمي. اغسلني كثيراً من إثمي، ومن خطيتي طهرني، لأني أنا عارفٌ بإثمي، وخطيتي أمامي في كل حين، لك وحدك أخطأتُ، والشرَّ قدامك صنعتُ، لكي تتبرَّر في أقوالك، وتغلب إذا حوكمتُ، لأني ها أنذا بالإثم حُبل بي، وبالخطايا ولدتني أمي.. إلخ)[2] ثم يقولون: هلليلويا[3][4].

٥. قراءةٌ متنوعةٌ:

تكون من المزامير، والإنجيل، وأدعيةٍ أُخرى تُعرف باسم القِطع، تتناسب مع رمزِ كلِّ صلاة، كما تقدم بيانه أن لكل صلاة رمزاً معيناً[5].

٦. أدعيةٌ ثابتةٌ في كل صلاة:

---

(١) انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣٤٨، تأملات في صلاة الشكر والمزمور الخمسين للبابا شنودة الثالث بكاملها، وموقع الموجة القبطية على الشبكة العنكبوتية:
http: //copticwaveworld.org/taks/agbia1.htm

(٢) انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣٤٨، وموقع الموجة القبطية على الشبكة العنكبوتية:
http: //copticwaveworld.org/taks/agbia1.htm

(٣) كلمةٌ عبرية تعني: سبحوا الرب، وهو تعبير يُستخدم مع الفرح غالباً. انظر: معجم الإيمان المسيحي: ٥٢٦-٥٢٧، بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ٩٣-٩٤.

(٤) انظر: تأملات في صلاة الشكر والمزمور الخمسين للبابا شنودة الثالث بكاملها.

(٥) انظر: الطقوس في الكنيسة أصولها الروحية والتعليمية: ٧١، تأملات في المزامير وقطع النوم للبابا شنودة الثالث بكاملها.

فبعد القراءة السابقة من المزامير والإنجيل والقطع، يقولون جملةً من الأدعية، منها: التقديسات الثلاث: (قدوس الله، قدوس القوي، قدوس الحي الذي لا يموت، الذي وُلد من العذراء، ارحمنا. قدوس الله، قدوس القوي، قدوس الحي الذي لا يموت، الذي صلب عنا..إلخ)، ثم يُعيدون الصلاة الربانية المتقدمة، ثم يقولون دعاءً حول مريم: (السلام لكِ، نسألك أيتها القديسة الممتلئة مجداً، العذراء كل حين، والدة الإله أم المسيح، أَصْعِدِي صلواتنا إلى ابنك الحبيب ليغفر لنا خطايانا، السلامُ للتي ولدتْ لنا النورَ الحقيقي المسيح إلهنا، العذراء القديسة، اِسْأَلي الربَّ عنا، ليصنع رحمةً مع نفوسنا، ويغفر لنا خطايانا، أيتها العذراء مريم والدة الإله، القديسة الشفيعة الأمينة لجنس البشرية، اشفعي فينا أمامَ المسيح الذي ولَدتِهِ لكي يُنْعِم علينا بغفران خطايانا..إلخ)، ثم يقولون مقدمة قانون الإيمان: (نعظمك يا أم النور الحقيقي، ونمجدك أيتها العذراء القديسة، والدة الإله، لأنك ولدت لنا مخلص العالم، أتى وخلّص نفوسنا. المجد لكَ يا سيدنا وملكنا المسيح، فخر الرسل..إلخ)[1]، ثم يقولون قانون الأمانة: (بالحقيقة نؤمن بإله واحد، الله الآب، ضابط الكل، خالق السماء والأرض، ما يُرَى وما لا يُرَى..إلخ)[2]، ثم يقولون: (يا رب ارحم) (٤١) مرة[3]، ثم يقولون: (قدوس، قدوس، قدوس، رب الصباؤوت[4]، السماء والأرض مملوءتان من مجدك وكرامتك، ارحمنا يا الله الآب ضابط الكل، أيها الثالوث القدوس ارحمنا، أيها الرب إله القوات كن معنا، لأنه ليس لنا معينٌ في شدائدنا وضيقاتنا سواك..إلخ)، ثم يُعيدون الصلاة الربانية المتقدمة مرةً أخرى، ثم يقولون دعاءً يُعرف بالتحليل، وله عدة صيغ منها: (نشكرَكَ يا ملكنا ضابط

---

(١) تقدم بكامله.

(٢) تقدم بكامله.

(٣) يُسمون هذا الدعاء: صلاة (كيريالصون)، وهي كلمةٌ يونانيةٌ معناها: ارحمني يارب، ويزعمون أن تكرارهم لها بهذا العدد فيه إشارةٌ للضربات التي تعرّض لها المسيح، وهي: (٣٩)جلدة، ثم ضُرب على رأسه بالقصبة، ثم طُعن بالحربة في جنبه. انظر: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ١/ ١٥٢-١٥٥، بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ٧٨، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣٤٨-٣٤٩.

(٤) الصباؤوت كلمة عبرية في صيغة الجمع، معناها الجنود أو القوات، ويُفسرون (رب الصباؤوت) بالقدير، وليس بالترجمة الحرفية لها أي رب الجنود. انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ٢/ ٢٦٠.

الكل، أبا ربنا وإلهنا مخلصنا يسوع المسيح ونمجدك، لأنك جعلت أوقاتَ آلام ابنك الوحيد أوقاتَ عزاءٍ وصلاة، اِقْبَل إليك تضرعنا، وامْحُ عنا صك خطايانا المكتوبة علينا، كما مزقته في هذه الساعة المقدسة بصليب ابنك الوحيد..إلخ)[1].

٧. خاتمة الصلاة:

ويُقال فيها دعاءان، الأول: (ارحمنا يا الله ثم ارحمنا، يا من في كل وقت وكل ساعة، في السماء وعلى الأرض، مسجودٌ له ومُمجّد، المسيح إلهنا الصالح، الطويل الروح، الكثير الرحمة، الجزيل التحنن، الذي يحب الصديقين..إلخ)، والثاني: الصلاة الربانية، ولكن تُسبق بقولهم: (اللهم اجعلنا مستحقين أن نقول بشكرٍ: أبانا الذي في السماوات..إلخ)[2].

وبهذا يخْتَتِمُ النصارى الأقباط صلاتهم، ولا بد من الإشارة إلى أن العبارات التي ذُكِرتْ ليست توقيفية، ولا موحدةً بنصٍّ معيّن[3]، يقول القمص يوحنا سلامة: (أعطانا الربُّ الحرية التامة في الصلاة إذ قال: (أقول لكم: كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم)[4])[5].

كما ينبغي أن يُعلم أن هذه الصلوات بهذه الهيئات والكيفيات والأزمنة التي تُفعل فيها؛ كلُّها من وضع النصارى واجتهادهم، وهي خلاف ما كان عليه المسيح عليه السلام، وقد تقدم ذكرُ بعضِ كلامِ النصارى الأقباط في أهمية تحديد أوقاتٍ للصلاة وكيفياتها ونحوها.

ويُرجح أبو الحسن الندوي أن المسيح عليه السلام كان يصلي كما كان اليهود يُصلون، و(كان يُشارك اليهود في صلواتهم، ويحضر عبادة الهيكل، وكذلك كان

(١) للاستزادة، انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣٤٨، وموقع الموجة القبطية على الشبكة العنكبوتية:
http: //copticwaveworld.org/taks/mainagbia.htm

(٢) انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣٤٨، وموقع الموجة القبطية على الشبكة العنكبوتية:
http: //copticwaveworld.org/taks/mainagbia.htm

(٣) للأب متّى المسكين كتاب باسم صلوات الأب متّى المسكين، في قرابة (٤٠٠) صفحة، كله أدعيةٌ تُقرأ في الصلوات.

(٤) مرقس: ١١/ ٢٤.

(٥) اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ١/ ١١٩.

يفعل أئمة المسيحية القدامى، وكانت العبادة المسيحية تقوم على تلك العبادة التي نشأ عليها الجيل المسيحي الأول، وأن الكنيسة المسيحية لم تقطع صِلَتها باليهودية، وإنما اليهودية هي التي فصلتِ الكنيسةَ المسيحية)[1].

والله أعلم.

(١) الأركان الأربعة: ٦٧.

المبحث الثاني: الصوم

تعريف الصوم:

أ - لغة:

الصوم: الإمساك والركود في المكان، ومن ذلك صوم الصائم أي إمساكه عن مطعمه ومشربه وسائر ما مُنع منه، ومنه أيضاً الإمساك عن الكلام، قال تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ [مريم: ٢٦]، أي أَمْسَكْتُ عن الكلام والتزمتُ الصمتَ[١].

ب - اصطلاحاً:

عرَّف النصارى الأقباطُ الصومَ بعدةِ تعريفات، منها:

١. قال ابن سباع: هو (امتناعٌ عن الزهومات[٢] واللحوم في أوقات معيَّنة، والصوم باكر إلى عشية، والقناعة بالبقول والخضروات لإضعاف هذه الشهوة)[٣].

٢. قال ابن كبر: (الصوم هو امتناع الإنسان عن الطعام والشراب وقتاً معيَّناً، طاعةً لمن شرَّعه لغفران الذنوب، وتعظيم الثواب، كما أن القصد منه أن يُضعف القوة الشهوانية فتخضع للروح، لأنه خالٍ من اللحوم والشحوم)[٤].

٣. تُعرِّف المعاجمُ الكنسيةُ الصومَ على أنه: امتناعٌ عن الطعام والشراب من منتصف الليل، حتى مدة محددةٍ من نهار اليوم التالي، حسب إرشاد أب الاعتراف، يتناول الصائم بعدها أطعمةً نباتيةً، ولا يأكلون أطعمةً حيوانية ولا مشتقاتها، كالحليب

---

(١) انظر: لسان العرب: ١٢/ ٣٥٠، معجم مقاييس اللغة: ٣/ ٣٢٣.

(٢) الزهم: الزهومة رائحةُ اللحم إذا كانت منتنة، والمُراد هنا: الدسم والدهن لا الرائحة، تقول: زَهِمَتْ يدي بالكسر، من الزهومة فهي زهمة، أي: دسمة، قال ابن منظور: (والشحم يُسمى زهماً)، كما فسّر الدياكون ميخائيل مكسي الزهمَ هنا بالدهون. انظر: لسان العرب: ١٢/ ٢٧٧، الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ٥٢.

(٣) الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ٥٢.

(٤) مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٢٥١.

والجبن والبيض واللبن، ويكون ذلك خلال مدة الصوم بحسب نوعه، إذ له أنواع متعددة[1].

أهمية الصوم ومكانته:

لا تَقِلُّ أهميةُ الصوم عن أهمية الصلاة ومكانتها عند النصارى الأقباط، بل الصوم عندهم مرتبطٌ ارتباطاً وثيقاً بالصلاة، يقول الأنبا أغاثون: (الصوم دائماً يرتبطُ بالصلاة، كارتباط الروح بالجسد في الإنسان، أو كارتباط الأعمال بالإيمان في الحياة الروحية، أو كارتباط اليدين في الجسد الواحد.. دائماً في الكتاب المقدس تجدون الصوم مرتبطاً بالصلاة.. وبالإجماع كل الذين وصلوا في حياتهم الروحية مع الله، كان ذلك عن طريق الصوم والصلاة)[2]، ويقول أيضاً: (أنا لا أتخيل صوماً بدون صلاةٍ على الإطلاق)[3].

وفي الصوم تدريب للجسد، وكبحٌ لشهواته ورغباته، وهو عندهم رياضةٌ روحيةٌ، ووسيلةٌ هامةٌ للامتلاء بالروح القدس[4]، ومتى امتلأتِ النفسُ به؛ خلُصت من أدرانها وخطاياها[5].

يتمسّك النصارى الأقباط بالصوم أكثر من غيرهم من باقي النصارى، لأنهم يرون أن هناك تلازماً بين العبادة والصوم، يقول الأنبا غريغوريوس: (في الصوم نجد في الواقع نشاطاً غير عادي في حياة الكنيسة بصفةٍ عامةٍ، وفي حياةِ الأفراد بصفةٍ خاصةٍ، فالكنيسة عموماً كما هو ملحوظ تحتشد بالعابدين والعابدات، بالمصلين والمصليات في هذه الفترة من السنة أكثر من الأوقات الأخرى، وهذا نفسه برهانٌ على قيمة الصوم، وعلى أهميته للشعب كله بصفةٍ عامةٍ، وكثيراً ما نسمع بعض الناس ينتقدوننا، ويقولون:

(١) انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ٢/ ٢٧١-٢٧٢، معجم الإيمان المسيحي: ٣٠٢، بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ٥٨-٥٩، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ٤/ ٣٨، اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣١٧، اللاهوت العقيدي لغريغوريوس: ٥/ ٣٨٧.

(٢) الصوم المقترن بالفضائل: ٢٢-٢٤.

(٣) الصوم: ١/ ٣٦.

(٤) انظر: موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ٤/ ٤٠.

(٥) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ٢٥٦.

الأقباط يُقْبِلُونَ على الكنائس في الصوم، وإذا سلمنا بهذا جدلاً فهو في نفس الوقت برهانٌ واضح ودليلٌ بيّن على قيمة الصوم.. مما يقطع في أن للصوم أهمية خاصة)[1].

كذلك يرى النصارى الأقباط أن للصوم أثراً بالغاً على القلب والفكر[2]، يقول الأنبا أغاثون: (بلا شك حياة الإنسان الجسدية تقوم على القلب، فإذا مرض أو توقف عن العمل الجسدي، مات الإنسان جسدياً، وهكذا حياة الإنسان الروحية تقوم على القلب، فإذا مرض أو توقف عن العمل الروحي مات الإنسان روحياً، إذن كيف يُعالَجُ القلب الذي مرض أو توقف روحياً؟ يُعالج القلب بواسطة عطايا كثيرة أعطاها لنا الله، ومن بينها الصوم)[3]، ويقول أيضاً: (يمكن ضبط الأفكار الشريرة وغير الطاهرة بواسطة النعم التي قدمها لنا الله، ومن بينها الصوم، لأن الصوم له دور في تصليح الفكر وانضباطه وتقويمه)[4].

ويخلص الأنبا غريغوريوس إلى أنه لما كانت الخطيئة الأولى في أصلها إنما نشأت عن العقل والضمير أو عن الفكر والقلب، وكان الصوم مهذباً لهما؛ كان هذا أبرز ما يُؤَكَّدُ به على أهمية الصوم[5].

حكم الصوم وأدلته:

مع ما تقدم من تأكيد النصارى الأقباط على الصوم وأهميته؛ إلا أنهم لا يرونه فرضاً لازماً للجميع يأثم تاركه، وهو ما استقر عليه رأيُ الكنيسة[6]، ولا يتعارض هذا مع حثهم على الالتزام به، والحرص على عدم تفويته، يقول القس بيشوي حلمي: (والصوم في عمقه الكنسي الحقيقي هو ليس ضرورةً أو فرضاً موضوعاً علينا، بل هو تخلٍ إرادي عن شهوة الأطعمة، من أجل الانطلاق بغير معطلٍ نحو الله، وليس حرماناً من بعض

(١) اللاهوت العقيدي لغريغوريوس: ٥/ ٢٩٦.
(٢) انظر: موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ٤/ ٤٠.
(٣) الصوم: ١/ ٦٠.
(٤) الصوم: ١/ ٦١.
(٥) انظر: اللاهوت العقيدي لغريغوريوس: ٥/ ٢٩٩.
(٦) يأتي مزيدُ إيضاح حول هذه الفقرة عند الحديث عن نشأة الصوم وتطوره.

الأطعمة، ولكنه زهد اختياري من أجل إنعاش الروح)[1]، وقوله صريح في أن الصوم عند النصارى الأقباط مُستحبٌّ غير واجب، وهو من باب الزهد الاختياري، الذي يُحمد فاعله ولا يُذم تاركه.

ويقول الأنبا بيمن: (الذي أحدثته المسيحية في الصوم هو أنه قد أخذ طابعاً إيجابياً وتجاوزاً للسلبيات، بمعنى أن الصائم لا يصوم كفرض، ولا يُمارس الصوم من خلال النجس والطاهر، والحلال والحرام، ولكن الصوم أصبح في المسيحية مجالاً إيجابياً لانتعاش الروح.. فالصوم لم يصبح فيما بعد فرضاً أو ناموساً أو تكفيراً، وإنما حباً وبذلاً)[2].

وتحديد الصوم من حيث بدايته ونهايته يختلف عند النصارى الأقباط من شخص لآخر، والحَكَمُ في ذلك هو الأب المُختص في الكنيسة، ويُسمونه (أب الاعتراف) فهو الذي يُحدِّد لكل شخص صومه الذي يُناسبه، إلا أنهم يتفقون في الغالب على مراعاة جانب السن والصحة والظروف المُحيطة بالصائم، فصيام الشاب ليس كصيام الكهل، والكبير ليس كالصغير، والصحيح ليس كالمريض، والمقيم ليس كالمسافر، وهكذا.

يقول الأنبا غريغوريوس: (ولما كانت الأصوام في الكنيسة المرقسية الأرثوذكسية متعددةً، وظروف المؤمنين العابدين ليست واحدةً؛ لذلك رأت الكنيسة أن لا تُقيِّد جميعَ أبنائها بوقتٍ واحدٍ يحلون فيه صومهم في أثناء النهار، واكتفت بالإرشاد أوالتنبيه إلى حدٍ أدنى.. ويرى الشرع المسيحي أن هناك فروقاً بين الناس يليق تبعاً لها أن يختلف قانون الصوم الانقطاعي بالنسبة لفرد عنه بالنسبة لآخر)[3].

ويستندُ النصارى الأقباط في تقريرهم لأهمية الصوم ومكانته على عدة نصوص من كتابهم المقدس، من ذلك:

١. (وأوصى الربُّ الإلهُ آدمَ قائلاً: من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً، وأما شجرةُ معرفة

---

(١) كنيستي الأرثوذكسية: ٢٥٤.

(٢) موسوعة الأنبا بيمن: ٢/ ١٠٥.

(٣) اللاهوت العقيدي لغريغوريوس: ٥/ ٤٦٤.

الخير والشر فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكلُ منها موتاً تموت)[1].

٢. (فصعد جميع بني إسرائيل وكُلُّ الشعب، وجاءوا إلى بيت إيل وبكوا وجلسوا هناك أمام الرب، وصاموا ذلك اليوم إلى المساء)[2].

٣. (فأمسك داود ثيابه ومزقها، وكذا جميع الرجال الذين معه، وندبوا، وبكوا، وصاموا إلى المساء على شاول وعلى يوناثان ابنه وعلى شعب الرَّب وعلى بيت إسرائيل لأنهم سقطوا بالسيف)[3].

ومن أقوال الآباء المتقدمين حول الصوم ومشروعيته، قول القديس أثناسيوس الرسولي: (لنحفظ يا أحبائي أصوامنا بكل حرصٍ، ولا يكون صيامنا عبارةً عن امتناعنا عن الخبز فقط، بل نترك الخطايا أيضاً)[4].

نشأة وتطور الصوم:

يعتمد النصارى الأقباط في تقرير نشأة الصوم على أمر الله تعالى لآدم بالامتناع عن أكل الشجرة، يقول الأنبا غريغوريوس: (يرى علماء اللاهوت أن مبدأ الصوم قد تقرر منذ البدء، وأن أول من طُولب به ومارسه إنما هو آدم)[5]، ويقول القمص لوقا الأنطواني: (يرجع الصوم على بدء الخليقة، فهو ضمن الوصية التي أعطاها اللهُ لأبينا آدم، في أن يمتنع عن أكل ثمرةٍ معيَّنةٍ، وبهذا وُضِعَ أساس الصوم)[6]، وهذا النوع من الصوم كان عن ثمرٍ معيّنٍ في الجنة.

تَتَابعَ الصومُ بعد آدم عليه السلام، وكان صوم يوم الكفارة هو اليوم الوحيد في السنة الذي يَلْزم كلّ واحدٍ من بني إسرائيل أن يصومه[7]، ويسرد العهد القديم بعد ذلك

(١) التكوين: ٢/ ١٦-١٧.
(٢) القضاة: ٢٠/ ٢٦.
(٣) صموئيل الثاني: ١/ ١١-١٢.
(٤) اللاهوت العقيدي لغريغوريوس: ٥/ ٣٦٨.
(٥) اللاهوت الطقسي: ٨٧.
(٦) حياة الصوم: ٣٩.
(٧) انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ٢/ ٢٧٢.

أنواعاً من الصيام؛ كصوم أستير ثلاثة أيام: (وصوموا من جهتي، ولا تأكلوا، ولا تشربوا ثلاثة أيام ليلاً ونهاراً)[1]، وصيام أهل نينوى ثلاثة أيام[2]: (فآمن أهل نينوى بالله ونادوا بصوم، ولبسوا مسوحاً من كبيرهم إلى صغيرهم)[3]، وصوم بني إسرائيل أيام نحميا القائد: (وفي اليوم الرابع والعشرين من هذا الشهر اجتمع بنو إسرائيل بالصوم وعليهم مسوح وتراب)[4]، وقد أورد العهد القديم أنواعاً أخرى من الأصوام[5].

أما في العهد الجديد فأبرز ما يُشار إليه في التحول بالنسبة للصيام؛ هو كثرة أيامه مقارنة بالعهد القديم، فيوحنا المعمدان علّم تلاميذه أن يصوموا كثيراً[6]، وكذا جاء في العهد الجديد عن المسيح عليه السلام أنه صام أربعين نهاراً، وأربعين ليلةً[7].

والمُتأمل في كلام بعض النصارى الأقباط عن تحول الصيام بين العهد القديم والعهد الجديد يجد بينهم تناقضاً ظاهراً، ومن ذلك: ما يذكره الأنبا بيمن من أن سمة الصوم في العهد القديم الحزنُ والبكاءُ، كما في صيام أهل نينوى، ويُبرِّر ذلك أنه بسبب الخطيئة التي لم تُكفَّر في ذلك الوقت، يقول الأنبا بيمن: (كان الصوم في العهد القديم يتسم بصفاتٍ معينةٍ يلحظها كل دارسٍ لأسفار هذا الكتاب بشيء من التدقيق، والصفة الأولى هي: الحزن والبكاء والنوح.. يمكن تفسير هذه السمة إلى إحساس الإنسان في العهد القديم بثقل الخطيئة، وفظاعة دينونتها، وأن الصوم عاجز عن التكفير عنها)[8]، ثم يتحدث عن الصوم في العهد الجديد، ويذكر أنه تحول عما كان عليه في العهد القديم، يقول: (الصوم في العهد الجديد.. لعل أول ما نلحظه من تغيير هو رفع الحزن المرير

---

(١) أستير: ٤/ ١٦.

(٢) نينوى: بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح النون والواو، وهي قرية يونس بن متّى عليه السلام بالموصل وبسواد الكوفة. انظر: معجم البلدان: ٥/ ٣٣٩.

(٣) يونان: ٣/ ٥.

(٤) نحميا: ٩/ ١.

(٥) للاستزادة، انظر: حياة الصوم: ٣٩، معجم المصطلحات الكنسية: ٢/ ٢٧٢.

(٦) انظر: مرقس: ٢/ ١٨.

(٧) انظر: متّى: ٤/ ٢.

(٨) موسوعة الأنبا بيمن: ٢/ ١٠٢.

ووجع القلب عن الصوم)[1].

ويخالفه الأنبا أغاثون، حيث يقول: (الصوم باستمرار يرتبط بالبكاء والنوحِ أمام الله)[2]، فالأول يُثبتُ خلوَّ الصوم عند النصارى من الحزن والبكاء، والثاني يقَرِرُ أن الصوم مرتبطٌ به!

والذي يظهر - والله أعلم - أن التحول والتطور الأبرز في الصيام عند النصارى الأقباط كان في حكم الصوم نفسه - وهو ما يُظهر التناقض أيضاً بينهم -، فمتقدمو النصارى الأقباط ساروا على ما كان عليه الأوائل من بني إسرائيل من حيث وجوب الصوم لا استحبابه، بخلاف ما استقر عليه النصارى الأقباط من القول بالاستحباب.

يقول ابن سباع - وهو من متقدميهم -: (فكما أن المسيح صام؛ وجب على المعتمد أن يصوم، وكما أن المسيح لما اعتمد من يوحنا خرج بالروح إلى البرية، وصام أربعين يوماً وأربعين ليلةً متواليةً؛ فيجبُ على المعتمد المماثلة به)[3]، ويقول أيضاً: (فنحن بما أنه ليس لنا في مذهبنا واعتقادنا وكنيستنا سوى هذه الأصول، وهذه الأعمدة التي هي السيد له المجد، والآباء الرسل، فصام السيد وقد صمنا امتثالاً لتعليمه لنا أيضاً، وقد صام آباؤنا الرسل بعد حلول الروح القدس عليهم، فصمنا لصومهم، فالصوم إذاً واجب وضروري)[4].

ويؤكد ابن كبر ذلك فيقول: (والفرضُ على جميع النصارى هو صوم الأربعين الذي صامه السيد المسيح، والذي ينتهي بجمعة الفصح)[5].

ومما يؤكد التحولَ في حكم الصوم عند متأخري النصارى الأقباط؛ إنكار الدياكون ميخائيل مكسي إسكندر - وهو من المتأخرين - على ابن كبر في كلامه السابق أن يكون الصوم فرضاً، وإنما هو وسائط نعمة تتم بالمحبة، وليس طمعاً في ثواب أو خوفاً

(١) موسوعة الأنبا بيمن: ٢/ ١٠٤.
(٢) الصوم: ١/ ٣٨.
(٣) الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ٥٢.
(٤) الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ٥٤.
(٥) مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٢٥١.

من عقاب[1]! وقد تقدم نقل أقوالهم المُقرِّرةِ لاستحباب الصيام.

ويقول القمص يوحنا سلامة: (نتج من هذه النصوص الكتابية أن الصوم فريضةٌ إلهيةٌ، سنَّها الله، وأَمر بها شعبه قديماً وحديثاً، وتبعاً لهذه التصريحات الربانية تمارسه الكنيسة منذ العصر الرسولي)[2].

وهذا التغير والتحول في حكم الصوم وتعدده؛ إنما كان على يد الكنيسة وبطاركتها، فكما أنهم لم يجدوا حرجاً في القول بأن تنظيم الصلاة وتقنينها كان من وضع الكنيسة وبطاركتها؛ فكذلك الأمر بالنسبة للصوم.

يقول البابا شنودة الثالث: (إن الكنيسة نظمت الصومَ، ووضعتْ له أُسسه الروحية، ومواعيده الثابتة المبنية على قواعد روحية ليس الآن مجال بيانها.. والكنيسة من حقها أن تُنَظِّم، بل من واجبها أن تُنَظِّم، من أجل صالح جماعة المؤمنين، لكي يعبدوا الله جميعاً بروحٍ واحدة)[3]، ويقول القس بيشوي حلمي: (لكل الفوائد الروحية والنفسية والجسمية السابقة للصوم؛ رتَّب الآباءُ الرسل وآباء الكنيسة الأولون أصواماً جماعيةً للمؤمنين بمواعيد ثابتة، وتركوا الأصوام الفردية الخاصة لكل مؤمن كيما يرتبها مع أبِ اعترافه، ومارس الآباء هذا السلطان المُعطى لهم من قِبَل السيد المسيح لأجل تدبير شؤون الكنيسة ورعايتها)[4]، ومن أمثلة ذلك: صوم نينوى الذي يُقرُّون بأنه لا دليل على تحديد عدد أيامه من كتابهم المقدس، وإنما هو من وضع آبائهم[5]، وكذا صيام البرامون الذي لا يوجد عليه نصٌّ من الكتاب المقدس، وإنما يستدلون فيه بأقوال الآباء[6]، وغيرها مما سيأتي، وقد ردَّ القمص يوحنا سلامة - وهو من المتأخرين - بردود مفحمة على من يقول من أتباعه بعدم وجوب الصيام[7].

(١) انظر: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٢٥١، حاشية رقم: ٣.
(٢) اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣١٨.
(٣) اللاهوت المقارن لشنودة: ١/ ١٠٩-١١٠.
(٤) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣٥٨.
(٥) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ٢٦١.
(٦) انظر: اللاهوت العقيدي لغريغوريوس: ٥/ ٣٥٨.
(٧) اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣٥٧.

شروط الصوم:

يُمكن إجمال ما ذُكر حول شروط الصيام فيما يلي:

١. الإخلاص والجدية:

فهم يؤكِدون كثيراً على جانب صيام القلب والروح لله، وليس فقط الصوم عن المأكولات والمشروبات، يقول الأنبا بيمن: (ليس الصوم مجرد شكلياتٍ، إنه مضمونٌ قبل أن يكون شكلاً، إنه حياةٌ قبل أن يكون طقساً وترتيباً)[١]، ويقول القمص لوقا الأنطواني: (والصوم في المسيحية هو إحدى الوسائل الروحية للتقرب من الرب ومحبته، وهو ليس تغير أو استبدال طعام بطعام، ولا طول فترة انقطاع، وإنما نموٌ في الروح، والسعي نحو الهدف الأساسي وهو الله)[٢].

٢. التوبة بالابتعاد عن المعاصي والملذات:

ويستدلون له بما جاء في سفر يوئيل: (يقول الرب: ارجعوا إليَّ بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح، ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم، وارجعوا إلى الربِّ إلهكم، لأنه رؤوف رحيم)[٣]، ولما كان الصوم مُعِيْناً لهم على التوبة؛ كانت (قراءات الكنيسة في أغلب مناسبات هذا الصوم تُقدِّم نصوصاً وشروحاتٍ عن حياةِ التوبة)[٤]، ويؤكد ابن كبر أنه يجب على الصائم الابتعاد عن كلِّ اللذات الجسدية والمسكرات[٥].

٣. الصدقة والبذل:

فيعتقدون أن الديانة الصحيحة عند الله هي افتقادُ اليتامى والفقراء، ومواساتهم والبذل لهم، يقول الأنبا بيمن: (وإذا كان الصوم بذلاً داخلياً؛ فإن الرحمةَ والعطاءَ تعبيرٌ

---

(١) موسوعة الأنبا بيمن: ٢/ ٨٨.

(٢) روحانية الصوم: ١٤.

(٣) يوئيل: ٢/ ١٢-١٣.

(٤) موسوعة الأنبا بيمن: ٢/ ٨٩.

(٥) انظر: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٢٥٣.

أكيدٌ عن الحركة الروحية الداخليةِ، الحادثة بفعل الصوم والنسك المسيحي الأصيل)[1].

٤. اقتران الصوم بالأذكار والتسابيح الكنسية:

يقول ابن كبر: (ويجب أن تقترن الأصوامُ بالتسابيح الكنسية والعظات النافعة لخلاص النفس، وباقي وسائط الخلاص مجتمعة)[2].

٥. الامتناع عن المعاشرة الزوجية:

على اعتبار أن الصوم شُرِعَ لمقاومة الشهوات عموماً وليس لشهوة الطعام فقط، يقول ابن كبر: (ولا يقربُ الرجلُ زوجته في الأصوام.. لأن الصومَ هو تدريبٌ على ضبط الجسد عن كل الشهواتِ)[3]، ويوضح الأنبا لوقا الأنطواني ذلك فيقول: (تُعتَبرُ المعاشرة فطراً، والفِطرُ يحلّ الصوم، وإذا كان الصائم يمتنع عن الطعام، وهو ضروري لقيام الحياة، ليحقق لنفسه فوائد الصوم الروحية؛ فبالحري يمتنع عن هذه المعاشرة، وهي غير ضرورية لقيام الحياة)[4]، ويختار الأنبا غريغوريوس أن الصوم عن الوصال الجنسي بين الرجل وزوجته أهم وأعظم من الصوم عن الأكل والشرب[5].

وينبغي أن يُعلم أن هذه الشروط ليست محلّ اتفاقٍ بينهم، فبعضهم يجعلها شرطاً، والبعض الآخر يجعلها من قبيل المستحب والمندوب.

أنواع الصيام:

يُقسّم النصارى الأقباطُ الصومَ إلى نوعين:

الأول: الصوم الجماعي أو العام:

وهو الصوم الذي وضعته الكنيسة لجميع النصارى، وفقاً لترتيباتٍ معيَّنة.

(١) موسوعة الأنبا بيمن: ٢/ ٩٢.
(٢) مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٢٥٣.
(٣) مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٢٥٣.
(٤) حياة الصوم: ٥٨.
(٥) انظر: اللاهوت العقيدي لغريغوريوس: ٥/ ٤٥٨.

الثاني: الصوم الفردي أو الخاص:

وهو ما يفرضه النصراني على نفسه من أيام يصومها، تقرباً لله أو استغفاراً أو طلباً للخلاص - كما يزعمون -، ويكون ذلك بإرشادٍ من أب الاعتراف[1].

والحديث هنا عن الأصوام العامة التي وضعتها الكنيسة القبطية لأتباعها، إذ هو المراد عند الإطلاق في الكنائس عموماً.

أقسام الصوم:

ينقسم الصوم العام عند النصارى الأقباط إلى سبعة أقسام، هي:

١. الصوم الكبير.
٢. صومُ يومي الأربعاء والجمعة.
٣. صومُ نينوى.
٤. صومُ البرامون.
٥. صومُ الميلاد.
٦. صومُ الرسل.
٧. صوم العذراء، وبيانها كما يلي:

١. الصوم الكبير:

وهو أعظم صوم عند النصارى الأقباط خصوصاً وعند النصارى عموماً، لأنه - كما يذكرون - صامه المسيح[2]، وكذلك لأنه ينتهي بعيدٍ مقدسٍ عندهم، هو عيد القيامة، يقول الأنبا غريغوريوس مبيناً أهميته: (لأنه ينتهي بأعظم أعيادنا شأناً وهو عيد القيامة المجيد، فخر أعيادنا وأبهاها وأجلِّها، إذ هو عيد الأعياد، عليه يقوم كل كيان

(١) انظر: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣١٧، اللاهوت العقيدي لغريغوريوس: ٥/ ٣٢٠، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣٥٥.

(٢) اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣٢٧.

المسيحية)[1].

أ- دليله: يستدل النصارى الأقباط على هذا الصوم بما ورد في متّى: (فبعدما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلةً جاع أخيراً)[2]. ويقول القديس أوغسطينوس: (إن الصوم في بعض الأيام دواء أفضل، وأما عدم الصوم في الأربعين المقدسة فإثم[3])[4]، وينقل الأنبا غريغوريوس والقس بيشوي حلمي إجماع الكنائس العالمية على حفظ هذا الصوم والاعتراف به[5].

ب- مدته: (٥٥) يوماً، وهو يجمع بين ثلاثة أصوام[6]:

١/ الأسبوع الأول: ويُعرف عندهم بمقدمة الصوم أو الاستعداد للصوم الكبير، وهو أسبوعٌ أُضيف للصيام في القرن الثاني الميلادي، ولم يكن موجوداً في الأصل.

ويختلفُ النصارى الأقباط في سبب تشريع هذا الصوم، على ثلاثة أقوال:

١. تذكاراً لانتقام هرقل للنصارى الأوائل من اليهود، وهو رأي ابن العسَّال[7][8].

٢. استعداداً للصوم الكبير؛ وهو قول الأنبا غريغوريوس[9]، والقمص يوحنا سلامة[10].

٣. تعويضاً للصوم الكبير عن أيام السبت والأحد التي لا تُصام عندهم، وهذا القول

---

(١) اللاهوت العقيدي لغريغوريوس: ٥/ ٣٣٠.

(٢) متّى: ٤/ ٢.

(٣) قوله: (فإثم) يُؤكِّد ما ذكرته سابقاً من أن الحكم المستقر للصوم عند متقدمي النصارى الأقباط كان على الوجوب.

(٤) نقلاً عن: كنيستي الأرثوذكسية: ٢٥٩.

(٥) انظر: اللاهوت العقيدي لغريغوريوس: ٥/ ٣٢٠، كنيستي الأرثوذكسية: ٢٥٩.

(٦) انظر: موسوعة علوم الدين: ٤/ ٢٨٦، اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣٣١، اللاهوت العقيدي لغريغوريوس: ٥/ ٣٢٧.

(٧) هو أبو إسحاق، من أوائل القرن الثالث عشر، ولد من عائلة ثريةٍ، له مجموع يُعرف به، وهو (مجموع أصول الدين، ومسموع محصول اليقين)، وهي موسوعة دينية قبطية، ولكن عليها صبغة منطقية واضحة. انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٤٣٠.

(٨) انظر: صوم نينوى والصوم المقدَّس الكبير: ٨٩.

(٩) انظر: اللاهوت العقيدي لغريغوريوس: ٥/ ٣٢٦.

(١٠) انظر: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣٣١.

نقله ابن المكين[1].

٢/ صيام الأربعين المقدسة: ويعتقدون أن المسيح صامها، وهي عندهم المدة الأصلية للصوم المقدس[2].

٣/ أسبوع الآلام أو أسبوع الفصح: ويتذكرون فيه آلام المسيح[3]، وفي السابق كان يُصام مستقلاً عن الصوم الكبير[4]، ويستمر الصائم فيه إلى قرابة الساعة الخامسة مساءً[5].

ت- موعده: ليس له بدايةٌ ثابتةٌ، وإنما تتحدد بدايته تبعاً لعيد القيامة.

٢. صوم يومي الأربعاء والجمعة:

وتخصيصهم لهذين اليومين راجعٌ لكون المؤامرة على صلب المسيح تمت في يوم الأربعاء، وأما الجمعة فلأنه صُلِب فيه المسيح وحصل به الفداء كما يزعمون[6].

أ- دليله: يستدل النصارى الأقباط على هذا الصوم بما ورد في الدسقولية: (نأمركم أن تصوموا كل يوم أربعاء وكل يوم جمعة)[7]، ويقول البابا بطرس الإسكندري: (يجب[8] الصوم يوم الأربعاء تذكاراً لمؤامرة اليهود على تسليم يسوع، ويوم الجمعة تذكاراً لآلام الفادي)[9]، وينقل القمص يوحنا سلامة إجماع الكنائس على حفظ هذا الصوم[10].

---

(١) انظر: موسوعة علوم الدين: ٤/ ٢٨٦.

(٢) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ٢٦٠.

(٣) انظر: موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ٣/ ٢٥.

(٤) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ٢٦٠.

(٥) انظر: موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ٣/ ٢٦.

(٦) انظر: الدسقولية: الباب١٨/ ١٢٦، اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣٣٤.

(٧) الدسقولية: الباب٣١/ ١٦٠.

(٨) كما سبق يؤكد وجوب الصوم عند متقدميهم.

(٩) نقلاً عن: كنيستي الأرثوذكسية: ٢٦١.

(١٠) اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣٣٦.

ب-مدته وموعده: يومان من كل أسبوع، ويستثنون من ذلك الخمسين المقدسة[1]، وعيدي الميلاد والغطاس، ويستمر الصوم إلى الثالثة مساءً[2].

٣. صوم نينوى:

ويُسمى صوم يونان، يُريدون به نبي الله يونس عليه السلام، وهم يرون في قصة يونس مع قومه وإلقائه للحوت، ثم إلقاء الحوت له على البر؛ رمزاً لقصة المسيح عليه السلام مع قومه، ونوعاً من المشابهة، لذا يصومونه كما صامه أهل نينوى، وأعلنوا توبتهم[3]، وقد صامت الكنيسة القبطية هذا الصوم تقليداً للكنيسة السريانية، من أيام البابا إبرام السرياني في القرن العاشر[4].

أ- دليله: يستدلُ النصارى الأقباط على هذا الصوم بما ورد في سفر يونان: (فابتدأ يونانُ يدخل المدينة مسيرةَ يومٍ واحد، ونادى وقال: بعد أربعين يوماً تنقلب نينوى، فآمنَ أهلُ نينوى بالله، ونادوا بصومٍ، ولبسوا مسوحاً من كبيرهم إلى صغيرهم)[5].

ب-مدته: (٣) أيام، إلا أنهم يُقرّون أن هذا العدد لم يدل عليه دليلٌ من الكتاب المقدس، وإنما ورثوه من غيرهم، يقول القس بيشوي حلمي في حديثه عن صوم نينوى: (وإن كان غيرُ مذكورٍ في الكتاب المقدس المدة التي صاموها بالضبط؛ إلا أن الكنيسة قد حددت الصوم بثلاثة أيام.. إن البطريرك القبطي قد وضعه مريداً بذلك اتفاق الكنيسة القبطية مع أختها السريانية، لائتلاف المحبة بين الكنيستين)[6]، ويستمر فيه الصيام حتى الساعة الثالثة مساءً[7].

ت-موعده: قبل الصوم الكبير بأسبوعين.

(١) يوم الخمسين: يزعمون أنه اليوم الذي انسكب فيه الروح القدس على تلاميذ المسيح. انظر: قاموس الكتاب المقدس، مادة «خمسون».

(٢) انظر: موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ٣/ ٢٦.

(٣) انظر: الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ٥٤، اللاهوت العقيدي لغريغوريوس: ٥/ ٣٥٦.

(٤) انظر: موسوعة علوم الدين: ٤/ ٢٨٧.

(٥) يونان: ٣/ ٤-٥.

(٦) كنيستي الأرثوذكسية: ٢٦١.

(٧) انظر: موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ٣/ ٢٦.

٤. صوم البرامون:

ويُراد به الصوم النسكي الذي يسبق عيد الميلاد والغطاس، و(البرامون) في أصلها كلمةٌ يونانيةٌ تعني: استعدادٌ فوق العادة[١]، وفي هذا الصوم يمارس الأقباط تقشفاً كبيراً، ليزدادوا إحساساً بالعيد الذي يليه[٢].

أ- دليله: لا يوجد دليلٌ من الكتاب المقدس ينصُّ على هذا الصيام، وغاية ما يَسْتَدلُّ به النصارى الأقباط على هذا الصوم أقوال الآباء، وفي ذلك ينقلون قول ابن العسال: (وصوم اليوم الذي الميلاد غده، واليوم الذي الغطاس غده)[٣].

ب-مدته وموعده: تتفاوت مدة هذا الصوم بحسب يوم العيد، كما يلي:

١/ إن كان يوم العيد هو الأحد، فإن مدة الصوم يومان: الجمعة والسبت.

٢/ إن كان يوم العيد هو الاثنين، فإن مدة الصوم ثلاثة أيام: الجمعة والسبت والأحد.

٣/ إن كان يوم العيد باقي أيام الأسبوع، فإن مدة الصوم يومٌ واحد قبل يوم العيد[٤].

ويستمر الصيام فيه إلى آخر النهار[٥].

٥. صوم الميلاد:

وَضَعتِ الكنيسةُ هذا الصوم استعداداً لاستقبال عيدِ ميلاد المسيح عليه السلام كما يزعمون، كما أنهم يقتدون في صومهم هذا بصوم موسى عليه السلام قبل تلقيه للوصايا العشر، إذ تُقرِّر كتبهم أن موسى عليه السلام صام (٤٠) يوماً[٦].

---

(١) انظر: بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ٦١، اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣٤٨، كنيستي الأرثوذكسية: ٢٦١.

(٢) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ٢٦٢.

(٣) انظر: اللاهوت العقيدي لغريغوريوس: ٥/ ٣٥٨.

(٤) انظر: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣٤٨، كنيستي الأرثوذكسية: ٢٦٢، اللاهوت العقيدي لغريغوريوس: ٥/ ٣٥٧.

(٥) انظر: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣٤٨، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ٥/ ٢٦.

(٦) انظر: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٢٥٢.

أ- دليله: لا يوجد دليلٌ من الكتاب المقدس ينصُّ على هذا الصيام، وإنما ينقلون إجماع الكنائس على هذا الصوم[1]، مما يدل عندهم على أنه مُعترفٌ به منذ القدم، يقول القس بيشوي حلمي: (فلو كان هذا الصوم مرتباً بعد الانشقاق، لما أجمعت كل الكنائس الرسولية على حفظه)[2].

ب-مدته: (٤٣) يوماً، المدة الأصلية له هي (٤٠) يوماً، وهي التي يذكرون أن موسى عليه السلام صامها، وأما ثلاثة الأيام الأخرى فإنما أُضيفت في القرن العاشر الميلادي، تخليداً لمعجزة نقل جبل المُقطم، التي يزعمون أنها تمت على يد البابا إبرام بن زرعة في أيام الخليفة المعز الفاطمي، وكان إبرام قد صام قبلها ثلاثة أيام[3].

ويستمرون في صيامه حتى الساعة الثالثة مساءً[4].

ت-موعده: يبدأ هذا الصوم من تاريخ: ١٦ هاتور إلى ٢٦كيهك في السنة القبطية[5].

٦. صوم الرسل:

ويُسمى أيضاً صوم العنصرة[6]، وهو أول صومٍ صامه النصارى، ويزعمون أنهم في

---

(١) انظر: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣٣٨.

(٢) كنيستي الأرثوذكسية: ٢٦٢.

(٣) انظر: تاريخ البطاركة: ١٦٠-١٦١، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٢٩٧، اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣٤٠.

(٤) انظر: موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ٣/ ٢٦.

(٥) تذكر بعض مصادر الأقباطِ المتأخرةِ ما يقابلُ بعضَ مناسباتهم الدينية بالتاريخ الإفرنجي (الميلادي)، وبعد تأمل التاريخ القبطي؛ ظهر لي أنه من غير الممكن مقابلة التاريخ القبطي بالميلادي، ولا تحديد المواعيد اللاحقة تحديداً مطلقاً، نظراً لاختلاف التقويمين، وقد أعاد البابا غريغوريوس الثالث عشر دراسة التقويم القبطي فوجد فرقاً بينه وبين التاريخ الإفرنجي، فمثلاً عيد الميلاد - الذي يشتهر به النصارى - لا يُمكن تحديده بالتاريخ الميلادي بالنسبة للأقباط النصارى، إذ هو كل مئة سنة يتقدم يوماً، ففي عام (٢٠٠١م) كان في ٧يناير، وفي عامِ (٢١٠١م) سيكون في ٨يناير وهكذا، يقول الأنبا غريغوريوس في حديثه عن الاحتفال بعيد الميلاد: (نحن كأقباط نرتبطُ بتسع وعشرين كيهك، وليس بسبعة يناير) انظر: الأعياد المسيحية: ٦٦، كنيستي الأرثوذكسية: ٢٧٠-٢٧٢، ولتقريب الصورة يُقال: من غير الممكن مقابلةُ شهر رمضان بالنسبة لنا نحن المسلمين بشهرٍ معينٍ من التاريخ الميلادي، وانظر: مُرفقات البحث؛ المُرفق رقم: ١٨.

(٦) انظر: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٢٥٦.

ذلك يمتثلون أمر المسيح، فيذكرون أن المسيح أمرهم بصيام اليوم الذي يُرفع فيه[1].

أ- دليله: يستدل النصارى الأقباط على هذا الصوم بما ورد في متّى: (ولكن ستأتي أيامٌ حين يُرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون)[2]، وجاء في الدسقولية: (ومن بعد أن تكملوا عيد الخمسين عيّدوا أيضاً أسبوعاً آخر، ومن بعد ذلك صوموا أسبوعاً آخر)[3]، وينقل القس بيشوي حلمي إجماع الكنائس العالمية على حفظ هذا الصوم والاعتراف به[4].

ب-مدته: ليس له مدة محددة، ولكنه يتراوح ما بين (١٣-٤٩) يوماً[5]، والبعض يرى أن أقله (١٥) يوماً[6]، بحسب وقوع عيد العنصرة[7]، ويستمر فيه الصيام حتى الساعة الثالثة مساءً[8].

ت-موعده: بدايته متغيرة، ونهايته ثابتة، فهو يبدأ من أول اثنين بعد عيد العنصرة مباشرة، وينتهي بعيد الرسل[9].

٧. صوم العذراء:

يصومون أيام العذراء إظهاراً لمحبتها، ولذلك يجعلونه قبل عيد صعودها، ويؤكد النصارى الأقباط عند هذا الصوم أنهم لا يصومونه لها وإنما الصوم لله، يقول الأنبا غريغوريوس: (ينبغي أن نُصحح هنا خطأ من يظن أن المسيحيين يصومون للعذراء مريم، فالمسيحيون مع احترامهم العميق للعذراء مريم، واعتبارهم لها أكثر من جميع

---

(١) انظر: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٢٥٢، اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣٤٠.

(٢) متّى: ٩/ ١٥.

(٣) الدسقولية: الباب٣١/ ١٥٩.

(٤) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ٢٦٣.

(٥) انظر: بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ٥٩.

(٦) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ٢٦٤.

(٧) يأتي أن موعد عيد العنصرة غيرُ ثابتٍ، وإنما هو مرتبطٌ بعيد القيامة.

(٨) انظر: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٢٥٦، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ٣/ ٢٦.

(٩) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ٢٦٣.

القديسين.. إلا أنهم يعرفون أيضاً أنها إنسانة منهم .. فلا يصلون إليها، ولا يصومون لها)[1].

دليله: لا يوجد دليلٌ من الكتاب المقدس ينصُّ على هذا الصيام، وإنما ينقل ابن كبر والقمص يوحنا سلامة والقس بيشوي حلمي إجماع الكنائس على هذا الصوم[2].

مدته: (١٥) يوماً، ويستمر الصيام فيه إلى الساعة الثالثة مساءً[3].

موعده: يبدأ من تاريخ: ١ مسرى إلى ١٦ مسرى بالسنة القبطية[4].

هذا مُجمل ما ذُكر حول أصوام النصارى الأقباط، على أن هناك طقوساً في كل نوعٍ منها أعرضتُ عنها بُغية الاختصار[5].

درجات الصوم:

يُقسِّم النصارى الأقباطُ الأصوامَ السبعة السابقة إلى درجتين أو مرتبتين، كما يلي:

١. **أصوام الدرجة الأولى أو المرتبة الأولى:**

وهذه الدرجة من الأصوام يَحرُمُ فيها أكل جميع الحيوانات وما ينتج عنها، ولا يستثنى من ذلك شيء، وهي تشمل أربعة أصوام:

أ- الصوم الكبير.

ب-صوم يومي الأربعاء والجمعة.

ت-صوم نينوى.

---

(١) اللاهوت العقيدي لغريغوريوس: ٥/ ٣٤٣.

(٢) انظر: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٢٥٢، اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣٤٤، كنيستي الأرثوذكسية: ٢٦٣.

(٣) انظر: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٢٥٧، اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣٤٤، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ٣/ ٢٦.

(٤) انظر: بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ٥٩.

(٥) للاستزادة، انظر: الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ٥١-٥٤، مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٢٤٨-٢٥٧، كنيستي الأرثوذكسية: ٢٥٤-٢٦٤، اللاهوت العقيدي لغريغوريوس: ٥/ ٢٩٧ وما بعدها.

ث-صوم البرامون.

٢. أصوام الدرجة الثانية أو المرتبة الثانية:

وهذه الدرجة من الأصوام يحرم فيها أيضاً أكل جميع الحيوانات وما ينتج عنها، إلا أنه يُستثنى من ذلك العموم: السمك وعسل النحل[١]، وتشمل هذه الدرجة ثلاثة أصوام:

أ- صوم الميلاد.

ب-صوم الرسل.

ت-صوم العذراء[٢].

يقول البابا شنودة الثالث: (صومنا هو صومٌ نباتي، نمتنعُ فيه عن اللحوم، وعن كلِّ طعام من مصدرٍ حيواني، ولا شك أن الأسماك لحوم، إذن أكلها لا يتفق مطلقاً مع الصوم.. ولكن لما كانت الأصوامُ كثيرة جداً في الكنيسة القبطية.. لذلك سُمح بأكل السمك في بعض الأصوام التي هي أصوامٌ من الدرجة الثانية، تخفيفاً على الناس من طول فترة الصوم)[٣].

ويوضح الأنبا غريغوريوس سبب استثناء السمك فيقول: (لأن السمك يُعدُّ في مرتبةٍ بين النباتات وبين اللحوم الأخرى في القوة، وفي الإثارة لشهوات الإنسان)[٤].

---

(١) هناك من يبيح عسل النحل في جميع الأصوام، ولكن هذا خلاف المشهور فيما ظهر لي، والله أعلم، انظر: حياة الصوم: ٥٦.

(٢) انظر: اللاهوت العقيدي لغريغوريوس: ٥/ ٣٨٨.

(٣) سنوات مع أسئلة الناس: ٤/ ٤٥.

(٤) اللاهوت العقيدي لغريغوريوس: ٥/ ٤٦٠.

المبحث الثالث: الأعياد وطقوسها والزيارات المقدسة

أولاً: تعريف الأعياد:

أ - لغةً:

الأعيادُ جمع عيد، من عاد يعود عوداً، والمعاودة الرجوع إلى الأمر الأول، وقيل: اشتقاقه من العادة، لأنهم اعتادوه، والياء في العيد أصلها الواو، ولكنها قلبت ياءً لكسرة العين، وسُمي العيدُ عيداً لأنه يعود كل عام[1]، قال الأزهري: (العيد عند العربِ الوقتُ الذي يعود فيه الفرح والحزن)[2]، وهذا بَعيد، فنحنُ - المسلمين - ليس في عيدَيْنا حزنٌ، بل هما فرحٌ بنعمة الله على إتمام العبادة.

ب - اصطلاحاً:

يُعرف النصارى الأقباطُ العيدَ على أنه يوم ابتهاجٍ دينيٍّ، إكراماً لله أو للقديسين[3]، و(العيدُ عند النصارى الأقباط ليس ذكرى لحدثٍ أو تكراراً له، بل هو شهادةٌ لفعل دائم حدث في الإنسان من جهة خلقته الجديدة، وخلاصِه الأبدي، تتركز أحداثه في يومَ العيد نفسه)[4].

ثانيا: تعريف الطقوس:

أ - لغةً:

كلمة (طقس) معرّبة من الكلمة اليونانية (تاكسيس) وهي في أصلها تُستخدم لتدل على الترتيب والتنظيم مع تدبيرٍ وحياةٍ[5].

---

(١) انظر: لسان العرب: ٣/ ٣١٩، معجم مقاييس اللغة: ٤/ ١٨٣، مختار الصحاح: ١/ ١٩٣.

(٢) لسان العرب: ٣/ ٣١٩.

(٣) انظر: معجم الإيمان المسيحي: ٣٣٩، اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣٦٧.

(٤) معجم المصطلحات الكنسية: ٣/ ٨٥.

(٥) انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ٣/ ١٩-٢٠، بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ٦٣.

ب - اصطلاحاً:

يُعرِّفُ النصارى الأقباطُ الطقسَ على أنه (الترتيبات والنظم الروحية التي يجب مراعاتها في العبادة المسيحية من صلواتٍ كلامية، أو حركاتٍ خشوعيةٍ، أو رمزيةٍ، ويدخلُ في ذلك أيضاً شكل الكنيسة وأدواتها، ورُتب الكهنة وملابسهم)[1].

أما **الزيارات المُقدسة** فيُراد بها الرحلة والتردد على مكانٍ مقدَّسٍ لتعظيمه، كالقبورِ وأماكنِ القديسين ونحوها[2].

مكانة الأعياد وأدلتها:

تُمثِّلُ الأعياد في كل ديانةٍ - سماويةً كانت أو وضعيةً - مكانةً رفيعةً، وأهميةً بالغة في نفوس أتباعها، ويُحيطونها بمزيدٍ من الطقوس والترتيبات، منهم من يجعلها من قبيل العادات الاجتماعية، ومنهم من يعتقدُ فيها مُعتقداً دينياً.

والأعياد عند النصارى الأقباط تُمثِّل تذكاراً لحدثٍ ذا قيمةٍ عندهم، وهو حدثٌ حَدَثَ في زمنٍ مضى وسلف، ولا يُمكنُ تكراره للمحتفلين به، فيُعوِّضون فقده بإقامة الأعياد في يومه لتقوم مقامه[3].

والنصارى الأقباط في أعيادهم يَدْعُون إلى التفكر في الحادثة المُقترنةِ بذلك العيد، ويُحيون بها شعائرهم، لذلك يرون هذه الأعياد وسيلةً صالحةً لحفظ شريعتهم وديانتهم، وهي عندهم وسيلةٌ لزيادة إيمان الأتباع وترسيخهم في دينهم، كما تُمثِّل الأعياد بالنسبة للنصارى الأقباط محفلاً كبيراً للمنقطعين عن الكنيسة وقُدَّاساتها، فهي فرصةٌ سانحةٌ لدعوة أولئك إلى الكنيسة ومناسباتها[4].

وإذا كان الصيامُ عند النصارى الأقباط له ارتباطٌ وثيق بالصلاة - كما تقدم -؛ فإن ارتباط الأعياد عند النصارى بالصوم أظهر وأوضح؛ وذلك أن كلَّ صومٍ من أصوام

(١) بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ٦٣.
(٢) انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ٣/ ٨٥.
(٣) انظر: دراسات آبائية ولاهوتية: ٨٢.
(٤) انظر: الأعياد المسيحية: ١٥-١٧.

النصارى الأقباط يعقبه عيدٌ من أعيادهم[1].

ويستدل النصارى الأقباط على مشروعية الأعياد بعددٍ من نصوص الكتاب المقدس، ومن أقوال الآباء المتقدمين، فمن ذلك:

1. (المسيح قد ذُبح لأجلنا، إذاً لنُعيِّد ليس بخميرة عتيقة ولا بخميرة الشر والخبث، بل بفطير الإخلاص والحق)[2].
2. (بل ودَّعهم قائلاً: ينبغي على كل حال أن أعمل العيدَ القادمَ في أورشليم، ولكن سأرجعُ إليكم أيضاً إن شاء الله)[3].
3. وجاء في الدسقولية التأكيدُ على أعيادهم[4].

كما يستدلُ النصارى الأقباط على أعيادهم باحتفال باباواتهم المتقدمين وأَمْرهم بالاحتفال بها، وأن الكنيسة القبطية لم تزل تحتفل بتلك الأعياد من عهد أولئك وإلى الوقت الحاضر[5].

أنواع الأعياد:

تتعدد الأعيادُ عند النصارى الأقباط لتصل إلى قرابة العشرين عيداً، ويُمكن إجمال أصول تلك الأعياد في ستةِ أنواع، كما يلي:

1. أعيادٌ خاصةٌ بالمسيح عليه السلام، تُعرف بالأعيادِ السيدية، وهي على نوعين:

أ- أعيادٌ سيديةٌ كبرى، وتنقسم إلى سبعة أعياد[6]:

---

(1) انظر: المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ٢٢٩.

(2) كورونثوس الأولى: ٥/ ٧-٨.

(3) أعمال الرسل: ١٨/ ٢١.

(4) الدسقولية: الباب١٨/ ١٢٢-١٢٨.

(5) انظر: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣٦٨-٣٧١، كنيستي الأرثوذكسية: ٢٦٦-٢٦٧.

(6) لم تتفق المصادر القبطية على ترتيبٍ معينٍ في عرض هذه الأعياد، لذا اعتمدتُ في هذا الترتيب على ترتيب أقدم ما توافر لدي من مصادر، ككتاب الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ١٤٢-١٤٥، وانظر أيضاً: كنيستي الأرثوذكسية: ٢٦٨.

١. عيد البشارة.
٢. عيد الميلاد.
٣. عيد الغطاس.
٤. عيد الشعانين.
٥. عيد القيامة.
٦. عيد الصعود.
٧. عيد العنصرة.

ب-أعيادٌ سيديةٌ صُغرى، وتنقسم إلى سبعة أعياد:

١. عيد الختان.
٢. عيد دخول المسيح للهيكل.
٣. عيد دخول المسيح لمصر.
٤. عيد معجزة قانا.
٥. عيد التجلي.
٦. عيد خميس العهد.
٧. عيد أحد توما.

٢. أعيادٌ كنسيةٌ تُعاملُ معاملة الأعياد السيدية الصغرى.
٣. أعيادٌ خاصةٌ بمريم عليها السلام.
٤. أعيادٌ خاصةٌ بالملائكة وأهل السماء.
٥. أعيادٌ خاصةٌ بالأنبياء والقديسين.

٦. أعيادٌ خاصةٌ بتكريس[١] الكنائس.

وبيان تلك الأعياد كما يلي:

أولاً: الأعياد السيدية:

يُسمّونها بالسيدية نسبةً للسيد المسيح عليه السلام، وذلك لتعلقها كلها بجوانب من حياة المسيح عليه السلام، وهي من أهم أعيادهم وأعظمها شأناً[٢].

وللأعياد السيدية ما يُميّزها عن غيرها من حيث الطقوس وتلاوة القُدّاسات، وهي عندهم على قسمين:

أ - الأعياد السيدية الكبرى:

وتشتمل على سبعة أعياد، كما يلي:

١. **عيد البشارة:**

أ- سببه: بشارةُ جبريل عليه السلام لمريم بحملها بالمسيح عليه السلام.

ولاعتقادهم أن المسيح إله؛ قالوا: قد حلَّ بلاهوته وناسوته في بطنها - كما تقدم في عقيدتهم -، وجاء ليُخلِّص الناس من الخطيئة، فهذه أعظم بشارةٍ عندهم فلَزِم تبجيلُها وتعظيمها، وهو أول أعيادهم وبِكْرُها[٣].

ب-دليله: يستدلون عليه بما جاء في لوقا: (فقالت مريم: تُعَظِّمُ نفسي الرب، وتبتهج روحي بالله مخلصي)[٤].

ت-موعده: يوافقُ عيدُ البشارة تاريخ ٢٩ من شهر برمهات بالسنة القبطية[٥].

---

(١) التكريس يأتي بمعنى التخصيص، ويأتي أيضاً بمعنى التدشين، وهو المراد هنا. انظر: معجم الإيمان المسيحي: ١٥٢، معجم المصطلحات الكنسية: ١/ ٢٢١.

(٢) لذا سأزيدُ في بيان هذه الأعياد بشيءٍ من التفصيل، وسأكتفي فيما سواها من الأعياد بالتعريف المجمل وبيان تاريخها فقط.

(٣) انظر: الجوهرة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ١٤٢، عيد البشارة: ٤، الأعياد المسيحية: ١٩، اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣٩٢.

(٤) لوقا: ١/ ٤٦-٤٧.

(٥) انظر: عيد البشارة: ٤، اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣٩٣.

٢. عيد الميلاد:

أ- سببه: يحتفلُ النصارى الأقباط بهذا العيد لاعتقادهم موافقتَهُ لميلاد المسيح عليه السلام وتمام الخلاص، لذا فإنهم يُظهرون فيه سروراً بالغاً[١]، وهو العيدُ الثاني عندهم، مع أن الكنيسة الأولى لم تَعْرِفْ هذا العيد ولم تحتفل به، وإنما وُضِعَ أخيراً، يقول الأنبا غريغوريوس: (لا يوجد دليلٌ حتى هذه اللحظة على أن عيد الميلاد كان من ضمن أعياد الكنيسة الأولى، فكلُّ مصادرنا لا تعطينا دليلاً واحداً على الاحتفال بعيد الميلاد قبل نهاية القرن الثالث، وفي القرن الرابع فقط نجد الكنيسة تحتفل بعيد الميلاد)[٢].

ب-دليله: تقدم أنه لا دليلٍ صريح من كتابهم المقدس على هذا العيد، ولكن من احتفل به - فيما بعد - يستدلُّ باحتفال الملائكة به، وترنمها قائلةً: (المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة)[٣]، ويستدلون أيضاً بفعل المتقدمين من آبائهم، كباسيليوس الكبير ويوحنا ذهبي الفم، وأنه قد حُفظ عنهم هذا العيد[٤].

ت-موعده: يحتفل النصارى الأقباط بهذا العيد في ٢٩ من شهر كيهك بالسنة القبطية، ويكون الاحتفال به ليلاً، لاعتقادهم أن ولادة المسيح كانت ليلاً[٥].

٣. عيد الغطَّاس:

أ- سببه: يعتقدون أن المسيح عُمِّد في مثل هذا اليوم، على يد يوحنا المعمداني في نهر الأردن[٦]، ويُسمَّى هذا العيدُ بعيد العِمَاد وعيدِ الظهور الإلهي[٧]، ويأخذون في هذا العيد زجاجةَ ماءٍ من نهر الأردن، ويُوزعونها على الكنائس في المناطق، ثم

(١) انظر: الجوهرة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ١٤٢، الأعياد المسيحية: ١٩، اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣٨٢.

(٢) الأعياد المسيحية: ٢٣.

(٣) لوقا: ٢/ ١٤.

(٤) انظر: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣٨٣، كنيستي الأرثوذكسية: ٢٧٠.

(٥) انظر: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣٨٤-٣٨٥، كنيستي الأرثوذكسية: ٢٧٠.

(٦) انظر: عيد الغطاس: ٧١، اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣٨٦.

(٧) انظر: عيد الغطاس والقديس المعمدان: ٥، اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣٨٦.

يُضيفونها إلى الماء الموجود في مغطس الكنيسة، ويقرأُ الكاهنُ القُدَّاسَ الخاص بالعيد في هذا المغطس، ثم يتم تغطيس الناس فيه[1].

ب-دليله: يستدلون عليه بما جاء في الدسقولية: (فليكن عندكم جليلاً عيد الأبيفانيا[2]، لأن فيه بَدَأَ الرب أن يُظهر لاهوته في المعمودية في الأردن من يوحنا)[3]، ويقول باسيليوس الكبير: (وليُتقرب في الميلاد والغطاس ليلاً، لا لكراهية الصوم، بل لتمجيد العيد)[4].

ت-موعده: يحتفل النصارى الأقباط بهذا العيد في ١١ من شهر طوبة بالسنة القبطية، ويكون قُدَّاس العيد ليلاً[5].

٤. **عيد الشعانين[6]:**

أ- سببه: يعتقدون أن المسيح في اليوم الموافق لهذا العيد قد دخل أورشليم مُعلناً ذاته مَلَكاً روحانياً، وكان ذلك يوم الأحد، لذا يُسمونه أحدُ الشعانين، ويُسمى أيضاً عيد السعف أو أحد السعف[7]، وفيه يقوم النصارى الأقباط بقطع سعف النخل وأغصان الزيتون، وتوضع عليها الشموع، ثم تُقدم إلى الكنيسة[8].

ب-دليله: يستدلون عليه بما جاء في سفر يوحنا: (وفي الغد سَمِعَ الجمعُ الكثيرُ الذي جاء إلى العيد أن يسوع آتٍ إلى أورشليم، فأخذوا سعوف النخل، وخرجوا للقائه)[9].

---

(١) انظر: الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ١٤٣، الأعياد المسيحية: ٧٤-٧٨.

(٢) يقول القمص داود: أي عيد الظهور أو الغطاس. انظر: الدسقولية: ١٢٢، حاشية: ١.

(٣) الدسقولية: الباب١٨/ ١٢٢.

(٤) نقلاً عن: كنيستي الأرثوذكسية: ٢٧٣.

(٥) انظر: موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ١/ ١٧، الأعياد المسيحية: ٧٤، كنيستي الأرثوذكسية: ٢٧٣.

(٦) الشعانين كلمةٌ عبريَّة، مكونةٌ من كلمتين (يهوه شعنا)، ومعناها: ياربُّ خلِّصنا. انظر: بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ٥٠، معجم المصطلحات الكنسية والقبطية: ٢/ ٢٤٣.

(٧) انظر: الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ١٤٣-١٤٤، الأعياد المسيحية: ٨٠-٨١.

(٨) انظر: الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ١٤٤، اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣٩٤-٣٩٥.

(٩) يوحنا: ١٢/ ١٢-١٣.

ت-موعده: يحتفل النصارى الأقباط بهذا العيد في الأحد السابق لعيد القيامة[1].

٥. **عيد القيامة:**

أ- سببه: يعتقد النصارى الأقباط بقيامة المسيح عليه السلام من الموت في مثل هذا اليوم، وقَهْرِه الخطيئةَ والموتَ، وهذا العيد هو أعظم أعيادهم على الإطلاق، ويُسمّونه عيدَ الأعياد، ويوم الرب العظيم[2].

ب- دليله: يستدلون عليه بما جاء في كورونثوس الأولى: (إذاً لِنُعيِّد ليس بخميرة عتيقة، ولا بخميرةِ الشر والخبث، بل بفطيرِ الإخلاص والحق)[3]، وجاء في الدسقولية: (أما عيد القيامة الذي لربنا ومخلصنا يسوع المسيح؛ فلا تصنعوه في يوم من الأيام البتة، إلا يوم الأحد)[4].

ت- موعده: يحتفل النصارى الأقباط بهذا العيد في الأحد التالي لعيد الفصح اليهودي، ولما كان عيدُ الفصح يتغيرُ سنوياً؛ كان عيدُ القيامة يتبعه في ذلك التغير، ويكون الاحتفال به بعد منتصف الليل من ليلة الأحد إلى صلاة باكر من اليوم نفسه[5].

٦. **عيد الصعود:**

أ- سببه: يعتقد النصارى الأقباط أنه في مثل هذا اليوم صَعَدَ المسيح عليه السلام إلى السماء بعد قيامته من موته، ويعتقدون أن صعوده كان من جبل الزيتون، قريباً من القدس[6].

ب- دليله: يستدلون عليه بما جاء في المزامير: (صَعَدَ اللهُ بهتاف الربِّ بصوت الصور، رنِّموا لله.. رنموا رنموا لمَلكنا رنموا، لأن الله مَلِكُ الأرض كلِّها، رنموا قصيدةً،

(١) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ٢٧٣.

(٢) انظر: الأعياد المسيحية: ١٠١، اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣٧٤.

(٣) كورونثوس الأولى: ٥/ ٨.

(٤) الدسقولية: الباب٣١/ ١٥٥.

(٥) انظر: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣٧٧، كنيستي الأرثوذكسية: ٢٦٩.

(٦) انظر: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣٩٠، الأعياد المسيحية: ١٦٣، تأملات في عيد الصعود: ٥-٧.

مَلَكَ اللهُ على الأمم، اللهُ جَلَسَ على كرسي قدسه)[1]، وجاء في الدسقولية: (اصنعوا عيد صعود الرب الذي أكمل فيه كل التدبيرات وكل الرتب، وصعد إلى الله الآب الذي أرسله)[2].

ت- موعده: يحتفل النصارى الأقباط بهذا العيد بعد أربعين يوماً من عيد القيامة، طبقاً لاعتقادهم بأن المسيح بعدما قام من الموت بقي أربعين يوماً ثم رُفع[3].

٧. **عيد العنصرة[4]:**

أ- سببه: يعتقد النصارى الأقباط أنه في مثل هذا اليوم حلَّ الروح القدس على تلاميذ المسيح الأوائل المواظبين على الصلاة من يوم صعود المسيح وحتى يوم الخمسين[5]، أي بعد عشرة أيام من الصعود[6].

ب-دليله: يستدلون عليه بما جاء في أعمال الرسل على لسان بولس أنه قال: (ينبغي على كل حال أن أعمل العيد القادم في أورشليم)[7]، وجاء في الدسقولية: (ومن بعد عشرة أيام لعيد الصعود.. يكون لكم عيد عظيم في هذا اليوم)[8].

ت-موعده: يحتفل النصارى الأقباط بهذا العيد بعد قيامة المسيح - التي يعتقدونها - بخمسين يوماً، وبعد صعوده بعشرةِ أيام[9].

---

(١) المزامير: ٤٧/ ٥-٨.

(٢) الدسقولية: الباب٣١/ ١٥٦.

(٣) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ٢٧٣.

(٤) العنصرة: كلمةٌ عبريةٌ معناها: تجمُّع أو محفل، وهو في الأصل عيدٌ يهودي، يجتمع فيه اليهود من جميع أقطار الأرض في أورشليم. انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ٣/ ٨٠، بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ٦٤.

(٥) اليوم الخمسون بعد قيامة المسيح في معتقدهم.

(٦) انظر: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣٨٨، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ٤/ ٦٥.

(٧) أعمال الرسل: ١٨/ ٢١.

(٨) الدسقولية: الباب٣١/ ١٥٧.

(٩) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ٢٧٣.

ب - الأعياد السيدية الصغرى:

وتشتمل على سبعة أعيادٍ، كما يلي:

١. عيد الختان:

أ- سببه: يعتقد النصارى الأقباط بأن المسيح عليه السلام اختُتن في اليوم الثامن لميلاده، فهم يُعيِّدون في يوم ختانه، ويعتقدون أنهم بذلك يدخلون في «عضوية شعب الله»، وفي عهدٍ مع الله، كما يقولون[١].

ب- دليله: لا يوجد دليلٌ لدى النصارى الأقباط يعتمدون عليه في هذا العيد سوى ما ينقلونه عن متقدميهم أنه كان محفوظاً عندهم[٢].

ت- موعده: يحتفل النصارى الأقباط بهذا العيد في اليوم الثامن من شهر طوبة بالسنة القبطية[٣]، وبعضهم يجعله في اليوم السادس من الشهر ذاته[٤].

٢. عيد دخول المسيح للهيكل:

أ- سببه: يعتقد النصارى الأقباط أنه في السابق كان من اللازم على المرأةِ الوالدة بعد ولادتها بأربعين يوماً، أن تأتي بالطفل إلى الهيكل، وتُظهره أمام الهيكل تعبيراً عن شكرها لله، وأن مريم العذراء كذلك فعلتْ بمولودها، وعندما يُعيِّدون بهذا العيد يُريدون شفاعة المسيح للدخول بهم إلى الهيكل حيث عرش الربِّ في زعمهم[٥].

ب- دليله: يستدلون عليه بما جاء في لوقا: (وكان رجل في أورشليم اسمه سمعان.. وكان قد أوحي إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموتَ قبل أن يرى مسيح الرب، فأتى بالروح إلى الهيكل، وعندما دخل بالصبي يسوع أبواه ليصنعا له حسب عادة

(١) انظر: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣٩٨، الأعياد المسيحية: ٢٢٨-٢٣٢، كنيستي الأرثوذكسية: ٢٧٥

(٢) انظر: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣٩٩، كنيستي الأرثوذكسية: ٢٧٥.

(٣) انظر: الأعياد المسيحية: ٢٢٨.

(٤) انظر: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣٩٩.

(٥) انظر: الأعياد المسيحية: ٢٤٣، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ٤/ ٧١-٧٢.

الناموس، أخذه على ذراعيه وبارك الله)[1].

ت- موعده: يحتفل النصارى الأقباط بهذا العيد في اليوم الثامن من شهر أمشير بالسنة القبطية[2].

٣. عيد دخول المسيح لمصر:

أ- سببه: يعتقد النصارى الأقباط أنه في مثل هذا اليوم دخَلَ المسيحُ مع أمه إلى أرض مصر، ومعهما القديس يوسف النجار، هاربين من بطش هيرودس ملك اليهود، ودخول المسيح مصرَ بمثابة الإيحاء عندهم على قبول الله لهم ولأمتهم[3].

ب- دليله: يستدلون عليه بما جاء في متّى: (ثم إذ أوحى إليهم في حُلُم أن لا يرجعوا إلى هيرودس؛ انصرفوا في طريق أُخرى.. وبعدما انصرفوا؛ إذا ملاكُ الرب قد ظهر ليوسف في حلم قائلاً: قُم وخذ الصبي وأمه، واهرب إلى مصر، وكن هناك حتى أقول لك.. فقامَ وأخذ الصبي وأمه ليلاً، وانصرف إلى مصر)[4].

ت-موعده: يحتفل النصارى الأقباط بهذا العيد في الرابع والعشرين من شهر بشنش بالسنة القبطية[5].

٤ . عيد معجزة قانا:

أ- سببه: يعتقد النصارى الأقباط أنه في مثل هذا اليوم صَنَعَ المسيحُ أوَّل معجزةٍ له، وكان ذلك في عرسٍ، فقد طلبت منه أمه العذراء أن يُحوِّل ماءً كان موجوداً عندهم إلى خمرٍ غير مُسكرٍ ففعل[6]، ويُسمى هذا العيد بعيد تحويل الماء إلى خمرةٍ غير

---

(١) لوقا: ٢/ ٢٥-٢٩.

(٢) انظر: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٢٥٨، الأعياد المسيحية: ٢٤٣.

(٣) انظر: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٤٠٠، الأعياد المسيحية: ٢٥٢، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ٤/ ٧٢-٧٣، كنيستي الأرثوذكسية: ٢٧٥.

(٤) متّى: ٢/ ١٢-١٤.

(٥) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ٢٧٥، الأعياد المسيحية: ٢٥٢.

(٦) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ٢٧٦.

مسكرة[1]، ويُسمى أيضاً عيدُ عرس قانا[2].

ب- دليله: لا يوجد لدى النصارى الأقباط دليلٌ على عيدية هذه الليلة، وإنما يستدلون بما جاء عن متقدميهم كالقديس أبيفانيوس وتصريحه بأن الكنيسة قد اهتمت بهذا العيد منذ القدم[3].

ت- موعده: يحتفل النصارى الأقباط بهذا العيد في الثالث عشر من شهر طوبة بالسنة القبطية[4].

٥. **عيد التجلي:**

أ- سببه: يعتقد النصارى الأقباط أنه في مثل هذا اليوم تجلى المسيحُ بلاهوته أمامَ بعض تلاميذه[5]، يقول الأنبا غريغوريوس: (تغير منظر وجهه، فأضاء كالشمس، وصارت ثيابه بيضاء كالنور)[6].

ب- دليله: لا يوجد لدى النصارى الأقباط دليلٌ من الكتاب المقدس على هذا العيد، وإنما يعتمدون على إجماع الكنائس على حفظ هذا العيد[7].

ت- موعده: يحتفل النصارى الأقباط بهذا العيد في الثالث عشر من شهر مسرى بالسنة القبطية[8].

٦. **عيد خميس العهد:**

أ- سببه: يعتقد النصارى الأقباط أنه في مثل هذا اليوم سلّم المسيحُ جسده ودمه لتلاميذه، وحصل به فداء خطيئة الأمة، لتحيا الكنيسة بعده بذلك الجسد، ويُسمى

---

(١) انظر: الأعياد المسيحية: ٢٣٤.

(٢) انظر: موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ٤/ ٧٢.

(٣) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ٢٧٦.

(٤) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ٢٧٦، الأعياد المسيحية: ٢٣٤.

(٥) انظر: التجلي وتأملات في عيد التجلي: ٦.

(٦) الأعياد المسيحية: ٢٦٠.

(٧) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ٢٧٧.

(٨) انظر: التجلي وتأملات في عيد التجلي: ٥.

أيضاً بالخميس الكبير، لوقوع قصة تسليمه نَفْسَهُ في يوم الخميس[1]، كما أن لهذا العيد طقسٌ مختلف عن باقي طقوس الأعياد، فمثلاً: لا تُتلى فيه المزامير، ولا قانون الأمانة، ولا يُصلى على من مات في ذلك العيد[2].

ب- دليله: يعتمد النصارى الأقباط في تقرير هذا العيد بذات القصة الواردة بطولها في سفر متّى الإصحاح السادس والعشرين بكامله[3].

ت- موعده: يحتفل النصارى الأقباط بهذا العيد قبل عيد القيامة بثلاثة أيام[4].

٧. عيد أحد توما:

أ- سببه: يعتقد النصارى الأقباط أنه في مثل هذا اليوم ظهر المسيحُ لتلاميذه بالعُلّية[5]، ويعتقدون أنه قد ظهر قبل هذه المرة للتلاميذ ولم يكن معهم التلميذ توما، فلما أُخبر لم يصدق الخبر، فهذا ما جعل المسيح يظهر ثانيةً، مما زاد إيمان توما في زعمهم[6].

ب- دليله: يستدلُّ النصارى الأقباط على هذا العيد بما جاء في الدسقولية: (وبعد ثمانية أيام فليكن لكم عيدٌ، لأن في هذا اليوم الثامن أوصاني الرب أنا توما، إذ لم أؤمن بقيامته)[7].

ت- موعده: يحتفل النصارى الأقباط بهذا العيد في يوم الأحد التالي لعيد القيامة[8].

---

(١) انظر: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٤٠٠، الأعياد المسيحية: ٢٧٢.

(٢) انظر: الأعياد المسيحية: ٢٧٤-٢٧٥، كنيستي الأرثوذكسية: ٢٧٦.

(٣) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ٢٧٦.

(٤) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ٢٧٦.

(٥) العُلّيّة: بيتٌ منفصلٌ عن الأرض، والمراد: الغرفة العُليا ببيت مرقس - أحد تلاميذ المسيح -، وتُمَثِّلُ عندهم المكانَ الذي كان يجتمع فيه المسيح عليه السلام مع تلاميذه. انظر: معجم الإيمان المسيحي: ٣٣٣، الأعياد المسيحية: ٢٢٢.

(٦) انظر: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٤٠٠، الأعياد المسيحية: ٢٢٢، كنيستي الأرثوذكسية: ٢٧٦.

(٧) الدسقولية: الباب ٣١/ ١٥٦.

(٨) انظر: مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٢٥٩.

ثانياً: أعياد كنسية تُعاملُ معاملة الأعياد السيدية الصغرى:

وهي أعيادٌ تُعامل مُعاملة الأعياد السيدية الصغرى من حيث الطقوس وتلاوة القُدَّاسات ونحوها، وهما عيدان:

١. عيد النيروز (عيد رأس السنة القبطية):

أ- سببه: هذا العيد من الأعياد المصرية القديمة التي كان المصريون القدماء - قبل النصرانية - يُحيونها احتفالاً بفيضان نهر النيل مطلع السنة القبطية، وقد أبقى النصارى الأقباط الاحتفال بهذه العادة بعد دخول النصرانية لمصر، وأحاطوه بنزعةٍ دينيةٍ، وربطوه بشهدائهم[1].

ب- دليله: لا يوجد دليلٌ لدى النصارى الأقباط على هذا العيد، وإنما هو إحياءٌ لعاداتٍ قديمة، كما يرون فيه تخليداً لذكرى آلامهم[2].

ت- موعده: يحتفل النصارى الأقباط بهذا العيد في اليوم الأول من شهر توت بالسنة القبطية[3].

٢. عيد الصليب:

أ- سببه: يعتقد النصارى الأقباط بأن الصليب علامةُ المسيح عليه السلام، ويعتقدون أنه بالصلب والصليب تمَّ فداؤهم، لذا فهم يُكرمونه من خلال هذا العيد، ويحتفلُ النصارى الأقباط بهذا العيد مرتين[4].

ب- دليله: لا يوجد دليلٌ لدى النصارى الأقباط على هذا العيد، وإنما يرون فيه إكراماً للصليب الذي به تمَّ الفداء[5].

ت- موعده: يحتفل النصارى الأقباط بهذا العيد مرتين، الأولى في ١٧ من شهر توت

---

(١) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ٢٧٨.

(٢) انظر: موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ٤/ ٥٠.

(٣) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ٢٧٨.

(٤) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ٢٧٨-٢٧٩.

(٥) انظر: الأعياد المسيحية: ٢٧٦-٢٧٧.

بالسنة القبطية ويستمر إلى ١٩ من نفس الشهر، والثانية في ١٠ من شهر برمهات بالسنة القبطية[١].

ثالثاً: أعياد خاصة بمريم عليها السلام:

جرتِ العادةُ في الكنيسة القبطية أن تكون احتفالات القديسين والمُعظمين عندهم في يوم وفاتهم، باستثناء مريم عليها السلام فإنهم يحتفلون بها، ويُخصِّصون لها أعياداً أكثر من غيرها[٢]، لأنهم يرونها أمَّ الإله - تعالى الله عن ذلك -، واقتداءً بالمسيح حين أكرمها كما ورد في كتابهم المقدس[٣]، ثم هي عندهم أعظمُ من الملائكة[٤].

ويُمكنُ إجمالُ أعيادها عندهم بما يلي:

أ- عيد البشارة (بالميلاد): في (٧) من شهر مسرى بالسنة القبطية.

ب- عيد ميلادها: في (١) من شهر بشنش بالسنة القبطية.

ت- عيد دخولها للهيكل: في (٣) من كيهك بالسنة القبطية.

ث- عيد مجيئها لمصر: في (٢٤) من شهر بشنش بالسنة القبطية.

ج- عيد وفاتها: ويُسمونه (عيد نياحتها)، في (٢١) من شهر طوبة بالسنة القبطية.

ح- عيد صعودها إلى السماء: في (١٦) من شهر مسرى بالسنة القبطية.

خ- عيد بناء أول كنيسة على اسمها: في (٢١) من شهر بؤونة بالسنة القبطية.

د- عيد ظهورها بالزيتون: في (٢٤) من شهر برمهات بالسنة القبطية[٥].

---

(١) تختلف مصادر النصارى الأقباط حول سبب هذين العيدين، فالقس بيشوي حلمي يجعل سبب العيد الأول (١٧ توت) اكتشاف صليب المسيح على يد الملكة هيلانة في سنة ٣٢٦م بعد أن طمره اليهود، وأما الثاني (١٠ برمهات) فهو لتدشين الصليب ورفعه بعد أن استعاد الروم هيبتهم من الفرس، ويخالفه الأنبا غريغوريوس بتبديل المناسبتين كلاً منهما مكان الأخرى، انظر: الأعياد المسيحية: ٢٧٦-٢٧٨، كنيستي الأرثوذكسية: ٢٧٨-٢٧٩.

(٢) انظر: السيدة العذراء: ١٣.

(٣) انظر: لوقا: ٢/ ٥١.

(٤) انظر: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٤٠٩، كنيستي الأرثوذكسية: ٢٧٨.

(٥) انظر: السيدة العذراء: ١٥-١٧.

رابعاً: أعياد خاصة بالملائكة وأهل السماء:

للملائكة عند النصارى الأقباط مكانةٌ مُقدسةٌ، فهم يعتقدون في الملائكة أنهم يشفعون للخطاة، ويطلبون الرضا عنهم عند الرب، كما أنهم خير من ينقل الأخبار السارة إلى البشر[1]، لذا يرى النصارى الأقباط إكرامَ هؤلاء الملائكة بالاحتفال بها، وتخصيص أعياد بأسمائها، ويسمونها (تذكارات)، ولم يذكروا في تحديد أيام التذكارات سبباً لاختيار تلك الأيام دون غيرها.

وينقل القمص يوحنا سلامة إجماع الكنائس على مشروعية إكرام الملائكة بمثل هذه الأعياد[2].

من تلك التذكارات:

أ- تذكار رئيس الملائكة ميخائيل: في (١٢) من شهر هاتور، و(١٢) و(١٣) من شهر بؤونة بالسنة القبطية.

ب- تذكار رئيس الملائكة جبرائيل: في (٢٢) من شهر كيهك بالسنة القبطية.

ت- تذكار رئيس الملائكة رافائيل: في (٣) من شهر نسئ بالسنة القبطية.

ث- تذكار الملاك سوريال: في (٢٧) من شهر طوبة بالسنة القبطية[3].

خامساً: أعياد خاصة بالأنبياء وقديسيهم:

للأنبياء والقديسين مكانةٌ مُعظمةٌ عند النصارى الأقباط، وإن كانت دون مرتبة الملائكة والسمائيين، إلا أنهم يرون أن إكرامهم وتخصيص مناسباتٍ لإحياء ذكرهم؛ عبادةٌ يتقربون بها إلى الله! لأن المسيح في زعمهم قد أوصاهم بذلك، ومن أمثلة أعيادهم ما يلي:

---

(١) انظر: الملائكة: ٢١ وما بعدها، موسوعة طقوس الكنيسة القبطية: ٤/ ٧٤.

(٢) انظر: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٤١١.

(٣) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ٢٨٠.

أ- أعياد الأنبياء:

عيد وفاة أشعياء النبي، في (٦) من شهر توت، وعيد وفاة موسى عليه السلام في (٨) من شهر توت.

ب-أعياد الرسل (رُسل المسيح):

عيد القديس متّى الإنجيلي، في (١٢) من شهر بابه، عيد القديس لوقا الإنجيلي، في (٢٢) من شهر بابه.

ت-أعياد الشهداء:

عيد شهادة القديسة تكلا، في (٢٣) من شهر توت، عيد شهادة القديس مارمينا العجايبي، في (١٥) من شهر هاتور.

ث-أعياد البطاركة:

عيد وفاة البابا ثاؤفيلس، البابا (٢٣) في (١٨) من شهر بابه، وعيد وفاة البابا ديسقوريوس، البابا (٢٥) في (٧) من شهر توت[1].

سادساً: أعياد خاصة بتكريس الكنائس:

يحتفل النصارى الأقباط بتذكارات لتدشين كنائسهم، لأنهم يعتقدون أنها (مسكن الله مع شعبه، وبداخلها المذبح الذي يُقدَّمُ عليه جسدُ المسيح ودمه)[2]، ومن أشهر أعيادهم في هذا:

أ- تذكار تكريس كنيسة العذراء بدير المحرق، في (٦) من شهر هاتور.

ب- تذكار تكريس كنيسة القديس يوليوس بالإسكندرية، في (٢٥) من شهر بابه.

---

(١) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ٢٨٣.

(٢) كنيستي الأرثوذكسية: ٢٨٣.

ت- تذكار تكريس كنيسة جاورجيوس، في (٧) من شهر هاتور[١].

هذه أبرز أعياد النصارى الأقباط.

وكما ذكرتُ في البداية عن كثرة أعيادهم وتنوعها، إلا أن الأعياد الأعظم والأشهر عند الإطلاق هي الأعياد المتعلقة بالسيد المسيح عليه السلام/ والتي يُسمونها بالأعياد السيدية، بل إن بعض متقدمي النصارى الأقباط - كابن سبَّاع وابن كبر - لم يذكر في مصنفه غير الأعياد السيدية الكبرى والصغرى[٢].

الزيارات المقدسة:

تقدم المرادُ بالزيارات المُقدسة، وأنها التردد على مكانٍ مقدَّس لتعظيمه، كالقبور وأماكن القديسين ونحوها[٣]، والبعض يُسمي هذه الزيارات بالحج.

جاء في المعجم اللاهوتي توضيحٌ للزيارات المقدسة أو الحج، وأنه (رحلةٌ يَقْصِدُ بها المؤمنون إلى مكانٍ تقدَّسَ بظهورٍ إلهي، أو بنشاطِ مُعلّم ديني، من أجل تقديم صلاتهم في إطارٍ ملائم لذلك، بصفةٍ خاصةٍ)[٤].

فالحجُّ فعلٌ من التقديس، يبدأ منذ الانطلاق نحو مكان مقدّس، وقد كانت في حياة بني إسرائيل ثلاثة أعياد يحجّون فيها إلى المعبد.

ويُعرِّف بولس الفغالي الحجَ بأنه: (عملُ جماعةٍ تسير في طريقٍ يوصل إلى المكان المقدّس، مع طقوسٍ ترافق هذه المسيرة)[٥].

والمقصود من الحج في الأصل هو طلب الشفاعة ونيل البركة من المكان المقصود،

---

(١) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ٢٨٣.

(٢) انظر: الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة: ١٤٢-١٤٥، مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ٢٥٨- ٢٥٩.

(٣) انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ٣/ ٨٥.

(٤) المعجم اللاهوتي: مادة «حجَّ».

(٥) المحيط الجامع: مادة «حجَّ».

وصاحبه.

أقسام الشفاعة:

يُقسِّمُ النصارى الأقباط الشفاعة إلى قسمين:

1. **الشفاعة الكفَّارية:**

وهي شفاعة خاصة عندهم بالمسيح عليه السلام، لأنها تتعلق بمغفرة وتكفير خطيئة آدم عليه السلام، ولا يقدر عليها أحد غيره - المسيح -.

2. **الشفاعة التوسليَّة:**

وهي عندهم متعلقةٌ بالقديسين والملائكة ومريم العذراء، فيشفعون للناس بتوسلهم من المسيح عليه السلام[1].

النصارى الأقباط وطلب الشفاعة:

يُعرِّفُ النصارى الأقباط الشفاعة بأنها: صلواتٌ يُقدِّمها القديسون والملائكة لأجل طلب رأفةِ الله على النصارى، وإعطائهم حاجاتهم[2].

و (تَعلُّقُ الكنيسة بالتاريخ هو أشد من أن تُنْكِرَ كلَّ تقديرٍ للزيارات إلى الأماكن التي عاش المسيح فيها حياته الأرضية، أو إلى تلك التي ظهر فيها خلال حياة قديسيه، إنها ترى في هذه التجمعات عند أماكن نشاط المسيح؛ فرصةً مانحةً أمام المؤمنين للاشتراك في وحدة الإيمان والصلاة، فهي تحاول على الأخص تذكيرهم فيها بأنهم على مسيرة نحو الرب وتحت قيادته)[3].

وقد سار النصارى عموماً على هذا النهج في تقرير مشروعية الزيارات لطلب شفاعة القديسين والآباء، واستمر ذلك إلى وقتنا المعاصر، ويؤكد النصارى الأقباط كثيراً على الارتباط بالقديسين ودعوتهم وطلب شفاعتهم، يقول القمص يوحنا سلامة: (نشعر

(1) انظر: الشفاعة: 14-16، اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: 2/ 426.

(2) انظر: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: 2/ 444.

(3) المعجم اللاهوتي: مادة «حجّ».

نحن كبشر بضعفنا وفقرنا وعدم أهليتنا للمثول لدى عرش الله الرهيب، واستدعاء نعمه وعطاياه، واستجلاب عطفه ورضاه، لأننا بالطبيعة خطاة، وترابٌ ورماد، لأجل هذا نأتي إليه، ونتشفع بقديسيه لديه لأن يرحمنا، ويُنعم لنا بمغفرة خطايانا)[1].

ويقول القمص لوقا الأنطواني: (هناك شراكةٌ عامةٌ بين الأحياء على الأرض والمنتقلين في السماء، وعلى رأسهم القديسون والشهداء، شركةٌ كاملةٌ، فنحن نتشفَّعُ بهم ونتصل بهم بطرق ووسائل شتى، ونتلقى على إثر ذلك معوناتهم لنا.. وكنيستنا الأرثوذكسية تتشفَّع بالقديسين، وتؤمن بفعالية هذه الشفاعة، وهذا واضحٌ في صلواتها المختلفة)[2].

وعقيدتهم في القديسين تشمل الأحياء منهم والأموات، فالقديس الميت له ذات القدرة التي للقديس الحي[3]، ويعتقدون أن لهم مكانةً عظيمةً عند الله، يستحقون لأجلها الزيارة وطلب الشفاعة، ويستدلون على مكانتهم عند الله بأمورٍ، منها:

١. أن الله يتسمى - أحياناً - بأسماء أولئك القديسين، جاء في سفر الخروج: (ثم قال: أنا إله أبيك، إله إبراهيم، وإله إسحاق، وإله يعقوب، فغطى موسى وجهه، لأنه خاف أن ينظر إلى الله)[4].

٢. أن الأنبياء كانوا يذكرون أسماء هؤلاء القديسين أمام الله حتى يُشفق عليهم، ويستدلون بقول موسى حينما شَفع في شعبه فقال: (اذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك، وقلت لهم: أُكْثِرُ نسلكم كنجوم السماء، وأُعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمتُ عنها فيملكونها إلى الأبد)[5].

٣. لما أخطأ الملك سليمان - كما يعتقدون، وهو النبي سليمان عليه السلام - كان اللهُ سيَقسِمُ مملكته بسبب خطيئته، ثم إنه قال: (إلا أني لا أفعل ذلك في أيامك من أجل

(١) اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٤٢٧.

(٢) السماء وطن الإنسان: ١٧-١٨.

(٣) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ٣٨٢.

(٤) الخروج: ٣/ ٦.

(٥) الخروج: ٣٢/ ١٣.

داود أبيك، بل من يد ابنك أمزقها، على أني لا أمزِّق منك المملكة كلها، بل أُعطي سبطاً واحداً لابنك لأجل داود عبدي)[1].

ويعتقد النصارى الأقباط أن القديسين الموتى لا يزالون أحياء، ليس ذلك فحسب، بل يعرفون أحوال الناس على الأرض!

يقول القس بيشوي حلمي: (القديسون المنتقلون يعرفون أحوالنا على الأرض، القديسون الذين انتقلوا مازالوا أحياء)[2].

ويقول الأنبا غريغوريوس: (المنتقلون إلى العالم الآخر يشفعون في المجاهدين على الأرض، أو في أهل الأرض جميعاً، شأنهم شأن القديسين الأحياء على الأرض سواءً بسواء، ولا فرق لأن المنتقلين أو الراقدين هم أيضاً أحياءٌ عند الرب)[3]، كما يذكر أيضاً عن القديسين، وأنهم وهم على الأرض - قبل الوفاة - لهم مواهب وقدرة على الكشف عن الماضي والحاضر والمستقبل أحياناً[4].

ويُقرر الأنبا غريغوريوس الاستغاثة بالقديسين الأموات، فيقول: (لا فرق من حيث المبدأ بين استغاثة المنتقلين في مقر الانتظار بالقديسين المنتقلين، وبين استغاثة الأحياء المجاهدين بالقديسين المنتقلين، فهذه الاستغاثة مشروعة، وهي أيضاً ممكنة.. إذا كان كذلك؛ فقد انبنى عليه أن يكون أمراً مشروعاً في ديانتنا أن نستغيث بالقديسين المنتقلين طلباً لمعونتهم وبركاتهم، وسؤالاً لصلواتهم عنا، ولذلك رتبت الكنيسة الأرثوذكسية في صلواتها بضع قطع فيها استغاثة بالقديسين المنتقلين)[5].

كما يعتقد النصارى الأقباط في القديسين أن لهم سُلطاناً نافذاً على العالم، يقول القمص لوقا الأنطواني: (أما الكهنة فإنهم ينفردون بوضعٍ خاصٍ، حينما أعطاهم

(١) الملوك الأول: ١١/ ١٢-١٣.

(٢) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣٨٣.

(٣) اللاهوت العقيدي لغريغوريوس: ٥/ ٢٠٤.

(٤) اللاهوت العقيدي لغريغوريوس: ٥/ ٢٠٦.

(٥) اللاهوت العقيدي لغريغوريوس: ٥/ ٢٣١-٢٣٢.

المسيح سلطان الحل والربط في السماء وعلى الأرض)[1].

لأجل هذه المكانة العظيمة التي يعتقدها النصارى الأقباط في القديسين؛ شرَّعوا للناس الاستشفاع بأولئك القديسين، وزيارة قدّاساتهم.

(١) السماء وطن الإنسان: ٢١.

الفصل الثالث: الفروق العقدية والطقسية بين النصارى الأقباط والطوائف النصرانية الأخرى.

ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الفروق العقديَّة والطقسيَّة بين النصارى الأقباط وباقي طوائف الأرثوذكس.

المبحث الثاني: الفروق العقدية والطقسية بين الأقباط الأرثوذكس والكاثوليك.

المبحث الثالث: الفروق العقدية والطقسية بين الأقباط الأرثوذكس والبروتستانت.

الفصل الثالث: الفروق العقديّة والطقسيّة بين النصارى الأقباط والطوائف النصرانية الأخرى

مما لا يخفي على كل مسلم موحدٍ أن أنبياء الله ورسله من أولهم إلى آخرهم، إنما جاؤوا لدعوةٍ واحدةٍ - وإنِ اختلفت شرائعهم - ألا وهي دعوة الناس إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، واجتناب الشرك ونبذه والبراءة منه ومن أهله، يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل: ٣٦].

ويقول تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ومن بين تلك الدعوات وأولئك الرسل؛ المسيحُ عيسى بن مريم عليه السلام الذي جاء بإفراد الله بالعبادة، والدعوة إلى التوحيد، والبراءة من الشرك، قال تعالى حاكياً عنه: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المائدة: ١١٦].

وقد تقدم بيان التوحيد الذي كان عليه المسيح عليه السلام وتلاميذه من بعده، كما تقدم بيانُ بدايةِ الانحراف في النصرانية، وأثر المجامع التي كان يعقدها بطاركة الكنيسة ليُقرّوا فيها ما يشاؤون من الشرائع والعقائد، والذي آل بالمسيحية إلى تقرير الشرك والدعوة إليه، حتى أصبح الشركُ والقول بالتثليث سمةً بارزة تُميِّز بها النصرانيةُ عن غيرها.

ولما جعل النصارى - عموماً - أمرَ العقيدةِ راجعاً إلى عقول البشرِ المتمثلِ في مجامعهم المسكونية؛ كان من الطبيعي أن يحصلَ الخلاف بين أتباع الملة الواحدة، ويدخلَ التحريفُ إلى صلب العقيدة، وهذا شأنُ كلِّ شرعٍ جاء من عند غير الله، قال

سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢].

لقد اتخذت تلك المجامعُ سلطةً تشريعيةً في تقرير وإلغاء ما تراه مناسباً أو غير مناسب، ثم رتَّبتِ اللعنَ والطردَ على من خالف رأيها ولم يتَّبع قولها[١]، ومن أبرز وأول الانشقاقات التي حصلت بين النصرانيةِ المُثلِّثة؛ مجمع خلقيدونية الذي كان عام (٤٥١م)، وقد تقدم الحديثُ عن تفاصيله وملابساته.

ظلَّتِ الكنيسةُ النصرانيةُ في انقسام دائم، فقد نشأت الكنيسة الأرثوذكسية أولاً، ومنها نشأت الكنيسة الكاثوليكية، ومنَّ الأخيرة نشأت الكنيسة البروتستانتية، وهكذا فداخلُ كلِّ كنيسةِ العديد من الانشقاقات والتحزبات.

إن الجانبَ الأهم في هذا؛ ما تُقرِّره مجامعُ الانشقاقات من عقائد وطقوس، وتنفيه عن أخرى، وهو ما يجعل الخلافَ مستمراً بين هذه الطوائف.

وفي هذا الفصل سأتناول - بحول الله - أبرزَ الخلافاتِ بين الطوائف النصرانية عموماً والأقباط، وسأكتفي بنقل الخلافات التي عليها السواد الأعظم من الطائفة المرادة، لوجودِ انشقاقاتٍ داخلَ كلِّ طائفةٍ، إذ المراد المقارنة بين ما هو متفقٌ عليه أو يقرب من الاتفاق عند كل طائفةٍ.

(١) انظر: مُرْفقات البحثِ؛ المرفق رقم: ١٣.

المبحث الأول: الفروق العقديَّة والطقسيّة بين النصارى الأقباط وباقي طوائف الأرثوذكس

يُمثِّل النصارى الأقباط أبرز وأقدم الطوائف المُنتمية إلى الأرثوذكس، وإذا تأملنا بدايات الانقسام في النصرانية المحرَّفة؛ فسنجد أن مجمع خلقيدونية (٤٥١م) يُمثِّل نقطة ارتكاز لانفصال النصارى الأقباط عن باقي الكنائس، وتبنِّيهم للقول بالطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة، وهو القول الذي مالت إليه كنائس أُخرى فيما بعد، وانضوتْ - بناءً عليه - تحت الكنيسة القبطية بمصر.

والأصل في النصارى الأقباط عند الإطلاق، أنهم ينتمون إلى طائفة الأرثوذكس، وهو الأمر الذي سِرتُ عليه في هذه الرسالة، وإلا فإنه يوجد في مصر طائفةُ الأقباط الكاثوليك، والأقباط البروتستانت، لكنهم قلةٌ قليلةٌ لا تكاد تذكر في مقابل الأقباط الأرثوذكس.

وفي هذا المبحث سأتناول أبرز الخلافات العقدية والطقسية بين الأقباط الأرثوذكس وباقي طوائف الأرثوذكس الخلقيدونيين واللاخلقيدونيين.

١. **طبيعة المسيح عليه السلام:**

الحديثُ عن طبيعة المسيح عليه السلام عند النصارى عموماً لا ينفكُّ بحالٍ عن مجمع خلقيدونية (٤٥١م)، الذي عُقد للبتِّ في طبيعة المسيح، وقد كان النصارى في السابق يقولون بالطبيعة الواحدة حتى انعقد هذه المجمع، وقرَّر أن المسيح عليه السلام له طبيعتان: إلهية وإنسانية، فخالف الأقباطُ قراراتِ المجمع، وبقوا على القول بالطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة، وتَبِعهم في ذلك: كنيسة الأرمن، وكنيسة إثيوبيا، وكنيسة السريان، وكنيسة الهند، وكل هذه الكنائس تنتمي لطائفة الأرثوذكس[1].

وقد تقدم تفصيلُ الحديثِ عن معتقدِ النصارى الأقباط في طبيعة المسيح عليه السلام، وأنهم يعتقدون أن الروح القدس بعد أن طهّر رَحِمَ مريم عليها السلام طهارةً كاملةً؛ اتحدت

(١) انظر: الكنائس الشرقية وأوطانها: ١/ ٢٢.

طبيعةُ الله بالطبيعة الناسوتية داخل الرحم، وهذا الاتحاد بغير امتزاج ولا اختلاطٍ ولا تغير، فهو اتحادٌ أقنومي كامل، دائمٌ غير منفصلٍ، وباتحاد هاتين الطبيعتين الإلهية والبشرية؛ تكونت طبيعةٌ واحدةٌ، ومشيئةٌ واحدةٌ، هي طَبيعةُ ومشيئةُ الله الكلمة المتجسد[1].

ويُخالفُ الأقباطَ في هذا القول طائفةُ اليونان (الروم)[2] الأرثوذكس، حيث إنهم يعتقدون أن المسيح عليه السلام عبارةٌ عن طبيعتين، إحداهما لاهوتية والأخرى ناسوتية، وقد تبنَّوا هذا القول ونادوا به مع إخوانهم في مجمع خلقيدونية، ولعنوا كنيسةَ الأقباط ومن تَبِعها في ذلك[3].

وجاء في العريضةِ التي أقرَّها الأرثوذكس الخلقيدونيون: (إن الذي هو إله حقٌّ هو نفسه إنسانٌ حق، وليس في هذا الاتحاد أيُّ خداعٍ، فاتِّضاع الإنسان وسمو الله حاضران معاً في علاقةِ تبادلٍ، وكما أن الإله لا يتغير عندما يتحنن على الجموع؛ كذلك الإنسان لا يذوب في الكرامة الإلهية، فإن كلتا الطبيعتين تعمل بالاتحاد مع الأخرى ما هو خاصٌّ بها.. فهو إله لأنه (في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله)، وهو إنسان (والكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا) .. إننا نتمسك باتباع الآباء القديسين في الاعتراف بمن هو واحدٌ، وهو نفسه الابن وربنا يسوع المسيح، وبصوتٍ واحدٍ مُتَّفِق نُعلنُ أنه هو نفسه تامٌّ في الألوهية وتامٌّ في البشرية، إلهٌ حقٌّ وإنسانٌ حقٌّ.. الابن الوحيد، الرب الذي بحسب الاعتراف به في طبيعتين متحدتين دون اختلاطٍ ولا تحول ولا انقسام ولا انفصال)[4]، ومما جاء عنهم أيضاً: (ومعروفٌ أنه هو نفسه مسيحاً وابناً ورباً ووحيداً واحداً بطبيعتين)[5].

---

(١) انظر: إيماننا المسيحي صادق وأكيد: ١٠٨-١٠٩، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٢١٨-٢١٩، إيماننا الأقدس: ١٤٠-١٤١، عقيدة المسيحيين في المسيح: ٣٣وما بعدها، الأرثوذكسية قانون إيمان لكل العصور: ١٢٧-١٢٩، التثليث والتوحيد: ١٠٥-١٠٧، ثبْتُ أساس الكنيسة: ٣٧.

(٢) انظر: كنيسة مصر: ٥١٠.

(٣) انظر: الكنائس الشرقية وأوطانها: ١/ ٢٢، موسوعة علم اللاهوت: ٤/ ٤٦١، علم اللاهوت العقيدي: ١/ ٥٥٣، أرثوذكسيتي: ٧٧.

(٤) علم اللاهوت العقيدي: ١/ ٥٥٣-٥٥٤.

(٥) موسوعة علم اللاهوت: ١/ ١١٢.

ويُبرِّرُ النصارى الأقباط تمسُّكهم بالتعبير بالطبيعة الواحدة بأمور منها: أن التعبير بالطبيعة الواحدة هو التعبير الموافق لاعتقادهم أن مريم عليها السلام والدة الإله، يقول الأنبا غريغوريوس: لست أدري كيف يستطيع الأرثوذكس الخلقيدونيون، أن يُنْقذوا أو يبرِّروا اعتقادهم في أن السيدة العذراء هي والدة الإله، إذا كانوا يُصرُّون على القول بأن للسيد المسيح طبيعتين متحدتين.. إن تعبير الطبيعة الواحدةِ وَحْدَهُ الذي يُمكنه أن يُفسِّر أن العذراءَ والدةُ الإله[1].

ولِقرب قول النصارى الأقباط - في الجملة - من قول أوطاخي الذي سبق أن رفضه الأقباط وحكموا بهرطقته؛ يميلُ بعضُ المؤرخين إلى القول بأن رفض النصارى الأقباط لمجمع خلقيدونية وتبنِّيهم للقول بالطبيعة الواحدة، إنما كان لدافعٍ سياسيٍّ ورغبةٍ في التفرد في السيادة لكنيسة مصر، وإلا فإن حقيقة قولهم كقول أوطاخي.

يقول جاك تاجر: إن الانشقاق القبطي هو ديني من حيث الحجة فقط، وعلته الدفينة حبُّ البطريرك المصري للانفراد بسيادة بلاده، فقد كان يُصرِّح بقوله: إن البلاد لي أكثر مما هي للأباطرة، وإني أُطالب بالسيادة على مصر، وفي سبيل هذه السيادة صنعتِ الكنيسة المصرية أمراً بالغ الغرابة، فقد وافقتْ بطريركَ القسطنطينية على حرمان الراهب[2] الذي ابتدع المذهب الأرثوذكسي، ولكن بطريرك مصر حقد على زميله[3] هذا السلطان الواسع، فأعلن اعتناقه لهذا المذهب مخالفاً آراء زملائه من رجال الإكليروس، فقد وضعهم في مركزٍ حرج، ذلك لأن الأساقفة المصريين أدانوا أوطاخي الراهب المحروم دون أن يُبدي البطريرك أية معارضة، فكيف يستطيعون بعد ذلك أن ينقضوا حكمهم دون أن يُعرِّضوا أنفسهم للسخرية.. فلم يكن الأمر إذن بحثاً عن الحقيقة، ولم يكن الخلافُ على فهم طبيعة المسيح سعياً منزَّهاً لمعرفةِ الصواب[4].

---

(١) اللاهوت المقارن لغريغوريوس: ٢٣٥ بتصرف.

(٢) يُريدُ أوطاخي.

(٣) يُريدُ بطريركَ القسطنطينية.

(٤) أقباط ومسلمون منذ الفتح العربي: ١٣-١٤ بتصرف يسير.

ويُفنِّدُ النصارى الأقباط هذا القول بشدة، يقول الأنبا غريغوريوس: (الاتحاد الذي تقول به الكنائس الأرثوذكسية التي لا تعترف بمجمع خلقيدونية يختلف اختلافاً جوهرياً وأساسياً عن نوع الاتحاد الذي يقول به يوطيخا)[1]. ويقول القمص ميخائيل مينا: (تعتقدُ بعضُ الكنائس باطلاً أن القديس البابا ديوسقورس الإسكندري كان أوطاخي المذهب، ولكن الحقيقة أنه كان ضد مذهب أوطاخي على خطٍ مستقيم، وأنه ظلَّ يُدافع عن الطبيعة الواحدة في السيد المسيح، بغير اختلاط ولا امتزاجٍ ولا تغيير)[2].

٢. سرِّ المعموديَّة:

تقدَّم معنى المعمودية، والمراد هنا الخلاف الحاصل في جانب قبولِ معمودية الكنائس الأخرى، فالنصارى الأقباط لا يقبلون معموديات المتحولين من الكنائس الأخرى كالكاثوليك والبروتستانت، بخلاف باقي الأرثوذكس، يقول القس مكرم نجيب: (أما الكنائس الأرثوذكسية من العائلة غير الخلقيدونية، وهي القبطية والسريانية والأرمنية والحبشية والهندية فهي تختلف فيما بينها.. تقبل هذه الكنائس جميعاً معمودية الكنائس الكاثوليكية ماعدا الكنيسة القبطية)[3]، ويقول في البروتستانت: (تقبلُ هذه الكنائس جميعاً ماعدا القبطية والحبشية معموديةَ الكنائس الإنجيلية - البروتستانتية - التي تؤمن بالثالوث)[4].

ويُؤكِّد الأنبا غريغوريوس ذلك فيقول: (إذا أراد أحدٌ من أتباع الكنيسة الرومانية الكاثوليكية التناول أو الزواج في الكنيسة الأرثوذكسية، فكنيستنا تشترط في هذه الحالةِ العمادَ من جديد على أساس قانون الإيمان الأرثوذكسي، وطبقاً للطقس القبطي.. أما البروتستانت بمختلف طوائفهم فبالأحرى والأولى أن لا يُسمح لأيٍّ منهم بالتناول أو بالزواج عندنا، إلا بعد الانضمام التام للكنيسة الأرثوذكسية، إيمانياً وعقائدياً وكنسياً وطقسياً)[5].

---

(١) اللاهوت المقارن لغريغوريوس: ٢٣٠.

(٢) موسوعة علم اللاهوت: ١/ ١١٣.

(٣) المعمودية بين المفهوم والممارسة: ١٢٤.

(٤) المعمودية بين المفهوم والممارسة: ١٢٥.

(٥) اللاهوت المقارن لغريغوريوس: ٣١١.

٣. سِرُّ الميرون:

تقدم أن الميرونَ كلمة يونانية، معناها زيتٌ طيِّب، أو زيتٌ نقيٌّ، والمُراد هنا بِسِرِّ الميرون: هو طقس من الطقوس المُعتبرة عند النصارى، يتم من خلاله مسح النصراني بزيتٍ في مواضع معيَّنة، ويعتقدون من خلاله الحصولَ على مواهب الروح القدس وبركاته، والنمو والتدرج في الحياة الروحية النصرانية، كما أنه من عوامل الثبات عندهم[١].

ويتكون زيت الميرون من عدة أصناف من الأطياب والعطور، تُخلط جميعها بزيتِ الزيتون، ثم تُمسح على النصراني في مواضع من جسمه[٢].

ويختلفُ النصارى الأقباط عن باقي طوائف الأرثوذكس في هذا الطقس، ويُمكن إجمال تلك الفروق من خلال النقاط التالية:

أ- في الكنيسة القبطية يُضاف زيتُ الزيتون إلى مجموعةٍ من العطور والأطياب كالعود، والقرفة، والعنبر، والبلسم، والمسك[٣].

بينما في الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية يُضافُ - علاوة على ما سبق - الخمر، دون دليلٍ تستدلّ به على فعلها، وهو الأمر الذي تُنكره الكنيسة القبطية[٤].

ب-يُفارق الأرمن الأرثوذكس الأقباط الأرثوذكس باستخدامهم زيت السمسم بدلاً عن زيت الزيتون، عند صُنعهم زيت الميرون[٥].

ت- تعتمدُ الكنيسة القبطية في مسحها لسرِّ الميرون على (٣٦) مسحة، في (٣٦) موضعاً من مواضع الإنسان، ويكون المسح لبواطن الجسم، ولا يكتفون بمسح

---

(١) انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ٣/ ٢٥٦-٢٥٧، بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ٩٠، أسرار الكنيسة السبعة: ٤٧.

(٢) انظر: أسرار الكنيسة السبعة: ٥٧، اللاهوت العقيدي في أسرار الكنيسة السبعة: ١/ ٢٠٦وما بعدها.

(٣) انظر: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٦٦-٦٨، كنيستي الأرثوذكسية: ٩٦.

(٤) انظر: موسوعة علم اللاهوت: ٤/ ٤٦١.

(٥) انظر: موسوعة علم اللاهوت: ٤/ ٤٦٥.

الظاهر، وهذا أمرٌ ينفردُ به النصارى الأقباط عن باقي الأرثوذكس، يقول الأنبا غريغوريوس: (إن ترتيبَ الكنيسة بدَهْنِ المنافذ وختمها وإغلاقها بمسحة الميرون في ستةٍ وثلاثين موضعاً.. وفي هذا تنفرد كنيستنا القبطية الأرثوذكسية عن جميع الكنائس الأخرى الأرثوذكسية الذين يكتفون بمسح الأعضاء الظاهرة)[1].

٤. سرِّ الأفخارستيا:

الأفخارستيا كلمةٌ يونانيةٌ تعني الشكر، لذا يُسمى هذا السِّرُّ سرَّ الشكر، وسرَّ التناول وغيره.

ويُمثِّل سِرُّ الأفخارستيا أحد الطقوس والأسرار المقدسة عند النصارى، ويتمُّ في هذا الطقس أكلُ الخبز وشربُ الخمر، ويعتقد النصارى الأقباط أنهم بذلك أَكلوا لحم المسيح وشربوا دمه، فالخبزُ هو لحم المسيح[2]، والخمر هو دمه، والخبز والخمر ليسا رمزاً للحم المسيح ودمه، إنما يعتقدون أنهما - الخبز واللحم - يستحيلان حقيقةً، فيصبحان لحم المسيح ودمه على الحقيقة، ويكون ذلك ببركة الروح القدس الذي يحلُّ فيه!

يقول الأرشيدياكون حبيب جرجس: (إننا نؤمن أنه بعد تقديس سرِّ الشكر، واستدعاء حلول الروح القدس على القرابين؛ يستحيلُ الخبزُ والخمرُ استحالةً سريَّةً إلى جسد المسيح ودمه الأقدسين، حتى إن الخبز والخمر اللذين ننظرهما على المائدة ليسا خبزاً وخمراً بسيطين، بل هما جسد الرب ذاته ودمه تحت شكلي الخبز والخمر، ونؤمن أن ربنا يسوعَ المسيحَ حاضرٌ في هذه الخدمة، لا بوجه الرمز أو الإشارة أو الرسم أو الصورة أو المجاز، ولا بأنه مستتر في الخبز، بل هو حاضرٌ حضوراً فعلياً)[3].

ويزعمون أن المسيح قد فعل ذلك مع تلاميذه، أي أنه أهدى إليهم دمه وجسده، من خلال الخبز والخمر[4].

---

(١) اللاهوت العقيدي في أسرار الكنيسة السبعة: ١/ ٢٤٤.

(٢) انظر: مُرْفقات البحثِ؛ المرفق رقم: ٤.

(٣) أسرار الكنيسة السبعة: ٦٥.

(٤) انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ١/ ١٠٩، بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ١٧، أسرار الكنيسة السبعة: ٦٢، كنيستي الأرثوذكسية: ١٠٨.

ويُمكن إجمال الفروق بين النصارى الأقباط وغيرهم من طوائف الأرثوذكس حول هذا السرِّ في أمرين:

أ- يشترطُ النصارى الأقباط في هذا السرِّ أن يكون مصنوعاً من خبزٍ وخمرٍ، ويؤكِّدون على عدم استبدال الخبز بالفطير، والمراد بالخبز ما كان مخلوطاً بالخميرة، أما الفطيرُ فلا يُخلط بالخميرة[1]، ويُخالفهم في ذلك الأرمن الأرثوذكس حيث يستبدلون الخبز بالفطير[2].

ب-وفي كأس الخمر: يمْزِجُ النصارى الأقباطُ الخمرَ بالماء[3]، بينما الأرمن الأرثوذكس لا يخلطونه بشيءٍ[4].

٥. تسبحة الثلاث تقديسات:

تقدم أن النصارى الأقباط يردِّدون في صلواتهم تسبحة الثلاث تقديسات، وفيها يقولون: (قدوس الله، قدوس القوي، قدوس الحي الذي لا يموت، الذي ولد من العذراء، ارحمنا.. قدوس الله، قدوس القوي، قدوس الحي الذي لا يموت، **الذي وُلد وصُلِبَ عنا**، ارحمنا.. قدوس الله، قدوس القوي، قدوس الحي الذي لا يموت، الذي قام من الأموات وصعد إلى السماوات، ارحمنا)[5].

فالنصارى الأقباط ينُصّون على قولهم: (الذي وُلد وصُلِبَ عنا..)، ويرون في هذه العبارة نصّاً على الوحدة في الطبيعة، وتأكيداً على رفضِ الطبيعتين، ويُخالفهم في ذلك اليونان الأرثوذكس، فإنهم في تسبيحهم يكتفون بقولهم: (قدوس الله، قدوس القوي، قدوس الحي الذي لا يموت، ارحمنا) ويحذفون: (الذي وُلد وصُلِبَ عنا..) لاعتقادهم

---

(١) انظر: أسرار الكنيسة السبعة: ٩٣، كنيستي الأرثوذكسية: ١٠٨-١٠٩.

(٢) انظر: موسوعة علم اللاهوت: ٤/ ٤٦٥.

(٣) انظر: كنيستي الأرثوذكسية: ١١٠-١١١.

(٤) انظر: موسوعة علم اللاهوت: ٤/ ٤٦٥.

(٥) للاستزادة، انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣٤٨، وموقع الموجة القبطية على الشبكة العنكبوتية:
http: //copticwaveworld.org/taks/mainagbia.htm

بأن في هذه العبارات إشارةً إلى تألُّمِ اللاهوت[1].

٦. الصوم:

يُخالف النصارى الأقباط غيرهم من بعض الأرثوذكس في شريعة الصوم في أمور، يُمكن إجمالها فيما يلي:

أ- يعتقد النصارى الأقباط بسبعةِ أصوامٍ تقدّم ذكرها، ويزيدُ عليهم اليونان الأرثوذكس بصومِ يومِ عيد قطع رأس يوحنا المَعمدان، الموافق لـ (٢) من شهر توت بالسنة القبطيَة.

ويذكرون أن تلك القصة كانت قُربَ البحر الميت، وكان الاحتفال بهذا العيد أولاً في القسطنطينيّة، ثمّ انتقل إلى رومية، ويعتقدون أن هيرودس الأصغر قد أمر بقطع رأس يوحنا المعمدان وفاءً بوعدٍ قطعه لراقصةٍ رقَصَت أمامه.

والنصارى الأقباط يُشاركون اليونان الأرثوذكس في الاحتفال بهذا اليوم، ويعتبرونه تذكاراً، لكنهم يمنعون صومه[2].

ب- تنفردُ الكنيسة القبطية بصيام الأسبوع الأول قبل الصيام الكبير، ويُعرف عندهم بأسبوع مقدمة الصوم، ويُخالفهم في ذلك الأرمن الأرثوذكس، والسريان الأرثوذكس، حيث إنهم لا يصومون هذا الأسبوع[3]، يقول الأسقف إيسوذورس: (وقد أبطلت كل الكنائس صوم هذا الأسبوع، ماعدا الأقباط الأرثوذكس)[4].

ت- يقتربُ اليونان الأرثوذكس قليلاً من النصارى الأقباط في صيام الأسبوع السابق للصوم الكبير، إلا أنهم يصومون على البياض[5]، يقول الأنبا غريغوريس: (نلاحظ

---

(١) انظر: موسوعة علم اللاهوت: ٤/ ٤٦١.

(٢) انظر: موسوعة علم اللاهوت: ٤/ ٤٦١، وموقع مطرانية حلب للروم الأرثوذكس على الشبكة العنكبوتية:
http: //www.alepporthodox.org/modules/newscenter/index.php?page=newscenter&op=display_news_detail&news_id=126

(٣) انظر: أصوامنا بين الماضي والحاضر: ١٨٩-١٩٠.

(٤) صوم نينوى والصوم المقدّس الكبير: ٩١.

(٥) صوم البيّاض يكون بالامتناع عن اللحوم فقط.

أن إخوتنا من الروم ومن يتبعهم من الكنائس التي تسير على الطقس البيزنطي، كاليونان والبلغار وغيرهم، يصومون هذا الأسبوع الإضافي المُسمى بمقدمة الصوم الكبير على البياض، أي يمتنعون فقط عن اللحوم، ولكنهم يأكلون فيه البيض واللبن ومستخرجاته من الزبد والجبن)[1].

٧. الأعياد:

يُخالف النصارى الأقباطُ غيرهم من بعض الأرثوذكس في الأعياد في أمرين، كما يلي:

أ- من الأعيادِ المُعتبرة عند الكنيسة القبطية عيدُ الميلاد وعيدُ الغطاس، والاحتفال بهما عند النصارى الأقباط يكون في يومين مختلفين كما تقدم، ويخالفهم في ذلك الأرمن الأرثوذكس، فهم يحتفلون بهذين العيدين في يومٍ واحدٍ، وهو الموافق لـ (٢٦) من شهر كانون الثاني[2].

ب- ينفردُ النصارى الأقباط بالاحتفال ببعض الأعياد الخاصة بهم وبإقليمهم، ومن ذلك: عيد دخول المسيح لمصر وأمه، وكذا تدشين بعض الكنائس المصريَّة، ككنيسة الإسكندرية[3].

٨. المجامع الكنسيَّة:

تُمثِّلُ المجامع الكنسية مصدراً مهماً من مصادر الدين والتشريع عند النصارى عموماً، فكثيرٌ من العقائد التي يعتقدونها إنما هي وليدة هذه المجامع، والنصارى الأقباط يوافقون على المجامع النصرانية التي سبقت مجمع خلقيدونية، ولا يعترفون بما جاء في المجامع بعدها، ويُخالفهم في ذلك اليونان الأرثوذكس حيث إنهم يؤمنون بالمجامع التي جاءت بعد مجمع خلقيدونية إلى مجمع القسطنطينية الخامس الذي

---

(١) اللاهوت العقيدي لغريغوريوس: ٥/ ٣٢٦.

(٢) انظر: موسوعة علم اللاهوت: ٤/ ٤٦١.

(٣) انظر: مقارنة الأديان للساموك: ١٨٥.

حصل من بعده الانقسام الكبير بينهم وبين الكاثوليك[1].

هذه جملةٌ من الفروق التي يفترق بها النصارى الأقباط عن إخوانهم من طوائف الأرثوذكس، وهي فروقٌ قليلةٌ نظراً لاتحادهم في أصل المُعتقد والتوجه الأرثوذكسي.

(١) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٢٥٨.

المبحث الثاني: الفروق العقديَّة والطقسيّة بين النصارى الأقباط والكاثوليك

تنسِبُ الكنيسة الكاثوليكيةُ نفسها إلى الرسل، أي أنها كنيسةٌ رسولية تستمدُ تعاليمها وتشريعاتها من رُسلِ المسيح، وقد كانت الكنيسةُ الكاثوليكيةُ في اتحادٍ مع الكنيسة الأرثوذكسية إلى ما قبل مجمع خلقيدونية، حيث انفصلت كنيسةُ الأقباط ومن تبعها، فعُرفوا بالكنائس اللاخلقيدونية، أو كما سُميت لاحقاً بـ(الكنائس الشرقية الأرثوذكسية القديمة)، وبقيت الكنائس الخلقيدونية (الأرثوذكس اليونان والكاثوليك) متفقةً حتى مجمع القسطنطينية الخامس، والذي كان عام (٨٧٩م)، حيث حصل الخلافُ بينها حول انبثاق الروح القدس، ونتج عن ذلك أن انقسمت إلى كنيسةٍ شرقية (الأرثوذكس)، وكنيسة غربية (الكاثوليك)، وتُسمى الكنائس الشرقية بـ(الكنائس الشرقية الأرثوذكسية) تمييزاً لها عن القديمة.

وناتج هذا الانقسام حصول اختلافاتٍ وانشقاقات عديدة بينها في جوانب العقيدة والطقوس وغيرها.

وفي هذا المبحث سأتناول أبرزَ الفروقِ العقديَّة والطقسيَّة بين النصارى الأقباط والكاثوليك عموماً.

١. **طبيعة المسيح عليه السلام:**

يُمثِّلُ الحديث عن طبيعة المسيح عليه السلام أولَ نقطةٍ من نقاط الخلاف بين النصارى الأقباط والكاثوليك، وقد تقدم بإسهابِ مُعتقد النصارى الأقباط في الطبيعة الواحدة وتقريرهم لذلك، وربطهم للطبيعة الواحدة بموضوع الخلاص، وجعلها من لوازمه، يقول القمص ميخائيل مينا: (إن القول بأن للمسيح طبيعتين بعد الاتحاد يُشعر بافتراق الطبيعة اللاهوتية عن الطبيعة الناسوتية، وذلك يجعل موته ذا ثمنٍ غير كافٍ لخلاص الجنس البشري، وهذا هو سبب اهتمام آباء الكنيسة القبطية بهذه العقيدة)[1].

ويُخالفُهم في ذلك طائفةُ الكاثوليك، إذ يعتقدون بأن للمسيح طبيعتين بعد الاتحاد؛

---

(١) موسوعة علم اللاهوت: ٤/ ٤٤٠-٤٤١.

إحداهما لاهوتية والأخرى ناسوتية، وعلى إثر هذا القول حصل الانشقاق بين الكنيستين.

يدل على ذلك؛ ما جاء في سلسلة التعليم المسيحي الكاثوليكي في الحديث عن المسيح: (واحدٌ هو، وهو نفسه تامٌّ في اللاهوت وتامٌّ في الناسوت، إله حقيقيٌّ وإنسانٌ حقيقي، مساوٍ لنا في الجوهر بحسب ناسوته، إننا نعترف بمن هو واحدٌ وهو نفسه المسيح، القائمُ في طبيعتين متحدتين من دون اختلاط ولا تحوّل ولا انقسامٍ ولا انفصال)[1].

٢. انبثاق الروح القدس:

عرفنا فيما سبق أن النصارى الأقباط يعتقدون بانبثاق الروح القدس من الآب فقط[2]، ويخالفهم في ذلك الكاثوليك، إذ يعتقدون أن الروح القدس مُنبثقٌ من الآب والابن معاً.

وقد تقدم أن الانشقاق الأكبر في الكنيسة وانقسامها إلى شرقية وأخرى غربية، كان سببُه الخلافَ في انبثاق الروح القدس.

ويُؤكِّد الكاثوليك أن الإضافة التي أضافوها في قانون الأمانة عند عبارة الانبثاق في قولهم: (المنبثق من الآب [والابن]) إنما يُريدون بها التأكيد (بوضوحٍ أكثر؛ أن الابن هو كائنٌ وحيدٌ مع الآب، وأنه مماثلٌ له)[3].

٣. عقيدة المَطْهر:

المطْهر: هو عبارةٌ عن مكانٍ أوحالةٍ بعد الموت، يتطهر من خلالها الإنسان مما عَلِقَ به من الذنوب الصغيرة التي عملها في حياته، والبعض يعتقد أنها نارٌ حسيَّةٌ، وآخرون

---

(١) المسيحية في عقائدها: ١٨٤.

(٢) انظر: الروح القدس وعمله فينا: ١٥-١٦، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ١٤٣-١٤٤، إيماننا المسيحي صادق وأكيد: ٥٩.

(٣) المسيحية في عقائدها: ٩٤.

يعتقدون أنها نارٌ معنويةٌ[1].

ويؤمن النصارى الكاثوليكُ بعقيدة المطهر، فقد جاء في قوانين مجمع ليون الأوّل، المنعقدِ في عام (١٢٥٤م)، تحت المادة (١٨) ما نصُّه: (الذين يموتون بدون خطيئةٍ مميتةٍ بل مع خطايا عَرَضيَّة وصغائر تُبرَّرُ بعد الموت، وتجدُ مساعدةً في استحقاقات الكنيسة، وإذا كانوا يقولون بأن معلِّميهم لم يُطلقوا اسماً على مكان هذا التطهير، وإذ كنا استناداً إلى تقليد الآباء القديسين وسلطتهم نطلق عليه اسم «مطهر»؛ فنريد أن يُسمى لديهم هكذا من الآن فصاعداً، وهذه النار الوقتية تطهِّرُ الخطايا، لا الخطايا المميتة أو الرئيسية التي لم يكن سرّ التوبة قد غفرها، بل الخطايا الخفيفة والصّغيرة التي لا تزال تثقل النفوس، وإن كانت قد غُفرت في مدّة الحياة)[2].

والمطْهر عندهم بمثابة التهيئة والتجهيز للدخول في الملكوت، أي النعيم الأبدي، يقول المطران كيرلس سليم بسترس[3]: (عندما يتكلم سفر الرؤيا عن مصير الشهداء، يقول عنهم: إنّهم دخلوا الحياة الأبديّة «بعد أن غَسَلُوا حللهم وبيّضوها بدم الحمل»[4] فالمقصود هنا هو تطهير كيانهم قبل الاشتراك في حياة الله.

إنّ الحديث عن المطْهر لا يصحُّ إلَّا في هذا المنظار، أي كتهيئة للدخول في فرح الحب الأبدي)[5].

ويُبرِّرُ الكاثوليك عقيدتهم في المطهر بمشروعية الدعاءِ للميت بعد موته، مما يدلُّ على انتفاعه بالدعاء، جاء في سلسلة التعليم المسيحي الكاثوليكي: (إن الأساس

---

(١) انظر: المسيحية في عقائدها: ٤٨٠.

(٢) انظر: مجمع ليون الأول على الشبكة العنكبوتية:
http: //www.christusrex.org/www1/ofm/1god/documenti/denzinger/830-839.htm

(٣) رئيس أساقفة بعلبك الكاثوليك في لبنان، وأستاذ الفلسفة واللاهوت في معهد القديس بولس، حاصل على درجة الدكتوراه في اللاهوت من الجامعة الكاثوليكية في لوفان ببلجيكا. انظر: موقعه على الشبكة العنكبوتية:
http: //www.bustros.org

(٤) رؤيا يوحنا: ٧/ ١٤.

(٥) اللاهوت المسيحي للإنسان المعاصر: الفصل الثاني، من موقع المؤلف على الشبكة العنكبوتية:
http: //www.bustros.org/text.php?id=54

الخاص لهذا التعليم - المطهر - هو ممارسة الصلاة والتوبة في الكنيسة، فمنذُ أواخر العهد القديم وُصفت الصلاةُ من أجل الأموات على أنها فكرةٌ مقدَّسةٌ.. ممارسة الصلاة هذه لا تفترضُ وجودَ حياةٍ بعد الموت وحسب، بل أيضاً وجودَ إمكانية تطهير للناس بعد الموت)[1].

ويرفضُ النصارى الأقباطُ المطْهرَ رفضاً قاطعاً، ويرون أنه يتعارض مع عقيدة الصلب والفداء وخلاص النصارى، يقول البابا شنودة الثالث: (المطْهرَ ضد عقيدة الخلاص، فالكفارة من عمل المسيح وحده.. إن المطهر هو تناقضٌ صريحٌ مع بُشرى الخلاص المفرحة)[2].

ويَرُدُّ الأنبا غريغوريوس ما يحتج به الكاثوليك، فيقول: (لا نؤمن بنارٍ تتطهر فيها أرواح الموتى، ذلك أن ناراً مهما تكن صورتها لن تقوَى على تطهير النفس من خطاياها، وإلا يكون موتُ المسيح عن حياة العالم عبثاً ولغواً وباطلاً.. وليست الصلوات والقداسات وشتى القرابين والصدقات التي تُقدَّم الآن عن أرواح الموتى تكفيراً ولا تطهيراً، وإنما هي مجموعها ابتهالاتٌ إلى الله، واستغاثات إلى استحقاقاته الخلاصية، ليتفضل فيرحم الميت ويحكم له بالبراءة والمغفرة في يوم الدينونة العام، وكأنها جهودٌ يبذلها الأحياء عن موتاهم طالما أن القاضي لم ينطق بالحكم بعد)[3].

٤. صكوك الغفران:

يعتقدُ النصارى الأقباط بوجوب التوبة والاعتراف بالخطيئة، وأنه لا مغفرة للذنوب من غير توبةٍ، ولا يمكن لأحدٍ من البشر - مهما كان[4] - أن يهبها لأحد أو أن يبيعها، وأن الأعمال الصالحة - في إطار طقوسهم وعباداتهم - هي السبيل للخلاص[5].

ويُخالفُ الكاثوليكُ في ذلك حيث يعتقدون بأن للكنيسة وكهنتها قدرةً على مغفرة

(١) المسيحية في عقائدها: ٤٨٠.

(٢) لماذا نرفض المطهر؟: ٢٣، ٢٦.

(٣) اللاهوت المقارن لغريغوريوس: ٣٥٦-٣٥٧.

(٤) بالطبع لا يُدخلون المسيح في هذا العموم.

(٥) انظر: الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي: ٣٩، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٢٨٧وما بعدها.

الخطايا ومحوها من دون إعلان المُذنب التوبةَ، وذلك من خلال أوراق تُباع على المذنب تُعرف بصكوك الغفران، وكان أول ظهورُ لهذه الصكوك في أواخر القرن الثالث عشر[1].

يقول المطران كيرلس سليم بسترس: (إن الاعتراف الفردي للكاهن مع طلب النصح والإرشاد، كان لأجيالٍ من المسيحيين الوسيلةُ الفضلى للتنقية من الخطيئة، والتقدّم في الحياة المسيحية)[2].

٥. زوائد فضائل القديسين:

يعتقدُ النصارى الأقباط أن لقديسيهم مكانةً عاليةً، وقد تقدَّم رأيهم في شفاعة القديسين، ومعرفتهم بأحوال أهل الأرض من الأحياء، وأن نوالهم ذلك حاصلٌ بطاعتهم والقيام بالواجبات الشرعية، ومعها فعل النوافل من الصالحات، إلا أنهم لا يقولون: إنهم قد قاموا بأكثر من الواجب المفترضِ عليهم، أو إنهم - القديسين - يهبون أعمالهم لغيرهم من الناس، يقول القمص متّى مرجان: (إن فضائل القديسين مهما كانت عظيمة لا يمكن أن تكون زائدةً عما يجب عليهم، ولا يمكن أن يفضل منها حتى توزع على الغير، لأنهم مهما اجتهدوا لا يستطيعون أن يعملوا فوق ما هو واجبٌ عليهم، لأن خدمتهم لله دَيْنٌ عليهم، فلا فضل لهم فيها، وبالأولى لا يمكنهم أن يأتوا أعمالاً يَجبِرون بها نُقصان غيرهم)[3].

بينما يخالف الكاثوليكُ النصارى الأقباط، إذ يعتقدون أن قديسيهم قد نفَّذوا وصايا المسيح، وعملوا كل الفضائل المرغِّب فيها، ليس هذا فحسب، بل قد فعلوا أيضاً من الأعمال الصالحة ما هو أكثر من الواجب والمفترض عليهم، وأن زوائد أعمالهم الصالحة محفوظةٌ عند البابا ويوزعها على الموتى من الخُطاة[4].

(١) انظر: الطوائف المسيحية في مصر والعالم: ٧٤.

(٢) اللاهوت المسيحي للإنسان المعاصر: الفصل الثاني، من موقع المؤلف على الشبكة العنكبوتية:
http: //www.bustros.org/text.php?id=54

(٣) أرثوذكسيتي: ١١٧.

(٤) انظر: موسوعة علم اللاهوت: ٤/ ٤٤٥-٤٤٦.

٦. رئاسةُ بطرس على الكنيسة:

يعتقدُ النصارى الأقباط بالمساواة بين رُسل المسيح الاثني عشر، وأنه لا مفاضلةَ بينهم في الرتبة، لأن المسيح ساوى بينهم في عمل المعجزات وغفران الخطايا، ولأنهم لما تنازعوا - الرسل - على الرئاسة والإمارة عاتبهم المسيح على ذلك[١]، ويستدلون بما ورد في سفر مرقص: (قال لهم: إذا أراد أحدٌ أن يكون أولاً فيكون آخرَ الكل وخادماً للكل)[٢]، وبما ورد في متّى: (في تلك الساعة تقدَّم التلاميذ إلى يسوع قائلين: فمن هو أعظم في ملكوت السماوات، فدعا يسوع إليه ولداً وأقامه في وسطهم، وقال: الحق أقول لكم: إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد، فلن تدخلوا ملكوت السماوات)[٣].

ويُخالفهم الكاثوليك حيث يعتقدون أن المسيح قد أقام بطرس نائباً عنه على الأرض، ورئيساً للرسل والكنيسة كلها، جاء في نشرة مجلس أساقفة كنيسة ألمانيا الكاثوليكية: (إن أوّليّة وظيفة بطرس وعصمتها تُعدّان على العموم ميزة المفهوم الكاثوليكي للكنيسة.. ترى فيه الكنيسةُ الكاثوليكيةُ خدمةً هامةً جداً للوحدة في الكنيسة، لم تُقدِّم أيةُ كنيسةٍ حتى الآن نظير هذا المثال للوحدة المنظورة.. إن مكانة بطرس الرفيعة نلقاها في نصوص وتقاليد هامة من العهد الجديد، نَشَأَتْ في أماكن متنوعة)[٤]، ويستدل المطران كيرلس بسترس بما جاء في متّى: (قال لهم: وأنتم من تقولون أني أنا؟ فأجاب سمعان بطرس وقال: أنت هو المسيح ابن الله الحي، فأجاب يسوع وقال له: طوبى لك يا سمعان بن يونا، إن لحماً ودماً لم يُعلن لك، لكن أبي الذي في السماوات، وأنا أقول لك أيضاً: أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة ابنِ كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأُعطيك مفاتيحَ ملكوت السماوات، فكلَ ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السماوات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السماوات)[٥]، ثم يقول: (..ثانياً: يغيّر اسم سمعان فيسمّيه بطرس أو (كيفا) أي الصخرة، وإعطاءُ اسمٍ جديدٍ

(١) أرثوذكسيتي: ١٠١-١٠٤.
(٢) مرقس: ٩/ ٣٥.
(٣) متى: ١٨/ ١-٣.
(٤) المسيحية في عقائدها: ٣٤١.
(٥) متى: ١/ ١٥-١٩.

يشير إلى رسالة جديدة، فبطرس سيكون الصخرة التي سيَبْني عليها المسيحُ كنيسته.. رابعاً: يُعطي بطرسَ «مفاتيح ملكوت السماوات»، وسلطان «الحلّ والربط».. أمّا سلطان «الحلّ والربط» فلا يقتصر - كما يفسّر البعض - على حلِّ الخطايا وربطها، بل هو سلطان الرعاية الكامل على الكنيسة، فسيّد البيت هو الذي بيده مفاتيح البيت، وهو الذي يحلّ ويربط، أي يدير جميع شؤون البيت)[1].

٧. **رئاسة بابا روما من بعد بطرس وعصمته:**

يرجعُ النصارى الأقباط في كنيستهم لبابا الإسكندرية والكرازة المرقسية، والذي يُمثِّلها حالياً البابا شنودة الثالث، ويعتقدون بأنه (خليفة المسيح ورسله، والمسؤول عن شريعته)[2]، إلا أنهم لا يقولون بعصمته من الخطأ، ولا يعتقدون بعصمةِ أحدٍ من البشر إلا المسيح عليه السلام - على اعتبار ألوهيته -، ويُؤكِّد القس بيشوي حلمي عدمَ عصمةِ أحدٍ من الآباء، فيقول: (ونحن لا نقصد عصمة الآباء، فليس فيهم من كان معصوماً من الخطأ، بل بالعكس طالما تحدثوا هم أنفسهم عن ضعفهم والتمسوا الصفحَ من قُرَّائهم إذا أخطؤوا في تفسير آيةٍ أو شرح قضيةٍ لاهوتيةٍ)[3].

ويُخالف الكاثوليكُ في ذلك، حيث يعتقدون بعصمة بابا روما، والقول برئاسته للكنيسة، ويُعلِّقون عصمته لا بذاته وإنما لارتباطه بالكنيسة، جاء في وثائق المجمع الفاتيكاني الأول: (إنّ أسقف رومة عندما يتكلّم «من على السدّة»، أي بصفته راعياً ومعلّما لجميع المؤمنين المسيحيين، فيحدّد بقوّة سلطته الرسولية العليا، أن تعليمًا في موضوع الإيمان والآداب يجب أن تعتنقه الكنيسة كلّها، يملك من جرّاء العون الإلهي الذي وُعد به في شخص القدّيس بطرس، تلك العصمة التي شاء الفادي الإلهي أن يمدّ بها كنيسته عندما تُحدّد عقيدة في موضوع الإيمان والآداب. لذلك فإنّ تحديدات الحبر

---

(١) اللاهوت المسيحي للإنسان المعاصر: الفصل الأول، من موقع المؤلف على الشبكة العنكبوتية:
http: //www.bustros.org/text.php?id=102

(٢) مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة: ١٩٦.

(٣) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٦٤.

الروماني غير قابلة للتعديل، وذلك بقوّتها الذاتيّة، لا بقوّة إجماع الكنيسة عليها)[1].

وجاء في وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢ - ١٩٦٥م)، حول دستور «عقائدي في الكنيسة»، تحت عنوان: الخدمة الأسقفية، ما يلي: (ويَنْعَمُ الحبرُ الروماني - رأس حلقة الأساقفة - بهذه العصمة بحكمِ وظيفته، عندما يُعلن بتحديدِ مطلقِ التعليمَ المتعلق بالإيمان والأخلاق، بصفته أعلى راعٍ ومعلم لكل المؤمنين والذي يثبِّت إخوته بالإيمان، لهذا يُقال بحقٍّ: إن التحديدات التي يُعلنها هي غيرُ قابلة للتعديل بحد ذاتها، وليسَ استناداً لإجماع الكنيسة، ذلك أنها أُعلِنَتْ بعونٍ من الروح القدس، الذي وُعِدَ به في شخص الطوباوي بطرس، وبالتالي هي ليست بحاجةٍ إلى موافقة الآخرين، ولا تقبل أي استئناف إلى أيِّ حكم آخر، فالحبر الروماني لا يُصدِرُ حكماً بصفته شخصاً فرداً، ولكنه يعْرِضُ تعليم الإيمان الكاثوليكي ويدافع عنه، لأنه بالنسبة إلى الكنيسة الجامعة؛ المعلِّم الأعلى، مِنْ فِيْهِ تستقرُّ وبنوعٍ فريد؛ موهبة عصمة الكنيسة بالذات، والعصمة التي وُعِدَت بها الكنيسة تستقر أيضاً في الجسم الأسقفي عندما يُمارِس بالاتحاد مع خليفة بطرس السلطة التعليمية المطلقة.. وعندما يحدِّدُ الحبرُ الرومانيُّ قضيةً ما، أو يُحدِّدُها الجسم الأسقفي بالاتحاد معه، فإنما يفعلون ذلك وفقاً للوحي بالذات، وحيٌّ يجب على الجميع أن يتقيدوا ويلتزموا به، وحيٌّ سُلِّمَ بطريقةٍ غير منقوصةٍ، مكتوباً أو منقولاً، وذلك بخلافةِ الأساقفة الشرعية، ولاسيما بعناية الحبر الروماني بالذات، وحيٌّ تحفظه الكنيسة)[2].

٨. ولادة مريم عليها السلام من غير دَنَس:

لمريم عليها السلام مكانةٌ عظيمةٌ عند النصارى الأقباط، فالكنيسة القبطية تُكرمها، وتُلقِّبها بالممتلئةِ نعمةً، وبالسماء الثانية، وأم النور، وقد تقدم اعتقاد النصارى الأقباط بشفاعتها لهم، وشفاعتها عندهم قبل شفاعة الملائكة ورؤساء الملائكة، وهي عندهم

(١) اللاهوت المسيحي للإنسان المعاصر: الفصل الرابع، من موقع المطران كيرلس بسترس على الشبكة العنكبوتية:
http: //www.bustros.org/text.php?id=105

(٢) المجمع الفاتيكاني الثاني، على الشبكة العنكبوتية:
http://www.christusrex.org/www1/ofm/1god/concili/vaticano-II/lumen-gentium/lumen-gentium-24-26.htm#25

والدة الإله[1].

إلا أنهم لا يقولون: إنها وُلدت بلا ذنب[2]، وليس عندهم أحدٌ وُلد بلا ذنب غير المسيح عليه السلام، يقول القس بيشوي حلمي: رغم أن الكنيسة الأرثوذكسية تُعطي كل الإكرام والتقدير للعذراء مريم الممتلئة نعمةً، إلا أنها رفضت التعليم الذي نادى بأن العذراء مريم قد حُبل بها بغير دنس، لأن هذا المعتقد لم يوجد له دليل من الكتاب المقدس، كما أنه مُعارِضٌ لعقيدة الفداء التي تقوم على أصل توارث الخطيئة[3].

ويُخالف الكاثوليك في ذلك، حيث يعتقدون أن مريم عليها السلام وُلدت بغير دَنَس ولا خطيئة، يقول بيوس التاسع: (إن الطوباوية العذراء مريم بقيت منذ اللحظة الأولى لحبَلها، بنعمةٍ وامتيازٍ فريدين من قبل الله القدير، نظراً لاستحقاق يسوع المسيح، مخلص الجنس البشري، مصونةً من كل وصمة الخطيئة الأصلية)[4].

٩. تكاليف الكهنة للمذنبين في قانون الاعتراف:

يعتقدُ النصارى الأقباط أن على المذنبين من أهل ملَّتهم أن يأتوا الكاهنَ أو كما يُسمى (أب الاعتراف)، فيعترفوا بخطاياهم أمامه، وجرت طقوسهم وعاداتهم أن أب الاعتراف يُكلِّف المُخطئ بأعمالٍ يقومُ بها كالصلوات والصيام وغيرها، وهذه الأعمال عندهم من باب التأديب والتربية، وليست من باب وفاء العدل الإلهي المُتعلق بمجازاته على ذنبه.

يقول القمص ميخائيل مينا: (تؤمن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية أن ما يفرضه الكاهن من عقابٍ على التائب، لا ليوفي العدل الإلهي حقه فيه، وإنما ليُؤدب التائب، ويُقوِّم اعوجاج سلوكه.. فالقوانين التي تُفرضُ على الخطاة كالصلوات.. هي مجرد وسائط نعمةٍ للتدريب على ترك الخطية، والنمو في النعمة والفضيلة والصلاح، وليست

---

(١) السيدة العذراء: ١٦.

(٢) الذنبُ المراد هنا هو خطيئة آدم التي أخرجته من الجنة.

(٣) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣٩٣ بتصرف.

(٤) المسيحية في عقائدها: ٢٠٥.

هي عقاباً على شروره وخطاياه)[1].

ويُخالفهم في ذلك الكاثوليك، حيث يجعلون قانون الاعتراف وما يترتب عليه من أعمال يقوم بها المُذنب؛ إنما هو من باب العقاب على شروره وخطاياه، يقول البابا بولس السادس: (على المسيحي أن يسعى جاهداً، باحتماله بصبر الآلام والمضايق والشدائد، وأخيراً بقبوله الموت بوعي، في أن يقبل من يد الله عقوبات الخطيئة الزمنية هذه، من خلال القيام بأعمال الرحمة والمحبة والصلاة ومختلف طرق التوبة)[2].

ويرى النصارى الأقباط أن هذا المعتقد يجعل من كفارة المسيحِ كفارةً غير كافية[3][4].

١٠. سرِّ المعموديّة:

تعتقد الكنيسة القبطية في هذا السرِّ بوجوب التغطيس الكامل للمتعمد، ولا يُجيزون الرش، يقول القمص يوحنا سلامة: (وجوب العماد بالتغطيس: إن الكنيسة المقدسة منذ العصر الرسولي تُتِمُ سرَّ المعمودية للمعتمدين بالتغطيس، ولها في ذلك براهين كثيرة)[5]، ولا يُجيزون الرش إلا في حال الضرورة.

ويُخالفهم الكاثوليك بإباحتهم التعميد بالرش، مع قولهم بأولوية التغطيس[6].

١١. وقتُ مسحة سِرِّ الميرون:

يعتقد النصارى الأقباط في سِرِّ الميرون أو كما يُسمى سرَّ التثبيت بوجوبه مباشرةً بعد المعمودية وعدم جواز تأخيره، يقول الأرشيد ياكون حبيب جرجس: (إن الكنيسة الأرثوذكسية تمنحُ سِرَّ الميرون بعد المعمودية حالاً، متَّبِعةً في ذلك تعليم الربِّ يسوع

---

(١) موسوعة علم اللاهوت: ٤/ ٤٥٢-٤٥٣.

(٢) المسيحية في عقائدها: ٤٢٢.

(٣) انظر: موسوعة علم اللاهوت: ٤/ ٤٥٢.

(٤) لا تعارض بين هذه الفقرة وما ذكرتُ عند صكوك الغفران، فالنصارى الأقباط يشترطون التوبة الذاتية من المُذنب، أي إحساسه بالذنب وعزمه على الإقلاع عن الذنب، ولا بد أن يعترف عند الكاهن، ثم ما يُكلِّفه به الكاهن هو من باب التأديب فقط، أما الكاثوليك فإنهم يعتقدون أنه بإمكان المذنب أن تُمحى ذنوبه ولو لم يتب، إذ يكفي أن يشتري صكَّ الغفران من الكاهن، وحينها تُمحى كل ذنوبه، وما يُكلَّفُ به من عمل فهو من باب العقاب على شروره وخطاياه.

(٥) اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٥٠.

(٦) انظر: المعمودية بين المفهوم والممارسة: ١٥٠.

ورسله الأطهار، وما استلمته منذ العصر الرسولي)[1].

ويخالفُ الكاثوليك في ذلك، حيث يؤخِّرون مسحةَ الميرون إلى ما بعد التمييز، جاء في نشرة مجلس أساقفة كنيسة ألمانيا الكاثوليكية: (أما معمودية الأطفال؛ فيُؤجَّلُ التثبيتُ إلى سنٍّ لاحق، وبحسب القوانين الكنسية حتى سنِّ التمييز.. ليكون ذلك في سنٍّ يستطيعون فيه أن يختاروا اختياراً مستقلاً ونهائياً يسوع المسيح والكنيسة.. في هذا السنِّ يستطيعُ الولدُ أن يُدرك الكثيرَ من معاني سرِّ التثبيت ويُتمِّمها، ويُمكنه بالتالي أن يطلُبَ هذا السرَّ بوجهٍ واعٍ، وفي هذا السنِّ يبدأُ بالانفصال عن عالم الطفولة وعن الإيمان الصبياني، ليخطوا الخَطوات الأولى نحو الإيمان الواعي)[2].

ويرُدُّ القمص متّى مرجان على تأخير الكاثوليك لمسحة الميرون، فيقول: (فكيف تُؤخِّرُ مسحة الميرون لبعد سنِّ الرشد؟ وما الذي يضمن لنا إبقاء حياة الطفل حتى هذا السنّ؟ ولا شك أن الروح القدس عندما يسكن في الإنسان يساعده على النمو في الحكمة التي هي من فوق، ففي تأجيل هذه المسحة المقدسة إنما هو تأجيلٌ لمواهب وثمار الروح القدس في الإنسان، وهذا جُرمٌ عظيم في حق أبناء الله والكنيسة)[3].

١٢. إتمام سرِّ الميرون:

تعتقدُ الكنيسة القبطية بأن إتمامَ سرِّ الميرون ليس مقصوراً على الأسقف فقط، بل يحقُّ للقس أن يُتمه، يقول الأرشيد ياكون حبيب جرجس: (إن الكنيسة الأرثوذكسية تعلم أن تكريس سرِّ الميرون هو من حق الأساقفة فقط، أما إتمامه فلا يختص بالأساقفة وحدهم بل بالقسوس أيضاً)[4].

ويُخالف الكاثوليكُ في ذلك، حيث يرون أن إتمام السرِّ إنما يكون على يد الأساقفة فقط، ولا يحق لغيرهم إتمامه، جاء في المادة الخامسة من مجمع ليون الأول: (إلا أنّ

(١) أسرار الكنيسة السبعة: ٥٥.

(٢) المسيحية في عقائدها: ٣٨٧.

(٣) أرثوذكسيتي: ١٥٣-١٥٤.

(٤) أسرار الكنيسة السبعة: ٦١.

للأساقفة وحدهم أن يدهنوا جبهة المعمّدين بالميرون، إذ إنّه لا يجوز لغير الأساقفة القيام بهذه المسحة؛ فنحن نقرأ أنّ الرّسل وحدهم الذين يقوم الأساقفة مقامهم، منحوا الروح القدس بوضع الأيدي الذي يمثّله التثبيت أو بدهن الجبهة بالزيت)[1].

١٣. سِرُّ الأفخارستيا:

تقدَّم الحديث عن مُعتقد النصارى الأقباط في الأفخارستيا، وأنهم يشترطون فيه أن يكون من خبزٍ وخمرٍ، ولا يُجيزون استبدال الخبز بالفطير، كما أن تناول كأسِ الخمر يكون لعامة الشعب.

ويُخالف الكاثوليك في ذلك، حيث يرون جواز استبدال الخبز بالفطير، وبالتوسع في أمر الخبز والفطير، جاء في سلسلة التعليم المسيحي الكاثوليكي: أما المناولةُ من شكلي الخبز والخمر فقد كانت أمراً معهوداً حتى القرن الثاني عشر، ولم تبطل إلا في القرنين الثالث عشر والرابع عشر.. بيد أن المجمع الفاتيكاني الثاني قد أفسح في المجال مبدئياً للمناولة من الشكلين - الخبز والخمر -[2].

كما أنهم حصروا تناول كأس الخمر بالكهنة، خوفاً من انسكاب دم المسيح (الخمر) على الأرض، كما يزعمون[3].

١٤. سرُّ مسحة المرضى:

يُعرِّفُ النصارى الأقباطُ سرَّ مسحة المرضى بأنه: (سِرٌّ مقدسٌ به ينال المريضُ المؤمنُ شفاءَ أمراضه الروحية والجسدية، إذ يمسحه الكاهنُ بزيتٍ مُقدَّسٍ، ويستمدُ له النعمة الإلهية)[4].

ويزعمُ النصارى الأقباط أن هذا السرَّ قد وضعه المسيح نفسه لتلاميذه، وأن نتائج هذا السرَّ تتمثل في الشفاء الروحي والجسدي، يقول القس بيشوي حلمي عن نتائج هذا

(١) انظر: مجمع ليون الأول على الشبكة العنكبوتية:

http: //www.christusrex.org/www1/ofm/1god/documenti/denzinger/830-839.htm

(٢) المسيحية في عقائدها: ٤٠٣ بتصرف.

(٣) انظر: علم اللاهوت النظامي: ٩٤.

(٤) أسرار الكنيسة السبعة: ١٢٨.

السر: إنه شفاءٌ للأمراض الروحية، وإن كان قد فعل خطيةً تُغفرُ له، لأن المتقدم للسر يجب أن يعترف أولاً بخطاياه، كما أنه شفاءٌ للأمراض الجسديّة، أما الذين يمسحون ولا يُشفون؛ فهذا راجعٌ لعدم إيمانهم، أو أن تكون إرادة الربِّ أن يستمرَّ الإنسان في مرضه لفائدته الروحية[1].

ونقطةُ الخلاف بينهم وبين الكاثوليك فيما يتعلق بهذا السرّ، تدور حول نوع المرض الذي يُمنح المريض به هذه المسحة، فالنصارى الأقباط يرون أن هذه المسحة ينبغي أن تكون مع كل مرضٍ يُصيب الإنسان، يقول القمص ميخائيل مينا: (أوجب الكتاب المقدس استدعاء الكاهن ليمسح المريض كلما أُصيب بمرضٍ ما، وهو ما فعله الرسل بأمر السيد المسيح بالطبع)[2].

ويُخالفهم الكاثوليكُ في ذلك، حيث يرون أن هذه المسحة إنما تكون عند دنو أجل المريض، أي في مرض وفاته، وليس في كل مرض، وقد جاء تأكيد ذلك في نشرة مجلس أساقفة كنيسة ألمانيا الكاثوليكية، حيث سمَّوه «سر المسحة الأخيرة»، ويُعرِّفونها بأنها: التي لا تُعطى إلا في حال خطر الموت المباشر، ويعللون ذلك بأن الموت والمرض مرتبطان ارتباطاً وثيقاً[3].

١٥. خلاص غير النصراني:

يُنكرُ النصارى الأقباط بشدةٍ قولَ من يقول بإمكانِ نجاةِ وخلاصِ غير النصراني، يقول الأنبا بيشوي: (من المعلوم يقيناً أنه بدون الإيمان لا يمكن أن يَفلت الإنسان من غضب الله.. وأن المعمودية هي شرطٌ لدخول ومعاينة ملكوت الله.. بدون المعمودية كيف تصير للإنسان أعْيُنٌ روحية في جسد القيامة، الذي يستطيع به أن يرث الملكوت وأن يعاين أمجاده)[4].

---

(١) كنيستي الأرثوذكسية: ١١٦ بتصرف.

(٢) موسوعة علم اللاهوت: ٤/ ٤٥٦.

(٣) انظر: المسيحية في عقائدها: ٤٢٧.

(٤) موقع الأنبا بيشوي على الشبكة العنبوتية:

http: //www.metroplit-bishoy.org

ويذهبُ الكاثوليك إلى جواز خلاص غير النصارى.

جاء في قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني في «الدستور العقائدي» ما نصُّه: (أما الذين لم يقبلوا الإنجيل بَعدُ، فإنهم مُتَّجهون نحو شعب الله بطرق شتى.. ولكن تصميم الخلاص إنما يشمل الذين يعترفون بالخالق، ومن بينهم أولاً: المسلمون الذين يُقرُّون أن لهم إيمان إبراهيم، ويعبدون معنا الإله الواحد الرحيم، الذي سيدينُ البشرَ في اليوم الأخير. وحتى الذين يفتشون بعد وتحت الأشكال وفي الصور عن إله يجهلونه، ليس الله ببعيدٍ عنهم، لأنه هو الذي يمنح الجميع حياة ونفساً وكل شيء، ولأنه كمخلِّص يريد أن يقود كل الناس إلى الخلاص.

وأيضاً أولئك الذين دون خطأ منهم يجهلون إنجيل المسيح وكنيسته، إنما يفتشون عن الله بنيَّة صادقة، ويجتهدون في أن يُكملوا بأعمالهم إرادته التي تُعرَف لديهم من خلال أوامر ضميرهم، هم أيضاً يبلغون إلى الخلاص الأبدي)[1].

١٦. زواج غير النصراني:

يتشدَّدُ النصارى الأقباط في موضوع الزواج أكثر من غيرهم من باقي النصارى، حيث يشترطون في الزوجين أن يكونا أرثوذكسيين، ولا يقبلون بالزوج النصراني من غير مذهبهم.

يقول الأرشيد ياكون حبيب جرجس في استعراضه لشروط الزوجين: (ثانياً: أن يكونا أرثوذكسيين، لأنه لا وجه لنوال غير الأرثوذكسيين إكليلاً أرثوذكسياً من يد كاهن أرثوذكسي قبل أن يعترف بالإيمان الأرثوذكسي، ومتى كان أحد العروسين غير أرثوذكسي؛ فإنه يُشترط أن ينضم إلى الكنيسة الأرثوذكسية أولاً)[2]، ويقول الأنبا غريغوريوس: (نفيدُ بأن كنيستنا الأرثوذكسية تشترط عند الزواج أن يكون العروسان أرثوذكسيين يتمتعان بعضويةِ وبنوةِ الكنيسة الأرثوذكسية، فإذا كان أحدهما غير

(١) المجمع الفاتيكاني الثاني، على الشبكة العنكبوتية:
http: //www.christusrex.org/www1/ofm/1god/concili/vaticano-II/lumen-gentium/lumen-gentium-14-17.htm

(٢) أسرار الكنيسة السبعة: ١٤٣.

أرثوذكسي، وجب أن يَنْضَمَّ إلى الكنيسة الأرثوذكسية)[1].

ويُخالفُ الكاثوليكُ في ذلك حيث يرون جواز الزواج من غير الكاثوليكي، وهم أكثرُ تساهلاً مع البروتستانت بخلاف الأرثوذكس الأشدِ عداوةً للبروتستانت، ويشترط الكاثوليك لمن أراد أن يتزوج أرثوذكسيةً أن يُراجعَ الكاهن[2].

وينظرُ الكاثوليكُ إلى اختلاف المذهبين في الزواج نظرةً تختلف عن نظرة الأرثوذكس.

جاء في نشرة مجلس أساقفة كنيسة ألمانيا الكاثوليكية: (يمكنُ أن يكون لاختلاف مذهب الزوجين تأثيرٌ مثمرٌ على إيمان الزوجين، وبالتالي على زواجهما إذا حمل كلٌ من الشريكين إلى الزواج والأسرة تراثه الكنسي الخاص، وتعلَّم كلاهما من الآخر، وتمكنا هكذا من تعميق حياتهما المشتركة وإثرائها)[3].

١٧. زواجُ الإكليروس:

سبقَ بيانُ أن المراد بالإكليروس هم رجال الدين في الكنيسة، كما تقدم أن الكنيسة القبطية تُحرِّم الزواج على رجال الإكليروس بعد رسمهم - أي تعيينهم -، وتستثني من ذلك: الإيبودياكون، والأغنسطس، والإبصالتس، وتُجيز الزواج قبل الرسامة، ولكن من كان متزوجاً فليس له درجة الأسقفية، وإنما يقف عند القسيسية، لأن الأسقف يجب أن يكون بتولياً[4].

بينما تُخالف الكنيسة الكاثوليكية في ذلك، حيث منعت جميع رجال الإكليروس من الزواج دون تفريق بينهم، وقد أعلن المجمع الفاتيكاني الثاني أهميّة ممارسة العفّة الكاملة والدائمة من أجل ملكوت السماوات، ولا سيّمَا في الحياة الكهنوتية. ذلك بأنّها علامة المحبة الرعائية وحافزها معاً.

---

(١) في أسرار الكنيسة السبعة: ٢/ ١٤٨.

(٢) المسيحية في عقائدها: ٤٤٨.

(٣) المسيحية في عقائدها: ٤٤٨.

(٤) انظر: أرثوذكسيتي: ١٥٧، كنيستي الأرثوذكسية: ١٢٨-١٣٦.

جاء في نشرة مجلس أساقفة كنيسة ألمانيا الكاثوليكية: (في الكنيسة اللاتينية ترتبطُ سيامةُ الأسقف والكاهن باعتناق العزوبة، أي بالتزام الحياة من دون زواج، وفي العفة الكاملة.. فالعزوبة بحسب كلام المجمع تُناسب الكهنوت من وجوهٍ عديدةٍ، فالعزوبة التي يختارها الكاهن من أجل ملكوت السماوات هي علامةٌ مميزةٌ للاقتداء بالمسيح، الذي عاش هو نفسه في العزوبة، والتكرُّس لخدمة يسوع المسيح وقضيته بدون ما انقسام، وهي أيضاً علامةُ بذل الذات الكامل من أجل الله والبشر، وعلامة الحياة الجديدة والعالم الآتي)[1].

١٨. تحريمُ الطلاق:

يُحرِّمُ النصارى الأقباطُ الطلاقَ مطلقاً، ولا يجيزونه إلا في حال الزنا، أي إذا وقعتِ الزوجةُ في الزنا جاز طلاقها، يقول الأنبا غريغوريوس: (الزواج في المسيحية - يريد الأرثوذكس - رباطٌ إلهيٌّ مُقدَّسٌ وسرٌّ سماوي، يربطه الله، ويعقده الروح القدس الذي يحلُّ على العروسين في قدَّاس الإكليل.. أي أن الله ليس غائباً عن هذا الزواج مادامت شروطه متوافرة، وإنما الله فيه هو الذي يربط ويجمع ويعقد.. من هنا لا يجوز للرجل أن يُطلِّق زوجته بإرادته المنفردة، وكذلك لا يجوز للمرأة أن تُطلِّق زوجها بإرادتها المنفردة، بل لا يجوز لهما هما الاثنان أن يُطلق أحدهما الآخر بإرادتهما المتفقة.. فإذا طلَّق الرجلُ زوجته بإرادته المنفردة، وتزوج بامرأةٍ أُخرى كان زواجه بالمرأة الأخرى زنا.. أما إذا تم الطلاق بحكم شرعي أمام الكنيسة.. وبموجب ما نصّت عليه الشريعة المسيحية وهو الزنا.. ففي هذه الحالة يمكن أن تُصرِّح الكنيسة بزواج المُطلِّق)[2].

ويُخالف الكاثوليكُ في ذلك حيث يرون أن عقد الزواج عقدٌ ثابتٌ لا يمكنُ بحالٍ أن يُفسخ، لأنه يمثِّلُ العهدَ بين الرجل والمرأة على أنه صورةٌ للعهد بين المسيح والكنيسة، الذي لا يمكن أن ينفصل[3].

(١) المسيحية في عقائدها: ٤٣٦.

(٢) في أسرار الكنيسة السبعة: ٢/ ١٥٦-١٥٧.

(٣) انظر: المسيحية في عقائدها: ٤٣٩.

وحول الاستثناء في حالة الزنا يقول المطران كيرلس بسترس: (السيد المسيح في إنجيل مرقس يشجب الطلاق دون أيّ استثناء)[1].

١٩. الصور والتماثيل في الكنيسة:

تعتقد الكنيسة القبطية بأن الصورَ (تُمثِّلُ جزءاً جوهرياً في المبنى الكنسي، فهي تُغطي حامل الأيقونات، وتملأُ جوانب الهيكل المقدس، وصحن الكنيسة، وحجرة المعمودية)[٢]، أما التماثيل فإنها تُحذِّرُ منها[٣]، وتعتبرها تشبهاً بالوثنية[٤].

وتُخالفُ الكنيسة الكاثوليكيةُ في ذلك، فيرون مشروعية هذه التماثيل، وأنها عبارة عن رموزٍ ترفَعُ من قيمة القديسين وتزيدهم شرفاً.

يقول صموئيل بندكت: (هناك كثيرٌ من التماثيل والصور التي تُمثِّلُ يسوع ومريم والقديسين في الكنيسة الكاثوليكية، والشعب يُقبِّل هذه التماثيل والصور، ويركع لها ويصلي أمامها.

وقد ابتدأت الكنيسة الكاثوليكية بممارسة هذه الأمور عام ٧٨٨م)[5].

٢٠. عبادة القديسين:

تُعطي الكنيسةُ القبطيةُ القديسينَ نوعاً من التكريم، فتطلب منهم الشفاعة، وتزعمُ أنهم يعلمون أحوالهم وهم أموات، إلا أنها تمنعُ عبادةَ أحدٍ منهم مهما بلغتْ رُتبتُه،

---

(١) الأسرار السبعة المقدسة لكيرلس بسترس، على الشبكة العنكبوتية:
http: //www.coptcatholic.net/section.php?hash=aWQ9MzM3NQ%3D%3D

(٢) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣٧٤.

(٣) ومن العجائب التناقض في كلامهم، فمع تأكيدهم على منع التماثيل، وتأكيد البابا شنودة على وثنيتها، فقد نُقل عنه قول: (اللي يشتغل بصناعة التماثيل والأصنام والحاجات اللي زي دي لا تُقبل عطاياه.. وكذلك المرأة اللي عايشة في الزنا). انظر: صحيفة روز اليوسف، بتاريخ: ٢١/ ٠٤/ ٢٠٠٩ مع هذا كله؛ يجدُ كلُّ زائرٍ للكاتدرائية المرقسية الكبرى بالعباسية بالقاهرة تمثالاً كبيراً للبابا شنودة، ولم أجد جواباً شافياً من أحد منهم حول هذا التناقض. انظر: مُرفقات البحثِ؛ المُرفق رقم: ٣.

(٤) انظر: أرثوذكسيتي: ١٦٠.

(٥) العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس، على موقع: الحياة كلمة على الشبكة العنكبوتية:
www.kalimatalhayat.com/doctrine/CatholicDoctrinesintheBible/catholic_doctrines.htm

يقول القمص ميخائيل مينا: (إكرام القديسين وذخائرهم أمرٌ واجب، كما دعا إليه القديس بولس، بالنظر إلى سيرتهم والتمثّلِ بإيمانهم)[1].

ويذهبُ بعضُ الكاثوليك إلى جواز عبادة القديسين، جاء في قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني: (عبادة القديسين الأصيلة لا تكون بالإكثار من الأعمال الخارجية، بقدر ما يكون بحرارة الحبِّ الشخصي النشيط..)[2] وفي قولهم إقرارٌ بجواز عبادة القديسين، وإن لم يكن السياق جاء لتقريره.

٢١. أكل اللحوم والبيض في الصوم الكبير:

تقدَّم معنا المكانة الكبرى التي يوليها النصارى الأقباط للصوم الكبير، وأن ذلك راجعٌ - كما يذكرون - لصيام المسيح له[3]، ولانتهائه بعيد القيامة، وهو من أعيادهم السيدية الكبرى، والصوم الكبير عند النصارى الأقباط من أنواع صيام الدرجة الأولى، التي يَحرُمُ فيها أكلُ اللحم وما نتج عن الحيوانات من مشتقاتٍ كالحليب ونحوه، أيضاً يمنعون من صيام السبت والأحد فيه.

ويُخالفُ الكاثوليكُ في ذلك حيث يرون جوازَ أكل اللحم والبيض في الصوم الكبير وشرب الماء ونحوه، كما أنهم يستثنون أياماً من الصيام لمن احتاج ذلك.

أيضاً يوجبون صيام السبت، ولا يستثنون إلا أيام الأحد، يقول الأسقف جبرائيل شمامي: (لا نصوم أيام الآحاد والأعياد، والصوم لا ينقطع بتناول القربان والماء والدواء وبالنسيان عن الأكل)[4].

هذه أبرز الفروق العقديَّةِ والطقسيَّةِ بين طائفة النصارى الأقباط وبين الكاثوليك عموماً.

---

(١) موسوعة علم اللاهوت: ٤/ ٤٥٨.

(٢) انظر: حياة القديس يهوذا تداوس على الشبكة العنكبوتية:

www.coptcatholic.net/section.php?hash=awq9mjcznw%3d%3 d

(٣) اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٢/ ٣٢٧.

(٤) موقع كلدايا على الشبكة العنكبوتية:

http: //www.kaldaya.net/index.asp

المبحث الثالث: الفروقُ العقديَّةُ والطقسيّةُ بين النصارى الأقباط والبروتستانت

تقدَّم معنا نبذةٌ عن البروتستانت، وأن هذه التسميةُ تُطلقُ على مجموعة الكنائس المنتمية إلى الإصلاح، والتي ظهرت في القرن السادس عشر الميلادي بألمانيا، على يد الراهب مارتن لوثر، حيث نادى بإصلاح الكنيسة، وتخليصها من الفساد الذي لحق بها[1].

ويُعتبرُ البروتستانت من أشدِّ فرق النصارى تمرداً على الطقوس والتقديسات التي توارثتها الكنيسة، بل على الأصول والمسلمات التي سارت عليها الكنيسةُ ردحاً من الزمن، لذا يجدُ كلُّ مُطلعٍ على الديانات النصرانية مدى الجفاء بين الفرق النصرانية وبين البروتستانت.

ولما كان النصارى الأقباط من أشدِّ الفرق تمسكاً بتراث الكنيسة وأقوال بطاركتها؛ كان خلافهم مع البروتستانت أحدُّ وأشد.

وفي هذا المبحث سأُبيِّن - بمشيئة الله - شيئاً من الفروق العقدية والطقسيَّة بين النصارى الأقباط والبروتستانت.

١. طبيعة المسيح عيسى عليه السلام:

تقدَّم أن النصارى الأقباط يقولون بالطبيعة الواحدة المتحدة للمسيح من غير امتزاج ولا اختلاط.

ويُخالفهم البروتستانتُ في ذلك حيث يرون أن أُقنومَ المسيح عبارةٌ عن طبيعتين مختلفتين، لاهوتيةٌ وأُخرى ناسوتية، وقد جاء في قانون مجمع خلَقيدونية الذي يُؤمن به البروتستانت: (نُعلِّمُ البشرَ أن يعترفوا بالابن الوحيد، ربنا يسوع المسيح، الكامل في اللاهوت والكامل أيضاً في الناسوت، إلهٌ حق وإنسانٌ حق، ذو نفس ناطقةٍ وجسد، جوهرٌ واحد مع الآب بحسب لاهوته، وجوهرٌ واحد معنا بحسب ناسوته، في كلِّ شيءٍ مثلنا ما عدا الخطية.

---

(١) انظر: معجم الإيمان المسيحي: ١٠٤، تحريف رسالة المسيح: ٣١٢-٣١٣.

مولود من الآب قبل كل الدهور بحسب لاهوته، وفي هذه الأيام الأخيرة من أجلنا ومن أجل خلاصنا وُلد من مريم العذراء والدة الإله بحسب ناسوته.

هو مسيحٌ واحدٌ، وابن واحد، وربٌّ واحد، والمولود الوحيد، كائن بطبيعتين غير ممتزجتين ولا متغيرتين ولا منقسمتين ولا منفصلتين، والفرق بين الطبيعتين لم يتلاشَ باتحادهما، بل خواص كل منهما الخاصة باقية ومجتمعة في شخص واحد وكائن واحد غير منفصل ولا منقسم إلى شخصين، بل الابن الوحيد والمولود الوحيد، اللَّه الكلمة الرب يسوع المسيح، كما أنبأت عنه الأنبياء منذ البدء، وكما علَّمنا الرب يسوع نفسه، وكما سلَّمنا قانون إيمان الآباء القديسين)[1].

ويقول القس جمس أنس: (ينسبُ الكتابُ المقدس للمسيح كلَّ صفاتِ الناسوت وكل صفات اللاهوت معاً في شخصٍ واحدٍ، فقيل في ناسوته: إنه ذو جسدٍ، مولودٌ من امرأةٍ، كان ينمو في القامة.. وقيل: في شأن لاهوته: إنه إلهٌ على الكلِّ، عالمٌ بكلِّ شيءٍ، قادرٌ على كل شيءٍ، أزلي.

ولذلك يعلمنا الكتاب أن الجوهرين المجموعين في شخصه أي الناسوت واللاهوت طبيعتان متميزتان)[2].

٢. انبثاق الروح القدس:

تقدَّم أن النصارى الأقباط يقولون بانبثاق الروح القدس من الآب، ويُنكرون القولَ بانبثاقه من الابن مع الآب.

أما البروتستانت فيؤمنون بانبثاق الروح القدس من الآب والابن، يقول القس جيمس أنس: (وأما اعتقاد الكنيسة - أي البروتستانتية - في موضوع الانبثاق فهو:

(١) أنه إعلانٌ إلهي فوق إدراكنا، نقبله لأنه من عند اللَّه، ويتعذّر علينا تفسيره.

(٢) الانبثاق أزلي.

---

(١) علم اللاهوت النظامي: ١٠٣-١٠٤.

(٢) علم اللاهوت النظامي: ٤٤٦.

(٣) هو من الآب والابن، غير أن الكنيسة الشرقية تعتقد أنه من الآب وحده.

(٤) أنه يُنسب إلى أقنومية الروح لا إلى الجوهر الواحد مع الآب والابن. وعبَّر المسيحيون عن العلاقة بين الروح القدس والأقنومين الآخرين بكلمة «انبثاق» لأن الكتاب المقدس استعمل نفس هذه الكلمة)[١]، ويُبرِّرُ هذا المعتقدَ بقوله: الانبثاقُ (من الآب والابن معاً يوافق مفاد كلام الكتاب في العلاقة التي بين الأقانيم الثلاثة، ونتيجةٌ عقليةٌ مناسبةٌ من عدم وجود تمييزٍ بين علاقة الروح بكلٍّ من الآب والابن، ويوافق أيضاً حفظَ شأنِ الابن في الثالوث الأقدس، لأنه مساوٍ للآب في الجوهر والمجد)[٢].

٣. الأسرار السبعة:

تؤمنُ الكنيسةُ القبطيةُ بسبعةِ أسرارٍ كنسيةٍ، وتُلبِسُها ثوبَ التقديس، وهي: سرُّ المعمودية، وسرُّ الميرون، وسرُّ التوبة والاعتراف، وسرُّ العشاء الرباني أو الأفخارستيا، وسرُّ مسحة المرضى، وسرُّ الزيجة المقدسة، وسرُّ الكهنوت[٣].

ويُخالف البروتستانت في ذلك، فلا يرون هذه الأسرار السبعة، ويقتصرون على سرَّين منهما هما: سرُّ المعمودية، وسِرُّ العشاء الرباني، يقول القس جيمس أنس: (أسرارُ الكنيسة اثنان فقط، وهما: المعمودية والعشاء الرباني)[٤].

وتسميتهم لها بالأسرار ليست محلَّ اتفاقٍ بينهم، إذ لا يرون لها تقديساً خاصاً، كما هو الحال عند النصارى الأقباط.

٤. التقليد الرسولي:

يُعرِّف القمص ميخائيل مينا التقليد الرسوليَّ بقوله: (هو التعليم أو الترتيب الذي حُفظَ في الكنيسة، منذ عهد الرسل، ولم يرد في الأسفار المقدَّسة المُوحى بها، بل تناقله المؤمنون خلفاً عن سلفٍ، قرناً بعد آخر وإلى الآن بكل احترام، وظلوا حريصين عليه

(١) علم اللاهوت النظامي: ١٨٥.

(٢) علم اللاهوت النظامي: ١٨٥.

(٣) انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣١٥-٣٤٢.

(٤) علم اللاهوت النظامي: ٦٠٣.

مثل حرصهم على كلام الله نفسه المكتوب في كتابه المقدس، لوثوقهم بصدقه وصحة مصدره)[1].

ويُمثِّلُ التقليدُ الرسوليُ عند النصارى الأقباط مكانة عظيمة، وهو عندهم المصدر الثاني من مصادر التشريع[2].

ويُخالف البروتستانتُ في ذلك، حيث إنهم يُنكرون التعاليم الرسولية، ولا يؤمنون بشيءٍ غيرَ كتابهم المُقدَّس، يقول ناشد حنا: (نؤمن بالوحي الكامل المعصوم للكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد لفظاً ومعنى، إذ كتبه رجال الله القديسون مَسُوقين من الروح القدس، ونؤمن أن فيه كلَّ الكفاية للتعليم والتوبيخ والتقويم والتأديب الذي في البرّ، وأن السماء والأرض تزولان، وكلمةٌ واحدةٌ أو حرفٌ واحدٌ منه لا يزول)[3].

ويُفسِّرُ القس جيمس أنس المرادَ بالكمال في الكتاب المقدس، فيقول: (المقصود أن جميعه كلام الله، ويتضمن كل ما أعلنه الله للبشر وعيَّنه دستوراً لكنيسته للإيمان والعمل، وأنه كافٍ لإرشادنا في كلِّ أمور الدين.. اعتقادنا هو أن الكتاب المقدَّس كما هو عندنا الآن يتضمن كل ما أوحى به الله، ليكون دستوراً دائماً للكنيسة، فلا يجوز الاعتماد في ذلك على غيره، وهذا الاعتقاد يُخرِجِ التقاليدَ بجملتها، والأسفارَ غير القانونية، وقوانينِ المجامع، وكل ما رسمته الكنيسةُ وحكمت به، سواءً كان تعليماً أو نظاماً أو عادةً دينيةً، لأن الكتاب كاملٌ وكافٍ)[4].

ولما كان التقليد الرسولي يُمثِّلُ أساساً تقوم عليه الكنيسة القبطية؛ نجدُ البابا شنودة الثالث يُبالغُ في ردِّه على عقيدة البروتستانت حول هذه الجزئية، بل ويُلْمحُ إلى نوعٍ تفضيلٍ لتقاليد الرسل على الكتاب المقدس، يقول: (والتقليدُ هو أقدم من الكتاب، يرجع إلى أيام أبينا آدم)[5].

(١) موسوعة علم اللاهوت: ٤/ ٣٨٩-٣٩٠.
(٢) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٥٣، الإجراءات العملية: ١٥.
(٣) ٥٥ حقيقة من حقائق الإيمان المسيحي: ٢.
(٤) علم اللاهوت النظامي: ٧٧.
(٥) اللاهوت المقارن لشنودة: ١/ ٥٠.

٥. الموقف من الكهنوت:

تقدَّم معنا المكانة الكبرى التي يمنحها النصارى الأقباط للكهنوت ورجاله، ورأينا من مبالغتهم فيه وفي تقديسه ماجعلهم يخُصُّونَ رجال الإكليروس بأمورٍ لا تُعطى لعامة الشعب.

ويُخالفهم البروتستانتُ في ذلك؛ حيث يرون أن النصارى كلهم كهنة، وأن رئيسهم هو المسيح عليه السلام، فلا تفاضل بينهم في ذلك، وأما من يُسمى ببعض أسماء الكهنوت؛ فإنما يُريدون به القيام بالخدمة دون أن يكون لذلك قداسة خاصة.

يقول ناشد حنا: (أما في العهد الجديد فلا يوجد إلا وسيطٌ واحدٌ بين الله والناس، وهو الرب يسوع المسيح كابن الإنسان، الذي فتح لنا طريق الدخول إلى الله بموته على الصليب.. كما أن المسيحَ هو رئيسُ الكهنة الوحيد، الجالس عن يمين الله، لأن المسيحَ قد أحبَّهم، وقد غسلهم من خطاياهم بدمه، وجعلهم ملوكاً، وكهنة لله أبيه، ولجميعهم حقُّ الاقتراب بثقةٍ وقدومٍ في الروح القدس لتقديم ذبائحَ روحيةٍ مقبولةٍ عند الله بيسوع المسيح، بصفتهم كهنوتاً مقدساً.. ولا يجوز الخلط بين الكهنوت والخدمة المسيحية، فالكهنوت هو لجميع المؤمنين على قدم المساواة لتقديم السجود لله، أما الخدمة فهي لأصحاب المواهب بحسب ما أخذوا من الله، الواعظ ففي الوعظ..)[1].

٦. زواج الإكليروس (الخدام):

تقدم أن الكنيسة القبطية تُحرِّم الزواج على رجال الإكليروس بعد رسمهم - أي تعيينهم -، وتستثني من ذلك: الإيبودياكون، والأغنسطس، والإبصالتس، وتُجيز الزواج قبل الرسامة، ولكن من كان متزوجاً فليس له درجة الأسقفية، وإنما يقف عند القسيسية، لأن الأسقف يجب أن يكون بتولياً[2].

ويُخالفهم البروتستانتُ في ذلك، حيث يرون جواز زواج الخُدام بجميع فئاتهم،

(١) ٥٥ حقيقة من حقائق الإيمان المسيحي: ٥٨-٥٩.

(٢) انظر: أرثوذكسيتي: ١٥٧، كنيستي الأرثوذكسية: ١٢٨-١٣٦.

يقول القس جيمس أنس: (كثيرٌ من تقاليد الكنائس التقليدية[1] يخالف تعاليم الكتاب المقدس، ومن ذلك جواز تقديم العبادة الدينية للصور والتماثيل، وعدم زواج رجال الدين، واستحقاق الأعمال الصالحة، وغير ذلك، وهذه تخالف تعاليم الكتاب، وبما أنهم حاولوا إثباتها من التقاليد؛ ينتج أن التقاليد تخالف الكتاب المقدس)[2].

٧. الخلاص:

يعتقدُ النصارى الأقباط أن الإنسان نال خلاصه بموت المسيح على الصليب - كما يزعمون -، ولكنهم مع ذلك يولون أهميةً خاصةً لجانب الأعمال، وقد تقدم عرضٌ لأقوالهم في ذلك.

ويُخالفهم البروتستانتُ، حيث يرون أن الخلاص لا يلزم معه عملٌ صالحٌ، فالخلاص حاصلٌ بُمجرّد الإيمان القلبي.

يقول ناشد حنا: (والخاطئُ بمجرَّد إيمانه بالمسيح إيماناً قلبياً ينال في الحال الخلاص الكامل لنفسه من سلطة الخطية الآن، ومن عقوبتها الأبدية، ويمتلئ قلبه بالفرح والسلام، إذ قد صار فعلاً مُخلصاً بالنعمة، والمسيح هو المُخلِّصُ الوحيد الذي ليس بأحدٍ غيره الخلاص)[3].

ويُعرِّف القس جيمس أنس الإيمانَ بقوله: (تصديقٌ مبنيٌّ على الشهادة، سواءً كانت شهادة البشر أم شهادة الله، وسواءً كانت الشهادة بالقول أو بالختم أو بالعلامة أو بالمعجزة)[4].

ومما ينبغي التنبيه إليه، أن البروتستانت في كلامهم السابق لا يُبطلون الأعمال تماماً كما يتحامل عليهم النصارى الأقباط في نقلهم عنهم[5]، لكنهم يرون الخلاص

---

(١) أي الكاثوليكية.

(٢) علم اللاهوت النظامي: ٥١.

(٣) ٥٥ حقيقة من حقائق الإيمان المسيحي: ٢٣.

(٤) اللاهوت النظامي: ٥٥١.

(٥) اللاهوت المقارن لشنودة: ١٣.

ونوال البرّ من الله يكون فقط بإيمان القلب مع أهمية الأعمال، يقول القس جيمس أنس: (الأعمال الصالحة ضرورية ولائقة، ولكنها ليست أساس التبرير[1]، فالأعمال الصالحة هي ثمر الإيمان، وهي مطلوبةٌ من كل مسيحي، والتبريرُ بالإيمان لا يحرِّرُ الإنسانَ من تكليفه بإتمام مطالب الشريعة الإلهية بل يُثبت ذلك عليه، والمتبرر بالإيمان لا يزال تحت سلطان الشريعة الأخلاقية، ويجب أن يطيعها باعتبارها قانون حياته المسيحية)[2].

٨. أهمية المعمودية:

يُؤكِّدُ النصارى الأقباط على أهمية المعموديَّةِ للخلاص، وأنها تُمثِّلُ ميلاداً جديداً لصاحبها، وغفراناً من الذنوب، ويُعدِّدُ البابا شنودة الثالث آثار المعمودية فيقول: (فاعلية المعمودية: ١/ المعموديةُ يتمُّ بها الخلاص. ٢/ بالمعمودية ننال الميلاد الثاني. ٣/ المعمودية هي غسلٌ من الخطايا. ٤/ المعمودية بها مغفرة الخطايا. ٥/ المعمودية هي موتٌ مع المسيح وقيامةٌ معه. ٦/ في المعمودية عملية تجديد. ٧/ في المعمودية نلبس المسيح)[3].

ويُخالفهم البروتستانت في ذلك، فلا يرون في المعمودية مايراه النصارى الأقباطُ فيها، فهم وإن كانوا يرونها من الإيمان؛ إلا أنها لا تمثِّلُ عندهم أكثرَ من المظهر والرمزية.

يقول ناشد حنا: (فالمعمودية قرينةُ الإيمان، الإيمانُ الجوهرُ، والمعموديةُ المظهرُ، ومن ثم ليس بالمعمودية نوال غفران الخطايا أو الخلاص أو الولادة الثانية أو سُكنى الروح القدس، بل بالإيمان القلبي، ولذلك هناك من خَلَصُوا دون أن يعتمدوا، كاللص التائب، ومؤمني العهد القديم، وهناك من اعتمدوا ولم يخلصوا.. إنما المعمودية رمزُ غسل الخطايا بدم المسيح)[4].

---

(١) أي الحصولُ على البر.

(٢) اللاهوت النظامي: ٥٦٥.

(٣) اللاهوت المقارن لشنودة: ١/ ٢٤-٢٧.

(٤) ٥٥ حقيقة من حقائق الإيمان المسيحي: ٤٧-٤٨.

٩. معمودياتُ الكنائس الأخرى:

تقدم أن الكنيسة القبطية لا تقبل معموديات كل الكنائس، وإنما تقبل بعضاً منها، وترفض أُخرى ولاسيما معمودية الكنائس البروتستانتية، وتُطالبُ المنضمين إلى كنيستها من الكنائس الأخرى بإعادة المعمودية.

ويُخالفهم البروتستانت في ذلك حيث يرون قبول جميع معموديات الكنائس الأخرى، يقول القس جيمس أنس: (وتَعْتَبِرُ الكنيسةُ الإنجيليةُ - أي البروتستانتية - المعموديةَ التي يقوم بها رجال الدين في الكنائس الأخرى صحيحة لا تحتاج إلى التكرار عند انتقال أحدٍ من تلك الكنائس إلى الكنائس الإنجيلية)(١).

١٠. حقُّ التعميد:

يعتقدُ النصارى الأقباط بخصوصية حقِّ التعميد بالكهنة وحصره فيهم، وليس المرادُ جميع الكهنة، بل يقتصرون على الأساقفة والقساوسة، ولا يتجاوزونهم إلى الشمامسة، ويرون أن ذلك حقٌّ شرعيٌّ يجب عدم تجاوزه.

يقول البابا شنودة الثالث: (المعمودية لابد أن يقومَ بها كاهنٌ شرعي، والكتاب المقدس يرينا أن السيد المسيح لم يترك مسألة المعمودية إلى عامة الناس، إنما تركها لرسله القديسين.. وواضحٌ أن الرسل هم الذين قاموا بعمل التعميد.. ثم تركوا العمل لتلاميذهم من الأساقفة، ومنهم للكهنة، ولهذا كله نحن لا نقبل أية معموديةٍ لا يقوم بها كاهنٌ)(٢).

ويقول الأرشيد ياكون حبيب جرجس: (إن الرب يسوع قد جعل حق التعميد للرسل.. وقد انتقل هذا الحق من الرسل إلى خلفائهم الأساقفة، ومن الأساقفة إلى القسوس، أي أن الذين لهم حق التعميد هم الأساقفة والقسوس لاغير مع خدمة الشمامسة معهم)(٣).

---

(١) علم اللاهوت النظامي: ٦٠٤.

(٢) اللاهوت المقارن لشنودة: ١/ ٢٩-٣٠.

(٣) أسرار الكنيسة السبعة: ٤٤.

ويُخالفهم البروتستانت في ذلك، حيث يرون أن تعميد الخادم أو الكاهن أفضل وأولى، إلا أنه إذا تعذَّر حضوره فتصحُ المعمودية من غيره، يقول القس جيمس أنس: (لا نقول: إن المعمودية التي جرت على يد مؤمن غير مرتسم في أحوالٍ تمنعُ حضور القسيس أو يستحيل فيه الوصول إليه هي باطلة، ولكننا نعتقد أن إجراء ذلك السرِّ على يد القسوس أليق وألزم)[1].

١١. التعميدُ بالرشِّ:

تقدم إنكارُ النصارى الأقباط للتعميد بغير التغطيس، واعتبار التغطيس هو الطريقة الوحيدة للمعمودية الصحيحة.

ويُخالفهم البروتستانتُ في ذلك، فمنهم من يرى صحةَ التعميد من غير تغطيس، ومنهم من يُلزمُ به - التغطيس -، يقول القس جيمس أنس: (تتمُّ المعموديةُ برش الماء على المعمَّد، أو بسكبه، أو بالتغطيس فيه باسم الآب والابن والروح القدس، وليس من الضروري أن تتم بأحد هذه الطرق دون غيرها، فقد اعتادت الكنيسة الإنجيلية رشّ الماء، على أن قسماً من الإنجيليين يُفضِّلُ التغطيسَ، بل يحسبه ضرورياً للمعمودية الحقيقية، ويتضحُ أن التغطيس ليس أمراً ضرورياً في المعمودية الحقيقية..)[2].

١٢. التوبةُ والاعتراف بالخطيئة:

يؤمنُ النصارى الأقباط بوجوب التوبة والاعتراف بالذنوب أمام الكاهن، وهذا لا يعني عندهم منح التوبة من قِبل الكاهن، فهم يمنعون صكوك الغفران كما تقدم، إلا أنهم يرون الاعتراف بالذنب أمام الكاهن أمرٌ لازم، وهو ما يُسمّونه بسرِّ الاعتراف أو التوبة، ويُعرِّفونه بقولهم: (هو الإقرار بما فعله الإنسانُ في الماضي والحاضر لكشف الخطيةِ أمام الكاهن، مع توضيح أفعاله وأفكاره، وكل ما يُضاد التعليم المسيحي)[3].

---

(١) علم اللاهوت النظامي: ٦٠٤.

(٢) علم اللاهوت النظامي: ٦٠٥.

(٣) موسوعة علم اللاهوت: ٢/ ٢٥٢.

ويُخالفهم البروتستانتُ في ذلك، حيث يرون أن التوبة: (هي الاقتناع القلبي العميق بشناعة الخطية ومرارتها، وهول عقوبتها، ويقترن هذا الاقتناع بالندم والحزن العميق والإقرار أمام الله بالذنب، واستحقاق العذاب الأبدي بعدل)[1].

ويعترضُ القس جيمس أنس على قول النصارى الأقباط المُتمثِّل في وجوب الاعتراف والتوبة أمام الكاهن، وأنه لا تُقبل توبةٌ بدون ذلك بقوله: (والقول: إنه لا يمكن أن تُغفر خطيةٌ تُرتكب بعد المعمودية بدون أن يعترف بها مرتكبها للكاهن الذي له سلطان الحل والربط؛ يعني أن كفارة المسيح المجيدة صارت خالية من الفائدة)[2].

١٣ . تحول العشاء الرباني (الأفخارستيا) إلى جسد ودم المسيح عليه السلام:

تقدم اعتقادُ النصارى الأقباط بتحوّل العشاء الرباني الذي يتناولونه من الخبز والخمر، إلى دم المسيح وجسده حقيقةً وليس رمزاً.

ويخالف البروتستانت في ذلك، فلا يعتقدون بالتحول لدم المسيح ولا لجسده، يقول ناشد حنا: (ومادتا العشاء لا تتحولان إلى جسد المسيح ودمه، لأنه لم ترد في الكتاب أيةُ إشارةٍ إلى ذلك، بل هما صورةٌ تُمثِّلُ أمام المؤمنين جسدَ المسيح ودمه، ولذلك لهما قيمةٌ عظيمةٌ لا في مادتهما العادية، بل فيما تُصورانه وتشيران إليه)[3].

ويقول القس جيمس أنس: (يُخالف تعليمُ الاستحالةِ شهادةَ الحواسِّ والعقل والوحي..) ثم يُسهب طويلاً في بيان أوجه المخالفة[4].

١٤ . أسفار الكتاب المقدس:

أسفار الكتاب المُقدس عند النصارى الأقباط تزيدُ عنها عند البروتستانت، حيث إن النصارى الأقباط يُضيفون إلى أسفار كتابهم المقدس أسفارَ أبي كريفا[5]، وهي أسفارٌ

(١) ٥٥ حقيقة من حقائق الإيمان المسيحي: ١٩.

(٢) علم اللاهوت النظامي: ٦٢٧.

(٣) ٥٥ حقيقة من حقائق الإيمان المسيحي: ٥١.

(٤) انظر: علم اللاهوت النظامي: ٦١٩ وما بعدها.

(٥) كريفا: تعني الخفيات، أي الأشياء المختفية. انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ١/ ٢٧.

من العهد القديم، دُونت باللغة اليونانية، وليس لها أصلٌ في العبرية، وتشمل: سفر طوبيت، وسفر يهوديت، وتتمة سفر أستير، وسفر حكمة سليمان، وسفر حكمة يشوع ابن سيراخ، وسفر باروخ، ورسالة أرميا وغيرها[1].

ويخالفهم البروتستانتُ في ذلك، فلا يرون لهذه الأسفار قيمة، ولا يُدرجونها ضمن كتابهم المقدس.

يقول القس جيمس أنس: (كتب الأبوكريفا: هي الكتب المشكوك في صحتها، أو في صحة نسبتها إلى من تُعزى إليهم من الأنبياء، [و]هي كتب: طوبيا، ويهوديت.. ومع أن هذه الأسفار كانت ضمن الترجمة السبعينية للعهد القديم، إلا أن علماء اليهود لم يضعوها ضمن الكتب القانونية، وبما أن اليهود هم حفظةُ الكتب الإلهية، وعنهم أخذ الجميع، فكلامهم في مثل هذه القضية هو المعوّل عليه)[2].

١٥. الصلاة على الموتى:

يعتقدُ النصارى الأقباطُ بمشروعية الصلاة على الموتى، أو كما يُسمونها «الصلاة على الراقدين»، والمُراد هنا الدعاء لهم، فهم يحثّون على الدعاء للميت بعد وفاته، ويرون في ذلك تخفيفاً للعذاب إن كان مستحقاً له.

يقول البابا شنودة الثالث: (ولنفرض أيضاً أن إنساناً أتاه الموت فجأةً ولم تكن له فرصةٌ للاعتراف، أو أن خطايا لم يعترف بها إنسان نسياناً منه، ولم ينل عن كل ذلك حِلاً، فإن الكنيسة تمنحه الحِلَّ، وتطلب له المغفرة، في الصلاة على المنتقلين.

ثم إن الكنيسة تُصلي لأجل المنتقلين بنوع من الرحمة، لأنه لا يوجد أحدٌ بلا خطية، ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض..)[3].

بينما لا نجد عند البروتستانت شيئاً من ذلك، فلا يُصلى على الميت لأجل طلب المغفرة له، وإنما يُدخلُ الميتُ إلى الكنيسة ثم تُقرأ بعض العظات؛ تعزيةً لأسرة

(١) معجم المصطلحات الكنسية: ١/ ٢٧-٢٨.

(٢) علم اللاهوت النظامي: ٦١.

(٣) سنواتٌ مع أسئلة الناس: ٤/ ٢٠.

المتوفي، ولأخذ العظة والعبرة من الموت.

يقول ناشد حنا: (فرصةُ توديع المنتقلين فرصةٌ مناسبةٌ للاجتماع باسم الرب، لتقديم الشكر على عمله الكفاري بموته فوق الصليب.. وأيضاً لتقديم التعزية من كلمة الله.. وهي أيضاً فرصةٌ لتذكير الأحياء بقرب النهاية، ليعرفوا إحصاء أيامهم.. وليست هذه الخدمة لأجل الموتى بالكلية، لا لطلب الرحمة لهم، ولا لفتح باب السماء أمامهم، لأن الأرواح بمجرد مفارقتها للأجساد تذهبُ مباشرةً إما إلى الفردوس أو إلى الهاوية)[1].

١٦. الصوم:

تقدَّم معنا مكانةُ الصوم عند النصارى الأقباط، وتعدد أنواعه وأحكامه، وأن الصوم يتم تحت توجيه أب الاعتراف بالكنيسة.

وفي مقابل ذلك؛ يُنكرُ البروتستانتُ كل هذه التعليمات، فالصوم عندهم عملٌ فردي لا يختص بالكنيسة ولا بالتعاليم والتقاليد الآبائية، يقول ناشد حنا: (يكون الصوم لأغراضٍ معينةٍ، بحسب إرشاد الروح القدس للفرد أو للجماعة بحسب الحاجة.. والصومَ هو من ضمن الأشياء التي لا يجوز للمؤمن أن يتبع فيها تعاليم أو تقاليد الناس)[2].

ومما يدلُّ على إهمال البروتستانت لشعيرة الصيام؛ خلو مصنفاتهم من الحديث عنها أثناء عرض أساسيات الإيمان والتشريع، ومثال ذلك: كتاب علم اللاهوت النظامي، فإنه يخلو تماماً من الحديث عن الصيام، مع أنه مرجعٌ شاملٌ ومعتمد لدى البروتستانت في مصر.

١٧. الأعياد:

تقدَّم معنا مُعتقدُ النصارى الأقباط في جانب الأعياد وقداستها وطقوسها وتنوعها.

ويُخالفُ البروتستانتُ في ذلك، فلا يعتقدون بأكثر الأعياد التي عند النصارى

---

(١) ٥٥ حقيقة من حقائق الإيمان المسيحي: ٨٩-٩٠.

(٢) ٥٥ حقيقة من حقائق الإيمان المسيحي: ٤٠-٤١.

الأقباط، ولا يوجد تنظيم معينٌ يسيرون عليه، وغاية ما يحتفلون به عيد الميلاد وعيد القيامة، على خلافٍ بينهم.

ويُبرِّرون إنكارهم لأكثر الأعياد، بأن المؤمنَ منهم بدينه هو في فرحٍ دائمٍ، فلا حاجة لكثرتها.

يقول ناشد حنا: (أما في العهد الجديد فكلُّ بركات المؤمن روحية، فلا مكان لفرائض جسديَّة، ولا لأعياد أو مواسم، بل قد حذَّر الروح القدس صريحاً من ذلك، وإنما المؤمن في عيدٍ دائم على أساس ذبيحة المسيح لأجلنا، ومن امتيازه أن يتمتع بالفرح في الرب كلَّ حينٍ، وأن يعيش بفطير الإخلاص والحق في كل حينٍ)[1].

١٨. الشفاعة:

تقدم موقف النصارى الأقباط من شفاعة القديسين والملائكة ومريم عليها السلام، واعتقادهم مشروعية ذلك.

ويُخالفهم البروتستانتُ في ذلك، فلا يرون لأحدٍ شفاعة غير المسيح عليه السلام، يقول القس جيمس أنس: (لا يستطيع أحدٌ أن يظهر أمام اللَّه عنا بناءً على أنه شفيعٌ كهنوتي لنا، ويقدم استحقاقاته لاستجابة صلواته لأجل شعبه، إلا المسيح وحده)[2]، ويقول أيضاً: (فالمسيح هو شفيعنا، وهو حيٌّ في كل حينٍ ليشفع فينا في السماء.

أما الروح القدس فيُعين ضعفاتنا في الصلاة هنا على الأرض، ويعلّمنا كيف نصلي، ويشفع فينا على هذا المنوال بأنّاتٍ لا يُنطق بها، وبحسب مشيئة اللَّه يشفع في القديسين، وعليه فبالمسيح لنا قدوم في روحٍ واحد إلى الآب.

هذا هو تعليم الأسفار المقدسة في وساطة المسيح وعناية الروح القدس بنا لنوال فائدة تلك الوساطة، وليس في كل ذلك أدنى إشارة إلى وسيطٍ غير المسيح، أو إلى تدخُّلِ أحدٍ من بني جنسنا في تلك الوساطة)[3].

(١) ٥٥ حقيقة من حقائق الإيمان المسيحي: ٤٥.
(٢) علم اللاهوت النظامي: ٥٠١.
(٣) علم اللاهوت النظامي: ٤٥٦-٤٥٧.

١٩ . الموقف من الصور والأيقونات:

تقدم موقفُ النصارى الأقباط من الصور والأيقونات، وأنها تُمثِّلُ جزءاً جوهرياً في المبنى الكنسي، فهي تُغطي حامل الأيقونات، وتملأُ جوانب الهيكل المقدس وصحن الكنيسة وحجرة المعمودية، وهي صور - كما يزعمون - للمسيح والروح القدس وغيرهم من القديسين[١].

ويُخالفهم البروتستانت في ذلك، فلا يجوز عندهم تمثيلُ الله بصورةٍ أو أيقونةٍ أو نحوها، يقول القس جيمس أنس: (ولما كان الله روحاً مجرداً لا يجوز أن يُمثَّل بشيءٍ تصنعه أيدينا أو تتصوره أفكارنا، وعلينا أن نكرمه بعبادةٍ روحية تليق به، وأن نُقيم عبادته بالطريقة التي عيَّنها فنرفض كل الاختراعات البشرية، وتنهى هذه الوصيةُ[٢] عن استعمال الرسوم والتماثيل والصور، فالعبادة الصنميةُ لا تقوم بعبادة الآلهة الكاذبة فقط، بل بعبادة الإله الحقيقي بواسطة تماثيل منحوتة أو صور منظورة، ويدخل تحت هذا أيضاً عبادة المواد التي تُحسب مقدسة.

ولا يمكن تصوير الله، ولا يجوز تصويره بأي وجهٍ، ومع أن تصوير المخلوقات جائز، إلا أن الله حرم عبادتها وعبادته تعالى بواسطتها، ولا يصح أن نجعل أنفسنا أحكم من الله الذي شاء أن تتعلم كنيسته بواسطة إعلان كلمته لا بواسطة الصور الصُم)[٣].

٢٠. الحكم الألفي:

يعتقدُ النصارى الأقباط أن المسيح سيجيءُ في نهاية الزمان المجيءَ الثاني ليدين العالم، وليس قبل هذا المجيءِ مجيءٌ.

وقد تقدّم أن النصارى الأقباط يُفسِّرون ما ورد في سفر رؤيا يوحنا: (ورأيتُ ملاكاً نازلاً من السماء، معه مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمةٌ على يده، فقبض على التنين تلك

---

(١) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣٧٤.

(٢) يُريدُ بالوصية الفقرةَ الواردةَ في سفر الخروج: (لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً، ولا صورةً ما، مما في السماء من فوق، وما في الارض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن، لأني أنا الرب إلهك إله غيورٌ، أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي).سفر الخروج: ٢٠/ ٤-٥.

(٣) علم اللاهوت النظامي: ٥٨٢.

الحية القديمة، الذي هو إبليس والشيطان، وقيَّده ألف سنة، وطرحه في الهاوية، وأغلق عليه، وختم عليه لكي لا يضل الأمم فيما بعد حتى تتم الألف السنة، وبعد ذلك لا بد أن يُحلَّ زماناً يسيراً)[1]، بأنها أمورٌ رمزيةٌ وليست على الحقيقة.

يقول القس بيشوي حلمي: (إن ما جاء في سفر رؤيا يوحنا عن حكم المسيح الألفي، والذي جعل البعض يُفسرونه بصورةٍ مادية، لا يمكن أن يُؤخذ بهذا المفهوم المادي، ولابد أن يُؤخذَ بمفهومٍ روحيٍّ، خصوصاً وأن سفر الرؤيا مليءٌ بالرموز والإشارات)[2].

ويُخالفهم البروتستانتُ في ذلك، حيث يرون أن هذه الأمور المذكورة في النصِ هي على الحقيقة، وليست رمزيةً أو روحيةً، يقول ناشد حنا عن هذا الحكم الألفي: (ويبدأ هذا الملك السعيد بعد ظهور المسيح بالمجد مع قديسيه، وبعد إبادة الأشرار ودينونة الأحياء.. وقبل بدء المُلك سيُقيَّد الشيطان، ويُطرح في الهاوية، لكي لا يُضِلَّ الأممَ فيما بعد حتى تتم مدة المُلك، ومدة هذا المُلك هي ألف سنة، كما يُذكر صريحاً ست مرات..)[3].

وهكذا يذكرونها دون تأويلٍ لها كما هو حال النصارى الأقباط، ومثل ذلك ما ذكره القس جيمس أنس، حيث يقول: (يُحَلُّ الشيطانُ مدةً وجيزةً عند نهاية الألف سنة ويحاربُ الكنيسةَ، ثم يأتي المسيح.. وعندما يُحلّ الشيطان يحاربُ البشرَ في هياجٍ شديدٍ لأنه يعرف أن وقته قصير.. وسواء أدركنا أسباب حل الشيطان وفهمنا المقاصدَ الإلهية فيها أم لا، فلا بد من حدوثها، لأن ما جاء في سفر الرؤيا في هذا الشأن صريحٌ جداً، غير أن ما يريحنا هو تأكيدُ اللهِ لنا أن النهاية تكون في يده)[4].

هذه أبرز الفروق العقديَّةِ والطقسيَّةِ بين طائفة النصارى الأقباط وبين البروتستانت.

(١) رؤيا يوحنا: ٢٠/ ١-٣.

(٢) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٤٥٤.

(٣) ٥٥ حقيقة من حقائق الإيمان المسيحي: ٨١.

(٤) علم اللاهوت النظامي: ٦٧٥-٦٧٦.

الباب الثالث

الواقع القبطي

ويحتوي على فصلين:

الفصل الأول: دور الكنيسة القبطية في محاولة التأثير على المجتمعات المسلمة.

الفصل الثاني: مظاهر القبطية المعاصرة.

الفصل الأول: دور الكنيسة القبطية في محاولة التأثير على المجتمعات المسلمة

ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نشاط النصارى الأقباط في التنصير.

المبحث الثاني: النصارى الأقباط وأثرهم السياسي.

المبحث الثالث: النصارى الأقباط وأثرهم الاجتماعي.

الفصل الأول: دور الكنيسة القبطية في محاولة التأثير على المجتمعات الإسلامية

تُمثِّلُ الأقلياتُ أثراً ظاهراً في البلاد التي تُقيم فيها، سواءً كانت تلك الأقلياتُ دينيةً أو عرقيَّةً، إلا أن الأقليات الدينية أشدُّ تأثيراً وأقوى مواجهةً من غيرها.

إن مُجرد شعورِ أقليةٍ بقلَّتها؛ يولِّدُ إحساساً ودافعاً إلى التكاتف بينها ولمِّ شملها، وإبراز هويتها بين الفينة والأخرى[1].

والنصارى الأقباط في مصر يُشكلون أقليةً دينيَّةً، فالدولة في أصلها ودستورها المُعلن دولةٌ إسلامية، والشعب كذلك، إلا أن كلَّ مُتابعٍ يُدركُ مدى الإشكال والأثر المُترتب على وجود النصارى الأقباط بين المسلمين في مصر.

ولا يخفي على كل مُطَّلع تنوعُ أثرِ النصارى الأقباط في مصر، ولاسيَّما في الآونة الأخيرة، التي يَمُرُّون فيها بنقلةٍ نوعيةٍ، شملت جوانب متعددة؛ منها الجانب الديني المتمثل في تمكنِهم وتمكِينهم من افتتاح العديدِ من الكنائس، والسماحِ لهم بممارسة كثيرٍ من الطقوس والشعائرِ الدينية.

وفي الجانب السياسيّ نرى تحولاً ظاهراً في توجه الكنيسة - وهو ما يُمثِّلُ نقلةً نوعيةً لها - في ميلها وحرصها على هذا الجانب أكثر من أيِّ زمن مضى، وقد تخلل هذا الاهتمامَ اضطرابٌ ومواجهةٌ - في بداية الأمر - بين رجال الأكليروس أنفسهم، حيث إن الميول السياسية تتعارض في أصلها مع روح الكنيسة الأرثوذكسية القبطية، التي كانت في عهودها السابقة تميل إلى البعد عن المناصب الرئاسية، وتَعْمَدُ إلى العيشِ الزهيدِ والتقشُّفِ.

وفي الجانب الاقتصادي؛ يُمثِّلُ النصارى الأقباطُ حضوراً قوياً منذ القدم، فجوانب متعددةٌ من الاقتصاد المصري هي بأيديهم، وإذا أردنا أن نُقارن ما لديهم في هذا الجانب

---

(١) انظر: مقال إشكاليات الأقليات، لحسن أبو، مركز الشرق العربي على الشبكة العنكبوتية:
http: //www.asharqalarabi.org.uk/mu-sa/b-mushacat-432.htm

مع نسبة وجودهم وتعدادهم في مصر؛ فلا شك أن حضورهم في هذا الجانب أكبرُ بكثير من المسلمين في مصر.

فتعداد النصارى الأقباط في أحسن أحواله لم يتجاوز ١٥٪ وهي نسبةٌ غيرُ مسلَّم بها، وفيها مبالغة وحيفٌ في تعدادهم، فالواقع أنهم أقل من ذلك، وقد رجَّح بعض الباحثين أنهم لا يتجاوزون ٨٪ من شعب مصر، ومع هذا فإن تمثيلَ النصارى الأقباط في اقتصاد مصر يقرب من ضعف هذه النسبة، فقد أقرَّت وزيرة القوى العاملة والهجرة بمصر، أن ما يزيد على ثلثِ ثروة مصر، وكبرى الشركات الحيوية والعاملة في مجال الاقتصاد المصري كالاتصالات والتشييد والبناء، يعودُ ملكها إلى نصارى الأقباط، بل إن أغنى ثلاثةٍ في مصر كلُهم من النصارى الأقباط(١).

وفي الجملة فإن أثرَ النصارى الأقباط على الحياة العامة في مصر أمرٌ ظاهرٌ وبيِّنٌ، تتعدد مظاهره وتتنوع أشكاله.. وهذا الفصل من البحث يُمثِّلُ محاولةً لسبر أغوار جوانب من آثار وتأثيرات النصارى الأقباط على حياة المجتمعات المسلمة في المجالات المهمة: الدينية والسياسية والاجتماعية، والله وحده المستعان.

---

(١) انظر: صحيفة الأهرام، العدد: ٤٤٠٠٤، تاريخ: ٣٠/ ٥/ ٢٠٠٧م، على الشبكة العنكبوتية:
http: //www.ahram.org.eg/archive/Index.asp

المبحث الأول: نشاط النصارى الأقباط في التنصير

تتنوَّعُ أساليبُ النصارى وطرقُهم حسب مصلحتهم الخاصة بهم وبدعوتهم، فنراهم يلجؤون إلى جانب الدفاع إذا ما هوجمت عقيدتهم، وإن حصل لهم التمكين فإنهم لا يتوانون لحظةً واحدةً في التبشير بالنصرانية.

وعلى مرِّ التاريخ وعبر العصور المتوالية للكنيسةِ القبطيةِ؛ يظهر جليّاً أن الكنيسة القبطية قد تعاملت بكلتا الطريقتين - الدفاعية والهجومية - لتثبيت أتباعها أولاً، ثم لدعوة غيرهم ثانياً.

ويعتقدُ النصارى الأقباط أن الدعوة إلى النصرانية والتبشير بها[1]، قد بدأت مع بدايات الكنيسة، ويَعُدُّون التبشيرَ بالنصرانية أصلاً من أصولها، يقول الأنبا أنطونيوس مرقس: (الكنيسةُ المسيحيةُ الرسوليةُ التي وُلدت يوم عيد حلول الروح القدس في يوم الخمسين في أورشليم، هي كنيسةٌ كارزةٌ ممتدةٌ ناميةٌ حيةٌ لا تحدُّها حدودٌ أو قيودٌ أو أزمنةٌ أو مواقيتُ تشهد في كل جيلٍ، بل في كل الأجيال، ووسط كل الشعوب.. وكانت من ثمار هذه الكنيسة الكارزة أنَّ الإيمان بالرب يسوع المسيح والكرازة بالإنجيل؛ امتدت وانتشرت في كل أرجاء العالم، ولا تزال تنمو وتمتد وتُثمر في قلوب كل من يترجى أن ينال الخلاص والفداء في الرب يسوع المسيح.

ومنذ تأسست كنيستنا القبطية الأرثوذكسية المجيدة بكرازة القديس مار مرقس في القرن الأول الميلادي، وهي كنيسةٌ كارزةٌ أخذت من كاروزها صفاته الكرازية، وآمنت برسالة الكنيسة الكاملة على مرِّ العصور في الكرازة والرعاية.. قاد الروحُ القدسُ الكنيسةَ القبطيةَ في قارة إفريقيا أن تقوم بدورها الكرازي كاملاً نحو خلاصِ كل نفس في كل مكانٍ حسب طاقتها وإمكانياتها ولقرونٍ طويلةٍ، وهذا ما يؤكِّده التاريخ)[2].

ومدرسة الإسكندرية التي أُنشِئت في منتصف القرن الثاني الميلادي لها بالغ الأثر على النصارى الأقباط، في تثبيتهم وربطهم بدينهم، يقول ملاك لوقا: (من العلامات

---

(١) ويُسمونها الكرازة بالمسيحية.

(٢) مقدمة في علم اللاهوت الكرازي: ١٥٠-١٥١.

البارزة في هذا القرن - يعني القرن الثاني - بروزُ دورِ مدرسةِ الإسكندرية تحت قيادة [ثلاثة][1] رجالٍ عظام على التوالي، هم: بنتينوس، وأكليمنضس، وأوريجانوس، وكان للمدرسة دورٌ حاسم في بثِّ الإيمان وتثبيته)[2].

وقد نهجت مدرسة الإسكندرية في بداياتها منهجاً مُغايراً لباقي المدارس في ذلك الوقت، فقد كانت أبوابها مشرعةً للجميع دون تمييز بين عنصرٍ وآخر، كل ذلك حرصاً منها على تغليب سوادها، وزيادة أعدادها[3]، أيضاً ينقلُ مؤرخوهم بأن للكنيسة القبطية دوراً بارزاً في مواجهة الوثنيةِ القائمةِ على الخلاصِ بالمعرفة، وهي ما يُعرف بالغنوصية[4].

وقد ظلت الكنيسةُ القبطيةُ ممثلةً في مدرسة الإسكندرية في مواجهةٍ مع كل تيارٍ ديني أو فكريٍ يُخالف عقيدتها وفكرها.

وفي القرن الرابع الميلادي أوفَدَ البابا أثناسيوس رسولاً إلى إثيوبيا يُدعى فرومنتيوس ليكون مطراناً عليها، فأصبح فرومنتيوس أول مطرانٍ لإثيوبيا من الكنيسة القبطية، وظلت الكنيسة الإثيوبية تابعةً للكنيسة القبطية، ويُوفَدُ إليها الآباءُ والبطاركةُ من الكنيسة القبطية بمصر إلى وقتنا الحالي[5].

وبعد دخولِ الإسلام إلى مصر على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه، انشرحتْ قلوبُ جملةٍ من نصارى مصر للإسلام، وأبهرهم هذا الدين العظيم بعدله وقسطه وسماحته وشريعته المتكاملة في جميع جوانب الحياة، فكان ذلك سبباً في تناقص أعداد النصارى الأقباط، وخلو كنائسهم من روَّادها السابقين، ولذا فقد كانت جهود الكنيسة القبطية الأولى - في غالبها - جهوداً دفاعيةً موجهةً لحمايةِ أتباعها وتحصينهم، وهذا بالطبع لا ينفي وجودَ دعواتٍ هجوميةٍ من الكنيسة القبطية للتنصير، إلا أن الشغلَ

(١) في الأصل: ثلاث، وهو خطأ.
(٢) الأقباط النشأة والصراع: ٦٨.
(٣) انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٧٢-٧٣.
(٤) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية لباتريك: ٢٠-٢١.
(٥) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ١٧١-١٧٢.

الشاغل لها في تلك الفترة هو الحفاظ على أتباعها.

ويُمثِّل التاريخُ الحديثُ للنصارى الأقباطِ تحولاً كبيراً في نشاط كنيستهم ودعوتها، وقد ظهرت بوادر ذلك في القرن التاسع عشر الميلادي، بعد تولي البابا كيرلس الرابع كرسيَّ البطريركية القبطية، فقد ظهر تعددٌ في النشاط التنصيري للكنيسة القبطية، يتمثل ذلك في جملةٍ من الوسائل، منها: الاهتمام بالتعليم الديني، وبناء الكنائس، والاهتمام بالمجال الإعلامي، وكذا المجال الطبي.

ومن جوانب التطور في العصر الحديث للكنيسة القبطية؛ تأصيلُ علم الكرازة، وإبرازُ ضوابطها وشروطها، وشروط العاملين في الميدان، وغيرها من مُتَعلَّقَات التنصير[1].

ولكون هذا المبحث يدور حول أثرِ الكنيسة القبطية ووسائلها التنصيرية في الواقع المعاصر؛ فسيكون الحديث مقصوراً على التاريخ الحديث للكنيسة القبطية، وسأتناول ثلاثَ وسائل من وسائل التبشير، التي من خلالها نفذَ النصارى الأقباط بدعوتهم إلى المجتمعات عموماً، وهي كما يلي:

١. الاهتمام بالتعليم الديني:

يُمثِّلُ التعليمُ الدينيُّ نقطةَ ارتكازٍ لكل من يريد نشر عقيدةٍ معيَّنة، ولذا اهتم النصارى الأقباط بجانب التعليم اهتماماً بالغاً، وكانت بدايات التعليم في القرن التاسع عشر من خلال الكتاتيب المُلحقة بالكنائس، وكان التعليم فيها مقصوراً على الجانب الديني بالإضافة للخط والحساب.

في منتصف القرن التاسع عشر أنشأ البابا كيرلس الرابع مدارسَ للنصارى الأقباط مستقلة عن المدارس الإسلامية أو العامة التي تُدرَّسُ فيها العلوم الشرعية الإسلامية، ولم يكن لهم قبل ذلك استقلالٌ في التعليم، وأولُ مدرسةٍ دينية أسَّسها عُرفت باسم: (مدرسة الأقباط الكبرى)، ويُذكر أنه أنفق في بنائها (٦٠٠) ألف قرش[2]، واهتم فيها بتعليم اللغة القبطية إلى جانب اللغة الإنجليزية، ولم يجعلها مقصورة على أبناء

(١) انظر: كتاب مقدمة في علم اللاهوت الكرازي بكامله، للأنبا أنطونيوس مرقس.

(٢) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٥٠٥.

الأقباط[١]، لذا فقد تخرج منها بعضُ الوجهاء من المسلمين، مثل: حسين رشدي باشا، وعبد الخالق ثروت باشا، وتحقيقاً لاستجلاب أكبر عددٍ ممكن من الطلاب جعل الدراسة فيها بالمجان.

وبعد فترةٍ قام البابا بإنشاء مدرسةٍ أخرى للفتيات على غرار المدرسة السابقة، جعلها للنصرانيات والمسلمات على حدٍ سواء، ويُعتبر البابا كيرلس الرابع من أوائل الذين أنشؤوا المدارس المجانية في العصر الحديث لمصر، وكذا من أوائل من دعا إلى التعليم النسائي[٢].

وقد كان الاهتمامُ بالتعليم الديني النصراني في القرن التاسع عشر اهتماماً بالغاً، فقد أُسِّسَ ما يقارب (٥١) مدرسة، وبلغ جملة الملتحقين بهذه المدارس (٩٩٧٩) طالباً وطالبةً، ومن أهمها المدرسة الإكليريكية، وهي التي تمثل الركن الأساس لتثبيت ونشر النصرانية، يقول الأنبا غريغوريوس: (في يقيني أن أعظم أعمال البابا الإصلاحية في الفترةِ التي أدار فيها دفة كنيستنا القبطية الأرثوذكسية ليس هو إنشاءه للكاتدرائية المرقسية بالقاهرة[٣]، ولا إقامته المدرسة الكبرى، أو مدرسة حارة السقائين، ولا استحضاره المطبعة من أوروبا، ولا مناداته بتعليم البنات، وإنشاء مدرسة لتعليمهن، ولا منعه الرهبانَ من مغادرة أديرتهم، وإنما أعظم أعماله الإصلاحية جميعاً هو اهتمامه بإنشاء مدرسةٍ إكليريكيةٍ لتثقيف رجال الدين، وإعدادهم للاضطلاع بمسؤوليات الرعاية وواجب الكهنوت)[٤]، ويقول ملاك لوقا: (يُعتبر إنشاء المدرسة الإكليريكية أهم دعائم النشاط الديني للأقباط)[٥].

---

(١) لا تعارض بين ما ذكرتُ قريباً من كونها مستقلةً، وبين فتح المجال لغير النصارى للدراسة؛ فالمراد أنه أنشأ مدارسَ مستقلةً عن التعليم العام، اعتمد في مناهجها على الديانة النصرانية، وجعل الدراسة مفتوحة للجميع، فالدراسة للنصارى الأقباط تُمثِّل تحصيناً لعقيدتهم، وهي لغيرهم تنصيرٌ وتبشير.

(٢) انظر: المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ١١٩، دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ٤٨، الأقباط النشأة والصراع: ٥٢٨-٥٢٩.

(٣) انظر: مُرفقات البحثِ؛ المُرفق رقم: ١.

(٤) المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ١٢١.

(٥) الأقباط النشأة والصراع: ٥٣٣.

وفي أواخر القرن التاسع عشر أُنشئتِ الكلية الإكليريكية على يد البابا كيرلس الخامس، وتمثِّل الكليةُ الإكليريكيةُ أهميةً بالغةً في دعم الجانب العلمي الديني للنصارى الأقباط، فمنها يتخرج القساوسة والبطاركة، ومنها تُغذَّى كنائس الأقباط على مستوى العالم أجمع من خلال خريجيها.

وكانت الكليةُ الإكليريكيةُ في السابق تشتمل على ثلاثةِ مستوياتٍ دراسيةٍ، وزيدت في وقتنا الحالي إلى أربعة مستويات[1]، في كل مستوى مجموعةٌ من السنوات الدراسيةِ، تبدأ بالمرحلةِ الإعداديةِ الأولى، وتنتهي بالمرحلة العليا للدراسات الدينية، وبها قسمٌ خاص للمكفوفين[2].

وقد تطوَّرت هذه الكلية في وقتنا الحاضر تطوراً بالغاً، وفُتِحت لها فروعٌ عديدة، داخل مصر وخارجها، ففي مصر افتَتحتِ الكليةُ فروعاً لها - بالإضافة لمركزها الرئيسي بالقاهرة - في: الإسكندرية، وطنطا، والمنوفية، والمنيا، وفي خارج مصر في: سيدني بأستراليا، وجرسي سيتي بالولايات المتحدة الأمريكية، ولوس أنجلوس بالولايات المتحدة، ولندن ببريطانيا[3].

أيضاً في مطلع القرن العشرين قام أحدُ ناشطي النصارى الأقباط وهو حبيب جرجس - وكان أستاذاً لعلم اللاهوت - بإنشاء دروسٍ سُمِّيت «دروس الخميس»، حيث خَصَّصَ يومَ الخميس من كل أسبوع لإلقاء دروس دينية تتعلق بالنصرانية، ووُجِّهتِ الدعواتُ لحضورها في المدارس الأميرية التابعة للحكومة[4].

أيضاً كان للبابا كيرلس السادس[5] جهودٌ بارزةٌ في التنصير، فخلال توليه للبطريركية؛ قام بإيفاد القمص إسحاق والأنبا بيشوي إلى جنوب إفريقيا، رغبةً في زيادة العمل

---

(١) انظر: موقع مطرانية شبرا الخيمة على الشبكة العنكبوتية:
http: //www.alanbamarcos.com/AnbaMarcos_ar/colledgebooks/colledgebooks.asp?book=1704

(٢) انظر: دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ٥٢.

(٣) انظر: دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ٥٣.

(٤) انظر: المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ١١٩.

(٥) انظر: مُرفقات البحثِ؛ المرفق رقم: ٥.

التنصيري[1]، فقاما بتأسيس عدةِ مراكز لتدريس العقيدة الأرثوذكسية القبطية، ولم يأت أسبوعٌ على إنشاء تلك المراكز إلا وأعلن البابا كيرلس أن جزءاً من الأوقاف القبطية سيتمُ صرفها للكنائس القبطية في إفريقيا، وبذلك أُضيف إلى لقب «بابا الكنيسة القبطية بالإسكندرية» زيادة «وسائر إفريقيا»، ومن عهد البابا كيرلس السادس أصبح بابا الإسكندرية مسؤولاً عن الكنيسة في إفريقيا[2].

وفي عام (١٩٦٦م) جاء أربعةُ أثيوبيين من أثيوبيا لدراسة علم اللاهوت في الكلية الإكليريكية بالقاهرة، وكانت هذه البعثةُ بمثابة اللبنة الأولى التي من خلالها استقبلتِ الكنيسةُ - لأول مرةٍ - طلاباً من خارج البلاد لتأهيلهم للعمل التنصيري، وفي العام نفسه تأسَّس المركز القبطي للتبشير بالإنجيل جنوب المعادي بالقاهرة، وتدرب فيه (١٦) سودانياً كانوا قد أتموا دراسة علم اللاهوت، (وقد كان الأمل الذي يتم التعبير عنه في ذلك الوقت أنه في ظرف وقتٍ قصيرٍ؛ يصير هذا المعهد أول معهدٍ قبطي تبشيري.. يقوم بإرسال البعثات إلى إفريقيا)[3].

وكانت الكلية الإكليريكية تُقسِّم (كنائس القطر المصري على الطلبة، وفي الغالب [و] لتيسير الأمور كان الطالب في العطلة الصيفية يختار الكنائس التي في المديرية المُقيم بها، فكان كل طالب يقوم بالوعظ)[4].

وفي منتصف السبعينات من القرن العشرين تمَّ إنشاء معهدين تابعين للكلية الإكليريكية، هما: معهد الكتاب، ومعهد الرعاية والتربية، وهما مخصصان لإكمال الدراسات العليا المتعلقة بالماجستير والدكتوراه، وفي معهد الرعاية والتربية يتم التركيز بشكل أكبر على تخريج الدعاة المُنصِّرين (الكارزين)، يقول الأنبا أنطونيوس مرقس: (وكان اهتمام قداسة البابا - شنودة الثالث - بالتحدث عن الكرازة في كل مجال، في داخل مصر وخارجها، وفي كل المناسبات، وأيضاً تعليمُ قداستهِ الدائمِ عن

(١) انظر: مُرفقات البحثِ؛ المرفق رقم: ٩، ١٠.

(٢) انظر: دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ٣٧٠.

(٣) دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ٣٧١.

(٤) انظر: المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ١٢٦-١٢٧.

الكرازة في الإكليريكية، ومعهد الرعاية، وفي زيارته لكنائس المهجر؛ أكبرَ الأثرِ في نشر الفكر الكرازي)[1].

ويُعتبرُ عصر البابا شنودة الثالث من أبرز عصور الكنيسة القبطية وأقواها نشاطاً واستحواذاً على جوانب متعددة في الحياة العامة، فإذا كانت الكنيسة القبطية قد عاشت في السابق تقاوم الضعفَ ونزوحَ أبنائها منها إلى الكنائس الأخرى، وتنشغل بالجانب الدفاعي؛ فإنها بعد تولي البابا شنودة الثالث للبطريركية انتقلت إلى مرحلة الهجوم، (فبعد أن كان هناك سبع كنائس قبطية فحسب خارج الحدود المصرية؛ أضحى هناك ما يزيد على (١٣٠) كنيسة قبطية في مختلف أرجاء الدنيا، ليست مقصورة على المهاجرين المصريين، بل يضُمُّ بعضها أبناء البلاد الأصلية، بقساوستهم وأساقفتهم)[2].

وفي عهد البابا شنودة زادت همةُ الكنيسة القبطية في تعليم وتطويرِ أكبرِ عددٍ ممكنٍ من الدعاة المُنصِّرين، وكان التوجه في عهده إلى إحضار الدعاة من بلدانهم وتدريبهم في مصر ليعودوا دعاةً منصِّرين في بلادهم، فقَدِمَ في أواخر القرن العشرين (١٩) شخصاً من كينيا، رُسِمَ منهم ثمانية أساقفة والباقون شمامسة، ومن زائير جاء ثلاثةٌ تتلمذوا على يد البابا شنودة نفسه، ومن جنوب إفريقيا قَدِمَ عشرةُ تلاميذ، ورُسِمَ منهم سبعةٌ[3].

وفي عهده كذلك؛ تمَّ إعداد فصولٍ دراسيةٍ لتقويةِ وتأصيلِ علم الكرازة في نفوسِ التلاميذ، وأُدْرِجَتْ مادةُ الكرازة في الكليات الإكليريكية داخلَ وخارج مصر[4].

وفي وقتنا المعاصر يُحاول النصارى الأقباط اعتمادَ تدريس الديانة النصرانية في المناهج التعليمية وإدراج فقرات من الكتاب المقدس، أو إلغاء مواد التربية الإسلامية بكاملها، من باب المساواة والعدل بين الديانات! فقد نشرت صحيفة اليوم السابع

(١) مقدمة في علم اللاهوت الكرازي: ١٥٥-١٥٦.

(٢) صحيفة الأهالي المصرية، العدد: ٦٦٩، بتاريخ: ٣ أغسطس ١٩٩٥م.

(٣) دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ٣٧٦-٣٧٧.

(٤) دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ٣٧٧.

المصرية ما نصُّه: («إما إلغاء التربية الإسلامية من التعليم المصري، أو إضافة آيات من الإنجيل إلى المناهج وتدريس التاريخ القبطي».. تلك الرسالة التي وجهها المشاركون في الجلسات النقاشية لمؤتمر «التعليم والمواطنة» للدكتور يسري الجمل وزير التربية والتعليم، والذي نظمته مؤسسة «مصريون ضد التمييز الديني»..)[1].

أيضاً يحاول النصارى الأقباط استغلالَ الجامعات لنشر فكرهم ودينهم من خلال الطلاب والطالبات، فقد نقلتْ صحيفةُ «المصريون» عن إحدى الطالبات اعترافها بالترويج للنصرانية بجامعة حلوان، وأنها تلقتْ قبل ذلك تدريباتٍ في كيفية إدارة الحوار مع المسلمين من ضعاف الثقافة الإسلامية، وأهمُّ الأسئلة التي يُلبَّسُ من خلالها على المسلمين، خاصةً حول القرآن الكريم ونبينا محمد ﷺ، وجاء في الخبر: (وفجّرت الطالبة مفاجأةً، مشيرة إلى أن التعليمات التي لديها ولدى المنصِّرين تُركِّزُ على طرح الأسئلة حول حياة النبي محمد ﷺ، وذلك بعد أن اكتشفوا أن الكلام حول القرآن الكريم غالباً ما يواجه بردودٍ قويةٍ من جانب المسلمين، وأن كثيراً من المسلمين يُواجهون المُنصِّرين بانتقاداتٍ لأشياء كثيرة وردت في الكتاب المقدس.. وأكَّدت الطالبةُ أيضاً.. انتشارَ مجموعاتِ التنصير داخل الجامعات المصريَّة المختلفة، وأوضحتْ أن التعليمات تتضمنُ أن يهتمَّ الطلاب المنصِّرون بالتمركز في أماكن (ممرات أو مدرجات) محددةٍ يتمُّ اختيارها من الأماكن التي تخلو من تواجد الطلاب المتدينين، وينتشر بها الطلاب الذين يمارسون سلوكياتٍ بعيدة عن التدين، وهم يُشكِّلون أصلح البيئات لدعاوى التنصير)[2].

وفي إطار التنصير في أروقة الجامعات؛ نشرت مجلة المجتمع تحقيقاً حول فتاةٍ مسلمةٍ تُدعى «زينب» تنصَّرت في جامعتها من خلال دعوة طالب نصراني وطالبتين تستَّرتا بالإسلام، وكان الطالبُ يتوددُ إلى الفتاة مستغلاً عاطفتها كونها غيرَ جميلةٍ، ولا يعبأ بها شباب الجامعة، وتعاني من الإهمال في بيتها، وفي الوقت نفسه بدأت صداقةٌ

(١) صحيفة اليوم السابع، السبت، بتاريخ: ٢٥ أبريل ٢٠٠٩م.

(٢) صحيفة المصريون، بتاريخ: ٣٠/ ٦/ ٢٠٠٥م.

بينها وبين الفتاتين، وبعد أن توطدت علاقتها بالشاب النصراني صارحها برغبته في الارتباط بها، وعندما عرضت عليه الإسلام طرح عليها بعض الشبهات العلمية التي تقف حائلاً بينه وبين الإسلام.. وفي الوقت نفسه، كانت تجلس مع الفتاتين يومياً لقراءة القرآن في مسجد الجامعة، وكانت كل منهما تثير بعض الأسئلة حول الإسلام في صيغة تساؤل واستفهام لزرع الشك في قلبها، ومع ضعف ثقافتها ومهارة الخلية التنصيرية؛ كانت تضعُ الإسلامَ دائماً في مقارنة مع المسيحية، ثم إن الشاب قام بتوثيق علاقتها مع أحد القساوسة، وهو القس زكريا بطرس، فأُعجبت بطرحه، فحصلت ردتها عن الإسلام.

(والخطورة هنا أن زينب ظلت تتدرب على التنصير وتمارسه مع غيرها من المسلمين، حتى طلبت منها الكنيسة أن تترك بيتها وتهرب، وبالفعل تركت الفتاةُ البيت والتحقت بأحد الأديرة، وهناك رأت عائلات كاملة تنصَّرت وتركت الإسلام لتعيش في رعاية الكنيسة، وبعد ستة أشهر قضتها زينبُ تتدرب على التنصير، وتتلقى دوراتٍ في كراهية الإسلام والطعن فيه، قرَّرت أن تعود إلى بيتها لتنصيرِ أسرتها.. ويشاء اللهُ أن يلتقي والدُها مع بعض الشباب المهتم بقضايا التنصير، وبعد عدة جلسات ومناظرات عادت زينبُ إلى الإسلام لتكشف معلوماتٍ مهمة عن النشاط التنصيري)[1].

٢. بناء الكنائس:

تُمثِّلُ الكنيسةُ - كبنيان - رمزاً دينياً عظيماً لدى النصارى عموماً، والأقباط منهم على وجه الخصوص، لذا حَرصوا كثيراً على التوسع في بنائها وترميمها، وقد كان بناءُ الكنائس في الماضي بالنسبة للأقباط أمراً عسيراً، ففي القرن الثامن عشر الميلادي بُنيت كنيسةٌ وحيدةٌ[2]، هي الكنيسة المرقسية الكبرى بالأزبكية، وكان ذلك بدعمٍ من المعلم

(١) مجلة المجتمع، العدد: ١٧٩٠، بتاريخ: ٢٣/ ٢/ ٢٠٠٨م، والقصةُ بطولها في موقع المجلة على الشبكة العنكبوتية، على الرابط:

http: //www.almujtamaa-mag.com/Detail.asp?InNewsItemID= 261561

(٢) أي جديدة، غير الكنائس الموجودة سابقاً.

إبراهيم الجوهري[1][2]، وتمَّ بناءُ الكنيسة على يد المعلم جرجس الجوهري وبمساعدة البطريرك القبطي الأنبا مرقس الثامن.

وفي مطلع القرن التاسع عشر كان استحداثُ كنائس جديدةٍ يُعتبرُ أمراً في غاية الصعوبة، لذلك حرص النصارى الأقباط على تجديد كنائسهم السابقة وترميمها[3].

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر تغيَّر الحال، وأصبح افتتاح الكنائس أمراً سهلاً مُقارنةً بالسابق، ويُعتبر الخديوي إسماعيل أكثرُ الولاة على مصر تساهلاً في بناء الكنائس، يقول رياض سوريال: (وكان الخديوي إسماعيل بحقٍّ أكثر الولاة من أسرة محمد علي تسامحاً، فقامت كنيسةٌ لأقباط طنطا في عهد سعيد باشا سنة (١٨٥٥م).. ثم أُنشئت كنيسةٌ للأقباط في حارة السقائين، بدأها البابا كيرلس الرابع، وفي سنة (١٨٨٤م) بنى الأقباطُ كنيسة العذراء بالفجالة.. وفي سنة (١٨٨٦م) بنى سلامة عجمي الكنيسة المرقسية بالجيزة..)[4].

وهكذا نجدُ أن الكنائسَ قد أخذتْ في التطورِ مع تتابعِ الأيام، ففي حي شبرا بالقاهرة[5] لم يكن يوجد به كنيسة واحدة في القرن التاسع عشر، وأوَّلُ كنيسةٍ بُنِيَت فيه هي كنيسة العذراء، وكان بناؤها في عام (١٩٢٦م)، وفي وقتنا الحاضر يبلغُ عدد الكنائس في شبرا وحدها قرابة العشرين كنيسة[6]، وهذه القفزة الكبيرة في عدد الكنائسِ

---

(١) ولد إبراهيم الجوهري مابين عام (١٧٢٥م) وعام (١٧٣٠م)، في عائلة فقيرة، ولما كَبُرَ عمل في الحياكة، ثم سكرتيراً عند البابا مرقس الثامن، ثم تولى رئاسة الدواوين الحكومية، وكان معروفاً بدعمه الكبير للنصارى الأقباط في كثير من احتياجاتهم الدينية والاقتصادية وغيرها، توفي عام (١٧٩٥م). انظر: الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٣٩٠-٣٩٢، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٤٨٣-٤٨٥، الأقباط النشأة والصراع: ٥٠٦-٥١٣.

(٢) يرى بعض المؤرخين أن جرجس الجوهري هو الذي تسبَّب في بناء الكنيسة الكبرى، والصحيح أن الذي سعى في إذن البناء هو إبراهيم الجوهري، أما البناء فتمَّ على يد جرجس الجوهري. انظر: الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٣٩٢، المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ١٩٢.

(٣) انظر: المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ١٢٠، الأقباط النشأة والصراع: ٥٠٩-٥١٤.

(٤) المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ١٢٠.

(٥) وهو من الأحياء القديمة بالقاهرة ويتوسطها تقريباً، وهو من أكثر الأحياء تعداداً للنصارى الأقباط بالقاهرة، وبه تنتشر كنائسهم والكثير من دورهم ومكتباتهم التي لا يستغني عنها كل باحث في معتقداتهم وفكرهم.

(٦) انظر: المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ٢١٢.

دليلٌ ظاهرٌ على حركة التطور في بناء الكنائس، وتتضح الصورة بشكل أكبر عندما نعلمُ أن عدد الكنائس بالإسكندرية في القرن التاسع عشر وما قبله لا يزيد عن كنيستين، أما الآن ففيها قرابة (٢٢) كنيسة، منها (٢٠) كنيسة بُنيت في القرن العشرين، (٧) منها بُنيت في النصف الأول من القرن العشرين، و(١٣) كنيسة بُنيت في النصف الثاني[١]، يقول رياض سوريال موضحاً الصورة بشكل أكبر: (انتظم الأقباط في موكب التقدم منذ منتصف القرن التاسع عشر في عهد البابا كيرلس الرابع، ولا زال هذا الموكب يسير في طريقه إلى مدارج النهوض والارتقاء، فبلغ صورةً رائعة للنهوض والتقدم في القرن العشرين.. ففي الناحية الدينية لم يكن يسمح للأقباط بإنشاء كنائس جديدة في النصف الأول من القرن التاسع عشر، أما في النصف الثاني من القرن التاسع عشر فقد أنشأ الأقباط منذ عهد سعيد إلى نهاية هذا القرن مئات الكنائس الجديدة، وسار موكب التقدم فبُنيت مئات أخرى)[٢].

ومن التطور في موضوع بناء الكنائس وترميمها؛ أنه لم يكن في السابق يُسمح للنصارى الأقباط بالبناء ولا الترميم إلا بإذن رسمي من رئيس الجمهورية، وفي عام (١٩٩٨م) أصدر رئيس جمهورية مصر: محمد حسني مبارك قراراً جمهورياً برقم (١٣)، يقضي بأن يكون الترخيص بترميم الكنائس من اختصاص المحافظين، دون الحاجة لإذن الرئيس[٣]، جاء في صحيفة النهار: (وقد أيدت محكمة القضاء الإداري قرارَ رئيس الجمهورية، بتفويض المحافظين لإجراء تعديلاتٍ وتوسيعاتٍ على الكنائس القائمة في مصر.. وأضافت أن الدولة ملتزمةٌ - بحكم دورها الدستوري - بتأمين حصول كل مواطنٍ على حقه في إقامة شعائرَ للدين الذي يعتنقه)[٤].

ومع هذا التقدم الذي حصل عليه النصارى الأقباط في بناء وترميم الكنائس التابعة لهم؛ إلا أنهم لم يقنعوا بذلك، ولا زالوا يُطالبون بمزيدٍ من الحريات، يقول نبيل

(١) انظر: المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ٢١٢-٢١٣.

(٢) المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ٢١٩.

(٣) انظر: مشكلة بناء وترميم الكنائس: ١١٣، مشاكل الأقباط في مصر وحلولها: ٤٧.

(٤) صحيفة النهار، يوم الجمعة، بتاريخ: ٢٦/ ٤/ ١٤٢٩هـ.

لوقا في سلسلة من المقترحات التي وضَعها لمستقبل الكنيسة: (أن يصْدُرَ قرارٌ بأن ترميمَ الكنائس التي لها ترخيص، بقرارٍ من رئيس الحي..)[1]، أي دون الرجوع حتى للمحافظين، وإنما يكفي الحصول على إذن رئيس الحي!

ويَقْتَرِحُ - أيضاً - حول بناء الكنائس: (بعد أن يتحسن المناخ وينتفي التعصب الممقوت - ونحن في طريقنا إلى ذلك - يكون الترخيص ببناء[2] الكنائس في مرحلة ثانية، بموافقة المحافظ فقط..)[3]، أي لا يلزم الإذن من رئيس الجمهورية، حتى تسْهُلَ عليهم عمليةُ البناء.

ومع أن الحديث عن تعداد النصارى أو كنائسهم في مصر يُعتبرُ أمراً شائكاً غير مُصرَّح بالحديث عنه؛ إلا أنه في عام (٢٠٠٧م) أُجريت دراسةٌ تحت عنوان (وصْفُ مصر بالمعلومات) صدرتْ عن مجلس الوزراء المصري، أعطت رقماً محدداً عن عدد الكنائس في مصر، حيث ذكرت أنها في عام (١٩٩٧م) كان عددها (١٦٧٨) كنيسةً، وأنها زادت الآن - وقت الدراسة - إلى (٢٠٦٩) كنيسة، أي أن عدد الكنائس زاد خلال العشر سنوات الأخيرة (٤٠٠) كنيسة، بواقع بناء (٤٠) كنيسة في كلِّ عام[4]، وهي إحصائية شاملة لمذاهب النصارى، وليست مقتصرة على الأقباط الأرثوذكس.

وفي خبر آخر أكثرُ صراحةً؛ تُطالعنا صحيفة البديل المصرية أنها (حصلت على كتابٍ يتم توزيعه بين الكهنة بعنوان «دليل الكنائس»، ويَرْصِدُ مجموعةً من البيانات حولَ عدد الكنائس الأرثوذكسية في مصر، البيانات الواردة في الدليل تؤكِّد أن عدد الكنائس الأرثوذكسية بلغ (١٣٢٦) كنيسة، فيما كشفت الكنيسة البروتستانتية أن عدد كنائسها بلغ (١١٠٠) كنيسة، في حين بلغ عدد الكنائس الكاثوليكية (٢٠٠) كنيسة،

---

(١) مشاكل الأقباط في مصر وحلولها: ٥٧.

(٢) هناك فرقٌ بين بناء الكنيسة وبين ترميمها، فالبناء كان ولا يزال لا يتمُ إلا بإذن من رئيس الجمهورية، وهو ما يُطالبُ النصارى الأقباط بتخفيف الإذن فيه إلى المحافظ، أما الترميم فقد كان في السابق لا يتم إلا عن طريق الرئيس ثم خُفِّفَ إلى المحافظ.

(٣) مشاكل الأقباط في مصر وحلولها: ٥٩.

(٤) انظر: صحيفة روز اليوسف، بتاريخ: ٢٦/ ٠١/ ٢٠٠٨م.

وهو ما يعني أن مجمل عدد الكنائس في مصر بلغ (٢٦٢٦) كنيسة)[١].

أما في جانب بناء الكنائس القبطية خارج مصر، فإن عدد الكنائس في تزايد مُطَّرِدٍ، ونمو هذه الكنائس بشكل ملحوظٍ ينحصرُ في عهد البابا شنودة الثالث، يقول ملاك لوقا: (مما لا ريب فيه أنه في عهد قداسة البابا شنودة قفزت الكنيسة بالمهجر قفزاتٍ رائعةً ملحوظةً كمًّاً وكيفاً، فقد أعطى اهتماماً ملحوظاً للمهجر كما تُحدثُنا لغة الأرقام، فعند بدء بطريركية البابا شنودة كان للكنيسة القبطية في المهجر (٧) كنائس، منها كنيستان في أستراليا، وكنيستان في أمريكا، وكنيسة واحدة في كل أوروبا..)[٢] ثم يُبيِّن أن عدد كنائس الأقباط في المهجر في الوقت الحالي يُقارب (٢٧٧) كنيسة[٣]، ويقول الأنبا أنطونيوس مرقس: (ومنذ السبعينيات حتى التسعينيات، وبمبادرة قداسة البابا شنودة الثالث بتشجيع الكرازة في إفريقيا، وتأسيس أول أُسقفية لخدمتها عام (١٩٧٦م)؛ بدأ ينطلق الفكر الكرازي في نفوس الأقباط، وتتبلور اشتياقات قلوبهم نحو الكرازة رويداً رويداً)[٤].

وقد زاد عدد الكنائس في المهجر بدرجة قياسية في وقتنا الحاضر، كما يلي:

١/ في أوروبا: يوجد قرابة (٧٤) كنيسة، موزعة على: النمسا، بلغاريا، قبرص، الدنمارك، فرنسا، ألمانيا، اليونان، إيطاليا، هولندا، السويد، سويسرا، إنجلترا، جزر مالطا، أسبانيا، المجر، بلجيكا.

٢/ في الولايات المتحدة الأمريكية: يوجد قرابة (١٠٠) كنيسة، موزعة على: نيوجيرسي، نيويورك، هونولولو، كنائس الساحل الشرقي، كنائس غرب ووسط الولايات المتحدة، لوس أنجلوس، كاليفورنيا، البرازيل، بوليفيا، المكسيك، جزر الكاريبي.

---

(١) صحيفة البديل، بتاريخ: ٣١/٠٧/٢٠٠٨م.

(٢) الأقباط النشأة والصراع: ٦٥٥.

(٣) الأقباط النشأة والصراع: ٦٥٥.

(٤) مقدمة في علم اللاهوت الكرازي: ١٥٣.

٣/ في إفريقيا: يوجد قرابة (٦٧) كنيسة، موزعةٌ على: السودان، ليبيا، أوغندا، كينيا، كوت، ناميبيا، جنوب إفريقيا، تنزانيا، زامبيا، زيمبابوي، توجو، الكونغو، زائير.

٤/ في آسيا: يوجد قرابة (١٥) كنيسة، موزعة على: القدس، الأردن، العراق، الإمارات العربية المتحدة، سلطنة عمان، البحرين، قطر.

٥/ في أستراليا: يوجد قرابة (٢٤) كنيسة[1].

وفي شرق العالم بدأ النصارى الأقباط ينشطون في حركتهم التنصيرية، فقد أوردت صحيفة السياسي تصريحَ (مصدرٍ مسئولٍ بالكنيسة القبطية المصرية أن قداسة البابا شنودة الثالث بطريرك الكنيسة الأرثوذكسية سوف يفتتح كنيستين للمسيحيين الشرقيين في الصين والهند، كما ستقوم الكنيسةُ في الفترة المقبلة بفتح كنائسَ جديدة في جميع دول العالم في الفترة القادمة، بسبب كثرة هجرة الأقباط للخارج)[2].

وسيأتي مزيدُ بيان حول نشاط المهجر لاحقاً بحول الله.

وفي مواجهة النصارى الأقباط لكل عائقٍ عن بناء الكنائس؛ نجدُهم يتهجمون على كل فتوى تقول بمنع بناء الكنيسة في بلاد الإسلام، وسأكتفي بنقلٍ واحدٍ في هذا، فقد نشرت صحيفة الفجر مقالاً بعنوان: (الغزو الوهابي لمصر بكتُبٍ رخيصةٍ تحرض على الأقباط)، ومما ذكره الكاتب في مقاله: طالعتُ كتيباً حقيراً يحضُّ على الإرهاب بالمجان، دون وخز من ضمير، كتبه قمصٌ[3] جاهلٌ لقرّاء أشد جهلاً؟!.. أما عنوانه «ثلاث فتاوى مهمة»، من إعداد اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية.. فما جاء فيه يمثل الدستور الذي يسير عليه المتطرفون ومن تبعهم لتُرفع نغمات اضطهاد المسيحيين، لأنهم فئة شاذة ونبتة شيطانية، طريقة الطرحِ صورةٌ بالكربون مما يؤمن به رجال «القاعدة»، وليس مجموعة من العلماء يفترض فيهم تقوى الله في هذا العفن الذي يدسونه في عقولنا!! اقرؤوا بعض ما ورد بشأن بناء الكنائس:

---

(١) حول تعداد كنائس المهجر، انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٦٥٥، مقدمة في علم اللاهوت الكرازي: ١٤١-١٤٨.

(٢) صحيفة السياسي الإلكترونية، بتاريخ: ١٢/ ٣/ ٢٠٠٨.

(٣) أراد ما يقابل القمامصة عندهم من المسلمين وهم العلماء.

١/ كل مكان يُعدُّ للعبادة على غير دين الإسلام فهو بيتُ كفرٍ وضلال.

٢/ أجمع العلماء على تحريم بناء المعابد الكفرية مثل الكنائس، كما أجمعوا على وجوب هدمها، ولا تجوز معارضَة ولي الأمر في هدمها، بل تجب طاعته.

٣/ السماح والرضا بإنشاء الكنائس أو تخصيص مكانٍ لها في بلاد الإسلام من أعظم الإعانة على الكفر وإظهار شعائره.. إلخ.

هذا هو الفكر الوهابي المتخلف، الذي جرَّ علينا المصائب وجفف منابع التفكير والتسامح، فجرَّنا إلى حربٍ وهمية، وإنَّ حرق الكنائس لن يفيد إلا أعداء الوطن.. إنها كلمات عفنة لا تناسب شخصيتنا، التي تعرَّضت - ولاتزال - لموجاتٍ من عدم الثقة والتعصب، لا يفهمها هؤلاء الجهلاء السطحيون، الذين يحتقرون أتباع الديانات الأخرى، وكأنهم مصابون بالجرب!.. لا أستطيع تخيلَ أن يسأل - كما في الكتيب - مصري «جدع» عن حق بناء الكنائس المتعبد فيها جاره، الذي يعاني مثله شظف العيش[1].

٣. الجانب الإعلامي:

لا يخفي أن إعلامَ اليوم لم يعد قاصراً على نقل الخبر أو سرد الأحداث المحلية والعالمية فقط، فخبراء الإعَلام يؤكدون أن الحربَ القادمةَ لن تكون حرباً عسكريةً، وإنما حروبٌ إعلاميةٌ متنوعة، أي أن الإعلام سيأخُذ مساحة ودوراً بارزاً في حياة الإنسان، ولذا استغله صاحبُ كلِّ رسالةٍ، سواءً كانت رسالةً سامية أو غيرها.

ومن هنا نجد أن النصارى الأقباط قد أولوا الجانبَ الإعلامي اهتماماً بالغاً منذ القرن التاسع عشر، وإن كانت البداية ضعيفةً إلا أنها آتت ثمارها.

وسأتناول في هذه الفقرةِ جانبَ التنصير الإعلامي من خلال ثلاثة محاور، كما يلي:

أولاً: الصحف والمجلات:

تتطلبُ الصحفُ والمجلات وجودَ مطابع بمواصفات عالية ذات تكاليف باهظة، ولقلةِ ذاتِ يد النصارى الأقباط في مطلع القرن التاسع عشر لم تصدر عنهم أيةُ صحيفةٍ

---

(١) صحيفة الفجر، العدد: ١٩٩، بتاريخ: ٢٤/ ٠٤/ ٢٠٠٩م، بتصرف.

أو مجلةٍ دينيةٍ، ويعتبرُ البابا كيرلس الرابع هو أوَّلُ بابا يشتري مطبعةً خاصةً بالنصارى الأقباط، ويوقفها على البطريركية القبطية[1]، وكان ذلك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وبهذا التاريخ يرتبطُ ظهور المجلات والصُحف القبطية.

ومن أبرز الصحف التي صدرت للنصارى الأقباط في العصر الحديث، ما يلي:

أ- صحيفة الوطن:

صدرت في عام (١٨٧٧م)، وكان رئيسُ تحريرها ميخائيل عبد السيد، وأُغلقت في عام (١٩٣٠م) على إثر خلافٍ بين الصحيفة ووزارة صدقي باشا[2].

ب- صحيفة مصر:

كانت في البداية تتحدث بلسان أقباط مصر من جميع الطوائف النصرانية، ثم انسحب منها الكاثوليك والبروتستانت، وبقي الأقباط الأرثوذكس، وقد أُنشئت عام (١٨٩٥م)، وتوقفت عام (١٩٦٦م)[3].

ت- صحيفة وطني:

أُنشئت عام (١٩٥٨م)، وكان رئيس تحريرها عزيز ميرزا، وصدورها مستمر إلى وقتنا المعاصر، ويرأسها حالياً يوسف أنطون[4].

ث- صحيفة الكتيبة الطيبية:

أُنشئت عام (٢٠٠٤م)، وهي تصدر عن كنيسةٍ بعزبة النخل - من أحياء القاهرة -، ويرأس تحريرها القس متياس نصر، وتسعى لبث روح الاضطهاد للأقباط في مصر[5].

---

(١) انظر: الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٣٩٧-٣٩٩، تاريخ الأمة القبطية: ٦٣-٦٤، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٥٠٣-٥١٥، الأقباط النشأة والصراع: ٥٢٧-٥٣٠.

(٢) انظر: المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ١٣٠، الأقباط النشأة والصراع: ٦١٥.

(٣) انظر: المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ١٨١، الأقباط النشأة والصراع: ٦١٥.

(٤) انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٦١٦، ٨٠٥.

(٥) انظر: موقع الكتيبة الطيبية على الشبكة العنكبوتية:

http: //www.katibatibia.com

أما أهم المجلات القبطية التي صدرت في العصر الحديث، فهي كما يلي:

أ- القرن التاسع عشر:

ظهر في أواخر هذا القرن العديد من المجلات القبطية، منها: المحيط، المفتاح، فرعون، الشمس، الجنس اللطيف، الرابطة المسيحية، التوفيق، الكرامة، ميزان الاعتدال[1].

ب- القرن العشرون:

شهد هذا القرن العديد من المجلات، تجاوزت (٢٠) مجلةً، منها: مجلة الكنيسة الأرثوذكسية، الصوت الصارخ، الفتى القبطي، الشعب القبطي، الكرمة، الراعي الصالح، المنارة، الصخرة، الأصدقاء، رسالة المحبة، مجلة مرقس، مجلة مار مرقس، مجلة الكرازة[2].

ثانياً: المواقع الإلكترونية:

تُمثِّلُ المواقعُ الإلكترونيةُ الأثرَ الأكبرَ للنصارى الأقباط في جانب الإعلام، ولن أبالغ إن قلت إن أكثر الكنائس والأديرةِ التابعة للكنيسة القبطية لها مواقع إلكترونية على الشبكة العنكبوتية، إضافة للمواقع المهتمة بأخبار الأقباط وكل ما يتعلق بهم وبعقيدتهم، ومنها على سبيل المثال:

أ- موقع الموجة القبطية:

وهو من أعظم مواقعهم على الإطلاق، اشتمل على كل ما يحتاجونه؛ في الجانب التاريخي، والإخباري، والتوثيقي، وهو يحظى بمتابعةٍ قويةٍ من القائمين عليه، ويصدق عليه أنه جامعةٌ لكل ما يحتاجه نصارى الأقباط في كل مكانٍ[3].

---

(١) انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٥٥٥.

(٢) انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٦١٦.

(٣) انظر: موقع الموجه القبطية على الشبكة العنكبوتية:

http: //copticwave.com/start.htm

ب-شبكة الرصد الإخباري:

وهو موقعٌ يهتم برصد كل ما يتعلق بأخبار الأقباط اليومية، من خلال متابعة الصحف والمواقع الإلكترونية والقنوات الفضائية وغيرها[1].

ت- الهيئة القبطية الكندية:

وهي أول تجمع لأقباط المهجر، أسَّسها الدكتور سليم نجيب في عام (١٩٦٩م) في كندا، وتمارس عملها الإعلامي من خلال الموقع الإلكتروني[2].

ث- أقباط متحدون الإلكترونية:

أُنشئ الموقع في عام (٢٠٠٤م) على يد مجموعة من النصارى الأقباط، ورسالة الموقع: «محاولة جادة لإخراج الأقباط من الذل والهوان اللذين تعمد النظام أن يضعهم فيهما»[3]، وهو موقع حاقدٌ موجهٌ ضد النظام الحاكم في مصر.

ثالثاً: القنوات الفضائية:

تُعتبرُ القنوات الفضائية من أبرز عوامل التأثير النصراني على المجتمعات، نظراً لاشتمالها على الصورة المتحركة والصوت، لذا من الطبيعي جداً أن نجد عنايةً واهتماماً من قبل النصارى عموماً بإنشاء قنواتٍ فضائيةٍ وبثِّ سمومهم من خلالها، والذي يهمنا ما يتعلق بالقنوات الفضائية ذاتِ الصلة بالكنيسة القبطية[4]، ويُمكن حصرها في قناتين:

---

(١) انظر: موقع شبكة الرصد الإخباري على الشبكة العنكبوتية:
http: //www.coptreal.com/default.aspx

(٢) انظر: موقع الهيئة القبطية الكندية على الشبكة العنكبوتية:
http: //copticnews.ca

(٣) انظر: موقع الأقباط متحدون على الشبكة العنكبوتية:
http: //www.copts-united.com/

(٤) أُنجزتْ رسالة ماجستير بعنوان: (الفضائيات العربية التنصيرية) للباحث: تركي بن خالد الظفيري، استوفى الباحثُ الحديثَ عن التنصير الفضائي، والرسالةُ جيدةٌ في بابها لمن أراد الاستزادة.

أ- قناة المحبة، وتسمى أغابي:

تأَسَّست في عام (٢٠٠٥م)، وتُدار من خلال الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وكانت تحاول أن تأخذ حيزاً في القمر المصري (نايل سات)، وهو ما لم تسمح به إدارة القمر، لذا لجأت للبث من خلال القمر الأمريكي (تلستار ١٢)، وتُدعَمُ القناة من قبل مجموعة من تجار النصارى الأقباط[١].

ب- قناة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية أو (CTV):

وهي القناة الرسمية للكنيسة القبطية في الوقت الحالي، أُنشئت في عام (٢٠٠٧م)، وتُبث من خلال القمر الأوروبي (الهوت بيرد)، ويُشرف عليها مباشرةً البابا شنودة الثالث، ويقدِّمُ فيها كبارُ أساقفةِ الأقباط برامجَ عقدية وتربوية خاصة، منهم الأنبا يوأنس سكرتير البابا شنودة، والأنبا موسى أسقف الشباب، وغيرهم من الأساقفة الأقباط.

ويدير الفضائية الجديدة ابنُ شقيق البابا شنودة، الصحفي عاطف كامل، وتَبُثُّ المحطةُ برامجها من داخل مبنى كنيسة «مار جرجس» في حي شبرا الخيمة بالقاهرة، حيث تَمَّ تجهيزُ عددٍ من استوديوهات البث المباشر بالكنيسة، ويموّل هذه القناةَ مليارديرُ صناعة الدواء ثروت باسيلي، الذي يُعدُّ ثاني أغنى رجلِ أعمالٍ نصراني في مصر بعد نجيب ساويرس[٢].

ويستعد النصارى الأقباط في الوقت الحالي - إلى وقت كتابة هذا البحث - لإطلاق أربع قنواتِ فضائيةٍ موجهةٍ لطائفتهم، داخل مصر وخارجها، تُبث من عدةِ دولٍ، طبقاً لما نشرته صحيفة «المصريون»، حيث أوردت ما نصُّه: (لم يبق إلا اللمسات الأخيرة والاستعدادات النهائية.

أربعُ فضائيات مسيحية جديدة موجهة لأقباط مصر، هي:

---

(١) انظر: الفضائيات العربية التنصيرية: ٥٣-٥٤، وموقع القناة على الشبكة العنكبوتية: http: //www.aghapy.tv

(٢) انظر: مجلة المجتمع، العدد: ١٧٧٩، تاريخ: ١/ ١٢/ ٢٠٠٧م.

فضائية «الخلاص» من قبرص، وفضائية «المحبة» من لوس أنجلوس، وفضائية «الكتاب المقدس» من لبنان، وفضائية «الراعي الصالح» من الولايات المتحدة الأمريكية ..)[1][2].

(١) صحيفة المصريون: بتاريخ: ٢١/ ٤/ ٢٠٠٩م.

(٢) معلومٌ أن أبرزَ المجالات التي يتمُّ من خلالها التنصير: التنصيرُ الطبي، ولوجود مبحثٍ مستقلٍ عن الأثر الاجتماعي للنصارى الأقباط، ولارتباط الطب والعلاج بالجانب الاجتماعي أكثر منه بالجانب الديني؛ رأيتُ إرجاءَ الحديث عنه إلى مبحث أثر النصارى الأقباط الاجتماعي.

المبحث الثاني: النصارى الأقباط وأثرهم السياسي

بدأت المسيحيةُ دعوتها بدعوة المسيح عليه السلام إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، وكان مبعَثُهُ عليه السلام في بيئةٍ يهوديَّة طغى عليها حبُّ المادة وجمع المال، وكان ذلك شائعاً على مستوى العامة، بل حتى العلماء والرهبان، لذا فقد كانت دعوةُ المسيح عليه السلام مائلةً إلى الزهد في الدنيا والبعدِ عن معترك الحياة.

كان مفهوم الزهد والرهبنة هو الغالب على جوِّ الكنيسة في عصورها الأولى، وقد أخبر سبحانه وتعالى عنهم في ذلك، يقول سبحانه وتعالى في محكم التنزيل: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحديد: ٢٧].

واستمر هذا السمتُ على أغلب عصور الكنيسة القبطية على وجه التحديد، يقول جوزيف رامز عن الكنيسة القبطية: (إنها أصلاً كنيسةٌ مناضلةٌ، لا تبغي السلطةَ والحكم، ولم تشارك فيه، سواءً في أيام الدولة الرومانية أو البيزنطية، وحتى مع دخول العرب مصر، بل كانت على الدوام مؤسسة شعبية، وحاولت فقط أن تتعايش مع كافة العصور والمراحل بهدف الحفاظ على سلامة الوطن ووحدته، وهي تختلف هنا عن الكنيسة الكاثوليكية التي تدخلت في السلطة في العصور الوسطى في أوروبا أو عن غيرها بصفةٍ عامة، بل هي على العكس، ورثت تراث المُسالَمة للحاكم مع الولاء للأرض والوطن)(١).

إلا أن المتأمل في عصر الكنيسة القبطية وتاريخها الحديث، يجدُ ميلاً وانحرافاً عن هذا المسار إلى الارتباط بمجريات الحياة السياسية، ومحاولة النفوذ والتأثير في الآخرين من خلالها.

---

(١) دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ٣٣٢.

وهذا التحول - في غالبه - إنما هو نتيجةُ تغيرٍ في نوعية البطاركة وثقافاتهم، فبينما كان البطاركة الأوائل لا يحملون مؤهلاتٍ علميةٍ؛ نجد متأخريهم على مستوى من العلم والتحصيل، لا يُمكن معه أن يُقارَنَ السابقون بهم، ونتيجةً لهذا التميز في الثقافةِ والتعلمِ؛ أصبح أثرُ متأخريهم السياسي بارزاً ولا يمكن تجاهله.

وفي هذا المبحث سأتناول شيئاً من ذلك الأثرَ السياسي الناجم عن وجود الكنيسة القبطية في أرض مصر، وسيكون الحديث محصوراً في العصر الحديث.

وقد تقدم الحديث عن الحملتين الفرنسية والإنجليزية على مصر، والأثر الذي لعبته تلك الحملات في نفوس المصريين، المسلمين منهم والنصارى، وكانت تلك الحملات لا تخلو من خيانات يُمنَّى أصحابها من خلالها بمناصبَ سياسية أو متاعٍ من الدنيا زائل.

ومن أوائل الشواهد التي حصل فيها ميلٌ من كثير من النصارى الأقباط إلى المستعمر، وتمرُّد على المسلمين، ما حصل من المعلم جرجس الجوهري وجماعته القبطية في أواخر القرن الثامن عشر، عندما أرسلوا إلى نابليون بونابرت بطلبٍ يتمثّلُ في إلغاء القيود الدينية التي فرضتها عليهم الدولة الإسلامية - المماليك والعثمانيون -، فردَّ عليهم نابليون بذكاءٍ، مستغلاً هذه الأزمة بينهم.

يقول نابليون في خطاب بعث به إلى المعلم جرجس[1] الجوهري: (استلمتُ الكتاب الذي أرسلَتْهُ الأمة القَبطية، وإنه من دواعي سروري حمايةُ هذه الأمة، التي لن تكون من الآن فصاعداً موضع الاحتقار، وعندما تُتيح الظروف - الشيء الذي لا أراه بعيداً - قد أسمح لها[2] بأن تقيمَ شعائرَها الدينية علانيةً، كما هو الحال في أوروبا)[3].

وفي النصف الأول من القرن التاسع عشر، وفي عهد محمد علي تحديداً، نجد

(١) الصحيح أنه جرجس الجوهري، وليس إبراهيم الجوهري كما يذكره ملاك لوقا، فإن إبراهيم الجوهري قد هلك عام (١٧٩٥م)، كما يؤكد ذلك ملاك لوقا نفسه، أما هذه الرسالة التي بعث بها بونابرت فكانت في عام (١٧٩٨م). انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٥١٣-٥١٥.

(٢) أي للأمة القبطية.

(٣) الأقباط النشأة والصراع: ٥١٥.

بدايات تمكين للنصارى الأقباط في الأعمال الحكومية، فقد شغَلَ النصارى الأقباط كثيراً من الوظائف المتعلقة بالجوانب المالية والحسابية، وإن كانوا بعيدين عن المناصب الإدارية العليا[1]، يقول الدكتور مصطفي الفقي: (ويُعتبرُ القرن التاسع عشر، ومجيء الحملة الفرنسية إلى مصر؛ مرحلة انتقال من أوضاع القرون الوسطى في الفكر والسياسة إلى بداية دولة عصرية في مجال الزراعة والصناعة والإدارة الحديثة.. ولما كان محمد علي يسعى إلى الاستقلال عن الإمبراطورية العثمانية؛ فقد أولى الشخصيةَ المصريةَ اهتمامه، وشجع إرهاصات القومية المصرية.. فقد تأثرت سياسته تجاه الأقباط بصورة متوازية.. وكان أول حاكم يُنعِمُ بلقب بك على قبطي)[2].

جاء من بعده محمد سعيد باشا، فاعتمد بشكلٍ كبير على الشعب المصري محاولاً هو الآخر الاستغناءَ عن الأتراك، وكان للنصارى الأقباط فرصةٌ سانحةٌ في عهده بشكلٍ أكبر للتوغل في العمل الحكومي، يقول الراهب أثناسيوس المقاري: (وكان سعيد باشا هو أول من بدأ بدعوة الأقباط للانخراط في الجيش المصري أسوةً بإخوانهم المسلمين، وسمح للجنود الأقباط أن يمارسوا ديانتهم علانيةً، كما منع إقامة الأفراح في حالة اعتناق قبطي للديانة الإسلامية، وأمر بإلغاء الجزيةِ المفروضةِ على الذميين في ديسمبر سنة (١٨٥٥م)، وعيَّن حاكماً قبطياً للسودان، وهو بمثابة منصبِ رئيس الإقليم الجنوبي لمصر)[3].

ولما جاء الخديوي إسماعيل قام بتعيينِ عددٍ من النصارى الأقباط في المحاكم، وأعطاهم الأحقية في الترشح لمجلس الشورى[4]، يقول هاني لبيب: (أسَّس الخديو إسماعيل مجلس شورى النواب، والذي لم تُحدد اللائحةُ الأساسيةُ له أيَّ تمييزٍ بين النواب مسيحيين أو مسلمين، وقد ضمَّ أولُ مجلسِ شورى للنوابِ العديدَ من الرموز القبطية حينذاك، وعلى سبيل المثال: المعلم سليمان سيدهم، وجرجس برسوم،

(١) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٥٤٤، كنيسة مصر: ٣٢٩-٣٣٠.

(٢) الأقباط في السياسة المصرية: ٢٣.

(٣) كنيسة مصر: ٣٣٢.

(٤) انظر: الأقباط في السياسة المصرية: ٢٥، كنيسة مصر: ٣٣٥.

وميخائيل أثناسيوس، وفي مجلس شورى النواب عام (١٨٧٠م) ضمَّ أقباطاً آخرين، منهم: المعلم فرج إبراهيم، وحنا أفندي يوسف، ثم أُضيف إلى كل من السابقين في المجلس التالي عام (١٨٧٦م) عبد الشهيد بطرس، وهكذا بدأ يظهر الدورُ السياسي الحقيقي للأقباط)[١]، ويقول الراهب أثناسيوس المقاري: (وفي عهد إسماعيل باشا بدأ الأقباط يستنشقون نسيم الراحة، ويستعيدون قوتهم وحياتهم شيئاً فشيئاً)[٢].

بعد ذلك رفعَ النصارى الأقباط عريضةً للخديوي إسماعيل يلتمسون موافقته لإنشاء مجلسٍ مليٍّ مُختصٍّ بالنصارى الأقباط، واستغلوا في ذلك النفوذَ السياسي لأحد مشاهيرهم، وهو بطرس غالي، ليكون شفيعاً لهم لدى السلطان.

والهدف من المجلس الملي إتاحةُ الفرصةِ لأعيانِ النصارى الأقباط - من غير الإكليروس - للاشتراك مع الكنيسة وبطريركها في إدارة الشؤون العامة للنصارى الأقباط وكنيستهم[٣].

وفي عام (١٨٧٤م) جاءت موافقة الخديوي إسماعيل على إنشاء المجلس الملي[٤]، وبعد الموافقة على إنشاء المجلس، وافق الأمرُ تنصيب البابا كيرلس الخامس بطريركاً للكنيسة القبطية والكرازة المرقسية، فلم يرض أن يُشاركه أحدٌ في إدارة شؤون الكنيسة، مما أدى إلى نزاعٍ بينه وبين أعضاء المجلس الملي، ومن ثم إلغاء هذا المجلس.

وفي عام (١٨٨٣م) اجتمع أعيان النصارى الأقباط من السياسيين برئاسة بطرس غالي، وألَّفوا المجلس الملي الثاني بإذن من الخديوي توفيق، ولكنه ما لبث أن تعطل ثانيةً، ثم أُعيد في عام (١٨٩٢م) فأعلنَ البابا رفضه ثانيةً لهذا المجلس، ونتج عنه انقسامٌ بين النصارى الأقباط؛ جماعة مع المجلس الملي، وأخرى مع البابا كيرلس الخامس[٥].

ورَفْضُ البابا كيرلس لهذا المجلس يوضح فكر الكنيسة القبطية الرافض لمشاركةِ

(١) المواطنة والعولمة؛ الأقباط في وطن متغير: ٩٨.

(٢) كنيسة مصر: ٣٣٥.

(٣) انظر: تاريخ الأمة القبطية: ٦٨.

(٤) انظر: الأقباط في السياسة المصرية: ٢٦.

(٥) انظر: تاريخ الأمة القبطية: ٦٨.

غيرها لها في إدارة شؤون الكنيسة وأتباعها من غير الإكليروس.

قامت بعد ذلك ثورة أحمد عرابي ضد الاستعمار، فشارك معه كثيرٌ من النصارى الأقباط، وحصل اندماجٌ بين كثيرٍ من المسلمين والنصارى[1].

دور النصارى الأقباط في القضاء والوزارة في القرن التاسع عشر:

أولاً: القضاء:

في مطلع الثمانينات من القرن التاسع عشر صدرت أوامر عليا بالتعيينات القضائية الأولى لمحكمة الاستئناف، وقد ضمت القائمة أربعةً من النصارى الأقباط، هم:

١. حنا نصر الله بك: محكمة مصر الإبتدائية.
٢. برسوم حنين أفندي: محكمة الإسكندرية.
٣. تادرس إبراهيم أفندي: محكمة بنها.
٤. ميخائيل شاروبيم أفندي: محكمة المنصورة.

وفي عام (١٨٨٩م) صدرت الأوامر العليا بتعيين قضاةٍ من النصارى الأقباط، وهم:

١. ياسين عبد الشهيد أفندي: محكمة بني سويف.
٢. مرقص غالي أفندي: محكمة أسيوط.
٣. برسوم جرجس أفندي: محكمة قنا[2].

وفي الجملة؛ ساعدت التطوراتُ الأقباطَ - ربما لأول مرةٍ - منذ الفتح الإسلامي العربي لدخول الحياة العامة، وأن يصبح لهم دورٌ فعّال على مسرح الحياة السياسية، ويُمكن القول: إن محمد علي وخلفاءه قد نقلوا النصارى الأقباط من بعض مظاهر الماضي، وهيؤوا لهم فرصتهم الأولى لإبراز دورهم في الحياة العامة[3].

---

(١) انظر: المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ١٠٨.

(٢) انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٥٥١، الأقباط في السياسة المصرية: ٢٨.

(٣) الأقباط في السياسة المصرية: ٢٨.

ثانياً: الوزارة:

شهد القرن التاسع عشر تعيينَ أولَ وزيرٍ من النصارى الأقباط، وهو: بطرس غالي، حيث عُيِّنَ أولاً وزيراً للمالية، وكان ذلك في عام (١٨٩٣م)، وهي الفترة التي كان فيها حسين فخري باشا رئيساً للوزراء، ثم عُيِّنَ وزيراً للخارجية ثانياً، وكان ذلك في عام (١٨٩٤م) وكان رئيس الوزراء في هذه الفترة نوبار عين، واستمر في منصبه وزيراً للخارجية في عهد مصطفي فهمي باشا، من عام (١٨٩٥م)، ثم عُيِّن رئيساً للوزراء في القرن العشرين[١]، كما سيأتي.

وفي الجملة؛ هناك تحول ملحوظٌ في القرن التاسع عشر للحياة العامة عند النصارى الأقباط، يتمثَّل ذلك في بلوغهم بعض المناصب السياسية والقضائية في الدولة، مما لم يكن متيسراً لهم في القرون السابقة.

النصارى الأقباط والسياسة في القرن العشرين[٢]:

مع مطلع القرن العشرين أَنشأ المصريون حزباً وطنياً لمواجهة الاستعمار، أسموه (الحزب الوطني)، كان يرأسُه مصطفي كامل، وكان في هذا الحزب اثنان من النصارى الأقباط، هما: ويصا واصف ومرقص حنا، ويذكر بعضُ الكُتَّاب أَن الغالب على هذا الحزب هو الطابع الديني، وإن كانت تصريحاتُ مسؤولي الحزب كثيراً ما تنصّ على عدم التفرقة بين المسلمين والنصارى داخل الحزب، إلا أن ظهور الجانب الديني في الحزب الوطني لا يُمكن أن يُنكر.

لم تكن مشاركة النصارى الأقباط - بشكل عام - في هذا الحزب فعالة، وذلك لارتباط مصطفي كامل بالسلطة الحاكمة في تركيا، ولكون هذا الحزب - كما تقدم - في بعض جزئياته ينطلقُ من منطلقاتٍ إسلامية، يقول ملاك لوقا: (غير أن الأقباط لم يوافقوا على كل برنامج الحزب الوطني، فقد دأب مصطفي كامل على تأييد أحقية

---

(١) انظر: مشاكل الأقباط في مصر: ١٠٧-١٠٨، الأقباط النشأة والصراع: ٥٥٢.

(٢) حول التدرج في الأحداث السياسية للنصارى الأقباط في القرن العشرين، انظر: الأقباط في السياسة المصرية: ٣٢وما بعدها، الأقباط الصراع والنشأة: ٥٧١وما بعدها، المسلمون والأقباط: ٥٥وما بعدها، كنيسة مصر: ٣٣٧وما بعدها.

المسلمين دون سواهم، بحجة أنهم يدينون بدين الدولة الرسمي، ولم يُخفِ اهتمامه بتجديدِ سياسة الجامعة الإسلامية، لذلك لم يُوَافِقِ الأقباطُ على كل برنامجه)[1].

في عام (١٩٠٨م) توفي مصطفي كامل، فترك فراغاً كبيراً في رئاسة الحزب، وتدخل الخديوي عباس محاولاً منع محمد فريد من الرئاسة بعد مصطفي كامل إلا أنه لم يفلح، فآلت الرئاسة إلى محمد فريد، وتوافق مع ذلك انسحابُ ويصا واصف من الحزب، فحصلَ إشكالٌ في الوجود القبطي داخل الحزب الوطني، وبذلك فقد محمد فريد تأييدَ النصارى الأقباط إلى حدٍ كبير، ومما ساعد على هذا الموقف من قبل النصارى الأقباط؛ موقفُ محمد فريد الرافضِ لتعيين بطرس غالي رئيساً لمجلس الوزراء، وهكذا أصبحت العلاقة بين الحزب الوطني والنصارى الأقباط علاقة مضطربة، ضَعُفَ معها الدور السياسي للنصارى الأقباط.

وقد أَظهرت دراسةٌ أن مساهمة مصطفي كامل في الحزب الوطني، كانت أبرز الأمور الداعية للمقاومة بالاتحاد بين المسلمين والنصارى الأقباط، ومن ثم بروز دور الأقباط السياسي[2].

في ذات العام تولى بطرس غالي رئاسة مجلس الوزراء، وكان - كما تقدم - أول قبطي نصراني يتولى رئاسةَ مجلسِ الوزراء في مصر، وقد أُخذ عليه أمور، منها: محاباة المستعمر الإنجليزي، وتمديدُ تأميم قناة السويس.

وكان مجرد ترشيح بطرس غالي رئيساً للوزراء، محلَّ استهجان واعتراض من قبل المسلمين - ولاسيما في الحزب الوطني - تجاه هذا القرار، مما زاد الشقاق بين المسلمين والنصارى الأقباط، وجعل الأقباطَ يبتعدون كثيراً عن الحزب الوطني، ونتج عن هذا الابتعاد من النصارى الأقباط، قيامُ أحدهم - وهو أخنوخ فانوس[3] - بالدعوة

(١) الأقباط النشأة والصراع: ٥٧٧.

(٢) انظر: الأقباط في السياسية المصرية: ٣٧.

(٣) هو أخنوخ فانوس روفائيل، ولد عام (١٨٥٦م)، وتعلم في أسيوط، ثم التحق بالجامعة الأمريكية في بيروت، اشتغل بالمحاماة، ومُنح الدكتوراة الفخرية من الجامعة الأمريكية عام (١٩١٠م)، وكان من الأعضاء الذين ساهموا في إنشاء جامعة القاهرة، هلك عام (١٩١٨م). انظر: قاموس التراجم القبطية: ١٧.

إلى تأسيس حزبٍ جديدٍ، وكان ذلك في أواخر عام (١٩٠٨م)، وبالفعل تمَّ إنشاءُ حزبٍ قبطي عُرِفَ بـ«حزب مصر»، يُمثلُ في أغلبيته النصارى الأقباط، ومن أبرز سمات هذا الحزب؛ التسامح تجاه الاحتلال البريطاني[1].

مقتل بطرس غالي:

في عام (١٩١٠م) قام أحد أعضاء الحزب الوطني، ويُدعى إبراهيم الورداني بعملية اغتيال لبطرس غالي، فكانت هذه العملية نقلة أُخرى في جو الصراع بين المسلمين والنصارى الأقباط، وولَّد هذا العملُ ثأراً عند النصارى الأقباط، ومع أن أسباب القتل كانت واضحة، تتمثَّلُ في جوانبَ سياسيةٍ لا دينية؛ حيث اعترف الورداني بأن قتْله لبطرس غالي كان لأمور، هي: توقيعُ بطرس غالي لاتفاقيات السودان التي تمَّ من خلالها تسليم السودان للإنجليز عندما كان وزيراً للخارجية، أيضاً أنه كان رئيسَ المحكمةِ التي أصدرت أحكاماً بالشنق والجلد في محكمة دنشواي لستة فلاحين مصريين قتلوا جنوداً من الإنجليز، وذلك لإحراقهم - أي الجنود - عدداً من المزارع أثناء صيدهم.

ومع ما تقدم من أسباب قتل الورداني لبطرس غالي؛ إلا أن مجموعة من النصارى الأقباط رفضوا تلك المبررات السياسية، وحملوا الأمور على المسألة الدينية[2].

وبعد عام أصدر ابن بطرس غالي - ويُدعى (واصف) - بياناً أعلن فيه تغاضيه عن الإساءات التي وُجِّهت لأبيه في ذكرى وفاته، وتضمَّن البيانُ دعوةً لعقد مصالحةٍ وطنيةٍ بين المسلمين والنصارى، فرَفَضَ النصارى الأقباط هذه الدعوة، وهاجموا واصف، وأصدروا بياناً في انتقاده ورفضه تماماً، وأن هذا الرأي الذي صرَّح به إنما يُمثِّلُ رأيه هو، لا رأي الأقباط عموماً[3].

وتصعيداً لموقفهم؛ عقدَ النصارى الأقباطُ مؤتمراً في مدينة أسيوط، حضره ما يزيد على الألف، وكانت نيةُ عقدِ المؤتمر قبل مقتل بطرس غالي، وكان غالي رافضاً لهذه

(١) انظر: الأقباط في السياسة المصرية: ٣٧، المسلمون والأقباط: ٦٣.
(٢) انظر: الأقباط في السياسة المصرية: ٣٨، المسلمون والأقباط: ٦٤.
(٣) انظر: الأقباط في السياسة المصرية: ٣٨.

الفكرة، ولكن بعد قتله استغل المؤيدون لهذا المؤتمر مقتَلَهُ في التأكيد على إقامته، وكان زعيم المؤتمر هو أخنوخ فانوس.

غَلَبَ على هذا المؤتمر تعصبُ النصارى الأقباط لآرائهم، ولم يتقبلوا رأياً سوى رأيهم، ولذا لما عارض ويصا واصف فكرة إقامة المؤتمر؛ أطلقوا عليه وعلى رفاقه (يهوذا الإسخريوطي وإخوته).

وقد مثَّل هذا المؤتمرُ ضغطاً سياسياً على الحكومة المصرية في ذلك الوقت، لأن الحكومة المصرية لما رفضتْ إقامةَ المؤتمر في مدينة أسيوط؛ هدَّد القائمون على المؤتمر بالاستعانة بالأجانب ضدَّ الحكومة المصرية، حيث إن بشري حنا لما قابلَ وكيل وزارة الداخلية المصرية، طلب منه الوزيرُ تغييرَ المكان، فردَّ بشري بما نصُّه: (سنجتمع على أي حالٍ في الزمان والمكان اللذين عيناهما، ويخفقُ على رؤوسنا العلم المصري، أما إذا أرادت الحكومة منعنا؛ فسنُرْغَمُ على الاحتماء بأعلام الدول التي يتبعها فريقٌ منا)[1]، وواضح هنا نبرة المواجهة في خطاب بشري تجاه الوزير، كما يظهر أيضاً أن هناك وفوداً أجنبيةً شاركت في هذا المؤتمر[2].

ويُمكنُ حصر مطالبِ النصارى الأقباط في هذا المؤتمر بعدة أمورٍ، منها:

١. مساواة النصارى الأقباط بالمسلمين المصريين في يوم الإجازة الديني، فيوم الجمعة يومُ إجازةٍ عند المسلمين لكونه يوماً معظماً، لذا طالبوا أن يكون يوم الأحد يومَ إجازةٍ لهم.

٢. ألا يُنظر لاعتبار الديانةِ مطلقاً للمُرشَّح للأعمال الإدارية أو الوزارية، وإنما المدار على الأهلية والكفاءة.

٣. المطالبة بالحقوق الكاملة أسوة بالمسلمين.

٤. أن تُنفق الحكومةُ المصريةُ على جميع المرافق المصرية بالسواء، دون تمييزٍ بين ما كان

(١) المسلمون والأقباط: ٦٨.

(٢) انظر: المسلمون والأقباط: ٦٩.

تابعاً للمسلمين أو للنصارى، وبمعنى آخر: أن تُدعم الكنيسةُ كما يُدعم المسجد[1].

وفي مقابل هذا المؤتمر، وردّاً على مطالب النصارى الأقباط؛ عقد المسلمون مؤتمراً في أسيوط في نفس العام، برئاسة رياض باشا، أعلنوا فيه رفضهم لكل مطالب النصارى الأقباط في مؤتمرهم السابق[2].

النصارى الأقباط وحزب الوفد:

أسَّس سعد زغلول حزبَ الوفد الوطني المناهض للاستعمار، وكان ذلك في عام (١٩١٨م)، ولم يكن في بدايات هذا الحزب بين أعضائه أحدٌ من النصارى الأقباط، ولما عَلِموا بخلوِّه من أحدٍ يُمثِّلهم فيه؛ (انتدبوا ثلاثةً منهم، هم فخري عبد النور[3]، وويصا واصف، وتوفيق أندراوس للذهاب إلى سعد، وعرضوا على سعد هذا الأمر - مشاركتهم - فرحَّب بفكرتهم، وتحدث معهم في اختيارِ أحد كبار القبط بالوفد، فاختاروا واصف بطرس غالي..)[4]، وهذا يظهرُ جانباً من إدراك النصارى الأقباط لأهمية المشاركة في العملية السياسية.

وقد كُتب لهذه الثورة أن تُحقق اندماجاً كبيراً بين المسلمين والنصارى، وغلب عليها طابع الوطنيةِ والقومية، ورُفعت رايات للوحدة في ذلك، مثل: (الهلال مع الصليب)، و(الدين لله، والوطن للجميع)، وهو ما يُعبِّر عن توجه علماني للثورة.

يقول جمال بدوي: (ظهرت صفة العلمانية للوفد في تكوين أي لجنة أو اجتماع أو مؤتمر أو مظاهرة، وفي كل صحيفة.

---

(١) انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٥٧٨، المسلمون والأقباط: ٧٦.

(٢) لم آت على تفاصيل هذا المؤتمر، لأن المقصود هو الجانب السياسي القبطي، وليس ما يتعلق بالسياسة في عصر مصر الحديث بشكل عام.

(٣) فخري عبد النور، ولد عام (١٨٨١م)، اشتهر بالسياسة، وكان أحد أعضاء البرلمان، عُيّن وكيلاً للبنك المصري عام (١٩٠٣م)، أحد أعضاء حزب الأمة، اشترك في تأسيس صحيفة السياسي، هلك عام (١٩٤٢م). انظر: قاموس المعاجم القبطية: ١٦٧-١٦٨.

(٤) الأقباط النشأة والصراع: ٥٨١، وانظر: الأقباط في السياسة المصرية: ٥٨.

حتى الهيئات والتكوينات التي كانت تُؤلِّفها الحكومات المعادية للوفد، كانت تصدر عن نَفْسِ منطلقِ «المصرية الجامعة»، الذي فرضه الوفد على الجميع)[1].

ومن أبرز قيادات النصارى الأقباط في هذا الحزب: مكرم عبيد، فقد كان سكرتيراً عاماً للحزب، ثم تولى وزارة المالية حتى عام (١٩٤٢م)، يقول القس أثناسيوس المقاري: (كان مكرم عبيد من ألمع الشخصيات في الحياة السياسية المصرية، ومن أبرز وزراء الاقتصاد بها، بل من أكثر السياسيين المصريين في تلك المرحلة وعياً باحتياجات مصر الاجتماعية)[2].

وكان مكرم عبيد مقرباً من سعد زغلول بشكلٍ كبير، حتى إنه كان يُسمى بـ (ابن سعد البار)[3]، ولما كان مكرم عبيد من أبرز قيادات هذا الحزب؛ هاجمه الإخوان المسلمون، وطالبوا بالتشريع الإسلامي والجامعة الإسلامية، بدلاً من الجامعة المصرية التي كان لمكرم عبيد أثر بارزٌ فيها[4].

ومما يُذكر في الجانب السياسي للنصارى الأقباط في هذه الفترة؛ أنه نشأت بينهم فكرةُ تمثيل الأقباط في المجالس النيابية في مصر من دون الرجوع إلى نظام الانتخابات المعروف، بحيث يكون انتخاب ممثلي الأقباط في المجالس النيابية مقتصراً على أصوات الناخبين الأقباط دون غيرهم[5].

النصارى الأقباط وثورة (١٩٥٢م):

قامت ثورةُ (١٩٥٢م) أو ثورة (الضباط الأحرار)، غلب عليها الجانب العسكري، وكانت هذه الثورة مختلفة عن الثورة السابقة التي كانت تميلُ إلى جانب التعدد الحزبي أو الديموقراطي، ولذا سجلت هذه الثورةُ تراجعاً في التيار الوطني العلماني

(١) الفتنة الطائفية في مصر: ٥٩.

(٢) كنيسة مصر: ٣٤٠.

(٣) انظر: الأقباط في السياسة المصرية: ٦٢.

(٤) انظر: المسلمون والأقباط: ٥٤٣ وما بعدها.

(٥) انظر: المسلمون والأقباط: ١٧٦.

والليبرالي، وكان الأبرز في الساحة: التيار العسكري المتمثل في رجال ثورة يوليو، والتيار الإسلامي المتمثل في حركة الإخوان المسلمين، وضَعُفَت التيارات الأخرى عن مقابلة هذين التيارين، لذا شعر النصارى الأقباط بخوفٍ من المستقبل الذي باتت ملامحه لا تُبشِّرهم بخير.

وفي مقابل تلك التكتلات والتيارات الإسلامية والعسكرية؛ أنشأ النصارى الأقباطُ حزباً خاصاً بهم، هو (حزب الأمة القبطية)، وقد أَسَّس هذا الحزب محام قبطي، يُقال له: إبراهيم فهمي هلال، وكانت نشأة هذا الحزب في شهر سبتمبر من عام (١٩٥٢م)، ويُعلل غالي شكري ظهور هذا التنظيم (بأنه ردُّ فعلٍ لغياب الديموقراطية من جانب الدولة، وتعاظم قوة الإخوان المسلمين، ويرى أن تنظيم الأمة القبطية يحمل دعوةً سياسيةً صريحةً إلى إقامة دولةٍ قبطيةٍ مستقلةٍ عن دولة مصر)[1].

وكان هذا التنظيم يميلُ إلى العنف، ويُحاول فرض سلطته بالقوة، ونظراً لضعف شخصية بطريرك الأقباط في ذلك الوقت، وهو الأنبا يوساب الثاني؛ قامت مجموعة مسلحة من هذا التنظيم، عددهم خمسةُ أفرادٍ، بمهاجمةِ المقر البابوي - محل إقامة بطريرك الأقباط - وجرَّدوا حُرَّاس المقر من أسلحتهم وعصيهم، وشقوا طريقهم إلى غرفة البطريرك الأنبا يوساب، وتحت تهديد السلاح؛ استسلم البطريرك لهؤلاء الخمسة، فطالبوه بالتوقيع على عدة أوراقٍ كانت معهم، تُمثِّل تنازل البطريرك يوساب عن البطريركية، ووثيقة أخرى يدعو فيها البطريركُ المجمعَ المقدس والمجلس المليَّ لإجراء انتخابات لبطريركٍ جديدٍ، ووثيقة ثالثة بتعديل لائحةِ انتخابات البطريرك، واقتادوا البطريرك إلى ديرٍ بوادي النطرون، وسلَّموه لراهب الدير هناك، وطالبوه بإبقاء البطريرك عندهم إلى أجلٍ لاحقٍ.

عادت هذه المجموعة إلى القاهرة لتُرسل بياناً إلى الكنائس والصحف تُعلن من خلاله تنازل البطريرك، وإقراره بالفساد داخل الكنيسة، وتطلب من النصارى الأقباط انتخاب بطريركٍ جديدٍ، إلا أن الحكومة المصرية تدخلت بقوة، وألقت القبض على

---

(١) الفتنة الطائفية في مصر: ٨٣.

هؤلاء وأطلقت سراح البطريرك القبطي[1].

هذا التمرد العسكري من بعض النصارى الأقباط على كنيستهم، يُظهر جانباً مهماً في التحول من التقديس الكنسي إلى الميول السياسية العسكرية للنصارى الأقباط.

بعد ثورة يوليو لم يعد للنصارى الأقباط وجودٌ قوي كما كان في السابق، وإن كانت حياتهم تميَّزت بهدوءٍ نسبي في زمان الرئيس جمال عبد الناصر؛ إلا أنه لم يكن بالشكلِ المطلوبِ عند النصارى الأقباط.

في عهد جمال عبد الناصر كان بطريرك الأقباط هو البابا كيرلس السادس، وكان البابا كيرلس منصرفاً إلى التدين، وتميَّزت العلاقة بين البابا كيرلس والنظام بأنها كانت علاقة جيدة جداً، وكان بينهما ارتياحٌ متبادل، وكان في مقدورِ البطريرك الاتصال بالرئيس جمال عبد الناصر في أي وقتٍ يريد.

وقد ركَّز البابا جهوده في رفع مستوى النصارى من أتباعه في الجانبين: الديني والثقافي، وهي أمورٌ تتماشى مع التقاليد الكنسية الأولى، ولم تتعرض سلطة عبد الناصر لأيِّ نشاطٍ قبطي، باستثناء حلِّ حزب الأمة القبطية.

بل كانت الدولة تدعم بعض المناشط المتعلقة بالكنيسة القبطية، ومن ذلك مساهمة الرئيس جمال عبد الناصر في بناء الكاتدرائية بالقاهرة، وهي الأكبر على مستوى مصر، بل وقام عبد الناصر بوضع حجر الأساس لهذه الكنيسة[2].

ومن أهم ما يُذكر في التحولات القيادية للكنيسة؛ أن الرهبان (القساوسة) لما ضغطوا على البابا كيرلس السادس مطالبين بترقيتهم إلى درجة الأسقفية؛ رسم العديد منهم على درجة الأسقفية دون أن يكون هناك كنائس جديدة، وهذه لأول مرة تحدث في الكنيسة القبطية، إذ كان السائد في السابق أنه لا يُرسم أحدٌ على درجة الأسقفية إلا على نطاقٍ يمثل مساحةً جغرافيةً.

(١) انظر: الأقباط الكنيسة أم الوطن؟: ٤١، الأقباط النشأة والصراع: ٥٩٠، الفتنة الطائفية في مصر: ٨٣-٨٥

(٢) انظر: الأقباط الكنيسة أم الوطن؟: ٥٠-٥١، الفتنة الطائفية في مصر: ٩٠-٩١.

رَسَمَ البابا كيرلس السادس أسقفاً للعلاقات الدولية للكنيسة والاتصال بالكنائس العالمية باسم الأنبا صموئيل، وفي هذا توجه ظاهرٌ من الكنيسة نحو العلاقات الدولية والعالمية، كما رسم البابا كيرلس أسقفاً للبحث العلمي باسم الأنبا غريغوريوس، ورسم أيضاً أسقفاً للتربية في الكنيسة باسم الأنبا شنودة الثالث، الذي أصبح فيما بعد بطريرك الكنيسة القبطية[1].

وفي شهر سبتمبر من عام (١٩٧٠) توفي جمال عبد الناصر، وتبعه بعد خمسة أشهر البابا كيرلس السادس.

سياسة الكنيسة القبطية في عهد البابا شنودة الثالث:

بعد وفاة البابا كيرلس السادس، رشَّح النصارى الأقباطُ الأنبا شنودة الثالث لقيادة الكنيسة القبطية - وكان ذلك في عهد الرئيس المصري أنور السادات -، ويكاد يُجمع المؤرخون والمفكرون والمهتمون بجانب الأديان - سواءً منهم المسلم أو النصراني - أن الكنيسة القبطية في عهد البابا شنودة الثالث قد تحولت تحولاً كبيراً في التعامل مع معطيات الحياة العامة، كما تغير الاتجاه الذي سارت عليه في السابق عن الاتجاه الذي سلكه بها البابا شنودة الثالث[2]. يقول جمال بدوي: (رسالةُ الكنيسةِ دخلت مرحلةً جديدةً على عهد البطريرك الحالي الأنبا شنودة الثالث، وبات واضحاً أن هذه الرسالة لم تعد مقصورةً على رعاية الشؤون الكهنوتية، ورفع مستوى الإكليروس والكهنة الرهبان.. وإنما أرادت أن يمتد سلطانها إلى رعاية القضايا العامة للشعب القبطي، الأمر الذي يدخل في صميم المسؤولية القومية والدستورية لنظام الحكم، ومن الطبيعي أن تؤدي هذه الازدواجيةُ إلى صراع خفيٍّ بين رئاسة الدولة التي ترى نفسها مسئولة عن جميع المواطنين - بصرف النظَر عن انتماءاتهم الدينية - وبين رئاسة الكنيسة التي وضعت نفسها في موضع المسؤولية عن قطاعٍ من الشعب المصري، حصرته في

(١) انظر: الأقباط الكنيسة أم الوطن؟: ٥٩-٦٠.

(٢) انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٧٠٥-٧٠٦، كنيسة مصر: ٣٩٦وما بعدها، الفتنة الطائفية في مصر: ٩٧، خريف الغضب: ٢٨٩.

نطاق (الشعب القبطي) وأعطت لنفسها شرعيةَ المطالبةِ بما اعتبرته حقاً للأقباط لدى الدولة)[1].

وقد مارست الكنيسة القبطية في ذلك العديدَ من وسائل المواجهة السياسية مع النظام الحاكم من خلال عقد المؤتمرات، والمظاهرات، واستخدام أقباط المهجر كورقةِ ضغطٍ لتحقيق مطالبهم.

أحداث الخانكة:

كان النظام الحكومي المصري يمنع بناء الكنائس إلا بتصريحٍ مباشرٍ من رئيس الدولة، وكان النصارى الأقباط يتحايلون على هذا النظام، من ذلك ما حصل في حادثة الخانكة[2] (١٩٧٢م)، وتعود قصة أحداثِ الخانكةِ إلى وجود أرضٍ في هذه الخانكة قد اشتراها بعض تُجار النصارى الأقباط[3]، ثم أُحيطت بسورٍ من الدكاكين، ووُضِعَ بها مدرسةٌ، ومع الأيام تحوَّلت المدرسة إلى ملتقى ديني، ووضع بها مذبح[4]، وأخيراً دُشنت بواسطة أحد الأساقفة وفُتحت لإقامة الصلوات، وهكذا أصبحت كنيسةً متكاملةً دون إذن رسمي من الحكومة، ودون أن تكون بالمبنى الكنسي المعروف[5].

كان هذا البناء يُثير مشاعرَ كثيرٍ من المسلمين، ويستفزهم هذا الاستغفال الساذج من الكنيسة، ناهيك عن تضمُّنه مخالَفةً صريحةً لأنظمة الدولة التي تدخل الكنيسة القبطية في نطاقها.

هذا الجو الاستفزازي من الكنيسة أشعل فتيل الغضب عند بعض المسلمين، فأقدموا على إحراق هذه الكنيسة، على اعتبار أنها غيرِ مُصرَّحة من الدولة، وكان هذا الحريقُ فتيلاً لصدامٍ أعظم في الأيام المقبلة.

---

(١) الفتنة الطائفية في مصر: ٩٧.

(٢) إحدى ضواحي القاهرة.

(٣) يُذكر أنها كانت مخصصة لنشاط جمعية دار الكتاب المقدس.

(٤) المذبح: هو أقدَسُ مكانٍ في الكنيسة، لأنه يُمثِّلُ عندهم مكان ذبح المسيح عليه السلام، وعليه تقام الأفخارستيا. انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ٣/ ٢١٤، معجم الإيمان المسيحي: ٤٤٦-٤٤٧.

(٥) انظر: خريف الغضب: ٢٩٤-٢٩٥، الأقباط الكنيسة أم الوطن: ١١٥.

تدخَّلت الحكومة المصرية فأزالت أجزاء من هذا المبنى، وباشرت التحقيق في القضية باعتبارها تمسُّ أمن البلاد، إلا أن البابا شنودة الثالث لم يُعجبه الوضع، فأصدر أوامره في اليوم التالي إلى مجموعة من الأساقفة، بأن يتقدموا موكباً ضخماً من القسس والأتباع، ويركبوا حافلةً يوقفهم على مسافة تقارب الكيلو متر عن مبنى الخانكة، ثم يترجَّلوا ويسيروا على أقدامهم حتى يصلوا إلى مبناهم، ويُقيموا فيه صلواتهم، وحثَّهم على عدم التوقف لأي سببٍ كان، حتى ولو أطلق عليهم رجالُ الأمنِ السلاحَ، ويذكر الكاتب جمال البنا أنه مما زاد الحماسة لديهم وأوقدها؛ أن البابا شنودة عدَّ فعلهم هذا من الشهادة في المسيحية[1].

وبالفعل سار الأساقفة يتبعهم القسس في موكبٍ كبير، وقد حاول رجال الأمن منعهم إلا أنهم أصرّوا على مواصلة السير حتى النهاية، وبعد وصولهم أقاموا صلاتهم إظهاراً لانتصارهم[2].

كان هذا الردُّ العنيفُ محلَّ سخطٍ من الرئيس المصري أنور السادات، إذ فيه تعارضٌ سافر مع سياسة الدولة وأمنها، ونلحظُ هنا تحولاً آخر في تعامل الكنيسة مع الحكومة، وهو الميل إلى العنف.

يقول محمد حسنين هيكل: (ويبدو أن الرئيس السادات قرَّر فيما بينه وبين نفسه أن المسائل تحتاج إلى مواجهة مع البابا الجديد، وأتذكر أنه اتصل بي تليفونياً في مكتبي في الأهرام في تلك الأيام، وقال لي: إنني قررت أن أُفجِّر المسألة الطائفية، وسأذهب إلى مجلس الشعب بنفسي، وأشرحَ لأعضائه تفاصيل ما يجري.. إنني لا أستطيع أن أجلسَ بقنبلةٍ موقوتةٍ تحت الكرسي.. إن شنودة يريد أن يلوي ذراعي، ولن أسمح له أن يفعل ذلك)[3].

---

(١) صحيفة الأحرار، بتاريخ: ٢٣/ ٩/ ٢٠٠٨م.

(٢) حول قصة الخانكة وآثارها، انظر: البابا شنودة الوجه والقناع: ٤٣-٤٥، الأقباط الكنيسة أم الوطن: ١١٥ وما بعدها، خريف الغضب: ٢٩٤-٢٩٥.

(٣) خريف الغضب: ٢٩٥.

ويُبرِّر البابا شنودة تصرفاته في أحداث الخانكة عبر لقاءٍ أُجري معه في زماننا الحاضر، عندما سُئل: ألم تُقدِّر حجم المشكلة التي قد تترتب على ردةِ فعلكم تجاه الخانكة؟ قال: (لم يكن هناك أي خوفٍ إطلاقاً من أي ردود فعل.. ماحدث لم يكن مبادرة بفعل، ولكنه كان رد فعل، لو الدولة تداركت الأمر وأَمَرت مثلاً بإصلاح الحريق، وأرضت شعور الأقباط بأن يَذهبوا ليُصلوا كانت المسألة هينة، لكن عندما نجد أن مشاعر هؤلاء الناس لا يُراعيها أحدٌ؛ يدفعهم هذا لأن يتصرفوا تصرفاً شديداً بعض الشيء)[1]. وحديثهُ هذا يتضمن إقراره بالفعل، وعدم تراجعه عنه، وهو - بدهاء - ينظرُ إلى النتائج دون أن ينطلق من الأسباب، فلو كانت الكنيسةُ مبنيَّة في الأصل من قبل الحكومة ومُرخَّصاً بها؛ فحينئذ نقول إن الأمر ردَّةُ فعل، أما وكون الكنيسة مبنية بغير إذن فلا يستقيم كلامه، وهذا لا يتعارض مع رفضنا لردة فعل المسلمين بالحرق، وإنما كان ينبغي أن يُعاد الأمر إلى الدولة.

إذن كان هناك مواجهة صريحةٌ وقوية بين النظام السياسي المصري والكنيسة القبطية في ذلك الوقت ممثلةً في البابا شنودة الثالث، وهو ما يُمثل تحولاً سياسياً في موقف الكنيسة القبطية.

أحداث الزاوية الحمراء وتوابعها:

ومن الأحداث التي أثارت الجوانب السياسية المصرية؛ ما حصل في عام (١٩٨١م)، حيث قامت عدة حوادث طائفية، نتج عنها حرقُ بعض الكنائس، وكان ذلك قبل ساعات من إلقاء البابا شنودة كلمته المعتادة في عيد الميلاد، فكانت ردّة الفعل عنيفة من البابا شنودة، (وقامت الكنيسة بأكبر مواجهاتها ضد النظام والدولة، مستخدمة في ذلك كل عناصر القوة التي امتلكتها)[2]، وكان النصارى الأقباط يُوجهون التهم في تلك الأحداث إلى السادات وسياسته في التعامل مع الأحزاب المُترامية في البلد، وأنه (شجع الجماعات الإسلامية بتهاونه على الاعتداء على المسيحيين وكنائسهم، وهنا

(١) الأقباط الكنيسة أم الوطن؟: ١٢٨.

(٢) الأقباط الكنيسة أم الوطن؟: ٢٠٩.

قرَّر البابا شنودة تصعيد الموقف رداً على هذه الاعتداءات، وعقد اجتماعاً للكهنة، وأصدر قراراً بعدم الاحتفال بالعيد[1]، وقرَّر الاعتكاف بدير وادي النطرون)[2]. وتذكر بعض المصادر أن البابا ألقى خطاباً لاحقاً، عارض فيه أن تكون الشريعة الإسلامية أساساً لقوانينَ تُطبَّق على غير المسلمين، ثم أصدر أوامره إلى رجال الكنيسة بألا يتقبلوا التهاني بعيد القيامة من أي مسؤولٍ رسمي تبعث به الدولة لتهنئة الأقباط بهذا العيد[3].

ويذكر الكاتب محمد الباز أن المطران أثناسيوس قد دعا إلى اجتماعٍ في كنيسته ودعا بعض القيادات الإسلامية لتبادل الحوار حول أهمية الوطنية وتناسي الأحداث الطائفية، فغضب البابا شنودة الثالث من هذا التصرف، ولما أراد المطران أن يُبيّن وجهة نظره؛ رفض البابا شنودة إعطاءه أيَّ فرصةٍ لإكمالِ كلامِهِ، وقال له: لا أريدُ أي توضيح![4]

هذا التصعيد من البابا شنودة الثالث يُظهر جلياً أن درس الخانكة بالنسبة له لم يكن مُستوعباً بشكلٍ كبيرٍ، وأن سياسة المواجهة جزءٌ من شخصيته التي يرى أنها من أقوى الوسائل للحصول على حقوق الكنيسة كما يزعم.

قرّر الرئيس السادات أن يدخل في مواجهةٍ هي الأقوى ضد البابا شنودة وكنيسته القبطية، فأعلن في عام (١٩٨١م) أن البابا شنودة يُريد الانشقاق، وقال بالنص عن البابا شنودة: (عاوز يعمل زعيم للأقباط وزعيم سياسي)[5]، وأصدر أوامر بإلغاء قرار رئيس الجمهورية بتعيين البابا شنودة الثالث بطريركاً للكنيسة القبطية، وأُحيل شأنُ الكنيسة

---

(١) يعتقدُ البعض أن قراراً كهذا إنما يعود على أهله وأتباعه، وليس له أثرٌ على غيرهم، وواقع الأمر خلاف ذلك؛ فكون البابا يُعلنُ لأتباعه منعَ الاحتفال في ذلك اليوم الذي أعدَّ النصارى له عدة الاحتفال، واعتادوا إحياءه بالفرح؛ لاشك أنه يولِّدُ احتقاناً شعبياً ضد الدولةِ وشعبها المسلم، الذي يُصوَّر للنصارى الأقباط أنهم سببٌ في منعهم من الاحتفال.

(٢) البابا شنودة الوجه والقناع: ٤٦.

(٣) انظر: الأقباط الكنيسة أم الوطن؟: ٢٠٨.

(٤) انظر: البابا شنودة الوجه والقناع: ٤٦.

(٥) البابا شنودة الوجه والقناع: ٤٦.

إلى خمسةِ أساقفة[1]، وأُبعد البابا شنودة إلى دير الأنبا بيشوي بوادي النطرون إجباراً، ولم يعد إلى الكنيسة إلا بعد مقتل الرئيس أنور السادات، عندما سمح الرئيس حسني مبارك بإعادته إلى البطريركية.

موقف الدولة الرسمي من الكنيسة القبطية:

على إثر القرار الصادر من رئيس الدولة بعزل البابا شنودة الثالث من منصبه؛ قدّم البابا شنودة اعتراضاً على القرار، وبرَّر بأن القرار كان خالياً من أبسط قواعد القانون الإداري، وأنه لم يتضمنِ الأسبابَ التي استند إليها الرئيسُ لعزله من منصبه، فأصدر مُمَثِّلُ الدولةِ بياناً مطولاً لأحداثٍ رصدتها أجهزة الأمن ومباحث الدولة، وبيَّن فيه التهمَ الموجهةَ للكنيسة القبطية وقيادتها، وهي في أصلها جوانبُ سياسية تُعارض أمن الدولة، وسأوجزُ أبرز تلك التهم، كما يلي:

١. تعريض الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعي للخطر:

من ذلك أن البابا شنودة الثالث قد عقد اجتماعاً في عام (١٩٧٣م) بأسرةِ تحرير مجلة الكرازة الناطقة باسم الكنيسة، وطالبهم بإحياء الطائفية القبطية، وإثارة مشاكل الأقباط على صفحاتها بكل جرأة وصراحة، وأنه دعا إلى إحياء القومية القبطية، ومن ذلك؛ إنشاءُ فصولٍ دراسيةٍ لتعليم اللغةِ القبطيةِ داخل الكنائس، كما أنه كان كثيراً ما يُردِّدُ بين أتباعه أن مصر في أصلها مسيحيةٌ استعمرها المسلمون، وأنه يجب أن يُنصَّ في دستور البلاد على الديانة المسيحية بجانب الإسلام.

٢. الحض على كراهية النظام الحاكم:

ومن ذلك أنه عقد اجتماعاً للمجمع المقدس بتاريخ: ٣١/٨/١٩٧٧م، وأصدروا

(١) هم:
- الأنبا ماكسيموس: أسقف القليوبية.
- الأنبا صموئيل: أسقف الخدمات العامة وكنائس المهجر.
- الأنبا غريغوريوس: أسقف البحث العلمي والدراسات القبطية العليا ومدير المعهد العالي.
- الأنبا أثناسيوس: أسقف بني سويف والبهنسة، ووكيل الهيئة العليا للأوقاف القبطية.
- الأنبا يوأنس: أسقف الغربية، وسكرتير المجمع المقدس.

- برئاسته - قراراً بتقديم مذكرةٍ لرئيس الجمهورية، تتضمنُ رفضَ الأقباطِ تطبيقَ أحكام الشريعة الإسلامية، خاصةً قانون الردة[1]، واقترح المجلسُ القيام بمسيرةٍ حاشدةٍ للأقباط، تتوجه إلى مقر الرئيس والسفارات ووكالات الأنباء للتعبير عن الاستياء.

كما قاموا باستعداء الرأي العالمي على السلطة الحاكمة، وسعوا لإظهار طائفتهم بالطائفةِ المُضطَهَدَةِ في ظل الحكم المصري.

٣. إضفاء الصبغة السياسية لمنصب البطريرك، واستغلال الدين لتحقيق أهداف سياسية:

ومن ذلك أن البابا شنودة الثالث حاول الاستقلالَ بالتعداد السكاني للنصارى الأقباط بمصر، ومن المعلوم أن التعداد السكاني من اختصاص الدولة وليس للجهات الدينية علاقةٌ به، وكان البابا شنودة قد أوعز إلى الأنبا بيمن في تاريخ: ١٩/ ٧/ ١٩٧٥م بالمرور على الكنائس لأخذ التعداد العام للنصارى الأقباط.

أيضاً؛ في تاريخ: ٢٨/ ١٠/ ١٩٧٩م قام البابا شنودة بتوكيل القمص أنطونيوس ثابت بالدعوة إلى عقد مؤتمرٍ عام بالإسكندرية لمناقشة موضوع تعديل المادة الثانية من الدستور[2]، وذلك للضغطِ على المسؤولين، وإشعارهم برفض الكنيسة القبطية له.

٤. إثارة الفتن:

وقد ذكر مفوَّض الدولة العديدَ من الأمور حول هذا الجانب، منها: أنه بتاريخ: ١٠/ ٧/ ١٩٧٢م عقد البابا شنودة اجتماعاً لكهنة الكنيسة، وطالبهم بالتحرك لإشعار الحكومة بهم، للعمل على تحقيق مطالبهم بالمساواة مع غيرهم من المسلمين، وفي تاريخ: ١٧/ ٧/ ١٩٧٢م عقد اجتماعاً آخر لكهنة الكنيسة، وقد أصدرت الداخلية المصرية منعاً لهذا الاجتماع، إلا أنه رفض ذلك، وأصرَّ على إقامته.

(١) يُطالبون بعدم تطبيق حد الردة لمن أراد الدخول في النصرانية، وهو ما يُرددونه كثيراً.

(٢) تنصُّ المادةُ الثانية من الدستور المصري على أن «الإسلام دين الدولة»، وأن «مبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع».

ومن ذلك أيضاً؛ أوامره التي أصدرها في حادثة الخانكة، وقد سبق الحديث عنها.

ومن ذلك أيضاً؛ ماجرى من تصعيدِ الكنيسة في أحداث الزاوية الحمراء، إلى غير ذلك من الأحداث[1].

الكنيسة القبطية والاستعداء الخارجي:

تقدم في العرض التاريخي لكنيسة الأقباط مدى الاستقلالية التي تتميز بها الكنيسة القبطية عن باقي الكنائس في أمور المعتقدات والإيمان النصراني بشكلٍ عام، وكان هذا الاستقلال محل اتفاق عند متقدمي الأقباط، بل حتى أغلبية متأخريهم، فالبابا شنودة الثالث كان يُنكرُ ارتباط الكنيسةِ القبطيةِ بغيرها من الكنائس المخالفة لها في المعتقد، يقول في مقالةٍ له بعنوان (رأينا في اتحاد الكنائس) نُشرت في عام (١٩٥١م): نحن لا نؤمن بوجود كنائس كثيرة، وإنما نؤمن بكنيسة واحدةٍ هي جماعة المؤمنين.. كانت - الكنيسة القبطية الأولى - تُخرِجُ من عضويتها كلَّ مبتدعٍ مُصرٍّ على بدعته، وكانت تُحرِّم الاختلاط بهؤلاء الهراطقة والصلاة معهم.. لا يليق إطلاقاً بممثلِ الكنيسةِ المرقسيةِ السليمةِ الرأي أن يشترك في اجتماعٍ دينيٍ تحت رئاسةِ أحد الخارجين عن الإيمان الصحيح[2].

ويظهر من حديث البابا شنودة اعتباره لغير أتباع كنيسته بأنهم هراطقة ومبتدعة، كما يظهر إنكاره لمجلس الكنائس العالمي والمشاركة فيه.

إلا أن البابا شنودة نفسه أصبح عضواً ثم رئيساً لهذا المجلس!! ويقول في تبرير ذلك: (إننا نحرص على أن تكون مصر[3] ممثلة في الهيئات [العالمية][4] أياً كان نوعها، سياسية أو علمية..)[5].

---

(١) حول أحداث المرافعة التي تمت بين البابا شنودة وقرار الرئيس السادات القاضي بعزله، وتفاصيل العريضة الطويلة التي تضمنت حُجج البابا وردود ممثل الدولة، وكذا قرار المحكمة في القضية؛ انظر: البابا شنودة الوجه والقناع: ١٤١-١٨٧.

(٢) انظر: الأقباط الكنيسة أم الوطن؟: ١٧٨-١٧٩ بتصرف.

(٣) في الحقيقة إنما يريد الكنيسة القبطية وليست مصر.

(٤) في الأصل: «العلمية» ويظهر أنه تصحيف.

(٥) الأقباط الكنيسة أم الوطن؟: ١٨٢.

هذا التغير والتلون في السياسة مع المعطيات ومجريات الأحداث يُشعرُ بإدراك الكنيسة القبطية - في عهد البابا شنودة - لأهمية التواصل الخارجي، على اعتبار أنه وسيلةُ ضغطٍ على السلطة الحاكمة في مصر.

(بدأت الكنيسة المصرية في اتصالها بالمؤسسات الكنسية العالمية، متجاوزة بذلك كل ملاحظاتها أو مواقفها المتحفظة السابقة، وكانت أهم الدلائل وأكبرها، هو ذلك اللقاء الذي تمَّ في مايو (١٩٧٣م) بين البابا شنودة والبابا بولس السادس بابا الفاتيكان، القطب الآخر للمسيحية.. وقد صدر بيانٌ مشترك حول الاجتماع جاء فيه.. [أنهما يقرران] إيجاد وسائل واضحة المعالم وفعّالة للتغلب على العقبات التي تقف عائقاً في سبيل تعاون حقيقي بينهما)[١].

وفي عام (١٩٧٧م) ذهب البابا شنودة إلى الولايات المتحدة الأمريكية للقاء الرئيس الأمريكي في ذلك الوقت جيمي كارتر[٢]، وقد صاحب هذه الزيارة ضجةٌ إعلاميةٌ من جهة الأقباط[٣]، كذلك زياراته إلى عموم أوروبا وأستراليا وإفريقيا، والتي يظهر منه تحول آخر في السياسة الخارجية للكنيسة القبطية.

ولأثر هذه الزيارات والمراسلات الخارجية على استقرار مصر وأمنها؛ كان الرئيس السادات حانقاً من تبعاتها على البلاد، يقول السادات بلهجته المصريَّة العاميَّة: (تلغرافات تجيني من كندا.. من أمريكا.. من أستراليا.. كلها طعن في مصر، وطعن في مين؟ في شعب مصر، علشان الأقباط! أيه الكلام ده؟.. التصعيد ماشي ومعمول، ذروته يوم ما أكون في الولايات المتحدة.. أتاري المطلوب إن العالم يحصل فيه رجة)[٤]، وقال عن تواصل النصارى الأقباط مع الرئيس الأمريكي كارتر: (قال بيشتكوني لكارتر، وكارتر له عندي أيه؟ ده أنا أوقفه عند حده.. دي شؤوني الداخلية)[٥].

---

(١) الأقباط الكنيسة أم الوطن؟: ١٦٨.

(٢) انظر: مُرفقات البحثِ؛ المُرفق رقم: ٦، ٧، ٨.

(٣) الأقباط الكنيسة أم الوطن؟: ١٦٩-١٧٠.

(٤) الأقباط الكنيسة أم الوطن؟: ٢١١.

(٥) الأقباط الكنيسة أم الوطن؟: ٢٠٥.

إن هذه اللهجة الحادَّة من الرئيس السادات تُظهر مدى الخطر الذي بدأ يظهر على أمن البلاد من شرِّ تلك الدعوات الخارجية، والخيانات الداخلية.

ولا تزال الكنيسة القبطية تستغل أيَّةَ فرصةٍ للمواجهة مع الدولةِ والمطالبةِ بحقوقهم - كما يزعمون -.

من ذلك؛ الخبر الذي نقلته صحيفة الرأي الكويتية، ومما جاء فيه: (هاجم بابا الإسكندرية بطريرك الكرازة المرقسية البابا شنودة الثالث الحكومةَ المصريةَ، واتهمها بإهدارِ حقوقِ الأقباطِ وحرمانهم من التعيين في الوظائف الكبرى.

وقال في حوار مع صحيفة قبطية محلية: إن (الأقباط محرومون من الوظائف الكبرى، ومثل هذه التصرفات هي التي تجبرهم على الهجرة إلى الخارج.. الدنيا تقوم ولا تقعد عندما يتنصر مسلم، ويحاول الجميع قتله، حتى الذي يريد أن يعود إلى المسيحية بعد إشهار إسلامة؛ يرون أنه ينطبق عليه حدُّ الرِّدة ويجب قتله، وإذا قام (١٠٠) مسيحي بإشهار إسلامةم مرةً واحدةً لا يتحرَّكُ أحدٌ)[(١)].

السياسيون من النصارى الأقباط في القرن العشرين:

يَشْغَلُ جملةٌ من النصارى الأقباط أماكنَ حسَّاسة في الوزارات المصرية في القرن العشرين، وهو دليلٌ على نفوذٍ سياسي لهم، كما فيه إبطالٌ لدعواتهم المتتالية بأنهم مظلومون في الوظائف الحكومية، وأن الوظائف الوزارية والعالية لا تُعطى لأحدٍ منهم، ومن ذلك على سبيل المثال:

١. مرقص حنا:

كان وزيراً للأشغال العمومية عام (١٩٢٤م)[(٢)].

---

(١) صحيفة الرأي الكويتية، بتاريخ: ١٢/ ٠٤/ ٢٠٠٩م.

(٢) انظر: مشاكل الأقباط في مصر وحلولها: ١١١.

٢. يوسف قطاوي:

كان وزيراً للمالية، من عام (١٩٢٤م) إلى عام (١٩٢٥م)، ثم وزيراً للمواصلات، من عام (١٩٢٥م) إلى عام (١٩٢٦م)[١].

٣. ويصا واصف:

كان مستشاراً للوفد المصاحب لسعد زغلول في زيارته لباريس، وكان أيضاً رئيساً لمجلس النواب في عام (١٩٢٧م)[٢].

٤. مكرم عبيد:

كان وزيراً للمواصلات في عام (١٩٢٨م)، ثم وزيراً للمالية مرتين، من عام (١٩٣٠م) إلى عام (١٩٣٦م)[٣].

٥. واصف بطرس غالي:

كان وزيراً للخارجية ثلاث مرات في عام (١٩٢٨م)، ثم في عام (١٩٣٠م)[٤]، ثم في عام (١٩٣٧م)[٥].

٦. صليب سامي:

كان وزيراً للحربية والبحرية من عام (١٩٣٣م) إلى عام (١٩٣٤م)[٦]، ثم وزيراً للتموين عام (١٩٤٠م)، ثم وزيراً للتجارة والصناعة ثلاث مرات في عام (١٩٤١م)، ثم في عام (١٩٥٠م)، ثم في عام (١٩٥٢م)، ووزيراً للخارجية في عام (١٩٤٢م)[٧].

---

(١) انظر: مشاكل الأقباط في مصر وحلولها: ١١١.

(٢) انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٧٣٤.

(٣) انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٧٣٦.

(٤) انظر: مشاكل الأقباط في مصر وحلولها: ١١١.

(٥) انظر: مشاكل الأقباط في مصر وحلولها: ١١٤.

(٦) انظر: مشاكل الأقباط في مصر وحلولها: ١١٢.

(٧) انظر: مشاكل الأقباط في مصر وحلولها: ١١٤-١١٦.

٧. كمال رمزي:

كان وزيراً للتموين من عام (١٩٥٨م) إلى عام (١٩٦١م)، ثم نائباً لرئيس الوزراء للتموين والتجارة الخارجية، من عام (١٩٦٤م) إلى عام (١٩٦٦م)[١].

٨. كمال هنري:

كان وزيراً للمواصلات، من عام (١٩٦٧م) إلى عام (١٩٧١)[٢].

٩. بطرس بطرس غالي:

كان وزيراً للدولة للشؤون الخارجية من عام (١٩٧٧م) إلى عام (١٩٩٣م)[٣].

١٠. فكري مكرم عبيد:

كان نائباً لرئيس الوزراء لشؤون مجلس الشعب، من عام (١٩٧٨م) إلى عام (١٩٨٢م)[٤].

١١. وليم نجيب سيفين:

كان وزيراً للدولة لشؤون الهجرة والمصريين في الخارج، من عام (١٩٨٥م) إلى عام (١٩٨٦م)[٥].

١٢. نادية مكرم عبيد:

وزيرة دولة لشؤون البيئة، من عام (١٩٩٧م) إلى عام (٢٠٠٤)[٦].

١٣. يوسف بطرس غالي:

كان وزير دولة برئاسة مجلس الوزراء لشؤون التعاون الدولي، من عام (١٩٩٣م)

(١) انظر: مشاكل الأقباط في مصر وحلولها: ١١٩-١٢٢.
(٢) انظر: مشاكل الأقباط في مصر وحلولها: ١٢١-١٢٢.
(٣) انظر: مشاكل الأقباط في مصر وحلولها: ١٢٤-١٢٦.
(٤) انظر: مشاكل الأقباط في مصر وحلولها: ١٢٤-١٢٥.
(٥) انظر: مشاكل الأقباط في مصر وحلولها: ١٢٤-١٢٦.
(٦) انظر: مشاكل الأقباط في مصر وحلولها: ١٢٧.

إلى عام (١٩٩٧م)، ثم وزيراً للاقتصاد والتجارة الخارجية من عام (١٩٩٩م)، ثم وزيراً للمالية من عام (٢٠٠٥م) إلى وقتنا الحاضر[١].

١٤. ماجد جورج إلياس غطاس:

وزير الدولة لشؤون البيئة، من عام (٢٠٠٤م) إلى وقتنا الحاضر[٢].

ولو أردتُ استقصاء الأسماء لطال الحديث، وما ذكرته إنما هو أنموذجٌ لبعض الأسماء من النصارى الأقباط التي خاضتِ العملَ السياسيَّ في مصر.

ويظهر من التسلسل السابق؛ أن الكنيسة القبطية مرَّت في حياتها السياسية بعدةِ أطوارٍ ومراحل، كان أقواها وأبعدها سياسةً؛ الفترة التي اعتلى فيها البابا شنودة الثالث رئاسةَ الكرسي الكنسي القبطي.

(١) انظر: مشاكل الأقباط في مصر وحلولها: ١٢٧.

(٢) انظر: موقع وزارة شؤون البيئة لدولة مصر على الشبكة العنكبوتية:
http: //www.eeaa.gov.eg/arabic/main/minister.asp

المبحث الثالث: النصارى الأقباط وأثرهم الاجتماعي

تُمثل الجوانبُ الاجتماعية أثراً بالغاً في نفوس الناس، بل هي أعظم وأبرز المداخل إلى مشاعرهم وعواطفهم، إذ من خلالها تُتَلمَّس حاجات الفرد والأسرة، وبها تُسدُّ فاقات الناس، مما يترتبُ عليه الأثر الإيجابي على المجتمع بشكل عام.

وفي معتقد النصارى الأقباط أن العملَ الاجتماعي التعاوني قد حثَّ عليه دينهم، وأن المسيحية قد نادت بالبرِّ والعطف على المحتاجين، وافتقاد الأرامل والأيتام وغيرهم، والأصل الذي ينطلق منه النصارى الأقباط في هذا المعتقد؛ هو ما ورد في الدسقولية، فقد جاء في الباب الثاني عشر: (إذا كان قومٌ من النصارى لهم صبيانٌ أو عذارى، صاروا أيتاماً لما رقد[1] آباؤهم، فجيِّدٌ لمن لا يكون له ولدٌ أن يأخذ منهم من يجعله عنده في محلِّ الأولاد)[2]. وجاء فيها أيضاً في الباب الثالث عشر: (أيها الأساقفة اهتموا بطعام اليتامى، ولا تدعوهم عاجزين شيئاً، ولا تدعوهم من بالكم، ادفعوا لهم ما لآبائهم، والأرامل ما لأزواجهن، والشبان اهتموا بتزويجهم، والصناع أعطوهم الأرغن[3]، والضعفاء اصنعوا معهم رحمة، والغرباء أعطوهم الضيافة، والجياع أطعموهم، والعطاش أرووهم، والعراة اكسوهم، والمرضى عودوهم، والمثقلون أعينوهم، وبهؤلاء كلهم اهتموا)[4].

يقول رياض سوريال: (لقد نادت المسيحية بالبر والعطف على الفقراء، وافتقاد اليتامى والأرامل في ضيقاتهم.. فالتعاليم المسيحية هي مصدر الخدمات الاجتماعية والنشاط الاجتماعي)[5].

---

(١) أي ماتوا.

(٢) الدسقولية: الباب١٢/ ١٠٦.

(٣) أي: عمل، انظر حاشية الدسقولية: ١٠٧.

(٤) الدسقولية: الباب١٣/ ١٠٧.

(٥) المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ١٨٧.

موقف الكنائس عموماً من المشاركة الاجتماعية:

يُمكن تقسيمُ موقفِ الكنائس عموماً حول المشاركة في الحياة الاجتماعية إلى ثلاثة اتجاهات، كما يلي:

١. **الاتجاه الانفصالي:**

وأصحابه يرون أن الديانة المسيحية في أصلها إنما هي للجوانب الروحية والنفسية ذات الصلة بالدين، ولارتباط الدين بالجانب القدسي المتعلق بالله؛ فلا تُربط الديانة بالأعمال الاجتماعية، تنزيهاً للدين عن الدنيا وتوابعها.

٢. **الاتجاه الاندماجي:**

وأصحابه يرون اندماج الكنيسة وأتباعها بشكلٍ كاملٍ في الحياة الاجتماعية، وأن ذلك من أُسس الديانة التي حضَّ عليها المسيح عليه السلام، وعند أصحابِ هذا التوجه يظهر نوعُ إغفالٍ للجانب الروحي الديني.

٣. **الاتجاه الوسطي:**

وأصحابه يَدْعُونَ إلى التعامل مع الجانب الاجتماعي بالوسطية التي تُعطيه جانباً من الأهمية، لكن ليس على حساب الدين[1].

ولحرص الكنيسة القبطية على التمسك بالتقليد الرسولي الأول، ولإدراكها أهميةَ الجانب الاجتماعي؛ سارتْ على الاتجاه الثالث في الجمع بين الدين من جهة، والمجتمع والحياة من جهة أخرى، خاصة مع ظهور الأثرِ المُترتب من الخدمة الاجتماعية على نفوس الأتباع، مما جعل الكنيسةَ القبطيةَ تحرصُ كل الحرصِ على أن يكون لها بصمةٌ بارزةٌ في هذا الجانب، ولا يخفي أن الخدمة الاجتماعية هي المنفذ الأبرز لدخول التنصير إلى بلاد العالم أجمع، وهو ما أدركته الكنيسة القبطية إدراكاً جيداً بعد دخول الفرق النصرانية الأخرى (الكاثوليك - البروتستانت) لمصر، وأثرُ هذه الكنائس على كثيرٍ من أتباع الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

(١) أنا والكنيسة والمجتمع: ٢٩-٣٠، المؤمن والمجتمع: ٧-٩.

وفي هذا المبحث سأتناول اعتناء النصارى الأقباط بالجانب الاجتماعي، وذلك من خلال النقاط التالية:

أولاً: الكنيسة والجانب الاجتماعي:

تقوم الكنيسة القبطية بجهودٍ كبيرةٍ في جانب الخدمة الاجتماعية، سواءً لرعاياها أو لغيرهم بُغية كسبهم كأعضاءَ جُدد في كنيستهم، وهذا يظهر بشكلٍ واضح في عمل الكنيسة القبطية في القارة الإفريقية، نظراً للعوز والفقر الشديدين في تلك البلاد.

يقول الأنبا موسى مؤكداً اهتمام الكنيسة القبطية بالجانب الاجتماعي، ومدافعاً عنها - وإن كان سيُناقض نفسه كما سيأتي بعد أسطر -: (يتصور البعض أن المسيحية هي ديانة أخرويَّة فقط، أي أنها تهتم بالسماء والأبدية فقط، ولا تَشْعُر بالتزامها الاجتماعي ودورها في المجتمع والحقيقة أن سبب هذا التصور هو ما حدث في بعض البلاد التي كانت تُسمى بالمسيحية، مثل: روسيا وغيرها.. حينما دخلتها الشيوعية لفترة ثم انحسرت..)[1].

وقد حرصت الكنيسة القبطية على إبراز الجانب الاجتماعي في القرون الأخيرة، خاصة القرن التاسع عشر وما بعده، فقد (دَرَجتِ الكنائس على تخصيص طبقٍ لمساعدة الفقراء، أو تضع صندوق النذور في مكان بارزٍ في الكنيسة أو عند بابها.. وكانت المدارسُ القبطيةُ التي تقوم بإنشائها المطرانيةُ أو الأسقفيةُ تقبل نسبةً كبيرةً من الطلبة بالمجان أو بمصروفاتٍ مخفَّضة)[2]. أما في السابق وفي بدايات الكنيسة القبطية؛ فإن التوجه إلى الجانب الروحي كان هو سمت الكنيسة العام، ولم يكن هناك التفاتٌ إلى المجتمع وخدمته كما في وقتنا الحالي، ويشهد لذلك الأنبا موسى نفسه عندما يقول: (لقد كانت الكنيسة ورجال الدين غائبين عن ساحة الخدمة الاجتماعية والإحساس بالفقير والجائع)[3].

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظهر أثر الكنيسة في الميدان الاجتماعي

---

(١) الشباب والمجتمع: ١.

(٢) المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ١٨٨.

(٣) الشباب والمجتمع: ١، وهذا الكلام يُناقضُ كلامه السابق.

بشكلٍ أكبر، ومن أبرز ما يُذكر في هذا المجال؛ إنشاءُ أسقفيةٍ خاصةٍ بالمجتمع، تحت مسمى (الأسقفية العامة للخدمات العامة والاجتماعية)، ورُسم الأنبا صموئيل كأولِ أسقفٍ لها، وكان تأسيسها في (٣٠) سبتمبر من عام (١٩٦٢م)، وهذه الأسقفية بمثابة التطبيق العملي لفكر الكنيسة الاجتماعي والتنموي الحديث، وتطمح الكنيسة من خلال هذه الأسقفية إلى النفوذ للمجتمع، وقد أخذت (تلك الأسقفية عند نشأتها بالمنهج الذي يتجه إلى مواجهةِ جذورِ مشاكل المحتاجين، والسعي معهم إلى علاجها، وذلك ليس بأسلوبِ تقديم الحسنات والصدقات لهم، وإنما كان مدخلها إلى ذلك هو تمكين الإنسان من اكتشاف طاقاته وإمكانياته، والتعرفِ على سبل استثمارها استثماراً صحيحاً يعود عليه بالنفع، حيث تُقدِّم له التدريب إن كان هذا ما ينقصه، أو تعيدُ تدريبه لمهارات جديدةٍ تفتح أمامه أبواباً جديدةً لسدِّ احتياجاته، وتساعده على تنمية ذاته روحياً وثقافياً واجتماعياً، ومن ثم فهي تحوله من إنسانٍ عاطلٍ إلى إنسان منتجٍ)[1].

كذلك أَنشأت الكنيسةُ القبطيةُ أسقفيةً جديدة بمسمى (أسقفية الشباب)، جاء في موقعها الإلكتروني: (اهتم قداسة البابا شنودة الثالث بتأسيسِ أسقفيةٍ عامةٍ للشباب، فقام بسيامة نيافة الأنبا موسى أسقفاً عاماً للشباب، وذلك عام (١٩٨٥م) إيماناً من قداسته بأهمية رعايةِ الشبابِ كنيسةَ الغد، وبضرورة تقديم التعليم المناسبِ له، لمواجهة التيارات المختلفة المحيطة به داخل القطر، وفي بلاد المهجر.. بهدف تدريب وتنشيط ومشاركة خدام الشباب، وإعداد المزيد منهم، لتقديم خدمة أفضل للشباب، بنعمة الله)[2].

وأبرز اهتمامات هذه الأسقفية، مايلي:

١. المرور على تجمعات الشباب.

٢. التأليف المتعلق بمواضيع الشباب.

---

(١) دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ٧٢.

(٢) انظر: موقع أسقفية الشباب على الشبكة العنكبوتية:

http: //www.youthbishopric.com/aboutus/Aboutus.asp

٣. تدريب خدام الشباب.

٤. إعداد مؤتمرات الشباب والخدام في الداخل والمهجر.

٥. تقديم الخدمات الإنسانية.

٦. إنشاء مركزٍ للوسائل السمعية والبصرية، ووسائل الاتصال الحديثة.

٧. خدمة الإيبرشيات[١].

وتُقيم هذه الجمعيةُ في كل صيفٍ عدةَ برامجَ تأهيلية للشباب، يُمكن لأي شابٍ أن يشترك فيها مجاناً أو بأسعارٍ رمزيةٍ لا تكاد تذكر، كل هذا تثبيتاً لأتباعهم، وتقرباً ودعوةً لغيرهم.

ومن أسقفية الشباب انبثق مركزٌ جديدٌ مهتمٌّ بالجانب الاجتماعي، أُطلق عليه (المركز القبطي للدراسات الاجتماعية)، جاء في نشرته التعريفية: (تبلورت في أواخر الثمانينيات حواراتُ مجموعةٍ من الشباب الذي مارس العملَ التطوعي في ظل أسقفية الشباب، وتحت الرعاية المباشرة للأنبا موسى حول العديد من القضايا.. خاصةً تعبئة شبابِ الأقباطِ للمشاركةِ والانخراطِ في العمل العام، كبديلٍ عن الانسحاب والتقوقع، كخطوةٍ أساسيةٍ في بناء صرحِ المواطنة، ثم تطورت هذه الحوارات إلى طابعٍ مؤسسي بتشكيل المركز القبطي للدراسات الاجتماعية، الذي تأسس في عام (١٩٩٤م) كإحدى مؤسسات أسقفية الخدمات العامة والاجتماعية، إحدى الأسقفيات العامة بالكنيسة الأرثوذكسية)[٢].

ومن جهود الكنيسة القبطية أيضاً، ما قامت به من إنشاءِ مكاتب باسم (الدياكونية الريفية) وذلك في بداية الثلاثينيات من القرن العشرين، وتقوم هذه المكاتبُ بتقديم

---

(١) انظر: موقع أسقفية الشباب على الشبكة العنكبوتية:
http: //www.youthbishopric.com/aboutus/Aboutus.asp

(٢) انظر: موقع المركز القبطي للدراسات الاجتماعية على الشبكة العنكبوتية:
http://www.forumtiersmonde.net/arabic/Social_Actions_in_Arab_Countries/coptic_center_social_studies.htm

الخدمة الاجتماعية داخلَ الأرياف التي يصعبُ على أهلها الوصول إلى المدن لأخذ حاجاتهم الاجتماعية.

وتذكر مصادر النصارى الأقباط أن هناك حماسة وإقبالاً من الشباب منقطع النظير على التعاون والعمل مع تلك المكاتب[1].

ولضمانِ جودةِ هذه البرامج المتعلقة بالأرياف؛ تقوم الكنيسة القبطية بتدريب مسؤولي تلك البرامج من خلال دورتين أساسيتين في السَّنَةِ، لتأهيل مايزيد على (٥٠) عضواً لقيادة النوادي الريفية[2].

والمتابعُ للكنيسةِ القبطيةِ يجد أن اهتمامها بجانب الخدمة الاجتماعية آخذٌ في التطور والتقدم، لذلك نجد الحرص البالغ من الكنيسة في إقامة وحضور اللقاءات والمؤتمرات التي تدور حول الجوانب الاجتماعية، سواءً على مستوى الكنيسة أو على مستوى المجتمع بأكمله.

كما يَلْحَظُ المتابعُ أيضاً التنوعَ الكيفي للكنيسة في طرح الخدمات الاجتماعية، وعدم الاقتصار على جانبٍ دون آخر، يقول الباحث القبطي جوزيف رامز: (فإن الكنيسة قد بدأت أنشطة متعددة في مجالات جديدة، مثل: التدريب المهني، والتوعية الصحية، وخدمة المعاقين ذهنياً وجسدياً، وخدمة المدمنين، ومحو الأمية، والرعاية المتكاملة للأسرة، بالإضافة إلى خدمة مكاتب الخدمة الاجتماعية. ويدخل أيضاً في نفس السياق: العمل الاجتماعي المسيحي الذي تقوم به الكنيسةُ في مجالات الأنشطة الاجتماعية المتعددة، مثل: رعاية الفقراء والمحتاجين، والاهتمام بالأرامل والأيتام، وإقامة المستوصفات والمستشفيات، ورعاية أُسر المسجونين، والمشاركة في العمل الاجتماعي العام لخدمة المجتمع ككل، وهو ما يعني أن الخدمة الاجتماعية تحتل الصدارة في اهتمامات الكنيسة، بحكم أنها من صميم عملها، وتُعدُّ مكملةً للجانب الروحي)[3].

---

(١) انظر: اليوبيل الفضي لأسقفية الخدمات العامة: ١٠.

(٢) انظر: دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ٧٧.

(٣) دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ٧٣.

وتقوم الأديرة التابعة للكنائس بالدور الأبرز لعمل الكنيسة، ومن أبرز أديرة النصارى الأقباط؛ دير المحرَّق الذي يقدم خدماتٍ اجتماعيةٍ منوعة، من أبرزها: الصدقة على الفقراء، والعطايا العينية، وتقديم الغذاء والطعام للمحتاجين، كما أن للدير تبرعاتٍ سنويةً وموسميةً للمدارس والمؤسسات الخيرية[1].

ثانياً: الجمعيات القبطية:

من مناشط النصارى الأقباط الظاهرة في الحياة الاجتماعية، والتي لها أثرها البالغ على المجتمع المصري بشكلٍ عام؛ الجمعيات الخيرية القبطية، يقول رياض سوريال: (إن بناء المجتمع القبطي الحديثَ قام على دعائم، ومن أهمها: الجمعيات الخيرية، ونشاطها متعدد الجوانب في البر بالفقراء، وفي التعليم وغيرها)[2].

وتُعدُّ الجمعيات القبطيةُ حديثةَ النشأة، إذ لم يكن هناك جمعياتٌ في القرن الثامن عشر وما قبله، وكانت الكنيسة في الغالب تقوم مقام الجمعيات في أعمالها.

نشأة الجمعيات القبطية:

ترْجِعُ نشأةُ الجمعياتِ القبطيةِ إلى أواخر القرن التاسع عشر، ويُمكن تقسيمُ مراحلِ نشأتها التي مرَّت بها إلى أربع مراحل، كما يلي:

أ - المرحلة الأولى:

تبدأ من الربع الأخير من القرن التاسع عشر وحتى عام (١٩٢٣م)، وهي مرحلةُ النشأةِ وتبلورِ الفكرة، وتمثل هذه المرحلة المدارس الأولى التي نشأ فيها الجيل الأول من الساسة والمهتمين بالقضايا الوطنية، وفي هذه الفترةِ امتد نشاط الجمعيات الأهلية إلى الدين والرعاية الاجتماعية والخدمة الصحية والتعليمية.

ب - المرحلة الثانية:

وتبدأ من عام (١٩٢٣م) وحتى عام (١٩٥٢م)، وتُمثِّل مرحلة انتشار الجمعيات

---

(١) المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ١٩٠.

(٢) المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ١٩٩.

الأهلية بشكل سريع، وفيها قامت الجمعيات القبطية بتعليم النصرانية للتلاميذ الأقباط في المدارس الحكومية، وفي عام (١٩٣٠م) صدر قانونٌ يُلزم بالتوسع في التعليم الإسلامي من سن السابعة وحتى الثامنة عشرة، ولم يُسمح بالتعليم النصراني، لذا انصرف النصارى الأقباط عن هذه المدارس الحكومية وتوجهوا إلى الجمعيات الأهلية لإنشاء مدارسَ خاصةٍ بهم.

ج - المرحلة الثالثة:

وتبدأ من عام (١٩٥٢م) وحتى عام (١٩٧٧م)، وتُمثِّل مرحلة الانكسار بالنسبة للجمعيات القبطية، وذلك لسيطرة الدولة على جميع الأنشطة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وإلغائها - بقرارٍ جمهوريٍ - إنشاء أيّ جمعية جديدة، مع إخضاع الجمعيات السابقة للرقابة والإشراف من جهة الدولة، وفي عام (١٩٦٤م) بلغ انكسار الجمعيات القبطية ذروته.

د - المرحلة الرابعة:

وتبدأ من عام (١٩٧٧م) وما بعده، وتُمثِّل عودة النشاط للجمعيات والسماح بإنشائها.

وفي الفترة (١٩٧٧ -١٩٩٥م) أُنشئت (١١٦) جمعية أهلية للنصارى الأقباط، مما يدل على العودة الكبيرة للنشاط الاجتماعي القبطي[1].

أبرز الجمعيات القبطية:

أَنشأَ النصارى الأقباطُ العديدَ من الجمعيات كما تقدم، ومن أبرزها ما يلي:

١. **جمعية المساعي الخيرية (الجمعية الخيرية القبطية):**

وهي أولُ جمعيةٍ قبطيةٍ، أُنشئت في عام (١٨٨١م)، ويرأسُها بطرس غالي، ومن أبرز أعمالها: تقديمُ برنامجٍ عمليٍّ لمساعدة الفقراء، وتأسيسُ مستشفي بسيطا، والمستشفي

(١) انظر: كنيسة مصر: ٣٥٣-٣٥٥.

القبطي، وهو أوَّلُ مستشفي أهليٍّ في القاهرة، وتأسيس المشغل البطرسي وهو مخصصٌ للفتيات، يتمُّ من خلاله تدريبهن على العديد من المهارات كالتدبير المنزلي، ومهارات الخياطة والحياكة، إضافة إلى التعليم الأكاديمي بالمجان[1].

٢. جمعيةُ التوفيق القبطية:

هي ثانية جمعية قبطية، تأسَّست في عام (١٨٩١م) منادية بالإصلاح العام، وأوَّلُ رئيسٍ لها هو رفله جرجس[2]، من أبرز أنشطتها: إنشاء مجلة التوفيق، كما أسَّست أول مدرسةٍ صناعيةٍ للبنين، ثم أخرى للبنات، ثم أنشأَت لها ثلاثة فروع في: الإسكندرية وطنطا والفيوم، وكلُّ فرعٍ أنشأَ مدرسةً قبطيةً مستقلةً عن الأخرى[3].

٣. جمعيةُ النشأة القبطية:

هي ثالثة جمعيةٍ يُنشئها النصارى الأقباط، تأسَّست في عام (١٨٩٦م)، وتقوم هذه الجمعيةُ على ثلاثة مبادئ رئيسية، هي:

أ- التشجيع على تعلم اللغة القبطية، وتحفيز الطلاب والعلماء المشتغلين بها.

ب- التعليم الديني القائم على معتقدات الكنيسة القبطية.

ت- جمع التاريخ القبطي وكل ما يتعلق بالأقباط.

ويُلحظ من مبادئها الأساسية أنها تقوم على القوميّة القبطية، كما أنها تستغل الجانب التعاوني في التنصير.

ومن جانب آخر؛ تهتم هذه الجمعية بالجوانب الفلكية وما يتصل بها من تواريخ الأعوام والشهور القبطية والميلادية، كما أنها تُصدر لائحةً بأهم ما يتعلق بالجوانب الزراعية والفلاحية، كطبيعة المواسم السنوية وأوقات دخولها وخروجها، وتحديد

(١) انظر: المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ٢٠٠-٢٠١، الأقباط النشأة والصراع: ٥٥٦، كنيسة مصر: ٣٥٠.

(٢) رفله جرجس، ولد عام (١٨٦٢م)، درس بمدرسة الحقوق الخديوية عام (١٨٨٢م)، كان مجيداً للغة الفرنسية والإنجليزية وعمل مترجماً للجيش، جمع بين الاقتصاد والسياسة، وألَّف في ذلك كتاباً أسماه: أصول الاقتصاد السياسي. هلك عام (١٩٠٤م). انظر: فهرس التراجم القبطية: ٩٩.

(٣) انظر: المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ٢٠١، الأقباط النشأة والصراع: ٥٥٦، كنيسة مصر: ٣٥٠.

أوقات أعياد وأصوام النصارى الأقباط.

وفي عام (١٩٣٧م) انضمت هذه الجمعية إلى كنيسة غبريال التي تعمل في مجال خدمة الفقراء[1].

٤. جمعية الإيمان القبطية:

تأسَّست في عام (١٩٠٠م)، وتقوم على أساس الوعظ والإرشاد الديني، وتدريس الكتاب المقدس، وتعليم اللغة القبطية، وهي من أبرزِ الجمعيات القبطيّة العاملةِ في الميدان[2]، يقول رياض سوريال: (هذه الجمعية تمثِّل في القرن العشرين أعظم نهضةٍ قبطيةٍ إصلاحيةٍ شاملةٍ في عدة ميادين، ففي التعليم؛ بلغ عددُ تلاميذ وتلميذات مدارسها خمسة آلاف، وأنشأت مستوصفاً، ومستشفي، وكنيسة كبرى، ومجلة منتشرة)[3].

٥. جمعية أصدقاء الكتاب المقدس:

تأسَّست عام (١٩٠٨م) على يد باسيلي بطرس[4]، وكان هدفه من هذه الجمعية إعداد شبابٍ مؤهلٍ من الجانب الروحي لخدمة الكنيسة، وتقوم هذه الجمعية بتوزيع الشباب علَى المدنَ والقرى، كما تُقيم الخيام على النيلِ لمدة عشرة أيام إلى أسبوعين سنوياً، وتدعو إليها الشباب، ويتم في هذه الخيامِ تأهيلُ الشباب من الجانبين الروحي بدرجة أولى، ثم الديني والاجتماعي[5].

٦. جمعية ثمرة التوفيق:

تأسَّست عام (١٩٠٨م) على يد تادرس ميخائيل، وهي موجهةٌ للعناية بالفقراء مع

---

(١) انظر: المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ٢٠١-٢٠٢، كنيسة مصر: ٣٥٠-٣٥١.

(٢) انظر: المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ٢٠٢، كنيسة مصر: ٣٥١.

(٣) المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ٢٠٢، كنيسة مصر: ٣٥١.

(٤) باسيلي بطرس ولد عام (١٨٨٢م)، ودرس بالمدرسة الإكليريكية وتخرج منها عام (١٩٠١م)، عُين مدرساً للاهوت القبطي بمدرسة الأقباط الكبرى، له دورٌ كبير في تأسيس الجمعيات القبطية، هلك عام (١٩٢٢م). انظر: قاموس التراجم القبطية: ٤٣.

(٥) انظر: المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ٢٠٢-٢٠٣، الأقباط النشأة والصراع: ٥٩٨، كنيسة مصر: ٣٥١.

الوعظ والإرشاد، كما أَنشأَت هذه الجمعيةُ مستوصفاً لعلاج المرضى، وظاهرٌ من نشاطها استغلال الفقر والمرض للعمل التنصيري[1].

٧. جمعية الإخلاص القبطية:

تأسَّست عام (١٩٠٨م) بالإسكندرية، ونشاط هذه الجمعية شامل لجميع جوانب الحياة، فلها عناية بدعم الجانب السياسي للنصارى الأقباط، يتمثل في دعم المجلس الملي للأقباط، وفي الجانب الديني لها جهودٌ في تعليم مذهب الأقباط الأرثوذكس، كما أنها أَنشأَت كنيسةَ العذراءِ، وفي الجانب الاجتماعي أَنشأَت مستوصفاً ومستشفي ومدارس أوليَّة[2].

٨. جمعية السلام:

تأسَّست عام (١٩٢٨م) على يد متّى ساويرس[3]، وقامت هذه الجمعيةُ بإنشاء مستوصفٍ طبيٍّ يُعتبر هو المستوصف الثاني على مستوى القاهرة، كما أنشأت ملجأً للأيتام، ويشرف عليها حالياً صليب متّى صليب[4].

٩. جمعية إسطفانوس:

تأسَّست عام (١٩٢٨م) على يد الشماس ميخائيل روفائيل بشبرا، من أبرز أعمالها الاجتماعية: تأسيس مجمعٍ طبيٍّ، ودارٍ للإيواء[5].

١٠. جمعية مارمينا العجايبي:

تأسَّست عام (١٩٤٥م) بالإسكندرية، على يد بانوب حبشي، وتُعتبرُ من أشهر الجمعيات الحالية، وهي متخصِّصةٌ في مجال دراسات الكنيسة، من أعمالها: إنشاءُ

---

(١) انظر: المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ٢٠٣، الأقباط النشأة والصراع: ٥٩٨، كنيسة مصر: ٣٥١.

(٢) انظر: المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ٢٠٣، الأقباط النشأة والصراع: ٥٩٨، كنيسة مصر: ٣٥١-٣٥٢.

(٣) ولد عام (١٨٩٨م)، أسَّس جمعية السلام القبطية وكنيسة مار جرجس بشبرا، له دور كبير في إنشاء دور الإيواء والملاجئ، هلك عام (١٩٤٨م). انظر: قاموس التراجم القبطية: ٢٠٧.

(٤) انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٥٩٩، كنيسة مصر: ٣٥١.

(٥) انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٥٩٩.

كنيسة مارمينا العجايبي[1].

ثالثاً: مراكز التنمية الاجتماعية والمهنية:

تقوم مراكز الخدمة الاجتماعية وتنمية المهارات المهنية عموماً بدورٍ فاعل تجاه المجتمعات، وهو ما نلمسه واضحاً في كثير من البلدان العالمية، نظراً لأن تلك المراكز هي اللبنة الأولى في بناء الدولة، ويتمثل ذلك من خلال إعداد الكوادر الوطنية القادرة على خدمة دينها ثم بلدها، دون حاجةٍ لغيرهم من الأجانب.

ومن هذا المنطلق؛ اهتمَّ النصارى الأقباط بإعدادِ البرامج المتخصصةِ في هذا الجانب للجنسين: الذكورِ والإناث، وقام الأنبا سرابيون بإعداد برنامج يرسم الخطة المستقبلية للكنيسة القبطية، أُطلق عليه اسم (البرنامج الشامل للتنمية بالكنيسة القبطية)[2]، وقد تضمَّن هذا البرنامجُ العديدَ من المراكز والأنشطة الاجتماعية، فمن ذلك:

١. **المركز القبطي لتنمية الموارد البشرية:**

يهدف هذا المركز إلى إعداد كوادرَ قياديةٍ في مجال الخدمة - بشكلٍ عام - لجميع الهيئات التابعة للنصارى الأقباط داخل مصر وخارجها، وتقديم الدوراتَ الأساسية والمتخصصة في التدريب والإعداد العام، كما يقدم المركزُ الاستشارات الفنية في مجال التدريب، وتقديم المعونات المادية للحصول على المنح الدراسية والدورات التدريبية.

وينقسم المركزُ إلى عددٍ من الوحدات، هي:

أ- وحدة إعداد خدام التنمية.

ب- وحدة تدريب القيادات المحلية.

ت- وحدة التدريب المتخصص.

ث- وحدة تدريب المدربين.

---

(١) انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٥٩٩، كنيسة مصر: ٣٥١.

(٢) دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ٧٧.

ج- وحدة الإعلام التدريبي[1].

٢. مراكز التدريب المهني:

وتهتم هذه المراكز بإعداد المهنيين في المهارات التي يحتاجها المجتمع، مثل: الكهرباء، والتبريد، والبناء، والسباكة، وفنيي الأجهزة الكهربائية ونحوها، إضافة إلى تقديم المهارات الهامة واللازمة في ميادين العمل؛ كاللغة الإنجليزية، وإجادة مهارات الحاسب الآلي ونحوه.

وقد ساهمت أسقفية الخدمات في هذا المجال بشكل واضح، فقد أَنشأَت وحدةً متخصصةً لإيجاد فرص العمل للشباب المهنيين المُعَدِّين جيداً لهذه الأعمال، كما أَنشأَت (مركز القديس مرقس للغات والعلوم التجارية)، ويقدم المركز دوراتٍ في اللغة الإنجليزية، والآلة الكاتبة، والحاسب الآلي، ويدعمُ ذلك احتواءُ المركز على احتياجات التدريب الهامة؛ من الوسائل المسموعة والمرئية والمكتبة العامة[2].

٣. برنامج المرأة والتنمية:

وجَّهتْ بعضُ المراكز والجمعيات برامجَ خاصة للعناية بتطوير المرأة وجعلها مُساهمةً في البناء الاجتماعي للحياة بشكلٍ عام.

وفي هذا السياق أَنشأَت أسقفيةُ الخدمات العامة وحدةً مستقلة للعناية بالمرأة وتطويرها، وكانت موجهةً للعناية بالمرأة في الأرياف والأحياء القديمة والشعبية، وتتواصل هذه الوحدة مع المنظمات العالمية والدولية المهتمة بالمرأة وحقوقها للتطوير من أعمالها وبرامجها[3].

٤. برامج الرعاية الصحية:

تُمثِّلُ الرعاية الصحية أهميةً بالغةً في دعم المجتمعات البشرية، نظراً لحاجة الناس الماسة إلى الجانب الصحي، وقد وَضَعتْ أسقفيةُ الخدمات ثلاثَ وحدات متخصصة

---

(١) انظر: دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ٧٨.

(٢) انظر: دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ٧٩.

(٣) انظر: دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ٨٠.

في مجال الرعاية الصحية، كانت تباشر عملها في بعض القرى، كما أُقيم في هذه القرى مراكز طبية متخصصة، بحيث تكون في كل مركزٍ خادمتان مُدَرَّبتان، ويُشرف طبيبٌ واحدٌ على كل ثلاثة مراكز متقاربة، (ويهدف البرنامج إلى نشر وعي صحي بأساليب الوقاية من الأمراض المعدية، والسلوك الصحي السليم داخل المجتمعات.. كما يهدف أيضاً إلى تشجيع القادة المحليين في المناطق المخدومة، ليدركوا دورهم تجاه مشاكل البيئة الصحية، وأن يساعدوا الناس على التغلب على هذه المشاكل)[1].

٥. برامج مكافحة الإدمان والمخدرات:

من البرامج التي اعتنى بها النصارى الأقباط برامج مكافحة الإدمان والمخدرات، وأنشؤوا لذلك مركزاً باسم (مركز الحياة الأفضل)، جاء في موقع المركز على الشبكة العنكبوتية بيانُ سبب إنشائه، حيث يقول القائمون عليه: (منذ أن بدأت مشكلةُ الإدمانِ في مصرَ تهدد مجتمعنا وشبابنا بصورة خطيرة؛ فقد اهتمت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بمشاركة المجتمع في مكافحة مشكلة الإدمان، وذلك من خلال أسقفية الخدمات العامة والاجتماعية، فكان مركز الحياة الأفضل)[2].

امتدت خدمة هذا المركز إلى العديد من المدن والقرى، يدعمها فريقُ عملٍ يتكون من أطباء نفسيين، وأخصائيين نفسيين واجتماعيين، لمعالجة المشكلة في الاتجاهين الصحي والاجتماعي النفسي.

٦. برامج محو الأمية:

يعاني النصارى الأقباط في برامجهم الرعوية والتنصيرية التي يقدمونها في الأرياف من جهل كبار السن، فالأميّة تُمثِّلُ عائقاً لتقدم التنمية والتطوير الاجتماعي، لذا قامت وحدات تابعة لأسقفية الخدمات بالعمل على إنشاء مدارسَ لمكافحة الأميَّة داخل

(١) دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ٨٠.

(٢) موقع مركز الحياة الأفضل على الشبكة العنكبوتية:

http: //www.bestlife-addiction-aids.org/program.htm

الأرياف، ومما زاد في تقدم هذه المشاريع؛ تعاونُ الحكومة معها، فأصبحت مدارسُ محو الأمية منتشرة في الأرياف والقرى، علاوة على انتشارها في المدن[1].

رابعاً: دور المجالس المليَّة:

تقدم أن المجالس المليَّة للكنيسة القبطيَّة بدأت عملها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وذلك للنظر في شؤون الأقباط وما يتعلق بهم من الكنائس والمدارس والأوقاف ونحوها، بحيث يشترِكُ في هذا المجلس أعيانُ النصارى الأقباط مع رجال الإكليروس في إدارة شؤون أتباعهم، ولا يكون تدبير أمور الكنيسة وشعبها مقصوراً على رجال الإكليروس وحدهم.

وقد قام المجلس الملي الأول بعددٍ من الأعمال في دعم الجانب الاجتماعي للنصارى الأقباط، فقد (قام بإصلاح المدارس القبطية، والفصل في قضايا الأحوال الشخصية، وإصلاح الكنائس والأوقاف، وسار بالنهوض بمرافق الشعب القبطي العامة)[2].

وجاء في المادة الثامنة من لائحة المجلس الملي: (يختص المجلس المذكور بالنظر في جميع ما يتعلق بالأوقاف الخيرية التابعة للأقباط عموماً، وكذا ما يتعلق بمدارسهم، وكنائسهم، وفقرائهم، ومطبعتهم، وكافة المواد المعتاد نظرها)[3].

وفي المادة الثالثة عشرة: (من وظائف المجلس الملي فيما يتعلق بالفقراء، إجراء ما يلي:

١. حصر وجمع الإيرادات المخصصة للفقراء.
٢. توزيعها على المحتاجين بالعدل والإنصاف.
٣. صرف ما يلزم لدفن المعدمين، وتربية أيتامهم بقدر الإمكان.

---

(١) انظر: دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ٨٣.
(٢) انظر: المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ١٩٦.
(٣) المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ١٩٧.

٤. البحث والنظر فيما يترتب عليه زيادة تلك الإيرادات، وتحسين حالة الفقراء، وإجراء ما يؤدي لذلك)[١].

وفي المادة السادسة عشرة: (من وظائف المجلس الملي المذكور - أيضاً - النظرُ فيما يحصل بين أبناء الملة من الدعاوى المتعلقة بالأحوال الشخصية)[٢].

ويتألفُ المجلس المليُّ من أربع لجان، هي: لجنة الإدارة، ولجنة المدارس، ولجنة الفقراء والكنائس، ولجنة القضايا العامة.

ويُجمل رياض سوريال نشاط المجلس الملي فيقول: (سارت المجالس الملية في نشاطها الاجتماعي، فهي تُشرف على المدارس والكنائس القبطية، وتَقبلُ عدداً من الطلبة بالمجان، ويُنظِّمُ كل مجلسٍ فرعي برئاسة المطران أو الأسقف صندوقَ الإحسان، ويحصر الأسرَ الفقيرة التي تحتاج إلى مساعدات..)[٣].

خامساً: دور أعيان النصارى الأقباط:

لعبَ بعضُ أعيان الأقباط المتأخرين دوراً بارزاً في نهضة الحركة الاجتماعية القبطية، وتنوَّع حِرَاكُهم في مجالاتٍ متعددةٍ، وسأوجز عرضَ أبرز أعيان الأقباط المتأخرين، مبيِّناً دورهم في ذلك، كما يلي:

١. **إبراهيم الجوهري:**

يُعدُّ إبراهيم الجوهري من أعيان نصارى الأقباط الذين كان لهم أثرٌ بارز في دعم حياة الأقباط الاجتماعية بمصر، مستغلاً نفوذه السياسي لكونه تولى رئاسة الدواوين الحكومية، فسخَّرها في خدمة أتباعه من النصارى، ومن أهم أعماله أنه أَنشأ الكنيسةَ المرقسية الكبرى بالقاهرة، وذلك لما جاءت إحدى أميرات البيت السلطاني تريد الحج فمرَّت بمصر؛ فاستغل الجوهري مرورها، ولقربه من البيت السلطاني؛ قام بخدمتها في

(١) المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ١٩٧.
(٢) المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ١٩٧.
(٣) المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ١٩٨.

سفرها، ثم التمس منها الإذنَ السلطاني في الترخيص ببناء كنيسة الأُزبكية المرقسية، فأصدرت الأميرة إذناً بذلك.

ومن جهوده الاجتماعية في خدمة بني ملَّته؛ أنه أوقف مايزيد على (٢٠٠) مُنشأةٍ، جعل عائدها للكنائس والأديرة والفقراء، وكان يقيم وليمةً في كلِّ عيدٍ من أعيادهم، يُخصِّصها للفقراء.

ولمكانة إبراهيم الجوهري في قلوب النصارى الأقباط؛ فإنهم يردِّدون اسمه وسيرته في السنكسار[١] اليومي للكنيسة[٢].

٢. جرجس الجوهري:

سار جرجس الجوهري على خطى أخيه في دعمه، ويذكر النصارى الأقباط أنه كان حريصاً على خدمة النصارى والمسلمين على حدٍّ سواء[٣].

جعله نابليون في منصب كبير المباشرين في شؤون الدولة المالية[٤]، ويُذكر في جهوده تجاه أتباعه؛ أنه لما احتاجت الكنيسة القبطية إلى المال، باع كل أملاكه، وجعلها وقفاً على الكنيسة[٥].

٣. تادرس عريان:

كان تادرس عريان من كبار رجال الدولة، وكان رئيسًا لديوان المالية، فاستغل منصبه في تقديم خدماتٍ كثيرة للنصارى الأقباط، بالرغم من كثرة مسؤولياته في دواوين

(١) السنكسار: كلمة قبطية من أصل يوناني، وتعني كتاب الشهداء، وهو عبارةٌ عن كتابٍ يُسجل فيه سير القديسين والشهداء والملائكة وغيرهم من المعظَّمين عند النصارى الأقباط، ويُضيفون إليه تواريخ سيرتهم، وتُتلى سيرهم طوال العام. انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ٢/ ٢٢٥ وما بعدها، بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية والقبطية: ٤٧.

(٢) حول سيرته؛ انظر: الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٣٩٠-٣٩٢، تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا: ٤٨٣-٤٨٥، الأقباط النشأة والصراع: ٥٠٦-٥١٣، المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ١٩١-١٩٢.

(٣) تقدم حقدُ هذا الرجل على الإسلام، وعداوته لأهله، وخيانته لبلده، وذلك عندما أرسل إلى نابليون بونابرت يستنجده ضد الدولة الإسلامية بتركيا (العثمانيين).

(٤) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية لباتريك: ١١٧، المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ٤٢-٤٣، وتاريخ الكنيسة المصرية لبوتشر: ٣١٠.

(٥) انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٥١٤.

الحكومة المصرية، كما اهتم بالفقراء، فأوقف جزءاً من ممتلكاته لسد فقرهم[1].

وفي الجملة؛ فإن النصارى الأقباط قد استفادوا من تجارتهم وثرائهم في تحقيق أبعادٍ اجتماعية لأتباعهم من النصارى على وجه الخصوص، وفي تقوية نفوذهم في الدولة.

كما أن هناك جوانب من الحياة الاجتماعية الاقتصادية في مصر نجدُ للأقباط فيها يداً طولي؛ فالزراعة - مثلاً - اشتُهرتْ بها مدينة (أسيوط)، وغالبية العاملين بالزراعة في هذه المدينة هم من النصارى الأقباط.

وفي الجانب الصناعي، يحتكرُ النصارى الأقباط صناعاتٍ كاملةٍ يُحْكِمون قبضتهم عليها؛ كصناعة الدواء، وصناعة الذهب، وصناعة النسيج، وصناعة الخشب، وصناعة المعادن والعاج، وصناعة الزجاج.

وفي وقتنا الحاضر أعلنت وزيرة القوى العاملة والهجرة بمصر (عائشة عبد الهادي) عن تملّك النصارى الأقباط ما يزيدُ على ثلثِ ثروةِ مصر، وأن كبرى الشركات الحيوية العاملة في مجال الاقتصاد المصري كالاتصالات والسيارات، والتشييد والبناء يملكها أقباط[2].

وتُبيِّنُ دراسةٌ نقلتها صحيفة الدستور أن (الأقباط يمتلكون نسبة (٣٥-٤٠٪) من الاقتصاد المصري، حيث يمثلون نسبة (٢٢, ٥٪) من الشركات التي تأسّست ما بين سنة ١٩٧٤ - ١٩٩٥م، ويملكون (٢٠٪) من شركات المقاولات في مصر، و(٥٠٪) من المكاتب الاستشارية، و(٦٠٪) من الصيدليات، و(٤٥٪) من العيادات الطبية الخاصة، و(٣٥٪) من عضوية غرفة التجارة الأمريكية وغرفة التجارة الألمانية، و(٦٠٪) من عضوية غرفة التجارة الفرنسية، و(٢٠٪) من رجال

---

(١) انظر: الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة: ٤٠٤، قاموس آباء الكنيسة وقديسيها من موقع البابا كيرلس على الشبكة العنكبوتية:

http: //popekirillos.net/ar/fathersdictionary

(٢) انظر: صحيفة الأهرام، العدد: ٤٤٠٠٤، تاريخ: ٣٠/ ٥/ ٢٠٠٧م، على الشبكة العنكبوتية:

http: //www.ahram.org.eg/archive/Index.asp

الأعمال المصريين، و(٢٠٪) من وظائف المديرين بقطاعات النشاط الاقتصادي في مصر، وأكثر من (٢٠٪) من المستثمرين بمدينتي السادات والعاشر من رمضان، و(١٥,٩٪) من وظائف وزارة المالية، و(٢٥٪) من المهن المميزة مثل الصيادلة والأطباء والمهندسين والبيطريين والمحامين، وكذلك صناعةُ الدواء ومكاتب التمثيل العلمي لشركات الأدوية الأجنبية، ومكاتب الاستشارات الهندسية بجانب تجارة الذهب والتوكيلات التجارية)[1].

وفي هذا العام (نشرت مجلة (فوربس) الأمريكية تقريراً عن أثرياء العالم، وعندما تحدثت عن أثرياء العرب، ذكرت ثلاثة مليارديرات مصريين، كلهم من أسرة ساويرس!

المجلةُ ذكرتهم بالاسم، وهم بحسب الترتيب على مستوى العالم: ناصف ساويرس (٤٧ عاما)، وترتيبه١٩٦، وتبلغ ثروته١,٣ مليار دولار، ونجيب ساويرس (٥٤ عاما)، وترتيبه٢٠٥، وثروته٣ مليارات دولار، والثالث أنسي ساويرس (٧٩ عاما)، وترتيبه٤٣٠، وثروته١,٧ مليار دولار)[2]، وأسرة ساويرس هذه هي من أكبر الأسر الداعمة للنصارى الأقباط في مصر.

ومن النصارى الأقباط الداعمين للكنيسة وأنشطتها المتنوعة في وقتنا المعاصر؛ التاجر ثروت باسيلي، كتبت عنه صحيفة الدستور تقول: (لو مدَّت الكنيسةُ يدها طلباً للمساعدة لوجدته أوَّلَ من يمُدُّ يد العون لها دون تردد، ودون مقابل لمجرد الإسهام بكل ما لديه من أجل رفعة الكنيسة وحباً في البابا شنودة، إنه الدكتور ثروت باسيلي الذي وصل لمنصب وكيل المجلس الملي للأقباط الأرثوذكس، وهو أقصى منصب (سياديٍّ) يمكنُ أن يصل إليه علماني[3] قبطي في الكنيسة، ويكفي أن نقول: إنه حققَ حلم الكنيسة بامتلاكه فضائيتين باسمها، بعد تدشينه لقناة (CTV) التي فضَّلها البابا كثيراً عن نظيرتها أغابي.. وإذا انتقلنا للحديث عن المجلس الملي الذي يحتل منصب

(١) انظر: صحيفة الدستور، بتاريخ: ٥/ ٦/ ٢٠٠٨م.

(٢) صحيفة المصريون، بتاريخ: ١٥/ ٣/ ٢٠٠٩م.

(٣) تقدم المُراد بالعلماني عندهم، وهو من لم يكن من رجال الإكليروس.

الوكيل فيه والذي يُعدُّ أقربَ (برلمان للعلمانيين) نجد أنه لم يدخر وسعاً للتبرع بكل ما يستطيع (مادياً) من أجل توفير احتياجاته كما تريد الكنيسة)[1].

(١) انظر: صحيفة الدستور، بتاريخ: ٩/٩/٢٠٠٨م.

الفصل الثاني: مظاهر القبطية المعاصرة

ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: النصارى الأقباط وموقفهم من القومية العربية.

المبحث الثاني: أقباط المهجر.

الفصل الثاني: مظاهر القبطية المعاصرة

مرَّت حياة النصارى الأقباط منذ نشأتهم وحتى وقتنا المعاصر بتغيراتٍ وتقلباتٍ مُتعدِّدةٍ، وقد شملت هذه التقلبات جميع جوانب الحياة؛ الدينية والسياسية والاجتماعية.

ففي الجانب الديني كانت الكنيسة الأولى في شعائرها وعباداتها تسير على طقوسٍ معيَّنةٍ، ثم ما لبثت أن أدخلت عليها طقوسٌ وعباداتٌ لم تكن موجودة عند أسلافهم الأوائل، وهو الأمر الذي تُقرُّ به الكنيسة، ولا ترى فيه إشكالاً، إذ التشريع عندهم حقٌّ لرجال الإكليروس، ولو أردنا حَصْرَ العبادات والشرائع المُحدثة في الكنيسة القبطية لكل زمان لطال تعدادها.

وفي الجانب السياسي مرَّ بنا التحولُ الكبيرُ للكنيسة القبطية وبطاركتها، يتمثَّلُ جانبٌ من ذلك في اقتحامها الجانب السياسي، وعمليات التصعيد التي تُطلُّ بين الفينة والأخرى، واستغلال عوامل الضغط الخارجي، عبر أقباط المهجر، أو الاستعانة بالقوى الخارجية، والأنظمة الدولية للتظلّم تحت عباءة اضطهاد الأقليات، وغيرها من الدعوات.

وفي الجانب الاجتماعي نجد أن النصارى الأقباط أصبح لهم نفوذ بارزٌ، وأثرٌ ظاهر في الحياة الاجتماعية بمصر، فمنهم الأثرياء من أصحاب الشركات والمؤسسات النافذة في البلد، ومنهم أصحاب الحِرَف والمهن، علاوةً على كون الكنيسة تُسهم في الحياة الاجتماعية من خلال الجمعيات الخيرية والمُنشآت الصحية والتعليمية وغيرها.

ومن الطبيعي أن يكون لتلك الجوانب أثرٌ ظاهرٌ على قضايا المجتمع المعاصر، سواءً على المسلمين أو النصارى، داخل مصر وخارجها.

وفي هذا الفصل سأتناول بيانَ شيءٍ من تلك المظاهر التي بدأت تظهر نتيجةً للجوانب الدينية والسياسية والاجتماعية الاقتصادية، وسيكون بيان ذلك من خلال الحديث عن النصارى الأقباط وموقفهم من القومية العربية، وهذا في الغالب يتعلق بالكنيسة القبطية داخل مصر، أما الجانب الآخر فهو حول أقباط المهجر، وهو ما يتعلق بالنصارى الأقباط خارج مصر.

المبحث الأول: النصارى الأقباط وموقفهم من القوميّة العربيّة

أولاً: تعريف القومية:

أ - لغة:

مشتقة من (قوم)، التي تعني جماعة من الناس، الذين تربطهم وحدة اللغة والثقافة والمصالح المشتركة، وقيل: هي للرجال خاصة دون النساء[1].

ب - اصطلاحاً:

عُرِّفت القوميةُ بعدةِ تعريفات، منها:

١. أنها (صلةٌ اجتماعيةٌ عاطفيةٌ، تنشأ من الاشتراك في الوطن واللغة والتاريخ، وهي تكريسٌ لهويةٍ مشتركةٍ واعتداد بها، وتمييزٍ لها عمن يحملون أو يعتدُّون بهويَّاتٍ مختلفة أو مخالفة)[2].

٢. أنها حركةٌ سياسيةٌ فكريةٌ متعصبة، تدعو إلى إقامة دولةٍ موحدةٍ، على أساس من رابطة الدم واللغة والتاريخ، وإحلالها محل رابطة الدين، وهي صدى للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوروبا[3].

٣. (أن أبناء الأصل الواحد، واللغة الواحدة، ينبغي أن يكون ولاؤهم واحداً، وإن تعددت أرضهم، وتفرَّقت أوطانهم)[4].

من مُجمل هذه التعريفات، يُمكن أن نستخلص أن القومية - أيُّ قوميَّةٍ - تقوم على ثلاثة أُسس، هي:

أ- وحدة الأصل والمنشأ.

ب- وحدة اللغة.

(١) انظر: لسان العرب: ١٢/ ٤٩٦، مختار الصحاح: ١/ ٢٣٢، العين: ٥/ ٢٣١.

(٢) موسوعة مقاتل من الصحراء، مادة «القومية العربية».

(٣) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: ١/ ٤٤٨.

(٤) مذاهب فكرية معاصرة: ٥٥٤.

ت- وحدة التاريخ.

ثانياً: بدايات ظهور القومية العربية:

تذكر بعض المصادر أن الدعوةَ إلى القوميّة عموماً كانت بداياتها الأولى في أوروبا في أواخر القرن السادس عشر، ولم تظهر آثار هذه الدعوة بشكلٍ بارزٍ إلا في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وكانت الحروب المصاحبة للوحدة الألمانية والوحدة الإيطالية، ثم الحربان العالميتان، بمثابة التجليات الواضحة للقوميات الأوروبية.

أما خارج أوروبا؛ فقد انتشرت الدعوات القومية منذ أواخر القرن التاسع عشر، ووصلت إلى ذروتها في خمسينيات وستينيات القرن العشرين، وكانت كثيراً ما ترتبط بحركات الاستقلال.

وضمن هذا السياق؛ ظهرت وتبلورت الدعوةُ إلى القوميَّة العربية في القرن التاسع عشر، ووصلت إلى أوجها في منتصف القرن العشرين.

أما قبل ذلك فإن (الرابطة السياسية الأساسية في البلدان العربية كانت هي الرابطةُ الدينية، أي أن الدين كان هو الأساس والمعيار، الذي يُحدِّدُ المواطنةَ أو العضويةَ في الجماعة السياسية، فالأمة في هذا السياق، هي جماعة المؤمنين بالدين نفسه، ومن ثم فعليهم السمع والطاعة لأمير المؤمنين، ما داموا قد بايعوه خليفةً أو سلطاناً)[1].

والمساحة الإقليمية التي تدخل في نطاق القومية العربية تشمل جميع البلاد العربية الممتدة من البحر المتوسط إلى المحيط الهندي وأواسط إفريقيا، ومن الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي، وتُمثِّلُ جامعةُ الدول العربية نقطةَ ارتكازٍ للدعوةِ العربيةِ للوحدة[2].

ثالثاً: القومية العربية عند النصارى الأقباط قبل النظام الجمهوري بمصر

الحديثُ عن القوميَّة العربيَّة قرينٌ - في الغالب - للحديث عن الحروب العسكرية

(١) موسوعة مقاتل من الصحراء، مادة «القومية العربية».

(٢) انظر: موسوعة مقاتل من الصحراء، مادة «القومية العربية»، مذاهب فكرية معاصرة: ٥٥٤-٥٦١.

ضد البلاد العربية، ولما كانت الحملة الفرنسية تُمثِّل بدايات الاحتلال في العصر الحديث؛ فسيكون حديثنا عن موقف النصارى الأقباط من القومية العربية ابتداءً من الحملة الفرنسية، ثم الإنجليزية وما بعدها من الأحداث.

وقد تقدم أن موقف النصارى الأقباط من تلك الحملات لم يكن موقفاً واحداً يُمكن من خلاله تعميم الحكم على جميع من ينتسب إلى الكنيسة القبطية، بل ثمة اتجاهٌ داخلَ الكنيسةِ القبطية.

والحاصل أن مصرَ كانت تحت حكم العثمانيين وإدارة المماليك إبان الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون بونابرت، فهي ولاية تابعة للعثمانيين، وكان الذي يحكمها يُعرف بـ(الباشا)، ويتم تعيينه من قبل الباب العالي (العثمانيين)، ويكون تحت الباشا جهازان: الديوان الكبير والديوان الصغير، ولم يكن يُعرف - في ذلك الوقت - أن أحداً من النصارى الأقباط كان يشارك في أيٍّ من هذين الديوانين مشاركةً رسميةً، وكان لهذا الاستبعاد عن الجانب السياسي أثرٌ بالغ على بعض رموز النصارى الأقباط، هذا من جانب[1].

ومن جانب آخر؛ كانت الدولة العثمانية قد خالطها الفساد، وبدأ الضعفُ يدُبُّ إليها، مما جعل محاولةَ التخلُّصِ منها مطلباً عند البعض.

هذان السببان أوجدا تياراً عند ثلةٍ من النصارى الأقباط ينادي بالخروج على الدولة العثمانية، والاصطفاف مع الفرنسيين تحت عباءة (الاستقلال الوطني)، بدعوى تخلي فرنسا عن مصر بعد إزاحة العثمانيين عن سدَّة الحكم[2].

وأبرز من يُمثِّلُ به في هذا الجانب من النصارى الأقباط؛ المعلم يعقوب يوحنا، الذي كان يُعلن صراحةً تأييده للحملة الفرنسية كسبيل خلاص من سلطة الدولة العثمانية، ولذا كان يعقوبُ من أبرز الداعمين مادياً ومعنوياً للحملة الفرنسية[3]، وكان مما نُقل عنه

(١) انظر: الأقباط والقومية العربية: ٩٨-٩٩.

(٢) انظر: المواطنة والعولمة؛ الأقباط في وطن متغير: ٢٧.

(٣) انظر: الأقباط والقومية العربية: ١٠٣.

حول الفترة الزمنية للحملة الفرنسية أنها (لا فترة نحس يرجى زوالها وعودة ما سبقها، بل بدءُ حياةٍ جديدةٍ لمصر والمصريين، مهَّدت لها الحملة الفرنسية)[1]، ولذا وَضَعَهُ الفرنسيون محلَّ ثقتهم، وأسندوا إليه العديد من المناصب.

كان موقف يعقوب حنا يُمثل خيانة كبرى لمصر، وما حصل منه في هذا الجانب من إعانةٍ للفرنسيين واستمالته لهم ضد المسلمين، يُمثِّلُ أكبرَ شاهدٍ على ذلك، ومع وضوح خيانته؛ إلا أن بعضاً من مفكري النصارى الأقباط يرى أن ما فعله يعقوب كان المنْقَذَ الوحيدَ لاستقلال مصر، ويدعونه بـ (القائد المناضل المُخلص)، يقول رياض سوريال عنه، بعدما نقل أقوالَ بعضِ المؤرخين حوله: (هذه أقوالُ ثلاثةٍ من أعظم المؤرخين، تُبرز الدور الوطني[2] الذي قام به ذلك المناضل المخلص يعقوب حنا)[3]، وقوله هذا ظاهر المعارضة لفعل يعقوب وواقعه، الذي أقل ما يقال عنه: إنه خيانة، لكن رياض سوريال يُبرِّر تصرف يعقوب في تعاونه مع الفرنسيين بأنه (كان يريدُ أن يجعل من قضية مصر واستقلالها مسألةً دوليةً، وكان سبَّاقاً إلى المطالبة بالاستقلال، والعمل على تحقيقه)[4]، ويقول: (كانت وطنية يعقوب صادقة صافية لا تشوبها شائبة، فكان يريد قطع التبعية للدولة العثمانية، ولا يُسلِّم أبداً بعودة الحكم العثماني إلى مصر.. كانت وطنية يعقوب تُملي عليه القضاءَ على المماليك، عنصر الفساد في البلاد، حتى وجد الفرصة سانحة بمحاربة الفرنسيين لهم)[5].

موقف يعقوب ومن تبعه يمثِّل الاتجاه الأول لموقف النصارى الأقباط من القومية العربية، وهو الاتجاه المتحفظ عليها كعاملٍ وحدةٍ، والتعويل على الجانب الديني النصراني، فهو وأتباعه وإن ادَّعوا وطنيةً قوميةً؛ إلا أن العبرة بالحال والأفعال لا بالدعاوى والشعارات[6].

---

(١) المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ٩٥.

(٢) عندما يستحكم الهوى؛ يكون قتل المواطنين والتأليبُ ضدهم وطنيةً!

(٣) المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ٩٦.

(٤) المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ٩٦.

(٥) المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ٩٩-١٠٠.

(٦) ليس المراد هنا بيان الموقف الصحيح من القومية الوطنية بقدر ما هو إيضاحٌ وتقرير لحقيقة الموقف العام للنصارى الأقباط.

وتحفُّظُ هذا التيار على القومية العربية كان - كما يظهر - لعاملٍ رئيس، وهو ارتباط الدعوة القوميةِ العربيةِ - ولو في الظاهر - بالجانب الديني الإسلامي، فقد كان مصطلح القومية العربية مختلطاً بالمفهوم الإسلامي، خاصةً في الجوانب التاريخية، والمقاومات المسلحة في مصر[1].

ويرى بعضُ الباحثين أن تَحَفُّظَ البعض على القومية العربية راجعٌ إلى المعنى القديم للقومية العربية (الملتصق بسكان البادية، إذ لم يكن في الإمكان إطلاق هذا اللفظ على الجيل المستعرب، بعد أن فقد نقاوة الدم العربي، كما لم يعد في الإمكان إطلاق اللفظ على كل من يتكلمُ العربيةَ، لأن اللغة العربية صارت تتكلمها عناصرُ كثيرة، وشعوب كثيرةٌ غيرُ عربيةٍ)[2].

وكان أصحاب هذا الاتجاه يميلون إلى القومية الفرعونية، أو السلالة القبطية، وقد كانت بداية هذا الاتجاه من قِبَلِ بعضِ مثقفي النصارى الأقباط، وكان ظهوره في القرن التاسع عشر وأواخر القرن العشرين، وكانوا يُنادون أن الأقباط لم يكونوا كالمسلمين الذي لم يحافظوا على أصولهم، وذلك لامتزاجهم مع الفاتحين العرب، وفي زعمهم - النصارى الأقباط - أنهم ورثوا عن أسلافهم صفاتٍ جسديةً وعقليةً تفرّدوا بها، وبفضل هذه الصفات؛ صمدوا ووقفوا في وجه الفتح الإسلامي[3].

يُقابل هذا الاتجاه عند النصارى الأقباط اتجاهٌ آخر يتبنى الدفاعَ عن مصر ضد الحملة، منادياً بالوحدة الوطنية والقومية العربية، وممن يمثلها في زمن الحملة الفرنسية حبيب جرجس ومن تبعه[4].

ومن شواهد ذلك دعوة حبيب جرجس لإنشاء جمعيةٍ لدوام اتحاد العنصرين المصريين؛ المسلمين والنصارى، يقول رامي عطا صديق: (يرى حبيب جرجس أن الاتحاد بين الأقباط والمسلمين أمرٌ طبيعي لا غرابة فيه، وذلك في رأيه لأن القبط هكذا

(١) انظر: دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ١٦٣.

(٢) مصر في عصر السادات: ٤٤٨.

(٣) انظر: الأقباط والقومية العربية: ١٣١-١٣٢.

(٤) انظر: المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر: ١٠٢.

نشؤوا وتربوا على محبة أوطانهم وإخوانهم في الوطنية، وذلك للروابط التي تربطهم بعضهم ببعض، ومنها:

١. الرابطة الجسدية، رابطة الدم، فجميعهم أبناءُ أبٍ واحدٍ وأمٍّ واحدةٍ، ودماؤهم جميعاً واحدة.

٢. الرابطة اللغوية، إذ كلهم يتكلمون لغةً واحدةً.

٣. رابطة المصلحة، فإن مصلحة المسلمين والأقباط واحدة، وغاياتهم لمجدِ وطنهم واحدة)[١].

ولما قامت الثورة العرابية على يد أحمد عرابي؛ أكَّد النصارى الأقباط على الالتحام في الجيش والاندماج مع عرابي، بداعي الوحدة التاريخية والإقليمية ضد المستعمر، يشهد لذلك أن الباشا توفيق لما أصدر قراراً يقضي بإيقاف أحمد عرابي وعزله؛ عُقدت الجمعية العمومية للنظر في هذا القرار، فأصدروا بياناً جاء فيه: (بعد تلاوة الأوامر الصادرة من الخديوي أولاً وآخراً، وفيها الأمر الصادر بعزل أحمد باشا عرابي، وتلاوة منشورات عرابي باشا.. رأينا أن وجود العساكر في الإسكندرية والمراكب الإنجليزية في السواحل المصرية ووقوف عرابي باشا بمدافعة العدو؛ يقتضي وجوب بقاء الباشا المشار إليه في نظارة الجهادية والبحرية، مداوماً على قيادة العساكر، ومُتَّبَعاً في أوامره المتعلقة بالعسكرية، وعدمِ انفصاله من تلك الوظيفة، ورأينا وجوب توقيف أوامر الخديوي وما يصدر من نُظّاره الموجودين معه في الإسكندرية، كائنة ما كانت، لأيِّ جهة من الجهات، وعدم تنفيذها..)[٢].

ولما أسَّس سعد زغلول حزبَ الوفد الوطني، كان من أعضاء هذا الحزب كبار النصارى الأقباط، كويصا واصف، وجورج خياط، ومكرم عبيد.

وتقدم أن هذه الثورة حققت اندماجاً كبيراً بين المسلمين والنصارى، ورُفعت فيها

---

(١) صفحات من مواطنة الأقباط: ٦٢.

(٢) موسوعة مقاتل من الصحراء، تحت عنوان «إنجلترا تحتل مصر».

رايات القومية الوطنية، مثل: (الهلال مع الصليب)، و(الدين لله والوطن للجميع)، يقول جمال بدوي: (ظهرت صفة العلمانية للوفد في تكوين أي لجنة أو اجتماع أو مؤتمر أو مظاهرة، وفي كل صحيفة، حتى الهيئات والتكوينات التي كانت تُؤلِّفها الحكومات المعادية للوفد كانت تصدر عن نفس منطلق المصرية الجامعة، الذي فرضه الوفد على الجميع)[1].

ويُعَدُّ مكرم عبيد أبرز من يُمثِّل القومية العربية في هذه الثورة[2]، يقول الدكتور مصطفي الفقي: (ليس أمراً يسيراً العثور في التاريخ الحديث للأقباط على شخصية تعكس الدور الوطني في الحياة السياسية المصرية أفضل من مكرم عبيد، لما تميَّز به من قدرة وتأثير)[3]

ومما قام به مكرم عبيد؛ أنه زار بعض الدول العربية، وألقى فيها خطباً عديدة، بيَّن فيها موقف الأقباط الموالي تماماً للقومية العربية، وأوضح أن الدعوة إلى الفرعونية تُمثِّل دعوةً لانفصال مصر عن العرب والدول العربية، كما قرر أنه يُعارض الاتجاه القبطي الذي كان يشعر ببعض المخاوف تجاه مسألة القومية العربية، وإن كان الأقباط لهم جذور مصرية قديمة؛ إلا أن ذلك لا يتعارض مع عروبتهم، ودعا إلى دولة عربية واحدة، لأن التاريخ العربي متصلٌ ومتسلسلٌ مع بعضه، وكذا الثقافة العربية[4].

وتُمثِّل ثورةُ سعد زغلول أبرزَ مظاهر القوميّة العربية من كلا طرفي المقاومة المصرية (المسلمين والنصارى)، يقول المفكر والكاتب أبوسيف يوسف: (إن ثورة (١٩١٩م) قد ارتفعت بقضية التكامل القومي بين المسلمين والقبط إلى مستوى لم تبلغه من قبل، ذلك أنه إضافة إلى المفاهيم التي طرحتها «الشعب الواحد» و«الجامعة القومية»

---

(١) الفتنة الطائفية في مصر: ٥٩.

(٢) انظر: كنيسة مصر: ٣٤٠.

(٣) الأقباط في السياسة المصرية: ٤٥.

(٤) انظر: الأقباط في السياسة المصرية: ٨٣.

و«المواطنة» فإن تجربةَ هذه الثورة مازالت تُشكِّل في التراث التاريخي المشترك أحد الأُطرِ المرجعية الرئيسية التي تتم استعادتها كلما وقعت أزمةٌ في العلاقة بين القبط والمسلمين)[١].

وكانت الدعوة إلى القومية العربية بين نصارى مصر ومسلميها تظهر حيناً وتخبو في آخر؛ وفترات الخمول التي تطرأ على القومية العربية والدعوة إليها، في غالبها ترجع لظهور النبرة الدينية الغالبة على خطاب كلتا الطائفتين من المسلمين والنصارى الأقباط[٢].

وفي المقابل كانت هناك مواقف متعددة، ظهرت فيها القومية العربية بشكلٍ بارز، يقول المفكر أبوسيف يوسف: وفيما يتعلق بالتيار العروبي؛ ففي السنوات التي أعقبت ثورة (١٩١٩م) بدأ الاهتمام بالقضايا العربية، ثم زاد إيقاعه وتنوعت وسائطه بين مصر والأقطار العربية.. وفي عصبة الأمم ساندَ الوزير القبطي واصف باشا غالي الوفدَ الفلسطيني، وذكر أن علاقاتٍ تاريخية تربط مصر بفلسطين، وأن هذه العلاقات تقوم على أُسس الجوار ووحدة اللغة والدين والحضارة. وفي عام (١٩٤٢م) تكونت جمعية الاتحاد العربي، ودخلها من الشخصيات القبطية توفيق دوس باشا. وفي (١٩٤٨م) دخل الجيش المصري فلسطين، وكان في صفوفه من الضباط القبط الرائد فؤاد نصر هندي[٣].

قومية النصارى الأقباط العربية في عهد النظام الجمهوري بمصر:

يبتدئ النظام الجمهوري في مصر من عام (١٩٥٢م)، وأوَّل من يُمثِّله الرئيس جمال عبد الناصر، وقد كانت علاقته بالنصارى الأقباط علاقةً سلميةً إلى حدٍّ ما، يغلب عليها طابع التجاهل دون الاهتمام أو التخوف من وجودهم، كما كانت علاقته ببابا الأقباط علاقةً وثيقةً، وواكب عهدهُ مواجهةً قويةً بينه وبين الإخوان المسلمين، لبروزهم في عصره[٤].

---

(١) الأقباط والقومية العربية: ١٢٦.

(٢) انظر: الأقباط والقومية العربية: ١٢٦.

(٣) الأقباط والقومية العربية: ١٣٤-١٣٥بتصرف يسير.

(٤) انظر: كنيسة مصر: ٣٥٨-٣٥٩.

وقد شهدت بدايات الحكم الجمهوري لمصر نشاطاً محموماً للقوميّة العربية بشكل عام، وكان ذلك على يد الرئيس جمال نفسه الذي دعا لها بكل ما أوتي، وجعل منها السَّبيلَ الوحيدَ لردِّ أي عدوانٍ على الأراضي العربية، بما فيها الأراضي المقدسة في فلسطين، وكان الغالب على خطابات جمال عبد الناصر عن العرب تناوُلَ المسلمين والنصارى واليهود على حدٍّ سواء، فاختلاف معتقداتهم - عنده - لا يعيق انتماءهم المشترك إلى الثقافة العربية والقومية العربية.

وكتطبيقٍ لهذا المبدأ في مصر؛ أعلن عبد الناصر أن من يعمل سيجدُ نصيبه، وأنَّ كل المناصب متاحة للجميع، لافرق بين مسلم ونصراني ويهودي[1].

كان هذا الموقف باعثاً عند كثير من النصارى الأقباط على التمسك بالعروبة والقومية العربية، لأن القومية العربية التي يدعو إليها جمال عبد الناصر هي التي فتحت لهم الطريق لزيادة النفوذ والمكانة في المجتمع.

في مقابل هذا التوجه؛ هناك توجهٌ آخر عند بعضِ مفكري النصارى الأقباط حول دعوة عبد الناصر للقومية العربية، يُبيّنها المفكر أَبوسيف يوسف فيقول: (كان بين المفكرين وبعض القيادات الدينية مَنْ تحفَّظ على مفاهيم القومية العربية والوحدة العربية، وذلك على أساس أن هذه المفاهيم ليست واقعية، أو أنها في أفضل الأحوال تُعبِّر عن أوهام أو مواقف سياسية هي زائلة بالضرورة، اصطنعها بعض الساسة لتحقيق أهدافٍ خاصة)[2] ثم يُبيِّن أن هذا التوجه وإن كان موجوداً بين بعض مفكري النصارى الأقباط إلا أن تبنيهم - في الجملة - لقضية القومية في عهد عبد الناصر، قد شهد الجميع بأنه تَطَوَّرَ وتَقَدَّمَ.

ويشهد لذلك؛ مشاركةُ ضباطٍ منهم في حرب عبد الناصر ضد إسرائيل، ومما يؤكِّد ولاءهم؛ تكريمُ عبد الناصر لهم لتميزِهم في القتال، ومنهم على سبيل المثال: اللواء

---

(١) انظر: الأقباط والقومية العربية: ١٥٨.

(٢) الأقباط والقومية العربية: ١٦١.

رؤوف محفوظ، واللواء فؤاد عزيز[1].

في بدايات السبعينات ومع بدايات حكم الرئيس أنور السادات لمصر، كانت القومية العربية عند النصارى الأقباط على درجةٍ عاليةٍ، نظراً لما تركته دعوة عبد الناصر من أثرٍ في نفوسهم، إلا أن سياسة السادات مع النصارى الأقباط فيما بعد كانت بمثابة العائق لهم عن الانتماء للقومية العربية.

وقد ساهمت أحداثُ الصدام والعنف بين المسلمين والنصارى الأقباط - كأحداث الخانكة والزاوية الحمراء وغيرها - في فتورٍ كبيرٍ للقومية العربية عند الطرفين المتقاتلين.

ولا تزال دعوات القومية العربية إلى وقتنا الحاضر، تظهر بين الفينة والأخرى، إلا أن الملاحظ على دعوات النصارى الأقباط للقومية العربية أصبحت تميل إلى الجانب الإقليمي، أي ما يتعلقُ بمصر، فالحديث عن القومية والوطنية عند النصارى الأقباط يغلب عليه جانبُ الوطنية المصرية، وأن المسلم والنصراني القبطي هم أبناء بلدٍ واحد، وتاريخٍ واحد.

موقف بطاركة الكنيسة القبطية من القومية العربية:

لما كانت الكنيسة القبطية كنيسةً روحيةً تعتمد في شؤونها على رجال الدين؛ كان لمواقف البطاركة ورجال الإكليروس أثر بالغ على شعب الكنيسة في تحديد الوجهة العامة من القومية العربية والوطنية، وقد كان لبطاركة الكنيسة في العصر الحديث موقفٌ واضحٌ تجاه القومية العربية، وسأعرضُ لهذا الموقف من خلال آخر ثلاثة بطاركة، كالتالي:

١. **البابا كيرلس الخامس:**

كان البابا كيرلس الخامس من معاصري الحملة البريطانية على مصر، وتظهر صورة القومية في شخصه عندما أرسل له الإنجليز مندوبهم، لمفاوضته على حمايتهم، فردّ البابا كيرلس الخامس قائلاً: (إن الأقباط والمسلمين منذ أقدم العصور يعيشون جنباً

---

(١) انظر: الأقباط والقومية العربية: ١٥٩.

إلى جنبٍ، ففي البيت الواحد يتعايشون معاً، وفي المصلحة الواحدة يجلسون إلى مكاتب مشتركة، وفي غرفة واحدةٍ يأكلون من أرضٍ طيبةٍ واحدةٍ، ويشربون من نيلٍ واحدٍ، ويتلاحمون في كل ظروف الحياة.. ولن نطلب حماية الأقباط إلا من الله ومن عرش مصر)[١].

٢. **البابا كيرلس السادس:**

حصل في عهده عدوانٌ يهوديٌّ على فلسطين، فحرَّر بياناً بمشاركة شيخ الأزهر، جاء فيه: (إلى أصحاب الضمائر الحرة في أنحاء الدنيا، إلى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إلى الضمير العالمي الحُرّ، نبعثها صيحةً مدويةً مُعلِنَةً أن العرب أباةٌ لا يقبلون الضيم، أحرارٌ يرفضون الذلة، وأنهم يؤمنون بالله ثم بمقدساتهم التي يرونها رمز إيمانهم.. إننا - مسلمين ومسيحيين - نستنكرُ هذا الاعتداء الغاشم الذي وقع على البلاد العربية من طغمة مفسدة، وشرذمةٍ ضالةٍ، وعلى القدس بخاصةٍ)[٢].

كما أنه يُلحظ على خطابات ومراسلات البابا كيرلس السادس استخدام الكثير من العبارات ذات الدلالة العربية والقومية، مثل: (الشعوب العربية الشقيقة)، و(بلادنا في المشرق العربي)، و(الوطن العربي)، و(الأمة العربية)[٣].

٣. **البابا شنودة الثالث:**

وقد كان له العديد من المواقف التي تدل على اهتمامه بقضية العروبة والقومية العربية. من ذلك ما جاء في كلمته التي شارك بها في مؤتمر حوار الأديان بالدوحة في عام (٢٠٠٤م)، وكان مما جاء في كلمته: (بسم الإله الواحد الذي نعبده جميعاً[٤]، أحييكم جميعاً، نشكركم على كرم وحفاوة استقبالكم لنا وعلى هذه الفرصة للحوار الإسلامي المسيحي، تجمعنا فيه قوميةٌ واحدةٌ هي القوميةُ العربيةُ، ولغةٌ واحدةٌ،

---

(١) الأقباط وطنيةٌ وتاريخ: ٨٩.

(٢) الأقباط وطنيةٌ وتاريخ: ٩١.

(٣) انظر: الأقباط والقومية العربية: ١٦٠-١٦١.

(٤) أما نحن فإلهنا واحد لا شريك له، وأما إلههم فثالث ثلاثة، وفرقٌ بين التوحيد والتثليث.

وايمانٌ بإله واحد، وتجمعنا في هذا الحوار أيضاً مصالح مشتركة، ومصيرٌ واحدٌ، وقِيَمٌ وأخلاقياتٌ واحدةٌ)[1].

ولما تحدَّث في المؤتمر الثامن عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الذي عقد بالقاهرة - حيث كان من بين المدعوين - قال كلاماً غريباً، أكَّد فيه على ضرورة وجود تعاون بين الجاليات الإسلامية في الغرب لتكوين لوبي عربي وإسلامي[2]، وأنه لاحظ في الكثير من الدول الغربية أن كلَّ جاليةٍ إسلاميةٍ وعربيةٍ تقوم على شؤونها بنفسها، لكن لا يوجد ثمة عملٌ مشتركٌ بين الجاليات الموجودة في الغرب التي تعيش حالة عزلة[3].

ويظهر مما تقدم موقف بطاركة الأقباط الموالي للقومية العربية، إلا أنه ينبغي ألا يغيب عن الذهن ارتباط أفعالهم وتصريحاتهم بالجانب السياسي والمصلحة الخاصةِ بهم وبكنيستهم.

موقف الكنيسة القبطية من القضايا العربية:

امتداداً لموقف الأغلبية القبطية المؤيِّد للقومية العربية؛ فإن للكنيسة القبطية مواقف من القضايا العربية البارزة في العالم العربي، ومن ذلك:

١. في حرب (١٩٦٧م) شجبت الكنيسةُ القبطيةُ هجومَ إسرائيل، كما طالبت الهيئات النصرانية في العالم باستنكارِ هذا الفعل[4].

٢. لما أحرق اليهودُ المسجدَ الأقصى عام (١٩٦٩م)، استنكرت الكنيسة القبطية هذا

---

(١) انظر: موقع الجزيرة نت على الشبكة العنكبوتية:
http: //www.aljazeera.net/NR/exeres/61D91C54-CCAD-4275-932E-9F96876F59A8.htm

(٢) أثار كلام البابا شنودة هذا سخط كثيرٍ من النصارى الأقباط، واستنكروا نصيحته - ظاهراً - للمسلمين، وحصل من بعضهم تهجمٌ عليه وسخرية، فمنهم مَن يقول: لقد أصبح بابا للمسلمين، ومنهم من اتهمه بالخَرَف نتيجةً لكبر السِّن.

(٣) انظر: صحيفة إيلاف الإلكترونية، بتاريخ: ٦/ ٤/ ٢٠٠٦م، تحت عنوان: (البابا شنودة يطالب المسلمين بالانفتاح على الغرب)، على الشبكة العنكبوتية:
http: //www.elaph.com/ElaphWeb/Politics/2006/4/140054.htm

(٤) انظر: دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ١٦٧.

الفعل[1].

٣. في حرب تحرير الكويت عام (١٩٩١م)، يذكر النصارى الأقباط أن كنيستهم ساهمت في التحرير، وأن من بين الأقباط الذين دافعوا عن الكويت أحدُ رجال الإكليروس، وهو الشماس: أمجد صفوت عبد الشهيد[2].

٤. في عام (٢٠٠٠م) حصل اعتداءٌ يهودي على المسجد الأقصى، فأصدر البابا شنودة الثالث بياناً جاء فيه: (وقد تأثرتُ بالأكثر أن يحدث هذا الاعتداء في بيتٍ من بيوت العبادة، له حرمته وتوقيره عند المسلمين في العالم أجمع، فهو عندهم ثالث الحرمين وثانية القبلتين[3].. وعجيب أن الهيئات العالمية الكبرى، مثل مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة، لم تتخذ حتى الآن قراراً لوقف نزيف الدماء.. إننا نُبدي تعاطفنا مع إخوتنا الفلسطينيين في محنتهم الحاضرة، وتعزياتنا لأُسر القتلى، ونُهيب بكل المسؤولين لاتخاذِ موقفٍ حازمٍ من هذه الأحداث المفجعة)[4].

٥. في عام (٢٠٠٣م) حذَّرت الكنيسةُ القبطية من مهاجمة العراق، وجاء في تقرير صحيفة الشرق الأوسط: (حذر البابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية مساء أول من أمس من تفجر المنطقة العربية إذا ضربت أميركا العراق، وقال: إن الحشدَ العسكريَّ الأميركي في المنطقة بحراً وبراً وجواً ينذر باستخدام الولايات المتحدة أسلحةً فتاكةً في هذه الحرب المحتملة، ودعا شنودة إلى تغليبِ صوتِ العقل، والبحث عن الحلِّ السلمي للأزمة حتى لا تندلع الحرب)[5].

٦. في عام (٢٠٠٣م) لما أُعلن رفع العقوبات عن الجمهورية الليبية؛ أرسل البابا شنودة خطاباً للرئيس معمر القذافي مباركاً ومهنئاً جاء فيه: (إن قرارَ مجلس الأمن برفع

(١) انظر: دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ١٦٧.

(٢) انظر: مجلة الكرازة، لعدد شهر مارس من عام (١٩٩١م).

(٣) بل المسجد الأقصى "أولى القبلتين" عند المسلمين.

(٤) نص خطاب البابا شنودة الثالث الصادر من بطريركية الأقباط الأرثوذكس، بتاريخ: ٢/ ١٠/ ٢٠٠٠، انظر: مُرْفقات البحثِ؛ المرفق رقم: ١٤.

(٥) صحيفة الشرق الأوسط، العدد: ٨٨٢٨، بتاريخ: ٢٩/ ١/ ٢٠٠٣م

العقوبات عن الجماهيرية الليبية قد أسعدنا جميعاً، ويَسُرُّنا أن نشارك ليبيا أفراحها، وأن نهنئكم بهذا القرار الذي سيفتح لبلادكم العزيزة مجالاً أوسع في نهضتها)[1].

٧. في عام (٢٠٠٩م) لما حصل العدوان على غزة؛ أصدر البابا شنودة الثالث بياناً يقول فيه: (إن ما ارتكبته إسرائيل في غزة هو عمل وحشيٌّ، لا يتفق مع المبادئ الإنسانية، وهو استغلال سيئٌ للتفوق العسكري بطريقةٍ غير مقبولة، وعدد القتلى والمصابين هو رقم مرعبٌ مخيفٌ، ويجب أن تكون أمامه وقفةٌ جادةٌ تمنعُ استمراره)[2].

القومية القبطية:

نشأت جماعةٌ تُعرف باسم «جماعة الأمة القبطية» في أواخر عام (١٩٥٢م)، وهي تدعو إلى توجهٍ جديدٍ بالنسبة للنصارى الأقباط، يتمثل في الدعوة إلى القومية القبطية، كردِّ فعلٍ لتعاظم قوة الإخوان المسلمين الذين يُمثِّلون العدوَ الأبرز للنصارى في مصر[3].

ويُبيِّنُ جمال بدوي سبب نشأة هذه الجماعة: (إنها قامت للدعوة على إحياء القومية القبطية في مواجهة الفكر المغرق في الاتجاه الديني الإسلامي.. وتتكلم الأمة القبطية باللغة القبطية)[4].

وكان لهذه الجماعةِ وسائلُ لتحقيق أهدافها القومية، من أهمها:

١. دراسةُ اللغة القبطية، وإحلالها محلَّ اللغات الأخرى، والتمسُّكُ بعاداتِ وتقاليدِ الأقباط، ودراسةُ التاريخ القبطي، والتعاملُ مع الأحداث والأزمنة على أساسِ التقويم القبطي.

٢. إصدارُ الصحف والبرامج الإعلامية باللغة القبطية.

٣. مطالبةُ الحكومةِ بإنشاء محطةٍ إذاعيةٍ خاصةٍ بالأمةِ القبطية.

---

(١) نص خطاب البابا شنودة الثالث للرئيس معمر القذافي، بتاريخ: ١٣/٩/٢٠٠٣م.

(٢) انظر: مُرفقات البحثِ؛ المُرفق رقم: ١٥. ونص خطاب البابا شنودة الثالث من موقعه الرسمي على الشبكة العنكبوتية: http: //www.copticpope.org

(٣) انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٥٨٩-٥٩٠.

(٤) الفتنة الطائفية في مصر: ٨٦.

وغيرها من الوسائل[1].

وفي وقتنا الحالي تجلَّى اهتمام النصارى الأقباط بالقومية القبطية، فلا يزال أقوامٌ من الأقباط يتحدثون القبطية ويتمسكون بها على اعتبار أنها اللغة الأصلية لمصر، وأما اللغة العربية فوافدة، فقد نشرت صحيفة الدستور مقالاً بعنوان: «أُسرٌ مسيحية في مصر تتحدث باللغة القبطية داخل البيوت.. وانتشار الإقبال على تعلمها في الكنائس ومطالبات بتعميم تعليمها»، جاء فيه: (ظاهرةٌ غريبةٌ ونادرةٌ بدأت تنتشر في المجتمع المصري - خاصة بين الأقباط -، وهي ظاهرةُ التعامل فيما بينهم باللغة القبطية، وهي اللغة المصرية القديمة، مضافاً إليها مقاطع من اللغة اليونانية، والقبطية هي لغة الصلاة والتعبد داخل الكنائس، لكن الجديد ومنذ سنوات أن الكثير من العائلات المسيحية، وخاصة الأقباط الأرثوذكس يتحدثون فيما بينهم باللغة القبطية في حين يتعاملون خارج المنزل بالعامية المصرية، ويُرجِعُ كثيرٌ من الباحثين ظهور هذه الظاهرة إلى اهتمام أقباط مصر بالهوية المصرية في الفترة الأخيرة، بالإضافة إلى حرصِ الكنيسة ودورها في الحفاظ على اللغة القبطية)[2].

ويقرِّرُ المفكرُ القبطي إسحاق حنا القوميةَ القبطيةَ بصراحةِ ظاهرةٍ عند تعليقه على المقال السابق، فيقول: (هذا شيءٌ غير مزعجٍ أو معيب أن يتحدث المصريون لغتهم الأم، بل يجب على كل مصري أن يكون متحدثاً لغته الأم، ويجب على الحكومة المصرية متمثلة في وزارة التربية والتعليم أن تُعرِّف المصريين لغة وطنهم، باعتبار أن اللغة القبطية هي اللغة المصرية القديمة.. إذن وجود أشخاصٍ أو عائلات تتحدث اللغةَ المصرية في مصر شيءٌ جيدٌ، وكان يجب على الشعب المصري أن يسترجع الوعي بلغته الأم التي لم يتركها حتى الآن، فنحن نتكلم المصرية (يقصد القبطية) في لغتنا الشعبية، وهناك كثير من الألفاظ والكلمات في اللغة العامية، منها ما يتعلق بالأكل والشراب وغير ذلك، يرجع في الأصل إلى اللغة القبطية)[3].

(١) انظر: الفتنة الطائفية في مصر: ٨٧، الأقباط والقومية العربية: ١٤٢.

(٢) صحيفة الدستور، بتاريخ: ٤/ ٧/ ٢٠٠٨م.

(٣) صحيفة الدستور، بتاريخ: ٤/ ٧/ ٢٠٠٨م.

ومن ذلك أيضاً؛ أن أحد مفكري الأقباط وهو بيومي قنديل، ألَّف كتاباً يُدافع فيه عن القومية القبطية ضد العربية، سمَّاه (دفاعاً عن تراثنا القبطي) وكتبه باللهجة العامية، ولم يكتبه بالعربية الفصحى، حتى لا يُحاجَّ بأنه يحاربُ ما يُقرره!

ويقرر قنديل في كتابه أن المصريين وأصولهم على اتجاهين؛ الأول: هو الجذور العرقية وما يميزها من لغة وأصوات، وأنهم ينتمون فيها إلى إفريقيا، أما الثاني: فهو مفاهيم الحداثة والمدنيّة المصرية، وهذه ينتمون فيها إلى أوروبا، وعلى هذا فليس ثمة انتماء للمصريين إلى العربية[١]!

ويقول الأنبا غريغوريوس: (إن اللغة القبطية هي لغتنا، وهي تراث الماضي ورباط الحاضر، وهي من أعظم الدعائم التي يستند إليها كيان الشعب المسيحي، وهي السور الذي يحمينا من المستعمر الدخيل)[٢].

ويدعو الدكتور كمال فريد إسحاق - أستاذ اللغة القبطية بمعهد الدراسات القبطية التابع للكنيسة - إلى أن تكون اللغة القبطية هي اللغة القومية لمصر وليست اللغة العربية[٣].

أما الدكتور رسمي عبد الملك عميد معهد الدراسات القبطية فيدعو إلى: أن يكون محو أمية الشعب المصري باللغة القبطية لا العربية، ويعلن عن مخطط لإحلال اللغة القبطية محل اللغة العربية، وأنه يوجد في كل كنيسة فصل لتعليم اللغة القبطية.

كما أعلن أيضاً أن المجال سيُفتَحُ لرسائل الماجستير والدكتوراه في اللغة القبطية، ولعمل إحصائيات حول المتحدثين باللغة القبطية في تعاملهم اليومي داخل المنزل، وأكَّد وجودَ أعدادٍ كبيرة تُقبلُ على تعلم اللغة القبطية، وعائلات لا تتحدث في منازلها إلا باللغة القبطية[٤].

---

(١) انظر: صحيفة الأخبار، بتاريخ: ٠٥/ ٠٣/ ٢٠٠٨م.

(٢) صحيفة وطني، بتاريخ: ٣٠/ ٧/ ٢٠٠٠م.

(٣) انظر: صحيفة المصريون، بتاريخ: ٢٨/ ١٠/ ٢٠٠٨م.

(٤) انظر: صحيفة الدستور، بتاريخ: ٢/ ٧/ ٢٠٠٨م.

ويقول عبد صموئيل فارس: (الحقيقة أننا مصريون من نسل الفراعنة العظام، ونفتخر بقوميتنا المصرية، ولن نتنازل عنها كما تسلمناها من أجدادنا العظام.. وبأيٍّ إمارةٍ يتم تحويلنا إلى عرب؟! أيُّ حضارةٍ أتى بها العرب حتى نلهث وراءها من أجله؟

مع احترامنا الشديد لكل العرب فلم تضيف الثقافة العربية أيَّ جديدٍ على الحضارات، فمازالت أمةً مستهلكة غير منتجةٍ، تستوردُ كلَّ سبل الحضارة من دول الغرب المتقدم، وإن كان العرب حاولوا [طمث][1] هويتنا الفرعونية، ولكنَّ رُقيَّ حضارتنا وما تحويه من دعم للمنظومة البشرية في الرقي بها؛ جعلها موضعَ دراسةٍ في كل جامعات العالم المتقدم)[2].

ويقول المفكر محمد عمارة مُبيِّناً خطر الدعوة إلى الأمة القبطية: (فبعد إجماع الأمة - مسلمين ونصارى ويهود وعلمانيين - على النص في دستور سنة (١٩٢٣م) على أن دين الدولة المصرية هو الإسلام، وأن لغتها هي العربية.. وبعد إعلان مكرم عبيد باشا عن عروبة مصر والمصريين، حتى قبل قيام جامعة الدول العربية.. بعد هذه الحقائق الشاهدة على الوحدة الوطنية المصرية على أُسسٍ قوميةٍ وحضاريةٍ؛ وجدنا النزعة العنصرية الطائفية الانعزالية التي تبلورت عقب الحرب العالمية الثانية.. والتي أعلنت عنها جماعة الأمة القبطية.. إننا أمام انقلاب - فكري وعملي - على الهوية العربية لمصر.. بلْوَرَتْهُ جماعةُ الأمةِ القبطية سنة (١٩٥٢م)، وترعاه وتُنفِّذه الكنيسة الأرثوذكسية بعد استيلاء التيارِ الطائفي العنصري الانعزالي على قياداتها في ١٤ نوفمبر سنة ١٩٧١م)[3].

ومما سبق؛ يُمكن أن نُشخِّص الموقفَ العامَّ للنصارى الأقباط من القومية العربية، على ثلاثة اتجاهات:

---

(١) لعله يُريد «طمس».

(٢) انظر: موقع الهيئة القبطية الهولندية، على الشبكة العنكبوتية:

http: //www.copts.nl/tabid/174/language/en-US/Default.aspx

(٣) انظر: صحيفة المصريون، بتاريخ: ٢٨/ ١٠/ ٢٠٠٨م.

الاتجاه الأول:

الاتجاهُ المؤيّد للقومية العربية والمتعاطف معها، إما لأسبابٍ وطنيةٍ تخدم مصر بدرجة أولى أو الدول العربية، أو لأسباب تخدم مصالح طائفتهم، أو لأسبابِ المصير المشترك، ومواجهة الأخطار التي تُهدِّدُ كيان الدولة.

ومن أمثلة أصحاب هذا الاتجاه: مكرم عبيد، والدكتور ميلاد حنا، والدكتور بطرس بطرس غالي، وهو اتجاه تُمثّله صحيفة «وطني» المصرية، وهذا الاتجاه يُمثل الأغلبية من النصارى الأقباط.

الاتجاه الثاني:

وهو الاتجاه المتوقف أو المتحفظ تجاه القومية العربية، وتحفُّظُهم تجاه القومية العربية نتيجة لأسباب متعددة؛ منها - كما تقدم - ارتباطُ اللغةِ العربيةِ بالقرآن الكريم، والتعبير عن اللغة دائماً والتعريف بها على أنها لغة القرآن، وهذا يؤدي بهم إلى التخوف من مستقبل النصرانية وأتباعها.

ومن أمثلة أصحاب هذا الاتجاه: الدكتور لويس عوض، والأنبا غريغوريوس، وهذا الاتجاه يُمثل الأقلية من النصارى الأقباط[1].

الاتجاه الثالث:

وهو الاتجاهُ الرافضُ للقومية العربية رفضاً تاماً، وينظر للعرب على أنهم أعرابٌ همج، ويدعو لإحلال القوميَّة القبطية واللغة القبطية بدلاً من القوميّة العربية واللغة العربية، وهذا الاتجاه هو الأقل من بين الاتجاهات السابقة.

ومن أمثلة أصحاب هذا الاتجاه: الدكتور كمال فريد إسحاق، والدكتور رسمي عبد الملك.

---

(١) انظر: دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ١٦٣.

المبحث الثاني: أقباط المهجر

التعريف بأقباط المهجر:

عُرِّف أقباط المهجر بعدةِ تعريفات، منها:

١. يتحدث الدكتور محمد يحيى عن مصطلح أقباط المهجر فيقول: (راج هذا التعبير في الفترة الأخيرة للدلالة على تجمعاتٍ للمسيحيين أو الأقباط المصريين، الذين هاجروا إلى خارج مصر على مدى أربعة عقود، ولاسيما في العقدين الأخيرين، وقد شكَّل هؤلاء [تجمعاً][1] أو أكثر تتسم بالطابع السياسي، ولا تشتغل بتحسين أوضاع الأقباط الموجودين في المهجر قدر انشغالها بالعمل السياسي المتعلق بالأوضاع الداخلية في مصر تحت مسمى القضية القبطية)[2].

٢. يعرِّف الدكتور وجدي غنيم أقباط المهجر بأنهم: (مجموعة من أقباط مصر هاجرت إلى الخارج)[3].

٣. يُعرِّفُ رفيق حبيب حركةَ أقباطِ المهجر بأنها: (حركةٌ سياسيةٌ دينيةٌ، تهدف إلى خلق وضعٍ سياسيٍّ جديد للأقباط، ووجودها خارج مصر جعل لها وضعاً خاصاً، بحيث لا يحدث صدام بينها وبين التيارات الأخرى الموجودة داخل مصر)[4].

بينما يرى البابا شنودة أن (عبارة «أقباط المهجر» تُستخدم في غالبية الأوقات بطريقة غير سليمة، كما لو كان كل الأقباط في المهجر جبهة واحدة، لها رأيٌ واحدٌ، فالأقباط موجودون في كثيرٍ من بلاد أوروبا وأمريكا وكندا وأستراليا.. ومن غير المعقول أن كل

---

(١) في الأصل: «تجمع» وهو خطأ لغوي.

(٢) موقع وكالة الأخبار الإسلامية (نبأ)، بعنوان: أقباط المهجر، على الشبكة العنكبوتية:

http: //www.islamicnews.net/Document/ShowDoco8.asp?DocID=11946&TypeID=8&TabIndex=2

(٣) انظر: متطرفو أقباط المهجر يطالبون بإلغاء المادة الثانية من الدستور، على موقع الدكتور وجدي غنيم على الشبكة العنكبوتية:

http: //www.wagdighoneim.com/new/articles.php?do=view&ID=313

(٤) دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ١٤٧.

هؤلاء قد أجمعوا على اتجاهٍ واحدٍ)[1].

وعلى رأيه لا يُصنَّفُ أقباطُ المهجرِ على أنهم يُمثِّلون حركةً دينيةً أو سياسيةً ونحوها، إلا أن قوله غير دقيق، فالمراد من التعريفات السابقة؛ الأغلبية العظمى من أقباط المهجر، الذين هم على توجه الكنيسة القبطية في مصر، ومن الواقع الملموس والمُشاهد فإن لهم تأثيراً بارزاً في جوانب السياسة والمجتمع.

نشأة أقباط المهجر:

مرَّت حركة الهجرة القبطية بعدة مراحل، وكانت بداياتها ترجع إلى أواخر الخمسينات من القرن العشرين، يقول القمص بولس باسيلي: لقد بدأ الزحف إلى الخارج على إثر النكسة التي سببت حرجاً عميقاً في قلوب المصريين، فخرج كل من له استعداد للغربة، وبدأ يستغل موهبته في كل مجالات العلوم والفنون ليكون سفيراً لمصر[2].

ويُمكن إجمال موجات الهجرة على ثلاث مراحل، كما يلي:

المرحلة الأولى:

وتُمثِّلُ الهجرةَ التي حصلت بعد ثورة (١٩٥٢م) على يد حركة الضباط الأحرار، وتميَّزت طبيعةُ المهاجرين الأقباط في هذه المرحلة بأنهم - في الغالب - يُمثِّلون الشرائح العليا من المجتمع، وذلك لأن دافع الهجرة كان لتجنب قرارات التأميم[3] والتمصير لكثيرٍ من المشاريع الاقتصادية كالزراعة ونحوها، وكانت الطبقة العليا من

---

(١) الأنبا شنودة الثالث دين ودنيا: ١٣٩.

(٢) الأقباط وطنيةٌ وتاريخ: ٢٥٤ بتصرف يسير.

(٣) التأميم: هو مرحلةٌ تمرُّ بها الدولة المستقلة في إطار عملية نقل الملكية وإرساء قواعد السيادة، بحيث تقوم الدولة بإرجاع ملكيةِ ما يُراد تأميمه إلى نفسها، أو هو: عمليةُ تحويل الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج والمبادلة في المجتمع إلى ملكية جماعية، بهدف تحقيق المصلحة العامة، ويستهدف التأميمُ ما لاً معيناً أو نشاطاً محدداً، ليصبحَ مشروعاً مملوكاً للمجموعة التي يمكن أن تمثلها الدولة، أو البلدية أو الهيئة التعاونية، وذلك بقصد استعمالها الحالي أو المستقبلي لتحقيق مصلحة المجتمع كله، ومثال ذلك: تأميم الرئيسِ جمال عبد الناصر لقناة السويس، وإرجاعُ ما لَها من حقوقٍ، وما عليها من واجبات إلى الدولة. انظر: الموسوعة العربية، مادة «التأميم».

التجار ونحوهم، هي أقرب الطبقات تضرُّراً من هذه القرارات، فكانت الهجرةُ حلاً مناسباً لهم[٤].

المرحلة الثانية:

كانت في مطلع الستينات بعد أن مرَّ على ثورة يوليو أكثر من سبع سنوات، عندما بدأت الملامح السياسية للنظام الجديد تتضح بشكلٍ أكبر، فظهر أن البناء السياسيَّ للمجتمع المصري بدأ يتغير، ووجد الأقباطُ أنفسهم بعيدين عن المشاركة الفاعلة في إطار البناء السياسي الجديد، ولم تُفلح الإجراءات التي اتخذها النظام في ذلك الوقت للتخفيف من حالة التوجس والإحباط الذي بدأ يُحيط بالنصارى الأقباط، خاصة إذا ما قورن بالوضع فيما قبل الثورة[٥].

المرحلة الثالثة:

وتبدأ هذه الفترة بعد أن خفَّفت الدولةُ من تقييدها للهجرة، فزادت هجرة النصارى الأقباط من مصر، خاصةً بعد حرب سنة (١٩٦٧م)، بسبب الإحباط الذي أُصيب به الناس نتيجة النكسة[٦].

يقول الباحث جوزيف رامز: مرَّت موجاتُ الهجرةِ القبطيةِ بالعديدِ من المراحل، وارتبطت بأسبابِ مختلفةٍ، وإن كانت معظمها قد تمّت عقب ثورة (١٩٥٢م) لأسبابٍ تعود إلى حالة التخوف من النظام الجديد، أو أعمال التأميم، وسياسات الإصلاح الزراعي وغيرها التي مارستها الثورة، ويمكن القول بصفةٍ عامة أن هجرة النصارى الأقباط إلى دول المهجر، قد بدأت تتزايد باطراد منذ أوائل الستينات[٧].

وأبرزُ بلدانِ المهجر: كندا والولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا، وفي بداية الهجرة كانت كندا تحظى بالعدد الأكبر من المهاجرين الأقباط، ففي الفترة (١٩٦٢

(٤) انظر: الأقباط الكنيسة أم الوطن؟: ١٥٨.

(٥) انظر: الأقباط الكنيسة أم الوطن؟: ١٥٨.

(٦) انظر: كنيسة مصر: ٣٦١.

(٧) دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ١٤٨ بتصرف.

أستراليا بـ (٤٧٨٩) مهاجراً، ثم بعدها في الترتيب الولايات المتحدة الأمريكية بـ (٣٣١٤) مهاجراً[1].

وفي عام (١٩٧٩م) أشارت بعضُ المصادر أن عدد المهاجرين إلى الخارج بلغ ما يُقارب (١٥٠) ألف مهاجر، وزيادةُ أعداد المهاجرين بشكل عام كانت بعد حرب (١٩٦٧م)، وبلغت أوجها في عام (١٩٦٩م)[2].

العلاقة بين الكنيسة القبطية وأقباط المهجر:

من المعلوم أن أقباط المهجر في مرجعيتهم الدينية والعقائدية يرجعون إلى البطريركية المرقسية التي يرأسها بابا الأقباط الأرثوذكس في مصر، ولا شك أن للبابا أثراً بالغاً في نفوسهم، كما أن له نفوذاً واسعاً وكلمةً مسموعة عندهم، وفي المقابل؛ يُمثِّلُ أقباط المهجر ورقةَ ضغطٍ على الحكومة المصرية ومجتمع مصر بشكل عام.

وتشير كثيرٌ من الأحداث إلى وجود تواصلٍ بين البابا شنودة الثالث وبين أقباط المهجر، ومن ذلك:

أنه عندما أعلنت الحكومة المصرية في دستورها تطبيقَ حدِّ المرتد؛ حَرِصَتْ الكنيسةُ القبطيةُ في مصر على رفض هذا القرار لزعمهم مخالفته مبدأ الحرية الدينية، واستعانت في ذلك بأقباط المهجر، خاصةً في الولايات المتحدة الإمريكية وأستراليا، وكانت تريدُ الضغطَ على الحكومة المصرية قدر الإمكان للتراجع عن قرارها، ولم تهدأ ثورةُ أقباطِ المهجر إلا بعد أن أرسلت لهم الكنيسة المصرية تُخبرهم بانفراج في الأزمة.

وبعد تولي الرئيس المصري حسني مبارك للرئاسة وقبل إطلاق سراح البابا شنودة الثالث؛ كان الرئيس حسني ينوي زيارة الولايات المتحدة الإمريكية في عام (١٩٨٢م)، وكانت هناك خشية من استقبالٍ سيىءٍ من أقباط المهجر، فأرسل إليهم البابا شنودة اثنين من الأساقفة ليُطالبهم بالترحيب بالرئيس وحُسْنِ استقباله، وأن الرئيس حسني قد ورث

---

(١) انظر: الأقباط والقومية العربية: ٢٠-٢١.

(٢) انظر: الأقباط والقومية العربية: ٢٠-٢١.

أموراً سياسيةً صعبة ويحتاج في علاجها إلى زمن أطول[1].

حدثت بعد ذلك أعمال عنف في مدينة «أبو قرقاص» بمحافظة المنيا، في شهر فبراير من عام (١٩٩٧م)، قُتل فيها تسعة من النصارى الأقباط، فقامت بعض الجمعيات التابعة لأقباط المهجر في الولايات المتحدة الأمريكية بالتنسيق للقيام بمظاهرةٍ معاديةٍ للرئيس حسني مبارك، وقامت بتوزيعِ منشوراتٍ معاديةٍ للحكومةِ المصريةِ، مطالبين الأسرةَ الدولية بالتدخل لوقف الانتهاكات التي تتعرض لها كنائسهم كما يزعمون، فأرسل إليهم البابا شنودة الثالث يُطالبهم بحُسن استقبال الرئيس مبارك، وأكّد لهم البابا شنودة أن الإرهاب يطال المسلمين والمسيحيين على حدٍّ سواء.

وفي شهر أغسطس من عام (١٩٩٨م) حصلت حادثة عنفٍ أُخرى عُرفت بحادثة الكشح، ثار على إثرها أقباط المهجر، فبعث البابا شنودة الثالث ببيان لرفع اللبس المتعلق بالقضية، وتهدئةً للتوتر الخارجي.

وفي عام (١٩٩٩م) أراد الرئيس حسني مبارك زيارة الولايات المتحدة الإمريكية، فأرسل البابا شنودة وفداً من النصارى الأقباط لاستقبال الرئيس مبارك، وطالب مجموعةً من أساقفة كنائس أمريكا باستقبال الرئيس، والظهور بالمظهر اللائق، تخفيفاً للتوتر الحاصل من أقباط المهجر[2].

ولما أراد الرئيس المصري حسني مبارك زيارة الولايات المتحدة الأمريكية بعد تولي الرئيس الأمريكي أوباما الرئاسة؛ قامت منظماتُ أقباطِ المهجرِ بالتنسيق للقيام بمظاهرةٍ في استقبال الرئيس المصري، فقد أوردت صحيفة (المصري اليوم) خبراً جاء فيه: (حدّدت منظمات أقباط المهجر في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا يوم الثلاثاء ٢٦ مايو الجاري (٢٠٠٩م)، موعداً لتنظيم مظاهرة سلميّة أمام البيت الأبيض، أثناء لقاء الرئيس حسني مبارك بالرئيس الأمريكي باراك أوباما.

(١) انظر: الأقباط وطنية وتاريخ: ٢٦٤-٢٦٦، انظر: مُرفقات البحثِ؛ المُرفق رقم: ١٦.

(٢) حول هذه الزيارات، انظر: دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ١٥٢-١٥٣.

وأصدرت العديدُ من منظماتِ أقباطِ المهجرِ بياناً مشتركاً، أعلنت فيه أن المظاهرة ستبدأ من الساعة ١٠ صباحاً حتى ٤ مساءً، تحت عنوان «لا تخف، بل تكلم ولا تسكت»، احتجاجاً على ما وصفته بالاضطهاد والعنف الواقع على أقباط مصر، والهجوم على الكنائس والأديرة وممتلكات الأقباط، واستهداف الأسرة القبطية وبنات الأقباط.

وشدَّد البيانُ على ضرورة مشاركة الجميع في المظاهرة ليكون الحضور شاهداً أميناً على ما يحدث للأقباط في مصر، مُشَبهاً أقباطَ مصر في معاناتهم بآلام المسيح على الصليب)[١].

كما نشرت صحيفة الشروق مقالاً بعنوان: (أقباط المهجر يستقبلون مبارك في أمريكا بفيلم عن اضطهاد المسيحيين في مصر) ذكرتْ فيه أن الأقباط قد أعدوا فيلماً باسم «الأقباطُ محاصرون» ينقلون فيه معاناة أقباط مصر أثناء زيارة الرئيس المصري للولايات المتحدة الإمريكية[٢].

وفي مواجهة هذه المظاهرات؛ أرسل البابا شنودة الثالث سكرتيره إلى الولايات المتحدة ليخفف من حدّة التوتر، فقد نشرت صحيفة اليوم السابع مقالاً بعنوان: (أقباطُ المهجر يستعدون للقيام بمظاهراتِ أثناء زيارة الرئيس، وسكرتير البابا يتولى تهدئتهم)، جاء فيه: (قرَّر قداسة البابا شنودة الثالث، بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية، إرسالَ السكرتير الخاص به، الأنبا يؤانس الأسقف العام، إلى الولايات المتحدة الأمريكية لمدة ٥ أيام..سيقوم - السكرتير - أيضاً بعمل جلسات لتهدئة بعض نشطاءِ أقباط المهجر في واشنطن، وأوضح المصدر أن الكنيسةَ ترفض هذه الاحتجاجات، وترفض مناقشة مشاكل مصر بهذه الطريقة)[٣].

وتتوالى أحداث المواجهةِ من أقباط المهجر، وفي كل مرةٍ يقوم البابا شنودة الثالث بإرسالِ أو مخاطبةِ أقباط المهجر بالتزام الهدوء والسكينة، وهذا يُظهر مدى الأثر الذي يتضلع به البابا شنودة لدى أقباط المهجر.

---

(١) صحيفة المصري اليوم، بتاريخ: ١١/ ٥/ ٢٠٠٩م.

(٢) انظر: صحيفة الشروق، بتاريخ: ١١/ ٥/ ٢٠٠٩م.

(٣) صحيفة اليوم السابع، بتاريخ: ١٥/ ٠٥/ ٢٠٠٩.

و ينبغي أن يُعلم أن ما ذُكر يُمثل شريحةً هي الأكبر بالنسبة لأقباط المهجر في تقبلهم رأيَ وشخصية البابا شنودة الثالث، وهذا لا يمنعُ وجودَ شريحةٍ أخرى لها موقفٌ مغايرٌ ومختلف، يتمثَّلُ في التمرد والعصيان على الكنيسة المصرية بشكل عام، وعلى رجالها بشكلٍ خاص، ومثال ذلك (مجلةُ الأقباط التي تصدرها الجماعات القبطية، تهاجم البابا نفسهِ والكنيسة، وتتهمها بأنها تُنافق الدولة في مسألة إقامة مآدب الإفطار في رمضان)[1].

ومن ذلك أيضاً، ما ورد في مقالٍ نشرته صحيفة اليوم السابع تحت عنوان: (منظمةٌ قبطيةٌ تدعو إلى استقبال مبارك في واشنطن بمظاهرةٍ عالميةٍ.. وتطالب بإسكات الكهنة الموالين للنظام)، ومما جاء فيه: (دعت منظمةُ الأقباطِ الأحرارِ إلى تنظيم مظاهرةٍ عالميةٍ أثناء الزيارة المرتقبة للرئيس مبارك إلى واشنطن، وطالبت المنظمة على موقعها الإلكتروني أقباطَ المهجر في كل دول العالم بالنزول إلى الشارع للتظاهر أثناء تواجد الرئيس مبارك في أمريكا.

وقالت المنظمة في بيان على موقعها الإلكتروني: (عليكم باستقبال مبارك بالتظاهرِ أمامَ البيت الأبيض، وعدم الانصياع لمندوبي الكنيسة، الذين يحاولون تسكين الأقباطَ ومنع خروج المظاهرات في كل عواصم تجمعات أقباط المهجر).

وجاء في البيان أيضاً: (سنقوم بتوزيع منشوراتٍ مع المظاهرات التي سنستقبل بها الرئيس مبارك، تفيد باضطهاد الأقباط، وأسطوانات (سي دي) لأحداث الضرب بالقنابل، وصور هدم الكنائس والقتلى الأقباط، وكذلك إرسالُ خطابِ إدانةٍ من كل منظمات المهجر إلى البيت الأبيض وهيئةِ الأمم المتحدة ومجلس الأمن، للمطالبة بمحاسبة مصر على انتهاكها لحقوق الأقلية القبطية.

وطالبت الدعوةُ الأقباطَ في مصر بإسكات أصوات بعضِ الكهنة الموالين للنظام، والتي وصفتهم بالناكرين لاضطهاد الأقباط في مصر، خوفاً على مشاريعهم التجارية وسلطاتهم والمزايدة على حقوق الأقباط)[2].

---

(١) دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ١٥١.

(٢) صحيفة المصري اليوم، بتاريخ: ٨/ ٥/ ٢٠٠٩م.

وتلتمس الكنيسةُ القبطية العذرَ لأولئك المتمردين ما دام تمردهم لم يمسَّ عقيدتهم، فقد سُئل البابا شنودة الثالث عن رأيه في تصرفات الأقباط في الخارج التي تتدخل في مجريات الأمور في مصر بالانتقاد، فكان من جوابه: (يجب ألا ننسى أن الأقباط في الخارج تمنحهم الدول التي يعيشون فيها حرياتٍ يستطيعون بواسطتها مناقشة تصرفات الجميع، بما فيها تصرفات رجال الدولة، وبنفس الوضع يسلكون مع الكنيسة، ولا يقبلون أن تُقيَّد حرياتهم، فهذا هو أسلوب كل مواطن في الخارج، مسلماً كان أو مسيحياً، وعليه فلا حرج.. خاصة أن كثيرين منهم يحصلون على الجنسية أو حقِّ المواطنة في الدول التي يعيشون فيها، ولهذا فعندما نحكم عليهم يحسن أن نُصدر أحكامنا وفق المناخ والظروف التي يعيشون بين ظهرانيها)(1).

أما ولاءُ أقباط المهجر السياسي فليس لمصر - عند أغلبهم - وإنما لتلك البلدان التي عاشوا فيها، ويُغالي بعضهم فيرفض تدخل رجال الإكليروس في التهدئة التي يُنادون بها، ففي بيانٍ للهيئة القبطية الأمريكية، جاء ما يلي: (نحن الهيئة القبطية الأمريكية من مقرها الرئيسي بولاية نيو جيرسي.. نظراً للأحداث التي حدثت مؤخراً للأقباط وكنائسهم ومنشآتهم من الأجهزة الحكومية بأفرعها المتعددة، وما يحدث من قِبَل جهاز أمن الدولة، ومشاركته في أحداث الأسلمة القسرية، واضطهاد المتنصرين، واضطهادُ الكنيسة وحبس رجال الكهنوت القبطي.. نعلن لمن يهمّه الأمر أننا نتعامل مع الكنيسةِ ورجال الدين كآباء لنا نُجلُّهم ونحترمهم ونبجِّلهم بما يليق وكهنوت السيد المسيح إلهنا، وفيما نُعلن هذا؛ نُعلن أيضاً أن حقوقنا كشعب قبطي ليست قابلة للمساومة مع أي طرف كان، كما أنها ليست قابلة للتنازل أو الخضوع، ولهذا نعلن خضوعنا الروحي الأبوي فقط للكنيسة، وليس للكنيسة أو رئاستها أي سلطانٍ علينا من أجل التنازل عن الحقوق المسلوبة لشعبنا القبطي المتألم الجريح، ولنا اتخاذ كافة السبل بحسب رؤيتنا التي تدعم نيل حقوقنا المنهوبة قسراً..)(2).

---

(1) الأنبا شنودة الثالث دين ودنيا: ١٣٦-١٣٧.

(2) انظر: بيان الهيئة القبطية الأمريكية الأول لسنة (٢٠٠٩م)، بتاريخ: ٢٢/٢/٢٠٠٩م، على موقع الهيئة على الشبكة العنكبوتية:

http: //www.copts.com/arabic/index.php?option=com_content&task=view&id=3819&Itemid=33

ويقول منير بشاي وهو أحد رموز أقباط المهجر: (عندما هاجرنا للبلاد التي نحن فيها، وقد حصلنا على جنسيتها؛ فإننا أقسمنا على أن نطيع قوانينها، ونقدِّس دستورها، ونعمل لخيرها، هذه الأوطان قد فتحت أحضانها لنا.. إن أقباط المهجر ليسوا طابوراً خامساً يعيشون في وطنٍ ويدينون بالولاء لوطنٍ آخر، فللوطن الأم منا كل الحب والوفاء، وللوطن الجديد منا الولاء وكل الولاء)[1].

هيئات ومنظمات أقباطِ المهجر:

لما هاجر النصارى الأقباط إلى الدول الأوروبية وأستراليا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا؛ أنشؤوا لهم منظماتٍ وهيئاتٍ تُمثِّل مراجعَ لهم، وفي غالبها ميلٌ إلى الجانب السياسي، لتضغط على الحكومة المصرية في كثيرٍ من شؤونها الداخلية، يقول الدكتور عاطف مقار وهو أحدُ مشاهير أقباط المهجر: (ما يراود أحلام أقباط المهجر؛ أن يكون لهم يوماً جماعةُ ضغطٍ قويةٍ، تساهم في حلِّ مشكلات الأقباط في مصر)[2].

وتحرص هيئاتُ ومنظماتُ أقباط المهجر على تحقيق أهدافها ومشاريعها من خلال ثلاثة مداخل:

١. مخاطبةُ الرأي العامِّ الدولي والقوى الفاعلة الدولية:

ويتبنى هذه الأساليبَ الاتحادُ القبطي الدولي، والهيئات القبطية على مستوى العالم، وهدفهم خَلْقُ رأيٍ عامٍّ دوليٍّ يساند حقوق الأقباط، بالإضافةِ لمحاولةِ التأثير على القوى الفاعلة الدوليةِ.

٢. جمعياتُ حقوق الانسان:

وهذا المدخل يتشابه مع نشاطِ جمعياتِ حقوق الإنسان في مصر.

(١) الأقباط النشأة والصراع: ٦٦١.

(٢) من مقالة له بعنوان: (التعرف والإشادة بإنجازات النشطاء السابقين) في المؤتمر الدولي للمنظمات القبطية عام (٢٠٠٧م)، انظر البيان على الشبكة العنكبوتية:

http: //www.copticassembly.com/showart.php?main_id=634

٣. مخاطبة الرأي العام المصري:

ويشمل هذا المدخلُ كلَّ الأساليبِ لتدعيم العلاقة بين المسلمين والأقباط، مثل: الحوار القبطي - الإسلامي، ومحاولة خَلْقُ رأيٍ عامٍّ داخلَ مصر، يساند حقوق الأقباط، والكتابة في جانبها المقبول والمسموح بنشره في مصر، وتقترب أدوات هذه الفئة في العمل مع ما يفعله أقباط الداخل[1].

ومن أبرز هيئات ومنظمات أقباط المهجر ما يلي:

١. الهيئة القبطية الكندية:

هي أولُ تجمعٍ سياسيٍّ لأقباطِ المهجر، وقد أسَّسها الدكتور: سليم نجيب، في فبراير (١٩٦٩م)، وهو قاضٍ متقاعدٍ، حصل على دكتوراه في القانون، ودكتوراه أخرى في العلوم السياسية، ويشاركه في إدارة الهيئة: سليم نجيب، والكيميائي الفونس قلادة، والمحامي توفيق صالح، والمدرِّسة إيزيس سعد الله، والمهندس كمال عطا، ورجل الأعمال نجيب شحاتة.

وقد سُجِّلت الهيئةُ على المستوى الرسمي لكندا في ٢٩ أكتوبر ١٩٩٢م، وهي عضو في الاتحاد القبطيِ الدولي، ويتركزُ أغلبُ أعضائها في مدينة مونتريال وتورنتو وأوتاوا، وتعمل هذه الهيئةُ على التنسيقِ مع الاتحاد القبطي العام وكل الهيئات القبطية حول العالم، لخدمة المصالح القبطية[2].

كانت الهيئةُ تُصدر مجلةً كل ثلاثة أشهر باسم (الرسالة القبطية)، ولكنها توقفت في عام (١٩٧٤م) لأسبابٍ ماليةٍ، ثم أُعيد إصدارها في عام (١٩٩٨م)[3].

---

(١) مقال: (التعرف والإشادة بإنجازات النشطاء السابقين) في المؤتمر الدولي للمنظمات القبطية عام (٢٠٠٧م)، على الشبكة العنكبوتية:

http: //www.copticassembly.com/showart.php?main_id=634

(٢) انظر: موقع الهيئة القبطية الكندية، على الشبكة العنكبوتية:

http: //www.copticnews.ca/a_whoarewe.htm

(٣) انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٦٦٣.

٢. الهيئة القبطية الأمريكية:

وهي هيئة مستقلةٌ تعمل بالتنسيق مع الهيئات القبطية الأخرى، تأسست عام (١٩٧٢م) على يد أربعةٍ من أقباط المهجر، يرأسهم الدكتور: شوقي كراس ويرفض إعلان باقي الأعضاء المؤسِّسين خوفاً - في نظره - من تعرُّضهم للبطش!

ويقول عن سبب تأسيس هذه الهيئة: (إن السببَ الرئيس في إنشاء الهيئة القبطية الأمريكية، أنني قمتُ برحلةٍ في مصر بعد أحداث الخانكة الشهيرة، وكانت سياسةُ السادات تبدو واضحةً للإضرار بالعلاقات التاريخية بين المسلمين والأقباط، والذي زاد من مخاوفنا تجاه عصر السادات أنه كان عضواً في جماعة الإخوان المسلمين)!!؟[١]

٣. الهيئة القبطية البريطانية:

بدأت كعضوٍ في الاتحاد القبطي الأوروبي، وأُعيد تأسيسها قانونياً في عام (١٩٩٦م)، على يد مجموعةٍ من أقباط مصر وأقباط السودان، ونصَّبوا ديفيد آلتون - عضو مجلس اللوردات البريطاني - رئيساً شرفياً لها، وهي المرَّةُ الأولى التي يكون فيها رئيسٌ لهيئةٍ قبطيةٍ من غير المصريين، وديفيد آلتون معروف بتبنيه لقضايا حقوق الإنسان بوجهٍ عام، وحقوقِ الأقباط بوجه خاص، وكان قد زار مصر مراراً، وكتب عنها تقريراً حول حقوق النصارى الأقباط، أما الرئيسُ الفعلي للهيئةِ فهو الدكتور: حلمي جرجس[٢].

٤. منظمة الأقباط متحدون:

ويُمثِّلها موقعهم الإلكتروني الذي يُعتبر الأبرز من بين مواقع أقباط المهجر، جاء في موقعهم: (بدأ هذا العمل في عام (٢٠٠٤م) إثر مؤتمر زيورخ الذي أقيم في ٢٣ سبتمبر ٢٠٠٤م، وكانت بدايةُ الموقع بهدف عرض أخبار ونتائج وقائع المؤتمر، ثم تطور تدريجياً ليصبح صحيفةً إلكترونيةً يوميةً تُركز على هموم الوطن وهموم الأقباط، في

(١) انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٦٦٤.
(٢) انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٦٦٤.

محاولةٍ جادةٍ لإخراج الأقباط من الذلّ والهوان اللذين تعمَّدَ النظامُ أن يضعهم فيها)[1].

٥. **منظمة مسيحيي الشرق الأوسط لحقوق الإنسان:**

تُعرِّفُ هذه المنظمةُ نفسها من خلال موقعها الإلكتروني، فتقول: (نحن منظمةُ مسيحيي الشرق الأوسط لحقوق الإنسان، هدفنا الأساسيُ حصولُ مسيحيي الشرق الأوسط على حقوقهم كمواطنين في بلادهم، نطالبُ بالمواطنة والمساواة في الحقوق والواجبات، نرى أن مسيحيي الشرق الأوسط يعانون من التمييز الديني، وحقوقهم مهدورةٌ بسبب الشريعة الإسلامية التي سلبتهم أبسط حقٍّ لهم ألا وهو أن يعيشوا مثلهم مثل غيرهم من غير المسيحيين.

نطالبُ بقيام دولةٍ علمانيةٍ مدنيةٍ، يحكمها القانون وليست الشريعة الإسلامية، الجميع [متساوون][2] في كل شيء.

نطالبُ بإصدارِ قانونٍ موحَّدٍ لدورِ العبادةِ لا تفرقةَ بين مسجد وكنيسة..

نطالبُ بحقِّ مسيحيي السودان بتقرير مصيرهم وإلغاء الشريعة الإسلامية من السودان)[3].

والمقرُّ الرئيسيُّ لهذه المنظمة في كندا، ولها فرعٌ في السويد، ومن أبرز أنشطتها: تنظيمُ مؤتمرِ المساواة بكندا عام (٢٠٠٤م)، كما قاموا بإصدار كتاب (المضطهدون) باللغتين: الإنجليزية والعربية[4].

٦. **المنظمة المصرية الكندية:**

تأسَّست عام (١٩٩٦م) طبقاً للقانون الكندي، كمنظمةٍ لا تهدف للربح، ومؤسِّسوها هم: نبيل عبد الملك، وعوني مرقس، و د.مجدي شكري.

---

(١) انظر: موقع الأقباط متحدون على الشبكة العنكبوتية:
http: //www.copts-united.com/aboutus.php

(٢) في الأصل: متساوين، وهو خطأ.

(٣) انظر: موقع المنظمة على الشبكة العنكبوتية:
http: //www.meca-humanright.org/tabid/63/language/ar-EG/Default.aspx

(٤) انظر: موقع المنظمة على الشبكة العنكبوتية:
http: //www.meca-humanright.org/tabid/63/language/ar-EG/Default.aspx

وتهتم المنظمةُ بجوانب حقوق الإنسان والآليات الدولية المشروعة، وتُنسِّقُ المنظمةُ مع المنظمات المصرية داخل مصر، وتُصْدِرُ المنظمةُ مجلةَ (المساواة) باللغتين: العربية والإنجليزية[1].

٧. اتحاد الهيئات القبطية الأوروبية لحقوق الإنسان:

تأسَّس هذا الاتحاد في المؤتمر العالمي للهيئات القبطية، الذي انعقد عام (١٩٩٧م)، حيث اجتمع مندوبون من جميع الهيئات القبطية في العالم، وذكروا أن هذا الاتحاد كان من أجل العمل المشترك بين تلك المنظمات والهيئات و الأفراد المهتمين بحقوق الإنسان، والدفاع عن الحريات، كحقٍّ من تلك الحقوق، وتقديم كل المساعدات القانونية لكل ضحايا حقوق الإنسان وللأقباط خاصة.

وتأسَّس هذا الاتحادُ لتحقيقِ جملةٍ من الأهداف، أبرزها ما يلي:

أ- دعم المبادئ العالمية لحقوق الإنسان كما ترسَّخت في كافة الاتفاقات الدولية لحقوق الإنسان، والعملِ على نشر الوعي بهذه المبادئِ في أوساط الرأي العام، وفي الدول الأعضاء في الاتحاد وفي الشرق الأوسط.

ب- دعمُ مؤسسات حقوق الإنسان، ومناصرةُ سيادةِ القانون، والمساواة بين الرجل والمرأة.

ت- مساعدةُ ضحايا انتهاك حقوقِ الإنسان، سواءً أفراداً أو مجموعاتٍ أو منظماتٍ.

ث- حماية المدافعين عن حقوق الإنسان[2].

ناشطو أقباط المهجر:

نَشِطَ عددٌ من أقباط المهجر تجاه قضاياهم، وكان لهم حِراكٌ وتأثيرٌ ظاهر في

---

(١) من مقالة بعنوان: (التعرف والإشادة بإنجازات النشطاء السابقين) في المؤتمر الدولي للمنظمات القبطية عام (٢٠٠٧م)، على الشبكة العنكبوتية:

http: //www.copticassembly.com/showart.php?main_id=634

(٢) انظر: موقع اتحاد الهيئات القبطية الأوروبية لحقوق الإنسان، على الشبكة العنكبوتية:

www.eucohr.com/eucohraboutus

مجتمعات المهجر عموماً، ومن أولئك الناشطين:

١. د. سليم نجيب:

من مواليد عام (١٩٣٣م)، هاجر من مصر في ١١ أغسطس ١٩٦٥م إلى مونتريال بكندا، وشغل وظيفةَ قاضٍ بمحكمة مونتريال الابتدائية، وهو أول قاضٍ مصريٍ يشغلُ هذه الوظيفة في وقته.

صدرت له أربعةُ مؤلفاتٍ قانونيةٍ باللغة الفرنسيةِ عن قانون المرافعات المدنية، وتُدرَّس مؤلفاتُهُ في المعاهد العليا وكليات الحقوق بمونتريال بكندا.

أنشأ وأسَّس الهيئةَ القبطيةَ الكنديةَ، كما أن له العديد من المقالات المنشورة في المطالبة بحصول الأقباط على حقوقهم الكاملة.

ولا يزال يقيم في كندا[١].

٢. د. شوقي فلتاؤس كراس:

من مواليد عام (١٩٢٨م)، حصل على درجة الماجستير في الرياضيات من جامعة كولومبيا بنيويورك عام (١٩٥٩م)، ثم الدكتوراه من نفس الجامعة عام (١٩٦٤م) في البحوث في علم النفس والتربية والقياس.

عمل أستاذاً في عدد من الجامعات الأمريكية، حتى استقر في جامعة (جنوب كونيتكت) بالولايات المتحدة الإمريكية، وظل يعمل بها أستاذاً ثم عُيِّنَ رئيساً لقسم إعداد البحوث في التربية وعلم النفس.

ويُمثِّل شوقي كراس التيارَ المتشددَ في الهيئات القبطية، كما أن أحاديثه وتصريحاته تتسم في كثيرٍ من الأحيان بالصرامة البعيدة عن الحكمة واللباقة، ويميلُ في أسلوبه إلى أسلوب زعماء الثورات.

أسَّس الهيئة القبطية بالولايات المتحدة الأمريكية، وقد سبق الحديث عنها.

---

(١) انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٦٦٧، واتحاد الهيئات القبطية الأوروبية لحقوق الإنسان، على الشبكة العنكبوتية: www.eucohr.com/copticfigures.php?id=50

توفي عام (٢٠٠٣م)، عن عمر يُناهز (٧٥) سنة[١].

٣. د. سعد ميخائيل:

وُلد عام (١٩٤٥م)، وحصل على الشهادة الجامعية في الهندسة من الإسكندرية، ثم حصل على شهادة الماجستير من الإسكندرية أيضاً، ثم عمل أستاذاً جامعياً بكلية الهندسة بجامعة الينوى بشيكاجو، وهو من المتميزين في مجال الهندسة الإلكترونية، وله أكثر من أربعين براءةَ اختراعٍ في أمريكا ودول أخرى، وهو من دعاةِ الوطنية المصريَّة في المهجر.

يُمثِّل سعد ميخائيل التيارَ الدينيَّ الليبرالي في أقباط المهجر، وبرغم أن أباه كاهنٌ؛ إلا أنه لا يميلُ لآراء الكنسية القبطية، وغالبية موضوعاته تتَّسمُ بالانفتاح على كافة المدارس اللاهوتية في مصر وخارجها، وهو محسوبٌ على تيار التجديد في الكنيسة القبطية مع المحافظة على جوهرها وإيمانها وعقيدتها[٢].

٤. ألفونس قلادة:

وُلد عام (١٩٣٣م)، والتحق بكلية العلوم بجامعة الإسكندرية، وتخرج من قسم الكيمياء عام (١٩٥٧م).

ويُعدُّ ألفونس قلادة من رجال الأعمال الناشطين في حقوق الإنسان من النصارى الأقباط، فهو رجلُ أعمالٍ بارزٍ في جنوب الولايات المتحدة، وهو أيضاً رئيس الهيئة القبطية بجنوب أمريكا، وقد اشترك قبل ذلك مع د.سليم نجيب في تأسيسِ الهيئةِ القبطية الكندية وكان سكرتيراً لها.

تأثَّر بفترة ازدهار الليبرالية والوطنية المصرية في عهد سعد زغلول حينما كان شعار المصريين: «الدين لله والوطن للجميع»، و«يحيا الهلال مع الصليب»، وانعكس ذلك على كثير من آرائه[٣].

---

(١) انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٦٦٧-٦٦٨، صحيفة الشرق الأوسط، العدد: ٩١٠٧، بتاريخ: ٤/ ١١/ ٢٠٠٣م

(٢) انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٦٦٨.

(٣) انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٦٦٨.

٥. د. رودلف مرقص يني:

يحملُ شهادةً في الطب البشري، ويُقيم في ولاية بنسلفانيا في أمريكا، ولكونه من أسرة ذات تدين - بالنصرانية -؛ فإنه لم يكتف بالعمل طبيباً، بل أسَّس جمعيةً للدراسات القبطية.

ويُمثِّلُ رودلف التيارَ الدينيَّ المستقلَ عن الاتجاه الكنسي الرسمي، فكثيراً ما ينطلق من رؤيةٍ مستقلةٍ في تقويمه لما يحدث في الكنيسة ملتزماً فقط بالتقليد الكنسي الأرثوذكسي، ولهذا فهو يدافع عن الإكليروس أحياناً، وينتقدهم في أحيانٍ أخرى، وفقاً لما يراه متوافقاً مع تراث وتقاليد الكنيسة[١].

٦. د. مجدي سامي زكي:

وُلد عام (١٩٤٤م)، وتخرج من كلية الحقوق بجامعة القاهرة عام (١٩٦٥م)، ثم حصل على دبلوم في العلوم الجنائية من جامعة باريس عام (١٩٦٨م)، ثم حصل على الدكتوراه في القانون من جامعة باريس أيضاً في عام (١٩٧٥م)، ويعمل حالياً أستاذاً في فلسفة القانون والقانون المدني بجامعة باريس.

يُعتبرُ مجدي أحد أبرز ناشطي حقوق الإنسان من الأقباط في أوروبا، وهو يمثِّلُ التيارَ العلمانيَّ في أقباط المهجر.

ساهم في إنشاء الهيئة القبطية بفرنسا، وكان رئيساً لها وكذلك الاتحاد القبطي الأوروبي، وكان سكرتيراً له، وكتب العديد من المقالات في الصحافة العربية والفرنسية عن حقوق الأقباط وعن المجتمع المدني في مصر[٢].

وهناك عددٌ آخر من أقباط المهجر، لهم نجاح في تخصصاتهم الأكاديمية التي

---

(١) انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٦٧٠، ومقال بعنوان: (التعرف والإشادة بإنجازات النشطاء السابقين) في المؤتمر الدولي للمنظمات القبطية عام (٢٠٠٧م)، على الشبكة العنكبوتية:
http://www.copticassembly.com/showart.php?main_id=634

(٢) انظر: الأقباط النشأة والصراع: ٦٦٩، واتحاد الهيئات القبطية الأوروبية لحقوق الإنسان، على الشبكة العنكبوتية:
www.eucohr.com/copticfigures.php?id=51

ميَّزتهم على مستوى العالم، كمثل: الدكتور مجدي يعقوب، وهو من أكبر جراحي القلب في العالم، وغيره.

كنائس أقباط المهجر:

لما كانت الكنيسةُ تُمثِّل مكاناً للعبادة عند النصارى الأقباط؛ كان لزاماً أن تصحبهم في هجرتهم، وقد أقام أقباطُ المهجر في العديد من البلدان كنائسَ تخضع في مرجعيتها الكنسية لسلطة الكنيسة المرقسية القبطية بالإسكندرية، وتصدرُ عن رأي البابا، ومن الملحوظ والظاهر لكل مطلع؛ القفزة التي واكبت عددَ كنائس المهجر في عهد البابا شنودة الثالث، حيث أولى اهتماماً بالغاً بالمهجر وكنائسه، وفي عام (١٩٩٥م) قام بزيارة جنوب إفريقيا، وأستراليا، وجزر هونولولو، والولايات المتحدة الإمريكية، وكندا، وإنجلترا، وأسكتلندا، في (٥٥) يوماً، افتتح خلالها العديد من الكنائس[١].

وتُشير دراسةٌ إلى أن الكنيسةَ المصريةَ ستقوم بفتح كنائس جديدة في جميع دول العالم في المرحلة القادمة، بسبب كثرة هجرة الأقباط للخارج، وقَدَّرتِ الدراسةُ عددَ الكنائس القبطية في الخارج بقرابة (٤٨٨) كنيسة[٢].

ومن كنائس الأقباط في الخارج مايلي:

أولاً: الولايات المتحدة الأمريكية:

يوجد في الولايات المتحدة الأمريكية العديد من الكنائس القبطية، من أبرزها:

١. كنيسة القديس فيلوباتير بدالاس، بتكساس[٣].

٢. كنيسة السيدة العذراء والملاك ميخائيل بهيوستون، بتكساس[٤].

---

(١) انظر: الأنبا شنودة الثالث دنيا ودين: ١٣٧.

(٢) انظر: صحيفة اليوم السابع، بتاريخ: ٥/ ١٢/ ٢٠٠٨م.

(٣) موقعها على الشبكة العنكبوتية:

http: //suscopticdiocese.org/stphilopateerdallas

(٤) موقعها على الشبكة العنكبوتية:

http: //www.suscopts.org/stmaryhouston

٣. كنيسة مار جرجس بديتون، بفلوريدا[١].

٤. كنيسة السيدة العذراء ومار جرجس بتالاهاسي، بفلوريدا[٢].

٥. كنيسة القديس مرقوريوس والأنبا إبرآم بتورانس، بكاليفورنيا[٣].

٦. كنيسة الأنبا أنطونيوس والشهيد أبانوب بنوركو، بكاليفورنيا[٤].

٧. كنيسة الملاك ميخائيل والقديسة حنة، بكاليفورنيا[٥].

٨. كنيسة الملاك ميخائيل ومارمينا بجزيرة ستاتن، بنيويورك[٦].

٩. كنيسة السيدة العذراء بأطلانطا، بجورجيا[٧].

١٠. كنيسة مار مرقس بنيو أورليانز، بلويزيانا[٨].

١١. كنيسة مار مرقس ببوسطن، بماساتشوسيتس[٩].

---

(١) موقعها على الشبكة العنكبوتية: http: //suscopticdiocese.org/stgeorgedaytona

(٢) موقعها على الشبكة العنكبوتية: http: //suscopticdiocese.org/stmarypompano

(٣) موقعها على الشبكة العنكبوتية: http: //www.saintabraam.org

(٤) موقعها على الشبكة العنكبوتية: http: //archangelmichaeloc.org

(٥) موقعها على الشبكة العنكبوتية: http: //archangelmichaeloc.org

(٦) موقعها على الشبكة العنكبوتية: http: //hb100.advancednetworkhosting.com/suspended.page/

(٧) موقعها على الشبكة العنكبوتية: http: //www.suscopts.org/stmaryatlanta

(٨) موقعها على الشبكة العنكبوتية: http: //www.coptic.org/stmarknoz/

(٩) موقعها على الشبكة العنكبوتية: http: //www.coptic.net/boston/Home.html

ثانياً: كندا:

من كنائس أقباط المهجر بكندا ما يلي:

١. كنيسة الملاك ميخائيل والأنبا تكلا ببرامبتون بأونتاريو[١].

٢. كنيسة مار مرقس بتورونتو بأونتاريو[٢].

٣. كنيسة السيدة العذراء والبابا أثناسيوس بميسيساجا[٣].

٤. كنيسة السيدة العذراء والأنبا إبرآم بأجاكس بأونتاريو[٤].

٥. كنيسة مار جرجس بفانكوفر[٥].

٦. كنيسة مار جرجس والأنبا أنطونيوس بأوتاوا بأونتاريو[٦].

٧. كنيسة السيده العذراء بكيتشينر بأونتاريو[٧].

٨. كنيسة مار مينا بكالجاري[٨].

---

(١) موقعها على الشبكة العنكبوتية: http: //www.michaelandsttekla.org

(٢) موقعها على الشبكة العنكبوتية: http: //www.stmark.toronto.on.coptorthodox.ca

(٣) موقعها على الشبكة العنكبوتية: http: //www.stathanasius.miss.on.coptorthodox.ca

(٤) موقعها على الشبكة العنكبوتية: http: //www.stmarystabraam.ca

(٥) موقعها على الشبكة العنكبوتية: http: //www.stgeorge.ca

(٦) موقعها على الشبكة العنكبوتية: http: //www.orthodoxy.ca

(٧) موقعها على الشبكة العنكبوتية: http: //www.stmarycoptorthodox.org

(٨) موقعها على الشبكة العنكبوتية: www.stmina.ab.ca

٩. كنيسة السيدة العذراء مريم بفانكوفر العظمى ببريتيش كولومبيا[١].

١٠. كنيسة مار جرجس والقديس يوسف بمونتريال[٢].

١١. كنيسة مار مرقس بمونتريال بكيبيك[٣].

١٢. كنيسة الشهيد ما رمينا العجايبي بهاليفاكس بنوفا سكوتيا[٤].

١٣. كنيسة السيدة العذراء بأوتاوا[٥].

١٤. كنيسة العذراء مريم والشهيدة دميانه بأتوبيكوك بأونتاريو[٦].

ثالثاً: أستراليا:

من كنائسِ أقباطِ المهجر بأستراليا ما يلي:

١. كنيسة الأنبا بيشوي والأنبا شنودة بملبورن[٧].

٢. كنيسة الملاك ميخائيل والأنبا أنطونيوس بأوكليش[٨].

---

(١) موقعها على الشبكة العنكبوتية: www.saintmarycopticorthodoxchurch.com

(٢) موقعها على الشبكة العنكبوتية: www.stgeorgestjoseph.ca

(٣) موقعها على الشبكة العنكبوتية: www.stmarkmontreal.ca

(٤) موقعها على الشبكة العنكبوتية: www.stmena-halifax.org

(٥) موقعها على الشبكة العنكبوتية: www.stmaryottawa.org

(٦) موقعها على الشبكة العنكبوتية: www.stdemiana.ca

(٧) موقعها على الشبكة العنكبوتية: www.ains.net.au/~johnh/VIC_StBishoy_StShenouda.htm

(٨) موقعها على الشبكة العنكبوتية: www.ains.net.au/~johnh

٣. كنيسة السيدة العذراء والقديس يوسف ببريسبان بكوينزلاند[١].

٤. كنيسة العذراء والقديس مرقوريوس بسيدني[٢].

٥. كنيسة القديس مينا والشهيدة مارينا بملبورن[٣].

٦. كنيسة السيدة العذراء بملبورن[٤].

٧. كنيسة مار مرقس بملبورن[٥].

٨. كنيسة مار جرجس بملبورن[٦].

٩. كنيسة الملاك ميخائيل والأنبا أنطونيوس بملبورن[٧].

١٠. كنيسة الشهيدة دميانة والبابا أثناسيوس الرسولي بسيدني[٨].

١١. كنيسة السيدة العذراء والأنبا بيشوي بآديلايد بجنوب استراليا[٩].

---

(١) موقعها على الشبكة العنكبوتية:

www.uq.net.au/~zzrawill/sunnybank/community/churches/scc_smcoptic.htm

(٢) موقعها على الشبكة العنكبوتية:

www.abusefein.org.au

(٣) موقعها على الشبكة العنكبوتية:

www.ains.net.au/~johnh/VIC_StMina_StMarina.htm

(٤) موقعها على الشبكة العنكبوتية:

www.ains.net.au/~johnh/VIC_StMary.htm

(٥) موقعها على الشبكة العنكبوتية:

www.ains.net.au/~johnh/VIC_StMark.htm

(٦) موقعها على الشبكة العنكبوتية:

www.ains.net.au/~johnh/VIC_StGeorge.htm

(٧) موقعها على الشبكة العنكبوتية:

www.ains.net.au/~johnh/VIC_ArchMichael_StAnthony.htm

(٨) موقعها على الشبكة العنكبوتية:

www.stdemiana.org.au

(٩) موقعها على الشبكة العنكبوتية:

www.sacopts.org.au

١٢. كنيسة السيدة العذراء والملاك ميخائيل ببيرث بأستراليا الغربية[١].

رابعاً: أوروبا:

من كنائس أقباط المهجر في أوروبا ما يلي:

أ/ كنائس سويسرا:

١. الكنيسة القبطية الأرثوذكسية[٢].

٢. كنيسة السيدة العذراء مريم[٣].

ب/ كنائس فرنسا:

٣. الكنيسة القبطية الأرثوذكسية[٤].

٤. كنيسة القديسة مريم العذراء ومار مرقس[٥].

٥. الكنيسة القبطية الأرثوذكسية[٦].

ج/ كنائس بريطانيا والمملكة المتحدة:

٦. كنيسة مار مرقس[٧].

---

(١) موقعها على الشبكة العنكبوتية: www.copticwa.com.au

(٢) موقعها على الشبكة العنكبوتية: www.coptic-churches.ch

(٣) موقعها على الشبكة العنكبوتية: www.coptes.ch

(٤) موقعها على الشبكة العنكبوتية: www.eocf.free.fr

(٥) موقعها على الشبكة العنكبوتية: www.ifrance.com/francecopte

(٦) موقعها على الشبكة العنكبوتية: www.france-copte.net

(٧) موقعها على الشبكة العنكبوتية: www.stmark.org.uk

٧. كنيسة السيدة العذراء والشهيد مار مينا[١].

٨. كنيسة البابا أثناسيوس الرسولي[٢].

٩. كنيسة مار جرجس والأنبا أثناسيوس[٣].

د/ كنائس ألمانيا:

١٠. كنيسة مار مرقس[٤].

١١. كنيسة القديس أثناسيوس الرسولي[٥].

هـ/ كنائس هولندا وإسكوتلاندا:

١٢. كنيسة الملاك ميخائيل والأنبا أنطونيوس[٦].

١٣. كنيسة السيدة العذراء[٧].

١٤. كنيسه السيدة العذراء ومار جرجس[٨].

---

(١) موقعها على الشبكة العنكبوتية: www.geocities.com/stmary_stmina

(٢) موقعها على الشبكة العنكبوتية: www.stathanasius-norwich.4t.com

(٣) موقعها على الشبكة العنكبوتية: www.geocities.com/cocncuk/index.html

(٤) موقعها على الشبكة العنكبوتية: www.kopten.de/stmarkus

(٥) موقعها على الشبكة العنكبوتية: www.koptisch-hannover.de

(٦) موقعها على الشبكة العنكبوتية: www.koptischekerkeindhoven.nl

(٧) موقعها على الشبكة العنكبوتية: www.koptischekerk.nl

(٨) موقعها على الشبكة العنكبوتية: http: //www.coptic.org/stmaryplymouth

خامساً: آسيا:

تُعتبرُ آسيا من القارات قليلةِ الكنائس التابعة للأقباط، وذلك نظراً لقلّة النصارى الأقباط الذي يهاجرون لدول آسيا، وفي الغالب أن الكنائسَ الموجودة بآسيا هي لمن خرج لعملٍ أو وظيفة، لا لأجل الهجرة التامة.

ويُمكن إجمالُ أبرزِ كنائسِ الأقباط بآسيا فيما يلي:

أ/ الكويت:

١. كنيسة القديس مار مرقس القبطية الأرثوذكسية[1].

ب/ الإمارت العربية المتحدة:

٢. كاتدرائية الأنبا أنطونيوس للأقباط الأرثوذكس (أبو ظبي)[2].

٣. كنيسة الأقباط بالعين (تحت الإنشاء).

ج/ قطر:

٤. كنيسة القديسين بطرس وبولس (الدوحة)[3].

د/ لبنان:

٥. الكنيسة القبطية بلبنان[4].

هـ/ الأردن:

٦. الكنيسة القبطية بالعبدلي (عمَّان).

---

(١) موقعها على الشبكة العنكبوتية: http: //www.stmark-kw.org

(٢) موقعها على الشبكة العنكبوتية: http: //www.stantony.ae

(٣) موقعها على الشبكة العنكبوتية: http: //www.copticchurchdoha.com/

(٤) موقعها على الشبكة العنكبوتية: http: //lebanoncopticchurch.com/default.aspx

و/ العراق:

٧. كنيسة السيدة العذراء والأنبا بولا للأقباط الأرثوذكس بالشورجة (بغداد).

٨. كنيسة الآباء الرسل ببغداد الجديدة.

ز/ قبرص:

٩. الكنيسة القبطية في قبرص.

ح/ فلسطين:

١٠. كنيسة السيدة العذراء بجبل الزيتون.

١١. كنيسة مار يوحنا.

ط/ اليابان:

١٢. الكنيسة القبطية في اليابان[١].

سادساً: إفريقيا:

تنتشرُ الكنائس القبطية في إفريقيا انتشاراً واسعاً، وقد حرصتِ الكنيسةُ القبطيةُ حرصاً ظاهراً على القارة السوداء، ومن ذلك تخصيصها أسقفيةً مستقلة باسم أسقفية شؤون إفريقيا.

ويُلحظ انتشارُ الكنيسة القبطية في جنوب وشرق إفريقيا، بخلاف غرب إفريقيا الذي يكاد يخلو من النشاط القبطي، ويُرجع بعضُ الباحثين السببَ في ذلك لانتشار الإسلام في غرب القارة الإفريقية، والوعي العلمي بالدين الإسلامي أكثر منه في الجزء الشرقي منها.

ومن أبرز الكنائس القبطية في إفريقيا[٢] ما يلي:

---

(١) موقعها على الشبكة العنكبوتية:

http: //www.h2.dion.ne.jp/~coptic/

(٢) حول كنائس النصارى الأقباط في إفريقيا، انظر: دور الكنيسة القبطية في إفريقيا: ٤٤٤-٤٤٨، واللاهوت الكرازي: ١٤٠ وما بعدها.

أ/ كنائس كينيا:

١. كنيسة مار مرقس بنيروبي.

٢. كنيسة القديسة دميانة كازيكا.

٣. كنيسة مار مرقس رونجاي.

ب/ تنزانيا:

٤. كنيسة مار مرقس بموسوما.

ج/ كنائس زائير:

٥. كنيسة مار مرقس بكاتوبو.

٦. كنيسة السيدة العذراء بلوبومباشي.

٧. كنيسة الأنبا أنطونيوس.

د/ كنائس زامبيا:

٨. كنيسة وكاتدرائية القديس مار مرقس.

٩. كنيسة لوساكا.

هـ/ كنائس زيمبابوي:

١٠. كنيسة دير القديس الأنبا أنطونيوس ومار مرقس بهراري.

١١. كنيسة مار مرقس بديماسيكي.

و/ السودان:

١٢. الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

وغيرها من الكنائس القبطية في إفريقيا.

والله أعلم.



الخاتمة

الخاتمة

وبعد هذا التطواف في مسائل الرسالة؛ أخلصُ إلى بعض النتائج المهمة التي ظهرت لي من خلال البحث، وهي كما يلي:

• النصرانيةُ في أصلها ديانةٌ سماويةٌ، أرسل اللهُ بها نبيه عيسى ابن مريم عليه السلام إلى بني إسرائيل، وأنزل معه الإنجيل بعدما انحرفوا عن الدين، ومالوا إلى الدنيا وملذاتها، فلم يحفظوا رسالة ربهم؛ وحرَّفوا وبدَّلوا، وانتهى بهم الأمر إلى القول بأن الله ثالثُ ثلاثةٍ، وقالوا بألوهية عيسى عليه السلام وجبريل، تحت مسمى الابن والروح القدس.

والأثرُ الأكبرُ في تحريف النصرانية يعود إلى بولس الذي دخل النصرانية متأخراً، وإلى المجامع الكنسية التي ولَّدت كثيراً من الانشقاقات بين النصارى، وذلك راجعٌ لأسباب، أبرزها:

أ- الأسباب العقدية: كالزعم بأن عيسى ابن الله، وقولهم باللاهوت والناسوت، والجدل في الروح القدس وتأليهه، والخلاف في مريم وهل هي والدةُ الإله أم لا، والموقف من الصور والتماثيل.

ب- الأسباب المتعلقة بالشرائع: كالخلاف حول التعميد، وحكم أكل لحم الخنزير، وشرب الخمر، والختان، والعشاء الرباني.

ج- العوامل السياسية: كاضطهاد بعض الحكام والأباطرة للنصارى عموماً، والفساد المستشري بين الباباوات وميلهم إلى المناصب الرئاسية، والتدخلات والدعم الخارجي لهم.

• أبرز فرق النصارى القديمة هي:

١. الملكانية: القائلون بالطبيعتين والمشيئتين للمسيح عليه السلام.

٢. النسطورية: القائلون بأن مريم لم تلد الإله وإنما ولدت إنساناً عادياً، والاتحاد تمَّ بعد ذلك.

٣. اليعقوبية: القائلون بالطبيعةِ الواحدةِ للمسيح، الممتزجةِ من الطبيعتين اللاهوتية والناسوتية.

• أبرز فرق النصارى الحديثة هي:

١. الأرثوذكس: القائلون بالطبيعة الواحدة للمسيح عليه السلام، وانبثاقُ الروح القدس من الآب فقط.

٢. الكاثوليك: القائلون بالطبيعتين والمشيئتين للمسيح عليه السلام، وانبثاقُ الروح القدس من الآب والابن.

٣. البروتستانت: ويوافقون الكاثوليك في الطبيعتين والمشيئتين، وانبثاق الروح القدس من الآب والابن، ولكنهم يتمردون على أكثرِ تعاليم الكنيسة، ولا يعتبرون للكهنة مكانة خاصة، ويعتقدون بأن الكتاب المقدس حقٌّ للجميع؛ قراءةً وتفسيراً.

٤. المارون: القائلون بالطبيعتين والمشيئة الواحدة للمسيح عليه السلام.

• مصطلح «الأقباط» من حيث الأصل مصطلحٌ إقليميٌّ يُرادُ به مصر، وليس له علاقة بالجانب الديني.

• ترجع بدايات النصارى الأقباط إلى مار مرقس في منتصف القرن الميلادي الأول، وقد تعرَّضتِ الكنيسةُ القبطيةُ - منذ بدايتها - للعديد من الاضطهادات على يد الأباطرة الرومان، حتى جاء الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه، فتغيَّرت أحوال النصارى الأقباط وتبدلت إلى الأحسن.

• فَتْحُ عمرو بن العاص رضي الله عنه لمصرَ كان بهدف نشرِ الإسلام، وتوسيعِ رقعته، ودعوةِ الناس إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، كما كان وضعُ مصر الاقتصادي والاجتماعي معيناً على ذلك.

• كان لفتح مصرَ أثرٌ إيجابيٌّ على نصارى الأقباط، ظهر معه عدل الإسلام وسماحته

في التعامل، وأبرز ما يُمثَّل به؛ إعادة عمرو بن العاص رضي الله عنه لبطريرك الأقباط بنيامين الذي كان مختبئاً، وإعطاؤه عهداً بالأمان.

• للنصارى الأقباط موقفان من الفتح الإسلامي:

الأول: المؤيد والمساند له.

الثاني: الرافض له، والمُنكِر لمساعدة الأقباطِ للمسلمين في فتحهم.

• يتمثَّلُ الاستعمارُ الأجنبي لمصر في أمرين:

١. الحملة الفرنسية: وكانت في أواخر القرن الثامن عشر، بقيادة نابليون بونابرت.

٢. الحملة البريطانية: وكانت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

ويتلخَّصُ موقفُ النصارى الأقباط من هذين الاستعمارين في موقفين:

الأول: الموالون للاستعمار والداعمون له بالمال والخدمة.

الثاني: المعادون للاستعمار، وخاصة من دخل منهم في الحركات الوطنية.

• يُمثِّلُ الكهنوتُ عند النصارى الأقباط مكانةً عظيمةً، فمن خلاله تؤدَّى أكثر الطقوس والعبادات، وهو عندهم على ثلاثِ درجاتٍ:

١. الأساقفة:

وهي أعلى درجة كهنوتية، ويُمثِّلُ الأساقفةُ سلطةً قيادية ومرجعية دينية، ويندرجُ تحت الأساقفة ثلاث درجاتٍ، هي: البطريرك (البابا)، ثم المطران، ثم الأسقف.

٢. القساوسة:

وهي درجةُ من يقومُ بأداء الصلوات والطقوس داخل الكنيسة، ويندرجُ تحت هذه الدرجة درجتان: القمص، ثم القس.

٣. الشمامسة:

وهي درجةُ الخُدَّامِ داخلَ الكنيسةِ، وهي أقل الدرجات الثلاث، وتحت هذه الدرجة خمس درجات، هي: الأرشيدياكون، ثم الدياكون، ثم الإيبودياكون، ثم الأغنسطس، ثم الإبصالتس.

وقد اشترطت الكنيسة القبطية لكل درجة من هذه الدرجات شروطاً معينة يلزم تحصيلها.

• مرَّ على الكنيسة القبطية (١١٨) بطريركاً إلى وقتنا المعاصر، كان أبرزهم:

مار مرقس الرسول (البطريرك الأول)، وديمتريوس الكرام (البطريرك الثاني عشر)، وثاونا (البطريرك السادس عشر)، وبطرس الأول (البطريرك السابع عشر)، وألكسندروس الأول (البطريرك التاسع عشر)، وأرشلاوس (البطريرك الثامن عشر)، وتيموثاوس (البطريرك الثاني والعشرون)، وثاؤفيلس (البطريرك الثالث والعشرون)، وكيرلس الأول (البطريرك الرابع والعشرون)، وديوسقورس (البابا الخامس والعشرون)، ويوحنا الأول (البابا التاسع والعشرون)، وثيودوسيوس (البطريرك الثالث والثلاثون)، وأنسطاسيوس (البطريرك السادس والثلاثون)، وبنيامين الأول (البطريرك الثامن والثلاثون)، وأغاثون (البطريرك التاسع والثلاثون)، وسيمون الأول (البطريرك الثاني والأربعون)، ويوحنا الرابع (البطريرك الثامن والأربعون)، وشنودة الأول (البطريرك الخامس والخمسون)، وإبرام بن زرعة (البطريرك الثاني والستون)، وخريسطوذولوس (البطريرك السادس والستون)، وكيرلس الثالث (البطريرك الخامس والسبعون)، ويوحنا الثامن (البطريرك الثمانون)، ومتاؤس الأول (البطريرك السابع والثمانون)، ومرقس الخامس (البطريرك الثامن والتسعون)، ويوحنا السادس عشر (البطريرك الثالث بعد المئة)، ومرقس الثامن (البطريرك الثامن بعد المئة)، وكيرلس الرابع (البطريرك العاشر بعد المئة)، وكيرلس الخامس (البطريرك الثاني عشر بعد المئة)، وشنودة الثالث (البطريرك السابع عشر بعد المئة)، تواضروس الثاني (البطريرك الثامن عشر بعد المئة).

• يؤمن النصارى بوجود الله وإحاطته وأزليته وغيرها من صفات الكمال، ولكنهم يعتقدون بأن الله ذو أقانيم ثلاثة هي:

١ . الآب: وهو الأقنوم الأول، وهو عندهم مصدر وجود الأقنومين الآخرين.

٢ . الابن: وهو المسيح عليه السلام، وله خاصية العقل والمعرفة، وهو عندهم طبيعةٌ واحدةٌ من طبيعتين، اتحد في هذه الطبيعةِ اللاهوتُ بالناسوت، ويُسمونها طبيعةَ الكلمةِ المتجسد[1]، وهذا الاتحاد تمَّ بغير امتزاجٍ ولا اختلاط.

٣ . الروح القدس: وله خاصية الحياة، فهو مصدر الحياة لجميع الكائنات، وهو منبثقٌ من الآب فقط.

• يُقرُّ النصارى الأقباط بعقيدة الصلب للمسيح عليه السلام، وأن ذلك كان لخلاص البشرية ومفاداتها من الآثام التي نالتها بسبب خطيئةِ آدمَ وحواء، عندما أكلا من الشجرة بعد أن نهاهما الله عن الأكل منها.

كما يُقرُّ النصارى الأقباط بموت المسيح عليه السلام بعد صلْبه، ولما كانوا يتبنون القول بالطبيعة الواحدة؛ جعلوا موتَهُ عليه السلام حاصلاً بانفصال روحه عن جسده مع اتصال اللاهوت بالجسد والروح، وعليه فلا انفصال بين الطبيعتين.

ويعتقد النصارى الأقباط أن المسيح عليه السلام دُفن في قبره ثلاثة أيام، ثم قام من قبره، ومكث أربعين يوماً بين تلاميذه، ثم صعد إلى السماء، وتُمثل قيامة المسيح أهميةً كُبرى عند النصارى الأقباط، ويستدلون لها بجملةٍ من الأدلة، ويحتفلون في يومها بعيد القيامة كل سنة.

• يؤمن النصارى الأقباط بالبعث واليوم الآخر إجمالاً، فيؤمنون بالموت وأنه ينال الجسد دون الروح، وينكرون بشدة القول بانتقال الروح وتناسخها، ويعتقدون بأن الموت وافدٌ على الحياة بسبب خطيئة آدم، فلو لم يَخطَأ لم يكن هناك موتٌ أصلاً.

---

(١) تقدَّم بيانُ معاملتهم لـ«الكلمة» على أنها مذكر.

ويعتقدون أن الروحَ تخرج بعد موتها وتنصرف مباشرةً إلى أحد مكاني الانتظار، وهما: الفردوس إن كانت صالحةً، أو الجحيم إن كانت فاسدةً.

كما يؤمن النصارى الأقباط بأشراطٍ للساعة تسبق قيامها، منها: البشارة بالنصرانية وانتشارها، وتجمع اليهود في أورشليم ودخولهم في النصرانية، وكثرة المبتدعة ومُدَّعي المسيحية، وكثرة المصائب والبلايا، وتسلط الشيطان، وظهور المسيح الدجال.

ويؤمنون أيضاً بقيام الساعة ويُسمونه بالمجيء الثاني للمسيح، ويعتقدون بجملةٍ من الأحداث تُصاحبُ مجيئهُ، منها: دمار الكون وزوال العالم، وظهور علامة الصليب في السماء، ونفخ الملائكة في البوق، وعودة المسيح على السحاب، وبعث الأموات من قبورهم واختطافهم، ومحاولةُ الأشرارِ الاختفاءَ وخوفهم.

وبعد مجيء المسيح؛ يؤمنون ببدء الحساب والجزاء، ويُسمّونه بالدينونة، ويعتقدون أن الذي سيُحاسبُ الناس هو المسيح.

وبعد الحساب ينتقلُ الناسُ إلى مصيرهم الأخير؛ فالصالحون ينتقلون إلى الملكوت، والفاسدون والمفسدون إلى جهنم، والمصير - في كلا الحالين - مصيرٌ أبديٌّ لا خروج منه.

• يعتقد النصارى الأقباط بوجوب سبع صلوات في اليوم والليلة، وهو ما انتهى إليه عددها؛ فقد كانت عند بني إسرائيل ثلاثاً، ثم زادها النصارى إلى ست صلوات، ثم إلى سبعِ صلوات في القرن الرابع.

ويشترطون لهذه الصلاة جملة من الشروط، هي: الإيمان، وتقدِمَتُها باسم المسيح، والتواضع، والمواظبة والإلحاح، وسلامة القلب، وقرنها بالمشيئة.

ويُسمّون هذه الصلوات السبع بصلوات الأجبية، وهي: صلاة باكر، وصلاة الثالثة، وصلاة السادسة، وصلاة التاسعة، وصلاة الحادية عشرة، وصلاة الثانية عشرة، وصلاة نصف الليل، وتشتمل هذه الصلواتُ على أفعالٍ وأقوالٍ وأدعيةٍ مُعيَّنة.

• يعتقد النصارى الأقباط بمشروعية الصومِ عن الأكلِ والشُّرب، وأهميته في تطهير

الروح من شهوات النفس وكبح جماحها، ومتأخرو النصارى الأقباط يجعلون الصوم من باب المندوب إليه، بخلاف متقدميهم فإن غالبيتهم على القول بوجوبه.

ويشترطون للصوم جملة من الشروط، هي: الامتناع عن المعاشرة الزوجية، واقتران الصوم بالأذكار والتسابيح الكنسية، والصدقة والبذل، والتوبة بالابتعاد عن المعاصي والملذات، والإخلاص والجدية.

والصومُ عند النصارى الأقباط كثيرٌ وطويل، وهو ما تتميَّزُ الكنيسةُ القبطيةُ به عن غيرها من باقي الكنائس.

وأصوامهم المعتبرة سبعة، وهي على درجتين:

أصوام الدرجة الأولى، وتشمل: الصوم الكبير، وصوم يومي الأربعاء والجمعة، وصومَ نينوى، وصومَ البرامون.

أصوام الدرجة الثانية، وتشمل: صومَ الميلاد، وصومَ الرسل، وصومَ العذراء.

• للأعيادِ عند النصارى الأقباط مكانةٌ خاصةٌ، فهي تُمثِّلُ عندهم أيام ابتهاجٍ دينيٍّ، يحتفلون فيه إكراماً لله وللقديسين، وهي عندهم على ستة أنواع، كما يلي:

١. أعيادٌ خاصةٌ بالمسيح، تُعرف بالأعيادِ السيدية، وهي على نوعين:

أ- أعيادٌ سيديةٌ كبرى، وتنقسم إلى سبعة أعياد: عيد البشارة، وعيد الميلاد، وعيد الغطاس، وعيد الشعانين، وعيد القيامة، وعيد الصعود، وعيد العنصرة.

ب-أعيادٌ سيديةٌ صُغرى، وتنقسم إلى سبعة أعياد: عيد الختان، وعيد دخول المسيح للهيكل، وعيد دخول المسيح لمصر، وعيد معجزة قانا، وعيد التجلي، وعيد خميس العهد، وعيد أحد توما.

٢. أعيادٌ كنسيةٌ تُعاملُ معاملة الأعياد السيدية الصغرى.

٣. أعيادٌ خاصةٌ بمريم.

٤. أعيادٌ خاصةٌ بالملائكة وأهل السماء.

٥. أعيادٌ خاصةٌ بالأنبياء والقديسين.

٦. أعيادٌ خاصةٌ بتكريس الكنائس.

ولكل عيدٍ من هذه الأعياد طقوسه وأسبابه وزمانه.

• تؤمن الكنيسة القبطية بأهمية الزيارات المقدَّسة للأماكن التي عاش المسيح أو ظَهَرَ فيها، وترى في هذه التجمعات فرصةً للاشتراك في وحدة الإيمان والصلاة وطلب الشفاعةِ من مستحقي مَنْحِها، فهي تحاول تذكيرهم بأنهم على مسيرة صحيحة.

و الشفاعة عندهم على قسمين:

أ - شفاعة كفَّارية: وهي خاصةٌ بالمسيح.

ب - شفاعة توسليَّة: وهي متعلقة بالقديسين والملائكة ومريم.

• نتيجة لاعتماد النصارى عموماً والأقباط خصوصاً على المجامع الكنسية في إثبات معتقداتهم ونفي غيرها؛ كان لابد أن يحصل بينهم نزاع وشقاق في كثير من المسائل العقدية والطقسية، وأبرز تلك المسائل ما يلي:

١. الاختلافات بين النصارى الأقباط وباقي الأرثوذكس تمثَّلت في المسائل التالية:

طبيعة المسيح، سر المعمودية، سر الميرون، سر الأفخارستيا، تسبحة الثلاث تقديسات، الصوم، الأعياد، المجامع الكنسية.

٢. الاختلافات بين النصارى الأقباط والكاثوليك تمثَّلت في المسائل التالية:

طبيعة المسيح، انبثاق الروح القدس، عقيدة المطهر، صكوك الغفران، زوائد فضائل القديسين، رئاسة بطرس على الكنيسة، رئاسة بابا روما بعد بطرس والقول بعصمته، ولادة مريم بلا دنس، قانون الاعتراف، سر المعمودية، وقت مسحة الميرون، إتمام سر الميرون، سر الأفخارستيا، سر مسحة المرضى، خلاص غير النصراني، زواج غير النصراني، زواج الإكليروس، تحريم الطلاق، الصور والتماثيل في الكنيسة، عبادة القديسين، أكل اللحوم والبيض في الصيام الكبير.

٣. الاختلافات بين النصارى الأقباط والبروتستانت تمثَّلت في المسائل التالية:

طبيعة المسيح، انبثاق الروح القدس، الأسرار السبعة، التقليد الرسولي، الموقف من الكهنوت، زواج الكهنة، الخلاص، أهمية المعمودية، معموديات الكنائس الأخرى، حق التعميد، التعميد بالرش، التوبة والاعتراف، العشاء الرباني، أسفار الكتاب المقدس، الصلاة على الموتى، الصوم، الأعياد، الشفاعة، الموقف من الصور والأيقونات، الحكم الألفي.

• للكنيسة القبطية أثرٌ ظاهرٌ في المجتمعات الإسلامية لا يمكن تجاهله، ويمكن إجمال ذلك فيما يلي:

أولاً: سلكت الكنيسة القبطية مسلك التبشير منذ بداياتها الأولى ممثلة في مدرسة الإسكندرية، وكذا في إرسال الدعاة من الكهنة لباقي البلدان.

وقد نَهَجتِ الكنيسةُ القبطيةُ في ذلك جملةً من الوسائل، منها: الاهتمام بالتعليم الديني، والتوسع في بناء الكنائس، والاهتمام بالجانب الإعلامي لإيصال رسالة الكنيسة كالصحف والمجلات، والمواقع الإلكترونية على الشبكة العنكبوتية، والقنوات الفضائية.

ثانياً: للنصارى الأقباط نفوذٌ سياسيٌّ وخاصة في القرون المتأخرة، وهو ما يُمثِّلُ تحولاً بارزاً في مبادئ الكنيسة التي قامت على الجوانب الروحية.

ويظهر أثرُ النصارى الأقباط سياسياً من خلالِ نفوذهم في العديد من الوظائف الحكومية، ومن ذلك دورهم في القضاء، وتعيين عدد منهم في المناصب القضائية، أيضاً نفوذهم في الوزارات الحكومية، وتعيين بعضهم وزراء لعدد من الجهات؛ كوزارة المالية، والخارجية، والمواصلات، والتجارة والصناعة وغيرها.

ويُطالبُ النصارى الأقباطُ بعددٍ من المطالب السياسية التي يواجهون بها الحكومة المصرية؛ كالحصول على المساواة الكاملة في التعيينات لعموم الوظائف، ومساواة بناء الكنائس ببناء المساجد من حيث الإذن واستخراج الرخص، وإلغاء النص على أن الإسلام دين الدولة الرسمي.

أيضاً كان للنصارى الأقباط مشاركة في عدد من الأحزاب والثورات السياسية، كحزب الوفد وتأسيسهم لحزب الأمة القبطية.

وقد شهدت الكنيسة القبطية تقدماً كبيراً في عهد البابا شنودة الثالث من الناحية السياسية والمواجهة الشعبية، كما في حادثة الخانكة، وأحداث الزاوية الحمراء، وأحداث كنيسة الإسكندرية وغيرها، وظهرت نبرةُ التهديد بشكلٍ أكبر.

وفي المقابل كان تعامل الحكومة المصرية مع النصارى الأقباط متمايزاً لكل عهد عن غيره، فمع بدايات ثورة (١٩٥٢م) ومع حكم جمال عبد الناصر كانت العلاقة تتسم بالهدوء بين الكنيسة القبطية والحكومة المصرية، ثم في عهد أنور السادات حصل خلاف بينهما واحتدت نبرة الخلاف، وانتهت بعزل البابا شنودة، ثم في عهد الرئيس محمد حسني مبارك عاد الهدوء ثانية إلا أنه لم يخلُ من حوادث مواجهة وعنف.

ثالثاً: أَدْرَكَ النصارى الأقباطُ أهميةَ الجانب الاجتماعي ومدى أثره على الناس، لذا اعتنوا به اعتناءً كبيراً، وكان اعتناؤهم به في القرون الأخيرة ظاهراً، ومن ذلك: تخصيصُ أسقفيةٍ للخدمة الاجتماعية، وهي «الأسقفية العامة للخدمات العامة والاجتماعية»، وأسقفيةٍ أخرى للشباب، كما أن الكنيسة خصصت - ولأوَّل مرة - أساقفة على هذه الأسقفيات من دون إقليم.

كما كان للكنيسة القبطية العديدُ من الجمعيات الخيرية العاملة، ومنها: جمعيةُ المساعي الخيرية، وجمعيةُ التوفيق القبطية، وجمعيةُ النشأة القبطية، وجمعيةُ الإيمان القبطية، وجمعيةُ أصدقاء الكتاب المقدس، وجمعيةُ ثمرة التوفيق، وجمعيةُ الإخلاص القبطية، وجمعيةُ السلام، وجمعيةُ إسطفانوس، وغيرها.

أيضاً اعتنتِ الكنيسةُ القبطيةُ بإنشاءِ مراكز للتنمية الاجتماعية والمهنية، ومن ذلك: إنشاءُ المركز القبطي لتنمية الموارد البشرية، ومراكز التدريب المهني، كما خصَّصت برامجَ للمرأة، وأُخرى للرعاية الصحية، ومكافحة الإدمان والمخدرات، وغيرها.

أيضاً كان للمجالس الملّيّة التابعة للنصارى الأقباط دورٌ في المساهمة الاجتماعية تمثَّلتْ في إصلاح المدارس القبطية، والكنائس والأوقاف، وغيرها.

كما كان لبعض أعيان الأقباط إسهامات اجتماعية، كإبراهيم الجوهري، وجرجس الجوهري، وتادرس عريان، وغيرهم.

• تباين موقف النصارى الأقباط من القومية العربية على موقفين:

الموقف الأول: الرافض للعروبة والدعوة إليها، لارتباط مفهوم القومية العربية - في نظرهم - بالجانب الديني الإسلامي، على اعتبار أن اللغة العربية هي لغة القرآن، وأرجعَ آخرون تحفّظَ بعض النصارى الأقباط على القومية العربية إلى فقدان المصريين لنقاوة الدم العربي الأصيل، فهي دعوة غير واقعية عندهم، وكان أصحاب هذا الاتجاه يميلون إلى القومية الفرعونية، أو القبطية.

وآخرون يرون أن القومية العربية وغيرها من الدعوات إنما هي وسائل وضعها بعضُ الساسة لخدمة أهدافهم السياسية.

الموقف الثاني: المؤيِّد للقومية العربية على اعتبار أنها وسيلةُ الدفاع الوحيدة عن مصر ضد الحملات الأجنبية المتتابعة، وهو الاتجاه الأبرز والأكثر، وهؤلاء تغنّوا كثيراً بالوحدة الوطنية والقومية العربية، ومن أمثلة هذا الاتجاه: مكرم عبيد، وحبيب جرجس.

وكانت الدعوة للقومية العربية تظهر بين فترة وأُخرى، وتزداد نشاطاً في حين دون آخر، إلا أن عهد جمال عبد الناصر هو الأبرز للنشاط القومي العربي.

أما من جهة الكنيسة وبطاركتها؛ فقد كان لهم مواقف بارزة، ومؤيدةٌ للقومية العربية، كالبابا كيرلس الخامس والسادس والبابا شنودة الثالث.

كما ظهرت الدعوة إلى القومية القبطية عند بعض النصارى الأقباط، فظهرت جماعة الأمة القبطية، وكانت ميَّالةً إلى جانب العنف المسلَح، إلا أنها لم تحظَ بدعمٍ من الكنيسة ولا من عامة النصارى الأقباط.

• أن المراد بأقباط المهجر: هم النصارى الأقباط الذين هاجروا إلى خارج مصر إبَّان إصدار الحكومة المصرية لقرارات التأميم لكثير من المشاريع الاقتصادية، وكان ذلك بعد النصف الثاني من القرن العشرين.

وقد مرَّت الهجرة القبطية بثلاث مراحل، فالأُولى كانت في الخمسينات من القرن العشرين، والثانية كانت في مطلع الستينات، والثالثة كانت في أواخر الستينات، وأبرز بلدانِ المهجر: كندا والولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا وأوروبا.

وتمثِّلُ الكنيسةُ القبطيةُ بمصر المرجعيةَ الدينيةَ والفكريةَ لغالبية أقباط المهجر، وبعضُ أقباطِ المهجر لا يقبلون التبعية الفكرية والسياسية للكنيسة القبطية بمصر، ويَدْعُونَ للتمرد صراحةً على النظام الحاكم في مصر، وقد ظلَّ أقباط المهجر يُشكِّلون عنصر ضغطٍ، كثيراً ما تُحرِّكه الكنيسة القبطية بمصر للمطالبة بما تراه من حقوق.

ولأقباط المهجر مجموعةٌ من الهيئاتِ والمنظمات يتواصلون من خلالها مع المنظمات والاتحادات العالمية لحقوق الإنسان ونحوها، ومن ذلك: الهيئة القبطية الكندية، والهيئة القبطية الأمريكية، والهيئة القبطية البريطانية، ومنظمة الأقباط متحدون، ومنظمةُ مسيحيي الشرق الأوسط لحقوق الإنسان، والمنظمةُ المصرية الكندية، واتحاد الهيئات القبطية الأوروبية لحقوق الإنسان، وغيرها.

كما كان لأقباط المهجر ناشطون تميّزوا في حِراكهم السياسي والفكري، من مثل: د. سليم نجيب، ود. شوقي فلتاؤس كراس، ود. سعد ميخائيل، وألفونس قلادة، ود. رودلف مرقص يني، ود. مجدي سامي زكي.

وتنتشر كنائس المهجر في جميع أنحاء العالم؛ في الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا وأستراليا، وأوروبا، واليابان، وبعض دول الخليج العربي، وفي قارة إفريقيا بشكلٍ عام.

• وقبل الختام؛ هناك بعضُ الجوانب التي أرى أنه من الضروري التوصية بها، يمكن إجمالها في النقاط التالية:

١. هذه الرسالة جزءٌ من مشروع: نصارى العرب الأرثوذكس، وتبقى طوائفُ النصارى الأخرى من الكاثوليك والبِروتستانت، التي ينتسبُ إليها جملةٌ من العرب، لا تقلُّ أهميةً عن العرب الأرثوذكس، فمن الجدير أن يُستكمل المشروع بدراسة العرب الكاثوليك والعرب البروتستانت، ولاسيما أن جهودهم التنصيرية - فيما يظهر - أقوى وأبرز من الأرثوذكس.

٢. إكمال مشروع العرب الكاثوليك والبروتستانت المقترح، بمشروع اليهود العرب، فنكون بذلك استوفينا مشروعاً متكاملاً حول أهل الكتاب العرب، وأثرهم على البلاد العربية والإسلامية.

٣. الجانبُ الفكري والسياسي والاجتماعي للنصارى الأقباط جانبٌ مُتجددٌ، ويتخذ عدةَ مسارات بحسب الأحوال والظروف، لذا قد تتبدل بعض الأحوال بتغير ظروفها السياسية أو الاقتصادية أو غيرها، فجديرٌ أن يُوسع الموضوع لاحقاً بما يواكب التغيرات والتطورات.

٤. هناك هجوم لاذعٌ وصريحٌ من بعض النصارى الأقباط على الدعوة السلفية، ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وينسبون كل عملٍ فيه نوعُ مواجهةٍ إلى الدعوة الوهابية، حتى ولو كان الطرفُ المقابل لهم بعيداً كلَّ البعد عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهذا أمرٌ مستغرب؛ إذ اعتدنا أن يكون خصوم الشيخ - في الغالب - من المبتدعة المنتسبين إلى الإسلام دون أهل الكتاب، الذين نظنهم لا يعتنون بذلك.

٥. من مصادر الاستدلال عند النصارى كتاب تعاليم الرسل أو ما يُسمى بالدسقولية، وهو مصدر رئيس، ومن خلال بحثي رأيتُ خلوَّ المكتبة الإسلامية عن أيِّ دراسة متعلقة به، بخلاف الكتاب المقدس الذي أُشبع بحثاً.

أسأل الله العظيم بمنه الكريم أن أكون قد وفقت في هذه الرسالة لعمل الخير والتزام العدل والإنصاف، وأن يجعل ما كتبته حجةً لي، وأن ينفع بهذا الجهد ويبارك فيه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.


المرفقات



مُرفق (١)

الكاتدرائية المرقسية بالعباسية بالقاهرة.



مُرفق (٢)

البابا شنودة يرسم بطريرك ملبورن بأستراليا، وتتم الرسامة بوضع الصليب على الرأس، ثم يقول البابا : رسمتك بطريركاً على كذا.

البطريرك يحرم التماثيل ويتجاهل تمثالا لقداسته يتوسط ديوان الكاتدرائية:

الخطيئة الحادية عشرة للبابا شنودة!



قال بالنص: اللى يشتغل بصناعة التماثيل والأصنام والحاجات اللى زى دى لا تقبل عطاياه.. وكذلك المرأة اللى عايشة فى الزنى

مُرفق (٣)

صورة لتمثال البابا شنودة الثالث بكاتدرائية العباسية،

من مجلة روز اليوسف بتاريخ: ٢١/ ٠٤/ ٢٠٠٩م.



مُرفق (٤)

البابا شنودة الثالث أمام الخبز، ويزعمون أنه في هذه اللحظة يتحول حقيقةً إلى جسد المسيح.



مُرفق (٥)

البطريرك (١١٦) للكنيسة القبطية : كيرلس السادس.



مُرفق (٦)

لقاء البابا شنودة الثالث بالرئيس الأمريكي بوش الأب.



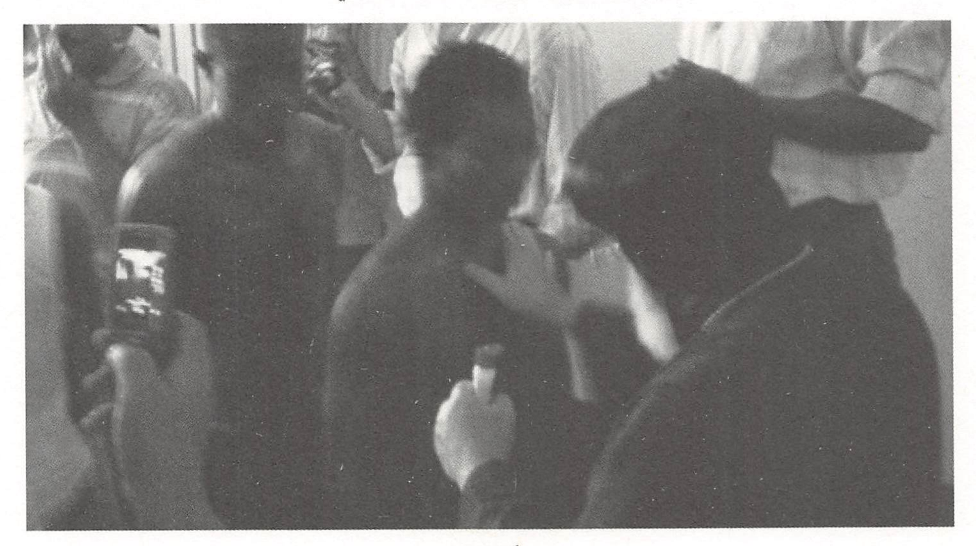
مُرفق (٧)

لقاء البابا شنودة الثالث بتشارلز ولي عهد بريطانيا.



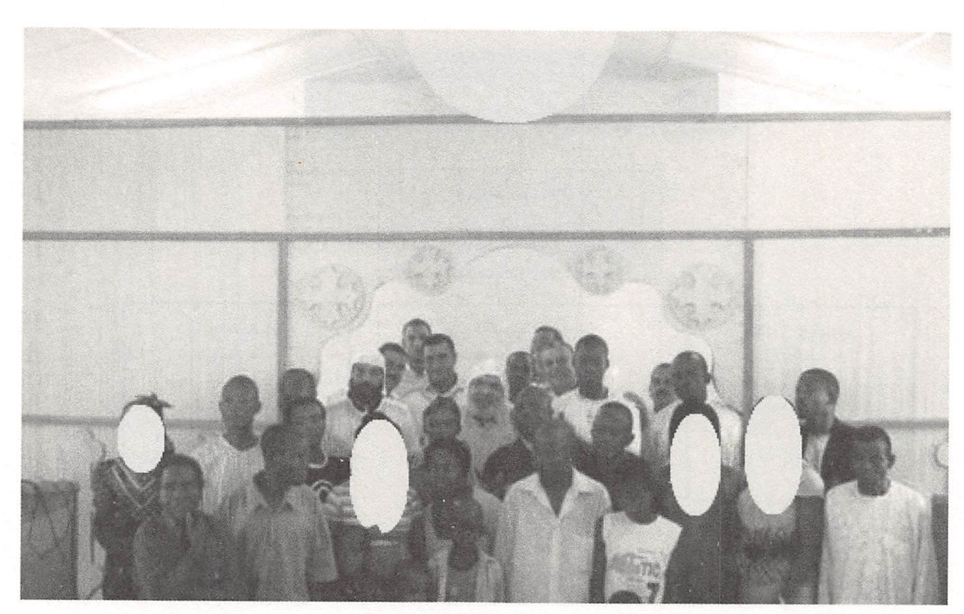
مُرفق (٨)

لقاء البابا شنودة الثالث بالرئيس الأمريكي السابق كارتر.



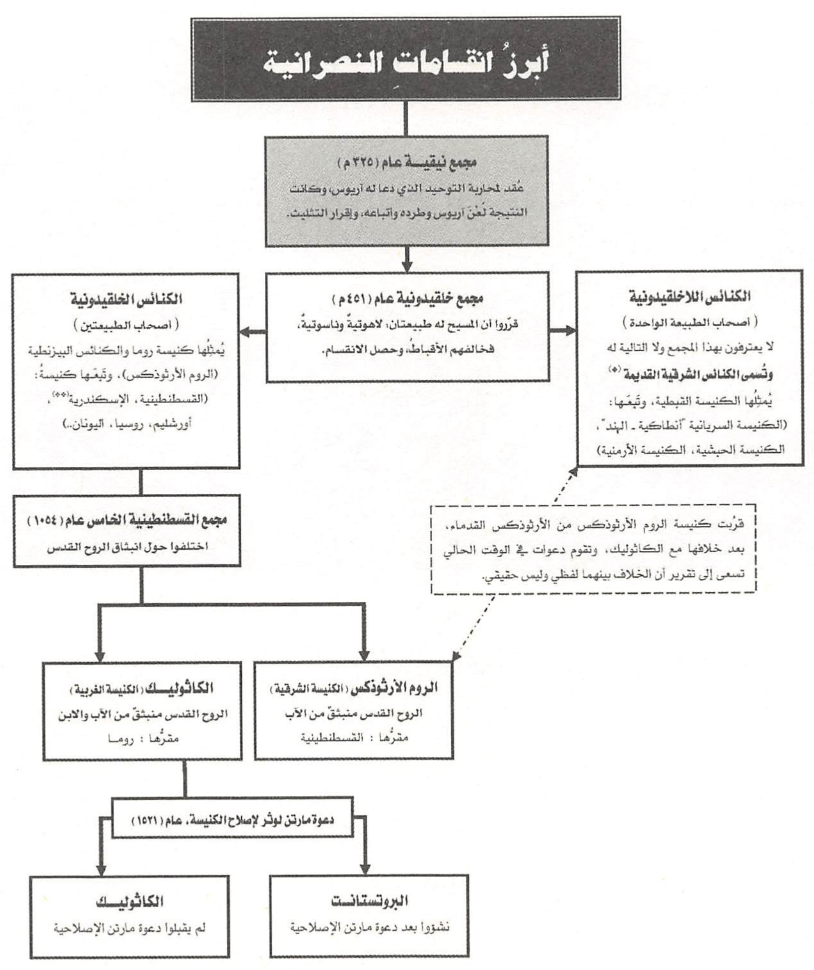
مُرفق (٩)

جانب من نشاط الكنيسة القبطية في إفريقيا: وفي الصورة تعميد أفارقة جُدد في الكنيسة القبطية.



مُرفق (٠١)

الأفارقة بعد تعميدهم بإحدى الكنائس القبطية بإفريقيا

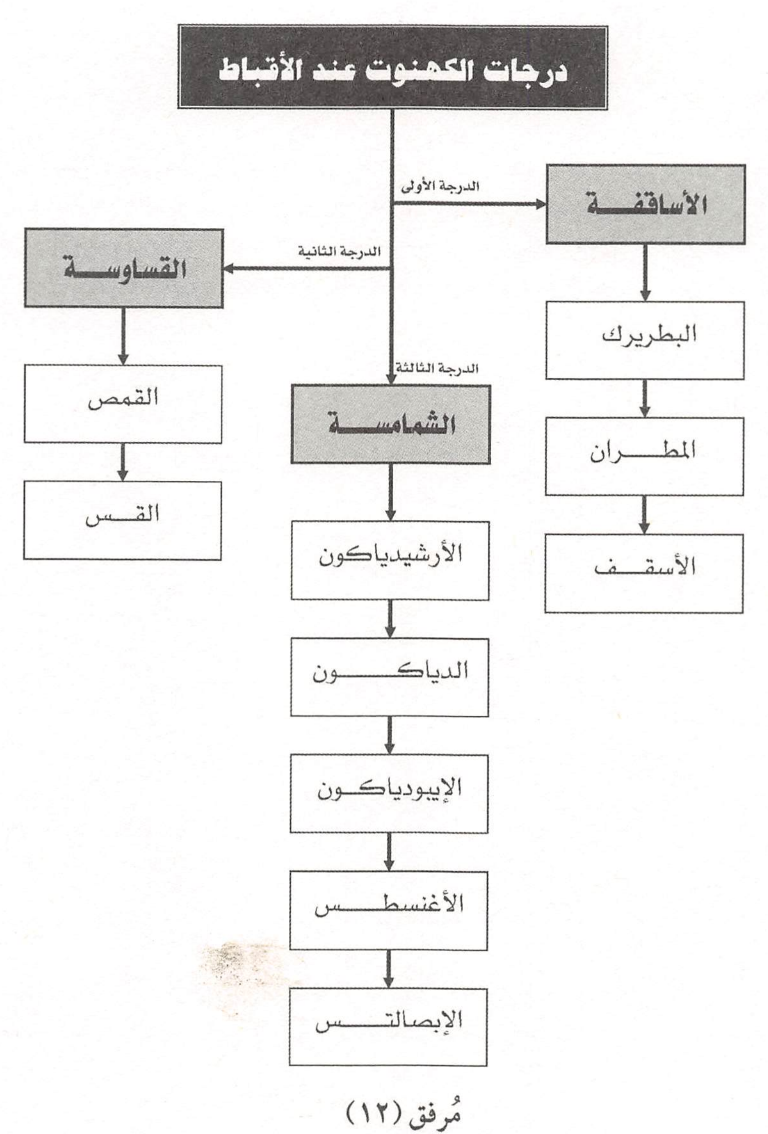


(*) تُسمى بالأرثوذكسية القديمة تمييزاً لها عن الأرثوذكسية الرومية.

(**) تختلف عن كنيسة الأقباط، فهذه مرجعيتها إلى الروم الأرثوذكس، ولا يرجعون بحال إلى بطريرك لأقباط الأرثوذكس. انظر كنيسة مصر: ٥٠٩

مُرفق (١١)

رسم شجري لأبرز انشقاقات النصارى.



مُرفق (١٢)

رسم شجري لدرجات الكهنوت في الكنيسة القبطية.

قرار للمجمع المقدس للكنيسة القبطية الأرثوذكسية

في صباح يوم الأربعاء ٢١ فبراير ٢٠٠٧م في المقر البابوي بالقاهرة، ناقش المجمع المقدس برئاسة صاحب القداسة البابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية ما قام الدكتور جورج حبيب بباوي بنشره والتعليم به سابقاً وحاليا في مطبوعات وتسجيلات صوتية مخالفاً التعليم الأرثوذكسي السليم لكنيستنا. ونظراً لأنه فصل نفسه بنفسه عن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بانضمامه إلى الكنيسة الروسية، ثم إلى الكنيسة الأنجليكانية بإنجلترا، فإن كان ما يزال يعتبر نفسه قبطيا أرثوذكسيا، فإن المجمع المقدس يقرر فرزه وعزله من الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بسبب إنحرافاته اللاهوتية والعقائدية والطقسية، ونشرها وتشويه فكر الآخرين بها، وإستمراره وتشبثه بأخطائه، وتنقله بين المذاهب المتعددة، وفرز وعزل كل من يؤمن بنفس أفكاره المنحرفة، وبالتالي لا يُسمح له ولهم بالإشتراك في أي سر من أسرارها الكنسية ولا بالتعليم بصوره المتنوعة.

رئيس المجمع المقدس
شنوده
البابا شنودة الثالث
بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية ١١٧

سكرتير المجمع المقدس
بيشوى
مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى

مُرفق (١٣)

أُنموذج لقرار طرد من الكنيسة

قرار المجمع المقدس بطرد جورج حبيب بباوي من الكنيسة القبطية والبراءة منه.

Coptic Orthodox Patriarchate
FROM H.H. POPE SHENOUDA III
Deir Anba Rueiss, Ramses Avenue, ABBASSIYA,
CAIRO 11381, EGYPT
CABLE : EL ANBA RUEISS, CAIRO



بيان

لقد تأثرت كثيراً للاعتداء الصارخ على اخوتنا الفلسطينيين
في المسجد الأقصى مما أسفر عن عدد كبير من القتلى والجرحى،
مع ازدياد عدد الضحايا يوماً بعد يوم. وقد تأثرت بالأكثر أن
يحدث هذا الاعتداء في بيت من بيوت العبادة له حرمته وتوقيره
عند المسلمين في العالم أجمع، فهو عندهم ثالث الحرمين وثانية القبلتين
واندهشت أن تسيل دماء العابدين في وقت يُنشر فيه عن
مفاوضات السلام والسعي في الوصول الى حلّ واتفاق
وعجيب أن الهيئات العالمية الكبرى مثل مجلس الأمن وهيئة
الأمم المتحدة لم تتخذ حتى الآن قراراً لوقف نزيف الدماء
وإدانة من تسبب فيها
إننا نبدي تعاطفنا مع اخوتنا الفلسطينيين في محنتهم الحاضرة،
وتعزيتنا لأسر القتلى. ونهيب بكل المسئولين لاتخاذ موقف
حازم من هذه الأحداث المفجعة

شنوده
٢/١٠/٢٠٠٠

مُرفق (١٤)

بيان البابا شنودة الثالث حول الاعتداءات اليهودية على الفلسطينيين والمسجد الأقصى.

Coptic Orthodox Patriarchate

FROM H.H. POPE SHENOUDA III

... Anba Rueiss, Ramses Avenue, ABBASSIYA

CAIRO ... EGYPT

CABLE ... ANBA RUEISS, CAIRO



بيان من

البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

إن ما إرتكبته إسرائيل في غزة هو عمل وحشي لايتفق مع المبادئ الإنسانية ، وهو استغلال سيئ للتفوق العسكرى بطريقة غير مقبولة . وعدد القتلى والمصابين هو رقم مرعب ومخيف ويجب أن تكون أمامه وقفة جادة تمنع إستمراره.

وبهذه المناسبة نشيد بموقف مصر النبيل في فتح المعبر لمعالجة المصابين في مستشفياتها ، ونطلب من الأمم المتحدة التدخل.

مُرفق (١٥)

بيان البابا شنودة الثالث حول أحداث غزة الأخيرة، في مطلع عام (٢٠٠٩م).

Coptic Orthodox Patriarchate
FROM H.H. POPE SHENOUDA III
Deir Anba Rueiss, Ramses Avenue, ABBASSIYA,
CAIRO 11381, EGYPT
CABLE : EL ANBA RUEISS, CAIRO.

+



Date | / / 19
| / / 17

أبنائي الأحباء في المهجر

سلام لكم ونعمة من الرب، راجياً لكم بركة خاصة في
هذا الصوم الكبير، وحياة روحية ثابتة في الرب، وبعد:
حاضر الى أمريكا الرئيس محمد حسني مبارك في مشاورات
هامة مع الرئيس الأمريكي. أحب أن يقابل منكم بكل ترحاب
ومودة يليقان برئيس بلدنا مصر. وأشهد ان الرجل يبذل
كل ما يستطيع من أجل سلام بلده، وأن شعوره طيب جداً
من جهة الأقباط. وقد لمست هذا بنفسي

وبهذه المناسبة يهمني أن أخبركم بأن موضوع الكشح
قد هدأ. وقد أثبت بيان النائب العام كل الإعتداءات التي
وقعت على الأقباط من جهة القتلى والمصابين وحوادث الحرق
والنهب. وحدد أيضاً المتهمين بارتكاب تلك الجرائم

ولم يتعرض بيان الإتهام لأحد من رجال الدين. وهكذا
لم يرد اسم نيافة الأنبا ويصا، ولا اسم القس جبرائيل.

كما لم يتهم قبطي واحد بالقتل العمد، ولا الشروع في
القتل. ولكن البعض قد اتهموا في أحداث الإتلاف وحرق
الأكشاك. والموضوع الآن أمام القضاء.

P.T.O.

Coptic Orthodox Patriarchate
FROM H.H. POPE SHENOUDA III
Deir Anba Rueiss, Ramses Avenue, ABBASSIYA,
CAIRO 11381, EGYPT
CABLE : EL ANBA RUEISS, CAIRO



لذلك أود أن تكونوا جميعكم هادئين، وأن تراعوا الحكمة في كل تصرفاتكم. لأنه ليس لنا أن نطالب بشيء بعد أن استوفى بيان النائب العام كل ما كنا نشكو منه.

أخيراً أحب أن أسمع عنكم كل خبر صالح
كونوا معافين في الرب

شنوده

٢٢/٤/٢٠٠٠



مُرفق (١٦)

خطاب البابا شنودة الثالث لأقباط المهجر (صفحتان)، حول زيارة الرئيس حسني مبارك للولايات المتحدة الأمريكية في عام (٢٠٠٠م).

جدول بطاركة الكنيسة القبطية

القرن	م	اسم البطريرك	مدة البطريركية
القرن الأول	١	البابا مرقس الأول (مار مرقس الرسول)	٦١ – ٦٨ م
	٢	البابا أنيانوس	٦٨ – ٨٣ م
	٣	البابا ميليوس	٨٣ – ٩٥ م
	٤	البابا كرذونوس	٩٥ – ١٠٦ م
القرن الثاني	٥	البابا بريموس	١٠٦ – ١١٨ م
	٦	البابا يسطس	١١٨ – ١٢٩ م
	٧	البابا أومانيوس	١٢٩ – ١٤١ م
	٨	البابا مرقيانوس	١٤١ – ١٥٢ م
	٩	البابا كلاديانوس	١٥٢ – ١٦٦ م
	١٠	البابا أغريبينوس	١٦٦ – ١٧٨ م
	١١	البابا يوليانوس	١٧٨ – ١٨٨ م
	١٢	البابا ديمتريوس الأول	١٨٨ – ٢٣٠ م
القرن الثالث	١٣	البابا ياروكلاس	٢٣٠ – ٢٤٦ م
	١٤	البابا ديونسيوس	٢٤٦ – ٢٦٤ م
	١٥	البابا مكسيموس	٢٦٤ – ٢٨٢ م
	١٦	البابا ثاؤنا	٢٨٢ – ٣٠١ م
القرن الرابع	١٧	البابا بطرس الأول	٣٠٢ – ٣١١ م
	١٨	البابا أرشلاوس	٣١١ – ٣١٢ م
	١٩	البابا ألكسندروس الأول	٣١٢ – ٣٢٨ م
	٢٠	البابا أثناسيوس الأول (أثناسيوس الرسولي)	٣٢٨ – ٣٧٣ م
	٢١	البابا بطرس الثاني	٣٧٣ – ٣٧٩ م
	٢٢	البابا تيموثاوس الأول (الكبير)	٣٧٩ – ٣٨٥ م
	٢٣	البابا ثاؤفيلس	٣٨٥ – ٤١٢ م

القرن الخامس	٢٤	البابا كيرلس الأول (كيرلس عمود الدين - كيرلس الكبير)	٤١٢ - ٤٤٤ م
	٢٥	البابا ديسقورس الأول (بطل الأرثوذكسية)	٤٤٤ - ٤٥٤ م
	٢٦	البابا تيموثاوس الثاني	٤٥٥ - ٤٧٧ م
	٢٧	البابا بطرس الثالث	٤٧٧ - ٤٨٩ م
	٢٨	البابا أثناسيوس الثاني	٤٨٩ - ٤٩٦ م
	٢٩	البابا يوأنس الأول (البابا يوحنا الأول)	٤٩٦ - ٥٠٥ م
القرن السادس	٣٠	البابا يوأنس الثاني	٥٠٥ - ٥١٦ م
	٣١	البابا ديسقورس الثاني	٥١٦ - ٥١٨ م
	٣٢	البابا تيموثاوس الثالث	٥١٨ - ٥٣٦ م
	٣٣	البابا ثيودوسيوس الأول	٥٣٦ - ٥٦٧ م
	٣٤	البابا بطرس الرابع	٥٦٧ - ٥٦٩ م
	٣٥	البابا دميان	٥٦٩ - ٦٠٥ م
القرن السابع	٣٦	البابا أنسطاسيوس	٦٠٥ - ٦١٦ م
	٣٧	البابا أندرونيقوس	٦١٦ - ٦٢٣ م
	٣٨	البابا بنيامين الأول	٦٢٣ - ٦٦٢ م
	٣٩	البابا أغاثون	٦٦٢ - ٦٨٠ م
	٤٠	البابا يوأنس الثالث	٦٨٠ - ٦٨٩ م
	٤١	البابا إسحاق	٦٩٠ - ٦٩٢ م
	٤٢	البابا سيمون الأول	٦٩٢ - ٧٠٠ م

القرن الثامن	٤٣	البابا ألكسندروس الثاني	٧٠٤ – ٧٢٩ م
	٤٤	البابا قزمان الأول	٧٢٩ – ٧٣٠ م
	٤٥	البابا ثيؤذوروس	٧٣٠ – ٧٤٢ م
	٤٦	البابا خائيل الأول	٧٤٣ – ٧٦٧ م
	٤٧	البابا مينا الأول	٧٦٧ – ٧٧٦ م
	٤٨	البابا يؤانس الرابع	٧٧٧ – ٧٩٩ م
القرن التاسع	٤٩	البابا مرقس الثاني	٧٩٩ – ٨١٩ م
	٥٠	البابا يعقوب (ياكوبوس)	٨١٩ – ٨٣٠ م
	٥١	البابا سيمون الثاني	٨٣٠ – ٨٣٠ م
	٥٢	البابا يوساب الأول	٨٣١ – ٨٤٩ م
	٥٣	البابا خائيل الثاني	٨٤٩ – ٨٥١ م
	٥٤	البابا قزمان الثاني	٨٥١ – ٨٥٨ م
	٥٥	البابا شنودة الأول	٨٥٩ – ٨٨٠ م
	٥٦	البابا ميخائيل الأول	٨٨٠ – ٩٠٧ م
القرن العاشر	٥٧	البابا غبريال الأول	٩٠٩ – ٩٢٠ م
	٥٨	البابا قزمان الثالث	٩٢٠ – ٩٣٢ م
	٥٩	البابا مكاريوس الأول	٩٣٢ – ٩٥٢ م
	٦٠	البابا ثاؤفانيوس	٩٥٢ – ٩٥٦ م
	٦١	البابا مينا الثاني	٩٥٦ – ٩٧٤ م
	٦٢	البابا أبرآم (ابن زرعة)	٩٧٥ – ٩٧٨ م
	٦٣	البابا فيلوثاؤس	٩٧٩ – ١٠٠٣ م

القرن	الرقم	البابا	الفترة
القرن الحادي عشر	٦٤	البابا زكريا	١٠٠٤ - ١٠٣٢ م
	٦٥	البابا شنودة الثاني	١٠٣٢ - ١٠٤٦ م
	٦٦	البابا خرسطوذولس	١٠٤٦ - ١٠٧٧ م
	٦٧	البابا كيرلس الثاني	١٠٧٨ - ١٠٩٢ م
	٦٨	البابا ميخائيل الثاني	١٠٩٢ - ١١٠٢ م
القرن الثاني عشر	٦٩	البابا مكاريوس الثاني	١١٠٢ - ١١٢٨ م
	٧٠	البابا غبريال الثاني	١١٣١ - ١١٤٥ م
	٧١	البابا ميخائيل الثالث	١١٤٥ - ١١٤٦ م
	٧٢	البابا يؤانس الخامس	١١٤٧ - ١١٦٦ م
	٧٣	البابا مرقص الثالث	١١٦٦ - ١١٨٩ م
	٧٤	البابا يوأنس السادس	١١٨٩ - ١٢١٦ م
القرن الثالث عشر	٧٥	البابا كيرلس الثالث	١٢٣٥ - ١٢٤٣ م
	٧٦	البابا أثناسيوس الثالث	١٢٥٠ - ١٢٦١ م
	٧٧	البابا غبريال الثالث	١٢٦٨ - ١٢٧١ م
	٧٨	البابا يوأنس السابع	١٢٧١ - ١٢٩٣ م
	٧٩	البابا ثيؤدوسيوس الثاني	١٢٩٤ - ١٣٠٠ م
القرن الرابع عشر	٨٠	البابا يوأنس الثامن	١٣٠٠ - ١٣٢٠ م
	٨١	البابا يوأنس التاسع	١٣٢٠ - ١٣٢٧ م
	٨٢	البابا بنيامين الثاني	١٣٢٧ - ١٣٣٩ م
	٨٣	البابا بطرس الخامس	١٣٤٠ - ١٣٤٨ م
	٨٤	البابا مرقس الرابع	١٣٤٨ - ١٣٦٣ م
	٨٥	البابا يوأنس العاشر	١٣٦٣ - ١٣٦٩ م
	٨٦	البابا غبريال الرابع	١٣٧٠ - ١٣٧٨ م
	٨٧	البابا متاؤس الأول	١٣٧٨ - ١٤٠٨ م

القرن الخامس عشر	٨٨	البابا غبريال الخامس	١٤٠٩ - ١٤٢٧ م
	٨٩	البابا يوأنس الحادي عشر	١٤٢٧ - ١٤٥٢ م
	٩٠	البابا متاؤس الثاني	١٤٥٢ - ١٤٦٥ م
	٩١	البابا غبريال السادس	١٤٦٦ - ١٤٧٤ م
	٩٢	البابا ميخائيل الرابع	١٤٧٧ - ١٤٧٨ م
القرن السادس عشر	٩٣	البابا يوأنس الثاني عشر	١٤٨٠ - ١٤٨٣ م
	٩٤	البابا يوأنس الثالث عشر	١٤٨٤ - ١٥٢٤ م
	٩٥	البابا غبريال السابع	١٥٢٥ - ١٥٦٨ م
	٩٦	البابا يوأنس الرابع عشر	١٥٧١ - ١٥٨٦ م
	٩٧	البابا غبريال الثامن	١٥٨٧ - ١٦٠٣ م
القرن السابع عشر	٩٨	البابا مرقس الخامس	١٦٠٣ - ١٦١٩ م
	٩٩	البابا يوأنس الخامس عشر	١٦١٩ - ١٦٢٩ م
	١٠٠	البابا متاؤس الثالث	١٦٣١ - ١٦٤٦ م
	١٠١	البابا مرقس السادس	١٦٤٦ - ١٦٥٦ م
	١٠٢	البابا متاؤس الرابع	١٦٦٦ - ١٦٧٥ م
	١٠٣	البابا يوأنس السادس عشر	١٦٧٦ - ١٧١٨ م
القرن الثامن عشر	١٠٤	البابا بطرس السادس	١٧١٨ - ١٧٢٦ م
	١٠٥	البابا يوأنس السابع عشر	١٧٢٧ - ١٧٤٥ م
	١٠٦	البابا مرقس السابع	١٧٤٥ - ١٧٦٩ م
	١٠٧	البابا يوأنس الثامن عشر	١٧٦٩ - ١٧٦٩ م
	١٠٨	البابا مرقس الثامن	١٧٦٩ - ١٨٠٩ م

القرن التاسع عشر	١٠٩	البابا بطرس السابع (بطرس الجاولي)	١٨٠٩ - ١٨٢٥ م
	١١٠	البابا كيرلس الرابع (أبو الإصلاح)	١٨٥٣ - ١٨٦٢ م
	١١١	البابا ديمتريوس الثاني	١٨٦٢ - ١٨٧١ م
	١١٢	البابا كيرلس الخامس	١٨٧٤ - ١٩٢٧ م
القرنان العشرون والحادي والعشرون	١١٣	البابا يوأنس التاسع عشر	١٩٢٩ - ١٩٤٢ م
	١١٤	البابا مكاريوس الثالث	١٩٤٤ - ١٩٤٥ م
	١١٥	البابا يوساب الثاني	١٩٤٦ - ١٩٥٦ م
	١١٦	البابا كيرلس السادس (رجل الصلاة)	١٩٥٩ - ١٩٧١ م
	١١٧	البابا شنودة الثالث (معلم المسكونة)	١٩٧١ - ٢٠١٢ م
	١١٨	البابا تواضروس الثاني	٢٠١٢ - الآن

* المصدر: الأقباط النشأةُ والصراع: ٧٧٠-٧٧٨، وموقع الأنبا تكلا، على الشبكة العنكبوتية:

http: //st-takla.org/Saints/Coptic-Synaxarium-Orthodox-Saints-Biography-oo-Coptic-Orthodox-Popes/Coptic-Popes-History_ooo-index_.html

مُرفق (١٧)

بطاركة الكنيسة القبطية.

التقويم القبطي وما يُقابله بالميلادي[١]

الشهور القبطية	التاريخ الميلادي		الشهور القبطية	التاريخ الميلادي	
	من	إلى		من	إلى
توت	١١/ سبتمبر	١٠/ أكتوبر	برمهات	١٠/ مارس	٨/ أبريل
بابه	١١/ أكتوبر	٩/ نوفمبر	برمودة	٩/ أبريل	٨/ مايو
هاتور	١٠/ نوفمبر	٩/ ديسمبر	بشنس	٩/ مايو	٧/ يونيو
كيهك	١٠/ ديسمبر	٨/ يناير	بؤونة	٨/ يونيو	٧/ يوليو
طوبة	٩/ يناير	٧/ فبراير	أبيب	٨/ يوليو	٦/ أغسطس
أمشير	٨/ فبراير	٩/ مارس	مسرى	٧/ أغسطس	٥/ سبتمبر
نسيئ	٦/ سبتمبر	١٠/ سبتمبر			

مُرفق (١٨)

التقويم القبطي.

(١) سبق بيان أن التقويم القبطي ليس ثابتاً في مقابلته بالميلادي، فهو يتغير بعد كل مئة عام تقريباً، فهذه المقابلة تصلح تقريباً إلى عام (٢١٠١م).

المراجع

أولاً : الكتب

١. (١٢٠) سؤالاً وجواباً عن أسرار الكنيسة السبعة، ميخائيل إسكندر، القاهرة: مكتبة المحبة.

٢. ٥٥ حقيقة من حقائق الإيمان الأساسية، ط٤، القاهرة: مطبعة كنيسة الإخوة، ١٩٩٨.

- أ -

٣. الآباء السواح، البابا شنودة الثالث، القاهرة: الكلية الإكليريكية، ٢٠٠٧.

٤. الآثار القبطية والبيزنطية، عزت زكي ومحمد عبد الفتاح السيد، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢.

٥. الإجراءات العملية في أحكام لائحة الأحوال الشخصية للأقباط الأرثوذكسيين، أمير فرج، الإسكندرية: دار المطبوعات الجامعية.

٦. الأحداث السياسية في مصر الإسلامية، محمد أحمد محمد، ط١، بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٩٥.

٧. أخبار الحمقى والمغفلين، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، بيروت: المكتب التجاري.

٨. الأرثوذكسية قانون إيمان لكل العصور، أنتوني كونيارس، ترجمة: ي.م، ط٣، القاهرة: مطبعة مدارس الأحد، ٢٠٠٧.

٩. أرثوذكسيتي، متّى مرجان، ط١، مغاغة: مكتبة كنيسة السيدة العذراء.

١٠. الأركان الأربعة، أبو الحسن علي الندوي، ط٣، الكويت: دار القلم، ١٣٩٤.

١١. الأرواح بين الدين وعلماء الأرواح، البابا شنودة الثالث، ط٢، القاهرة: الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، ٢٠٠٦.

١٢. أسئلة عامة لكل عقائد الكنيسة القبطية، ميخائيل إسكندر، القاهرة: مكتبة المحبة.
١٣. أسئلة في الميلاد، البابا شنودة الثالث، ط١١، القاهرة: الكلية الإكليريكية، ٢٠٠٧.
١٤. أساسيات مسيحية، زكريا استاورو، القاهرة: مكتبة الإخوة.
١٥. الأسرار السبعة المقدسة، كيرلس بستي، نسخة إلكترونية من موقع المؤلف.
١٦. أسرار الكنيسة السبعة، حبيب جرجس، ط٦، القاهرة: مكتبة المحبة.
١٧. أسرار وعقيدة وراء الصليب والقيامة، إسكندر القمص لوقا، القاهرة: مطبعة دير مارمينا العجائبي بمريوط.
١٨. أسس الإيمان دليل المؤمن الممتلئ من الروح، ديريك برنس، ترجمة: صلاح عباسي، P.T.W.
١٩. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ.
٢٠. أصوامنا بين الماضي والحاضر، القس كيرلس، ط١، ١٩٨٢.
٢١. الأصول والأعياد، الأنبا بيمن، ط٣، ملوي: مطبعة مطرانية ملوي، ٢٠٠٨.
٢٢. إظهار الحق، رحمة الله الهندي، تحقيق: محمد ملكاوي، ط٤، الرياض: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ٢٠٠٣.
٢٣. الأعلام، خير الدين الزركلي، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٨.
٢٤. الأعياد المسيحية، الأنبا غريغوريوس، القاهرة: جمعية الأنبا غريغوريوس، ٢٠٠٥.
٢٥. الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، عبد اللطيف البغدادي، ت: أحمد غسان، ط٢، بيروت: دار ابن زيدون، ١٤٠٤.

٢٦. الأفعال، علي بن جعفر السعدي، ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٣.

٢٧. أقانيم اللاهوت ولاهوت الابن، متّى بهنام، ٢٠٠٨.

٢٨. الأقباط الكنيسة أم الوطن؟، عبد اللطيف المناوي، ط١، القاهرة: دار أطلس للنشر.

٢٩. الأقباط النشأة والصراع من القرن الأول إلى القرن العشرين، ملاك لوقا، ط٣، القاهرة: مكتبة أنجيلوس، ٢٠٠١.

٣٠. الأقباط في الحياة السياسية المصرية، سميرة بحر، ط٢، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٤.

٣١. الأقباط في السياسة المصرية، مصطفي الفقي، ط١، القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٥.

٣٢. الأقباط والقومية العربية، أبوسيف يوسف، ط١، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧.

٣٣. الأقباط وطنية وتاريخ، بولس باسيلي، ط٣، القاهرة: دار نوبار، ١٩٩٩.

٣٤. أقباط ومسلمون منذ الفتح العربي إلى عام ١٩٢٢، جاك تاجر، القاهرة: كراسات التاريخ المصري، ١٩٥١.

٣٥. أنا والكنيسة والمجتمع، مكرم نجيب، القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٧م.

٣٦. الأنبا شنودة الثالث دنيا ودين، سناء السعيد، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣٧. الإيمان بالمسيح، متّى المسكين، ط١، القاهرة: مطبعة دير القديس الأنبا مقار، ١٩٧٠.

٣٨. إيماننا الأقدس، الأنبا يوأنس، ط٦، القاهرة: مطبعة الأنبا رويس، ٢٠٠٨.

٣٩. إيماننا المسيحي صادق وأكيد، بيشوي حلمي، ط٤، القاهرة: دار نوبار، ٢٠٠٦.

- ب -

٤٠. البابا شنودة الوجه والقناع، محمد الباز، ط٢، القاهرة: كنوز للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦.

٤١. الباراكليت الروح القدس في حياة الناس، متّى المسكين، ط٤، القاهرة: مطبعة دير القديس أنبا مقار، ٢٠٠٢.

٤٢. البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، بيروت: مكتبة المعرفة.

٤٣. بدع حديثة، البابا شنودة الثالث، ط١، القاهرة: الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، ٢٠٠٦.

٤٤. بستان الكلمات والمصطلحات الطقسية، مدحت معزوز صليب، ط١، مطعبة مدارس الأحد.

- ت -

٤٥. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، بيروت: دار الهداية.

٤٦. تاريخ ابن الوردي، عمر بن مظفر بن الوردي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦.

٤٧. تاريخ الأمة القبطية، كامل نخلة وفريد كامل، ط٤، القاهرة: مكتبة المحبة.

٤٨. تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧.

٤٩. تاريخ البطاركة، الأنبا يوساب، تحقيق: ميخائيل إسكندر، القاهرة: مكتبة المحبة.

٥٠. تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، ثيؤدورهول باتريك، ترجمة: ميخائيل إسكندر، القاهرة: مكتبة المحبة.

٥١. تاريخ الكنيسة القبطية، منسى يوحنا، القاهرة: مكتبة المحبة.تاريخ الكنيسة المصرية، لويزا بوتشر، ترجمة: ميخائيل إسكندر، ط١، القاهرة: مكتبة المحبة.

٥٢. تاريخ المسيحية، حبيب سعيد، القاهرة: دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية.

٥٣. تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، بيروت: دار صادر.

٥٤. تاريخ خليفة بن خياط، خليفة بن خياط الليثي، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، ط٢، بيروت: دار القلم ١٣٩٧.

٥٥. تاريخ دمشق، ابن عساكر، تحقيق: علي شيري.

٥٦. تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، بيروت: دار الجيل.

٥٧. تاريخ مختصر الدول، غريغريوس أبو الفرج الملطي، بيروت: دار الرائد اللبناني، ١٤٠٣.

٥٨. تاريخ مصر الحديث، جرجي زيدان، ط١، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩١.

٥٩. تاريخ مصر إلى الفتح العثماني، عمر الإسكندري وسَفِدْج، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٠.

٦٠. تاريخ وآثار مصر الإسلامية، أحمد عبد الرازق أحمد، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٣.

٦١. تأليه الإنسان، البابا شنودة الثالث، ط١، القاهرة: الكلية الإكليريكية، ٢٠٠٤.

٦٢. تأملات في الصلاة الربية، البابا شنودة الثالث، ط١، القاهرة: الكلية الإكليريكية، ١٩٩٤.

٦٣. تأملات في القيامة، البابا شنودة الثالث، ط٩، القاهرة: الكلية الإكليريكية، ٢٠٠٨.

٦٤. تأملات في صلاة الشكر والمزمور الخمسين، البابا شنودة الثالث، ط١، القاهرة: الكلية الإكليريكية، ١٩٩٠.

٦٥. تأملات في عيد الصعود، البابا شنودة الثالث، ط٩، القاهرة: الكلية الإكليريكية، ٢٠٠٧.

٦٦. تأملات في مزامير وقطع النوم، البابا شنودة الثالث، ط١، القاهرة: الكلية الإكليريكية، ٢٠٠١.

٦٧. التثليث والتوحيد، فوزي جرجس وأمين باسيلي، القاهرة: مكتبة المحبة.

٦٨. التجسد والمساواة مع المسيح والآب، البابا شنودة الثالث، ط٢، القاهرة: الكلية الإكليريكية، ٢٠٠٦.

٦٩. التجلي وتأملات في عيد التجلي، البابا شنودة الثالث، ط٦، القاهرة: الكلية الإكليريكية، ٢٠٠٥.

٧٠. تحريف رسالة المسيح عبر التاريخ أسبابه ونتائجه، بسمة جستنية، ط١، دمشق: دار القلم، ٢٠٠٠.

٧١. تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، محمود عبد الرحمن قدح، نسخة إلكترونية.

٧٢. ترتيب أسبوع الآلام بحسب طقس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، القاهرة: دار الجيل.

٧٣. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط٢، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩.

٧٤. التفسير الكبير، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.

٧٥. تفسير قداس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، مرقس داود، ط٥، القاهرة: مكتبة المحبة، ١٩٧٧.

٧٦. تكوين مصر عبر العصور، محمد شفيق غربال، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١.

٧٧. التوحيد والتثليث، أشرف وليم روفائيل، القاهرة: مكتبة المحبة.

٧٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي،

تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠.

- ث -

٧٩. ثبت أساس الكنيسة، الأنبا رافائيل، ط١، القاهرة: مكتبة أسقفية الشباب، ٢٠٠٤.

٨٠. ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، يوسف رياض.

٨١. ثلاث دراسات عن الصليب والألم، ميخائيل إسكندر، القاهرة: مكتبة المحبة.

٨٢. الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، عبد الرحمن الرافعي، ط٢، القاهرة: مكتبة النهضة، ١٣٦٨.

- ج -

٨٣. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠.

٨٤. الجامع الصغير من حديث البشير النذير، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي.

٨٥. الجامع الكبير، جلال الدين السيوطي، المكتبة الشاملة الثالثة، نسخة إلكترونية.

٨٦. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، الرياض: دار عالم الكتب، ٢٠٠٣.

٨٧. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، تحقيق: علي الألمعي، ط١، الرياض: دار الفضيلة، ٢٠٠٤.

٨٨. الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة، يوحنا بن زكريا بن سباع، تحقيق: ميخائيل إسكندر.

- ح -

٨٩. الحملة الفرنسية في مصر: بونابرت والإسلام، هنري لورنس، ترجمة: بشير السباعي، ط١، القاهرة: سينا للنشر، ١٩٩٥.

٩٠. حوار ساخن مع شماس الكنيسة الذي أسلم، محيي الدين عبد الحميد، ط١، جدة: مكتبة الخدمات الحديثة، ١٤٢٠.

٩١. حول لاهوت الروح القدس، بيشوي زكي، ط١، القاهرة، ٢٠٠٨.

٩٢. حياة الصوم، لوقا الأنطوني، ط١، القاهرة: مكتبة المحبة، ١٩٩٩.

٩٣. الحياة والموت رؤية آبائية، سعيد حكيم، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ٢٠٠٨.

- خ -

٩٤. الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة، إيسوذورس، تحقيق: ميخائيل إسكندر، القاهرة: مكتبة المحبة.

٩٥. خريف الغضب، محمد حسنين هيكل، ط١، القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٨٨.

٩٦. الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي، البابا شنودة الثالث، ط١٦، القاهرة، ٢٠٠٧.

٩٧. خمس حقائق عن الإيمان المسيحي، ناشد حنا، ط٣، القاهرة: مكتبة الإخوة، ٢٠٠٦.

٩٨. خمس حقائق عن الله، ناشد حنا، ط٢، القاهرة: مكتبة الإخوة، ١٩٩٨.

٩٩. خمس حقائق عن المسيح، ناشد حنا، ط٣، جزيرة بدران: مطبعة كنيسة الإخوة، ٢٠٠٦.

- د -

١٠٠. دائرة المعارف الكتابية، نسخة إلكترونية.

١٠١. دائرة معارف القرن العشرون، محمد وجدي، بيروت: دار الفكر.

١٠٢. دراسات آبائية ولاهوتية، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، القاهرة: دار يوسف كمال، ٢٠٠٨.

١٠٣. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود الخلف، ط٥، الرياض، دار أضواء السلف، ٢٠٠٦.

١٠٤. دراسات في تاريخ مصر الإسلامية وحضارتها، صابر دياب، القاهرة: دار النهضة العربية.

١٠٥. الدسقولية، تعريب مرقس داود، القاهرة: مكتبة المحبة.

١٠٦. دعوة التقريب بين الأديان، أحمد القاضي، ط١، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢٢.

١٠٧. دور الكنيسة القبطية في إفريقيا، جوزيف رامز، القاهرة: معهد البحوث والدراسات الإفريقية، ٢٠٠٠.

١٠٨. الدينونة في الفكر المسيحي، سامي غبريال، ط٢، دار يوسف كمال، ٢٠٠٥.

- ر -

١٠٩. الروح القدس أقنوميته لاهوته أعماله، ناشد حنا، ٢٠٠٨.

١١٠. الروح القدس وعمله فينا، البابا شنودة الثالث، ط٧، القاهرة: الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، ٢٠٠٧.

- ز -

١١١. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر الزرعي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، ط١٤، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦.

١١٢. الزواج في المفهوم المسيحي، الأنبا غريغوريوس، القاهرة: مكتبة الأنبا غريغوريوس.

- س -

١١٣. سبعة خطوات للصلاة المستجابة، كينيث هيجن، ترجمة: ريمون رفعت، ط١، أسيوط: شركة الطباعة المصرية.

١١٤. سلسلة تاريخ البطاركة، كامل صالح الإسكندري، تحقيق: الأنبا متاؤس، ط٢، مكتبة دير السريان العامر، ٢٠٠١.

١١٥. السماء وطن الإنسان، لوقا الأنطوني، ط١، القاهرة: مكتبة المحبة، ٢٠٠٢.

١١٦. السماء، الأنبا يوأنس.

١١٧. سنوات مع أسئلة الناس (أسئلة عامة)، البابا شنودة الثالث، القاهرة: الكلية الإكليريكية، ١٩٩٠.

١١٨. سنوات مع أسئلة الناس (أسئلة لاهوتية وعقائدية)، البابا شنودة الثالث، ط٥، القاهرة: الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، ٢٠٠٦.

١١٩. سنوات مع أسئلة الناس، البابا شنودة الثالث، ط٢، القاهرة: الكلية الإكليريكية، ٢٠٠٥.

١٢٠. سنوات مع أسئلة الناس، البابا شنودة الثالث، ط٣، القاهرة: الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، ٢٠٠٢.

١٢١. السوريون والحضارة السريانية، سمير عبده، ط١، دمشق: دار الحصاد، ١٩٩٨.

١٢٢. السيد المسيح في الفكرين الإسلامي والمسيحي وكيفية التعايش بينهما، نبيل لوقا بباوي، ط١، القاهرة: دار السعادة، ٢٠٠٦.

١٢٣. السيدة العذراء، البابا شنودة الثالث، ط٩، القاهرة: الكلية الإكليريكية، ٢٠٠٦.

- ش -

١٢٤. الشباب والمجتمع، الأنبا موسى أسقف الشباب، (مطوية).

١٢٥. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، هبة الله اللالكائي، تحقيق: أحمد الحمدان، الرياض: دار طيبة، ١٤٠٢.

١٢٦. شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ط٤، بيروت: المكتب الإسلامي،١٣٩١.

١٢٧. الشفاعة، حسام كامل، القاهرة: مكتبة المحبة.

- ص -

١٢٨. صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي.

١٢٩. صفحات من مواطنة الأقباط، رامي عطا صديق، ط١، القاهرة: مكتبة المحبة.

١٣٠. صلب عيسى بين الحقيقة والوهم، عبد العزيز الجزائري، نسخة إلكترونية.

١٣١. صلوات الأب متّى المسكين، متّى المسكين، ط١، القاهرة: مطبعة دير القس أنبا مقار، ٢٠٠٧.

١٣٢. صليب المسيح، يوسف رياض، جزيرة بدران: مطبعة الإخوة.

١٣٣. الصوم المقترن بالفضائل، الأنبا أغاثون، ط١، مغاغة: مطرانية مغاغة والعِدوة، ٢٠٠٥.

١٣٤. الصوم بحسب فكر الله، آرثروا ليس، ترجمة: نادر حنا، القاهرة: دار النشر الأسقفية.

١٣٥. صوم نينوى والصوم المقدس الكبير، أثناسيوس المقاري، ط١، القاهرة: مكتبة مجلة مرقس، ٢٠٠٩.

١٣٦. الصوم، الأنبا أغاثون، ط١، مغاغة: مطرانية مغاغة والعِدوة.

- ض -

١٣٧. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، بيروت: مكتبة الحياة.

- ط -

١٣٨. طبيعة المسيح، البابا شنودة الثالث، ط١٢، القاهرة: الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، ٢٠٠٧.

١٣٩. طريق السماء، منسى يوحنا، القاهرة: مكتبة المحبة.

١٤٠. الطقوس في الكنيسة أصولها الروحية والتعليمية، سليمان نسيم، القاهرة: مكتبة المحبة.

١٤١. الطوائف المسيحية في مصر والعالم، ماهر يونان عبد الله، شركة سبكترام.

- ع -

١٤٢. عبد الله جاك منو وخروج الفرنسيين من مصر، محمد فؤاد شكري، مصر: دار الكتاب العربي، ١٣٧١.

١٤٣. عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، بيشوي حلمي، ط١، القاهرة: دار نوبار، ٢٠٠٧.

١٤٤. عقيدة التوحيد في المسيحية، مرقص إبراهيم، ط١، ٢٠٠٨.

١٤٥. عقيدة المسيحيين في المسيح، الأنبا يوأنس.

١٤٦. علم اللاهوت العقيدي، موريس تاوضروس، ط١، مكتبة أسقفية الشباب، ٢٠٠٦.

١٤٧. علم اللاهوت النظامي، جيمس أنس، تحقيق: منيس عبد النور، القاهرة: الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة.

١٤٨. العلمانية، سفر الحوالي، تونس: الدار السلفية، ١٤٠٨.

١٤٩. عيد البشارة، البابا شنودة الثالث، ط٤، القاهرة: الكلية الإكليريكية، ٢٠٠٣.

١٥٠. عيد الصليب، البابا شنودة الثالث، ط١٠، القاهرة: الكلية الإكليريكية، ٢٠٠٧.

١٥١. عيد الغطاس والقديس المعمدان، البابا شنودة الثالث، ط٨، القاهرة: الكلية الإكليريكية، ٢٠٠٤.

١٥٢. عيد الغطاس، كاراس المحرقي، شركة الطباعة المصرية.

- ف -

١٥٣. فتاوى اللجنة الدائمة، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش.

١٥٤. فتح العرب لمصر، الفرد بتلر، تعريب، محمد فريد أبو حديد، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٠.

١٥٥. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، بيروت: دار الفكر.

١٥٦. الفتنة الطائفية في مصر جذورها وأسبابها، جمال بدوي، ط١، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٩٩٢.

١٥٧. فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، تحقيق: رضوان محمد رضوان، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣.

١٥٨. فتوح مصر وأخبارها، عبد الرحمن بن عبد الله عبد الحكم، تحقيق: محمد الحجيري، ط١، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦.

١٥٩. الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم.

١٦٠. الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن حزم الظاهري، القاهرة: مكتبة الخانجي.

١٦١. الفضائيات العربية التنصيرية، تركي بن خالد الظفيري، ط١، الرياض: مجلة البيان، ٢٠٠٧.

١٦٢. في سعادة الأبرار ومجد القديسين، لوقا الأنطوني، ط١، القاهرة: مكتبة المحبة، ٢٠٠٢.

- ق -

١٦٣. قاموس التراجم القبطية، جمعية مارمينا العجايبي، ط١، ١٩٩٥.

١٦٤. قاموس الكتاب المقدس، نسخة إلكترونية.

١٦٥. القديسان بطرس وبولس، البابا شنودة الثالث، ط٩، القاهرة: الكلية الإكليريكية، ٢٠٠٨.

١٦٦. قديسو مصر حسب التقويم القبطي، أوليري، ترجمة: ميخائيل إسكندر، القاهرة: مكتبة المحبة.

١٦٧. القديسون المصريون، بول شينو دورليان، ترجمة: ميخائيل إسكندر ومريام جميل، القاهرة: مكتبة المحبة.

١٦٨. قصة الدين والنبوة في مصر قبل الإسلام، عبد الصبور شاهين وإصلاح الرفاعي، ط١، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٩٩٦.

١٦٩. قواعد الإملاء، عبد السلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٣.المحيط الجامع، بولس الفغالي، نسخة إلكترونية.

١٧٠. قيامة المسيح في فكر الآباء، الأنبا متاؤس، ط٢، القاهرة: مكتبة دير السريان العامر.

- ك -

١٧١. الكامل في التاريخ، علي بن محمد بن الشيباني، تحقيق: عبد الله القاضي، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥.

١٧٢. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، بيروت: دار ومكتبة الهلال.

١٧٣. الكتاب المقدس العهد القديم، ط١، لبنان: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ١٩٩٣.

١٧٤. الكتاب المقدس العهد الجديد، ط٤، لبنان: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ١٩٩٣.

١٧٥. الكنائس الشرقية وأوطانها، أثناسيوس المقاري، ط١، القاهرة: دار نوبار، ٢٠٠٠.

١٧٦. كنز النفائس في اتحاد الكنائس، نقولا إمبرازي، ترجمة: الخوري يوحنا، القاهرة: مطبعة التوفيق، ١٤٠٩.

١٧٧. الكنيسة أسرارها وطقوسها، عادل محمد درويش، القاهرة: جامعة الأزهر، ١٩٩٤.

١٧٨. الكنيسة فكرها ومنهجها التنصيري خلال القرن العشرين، عبد الله عبد العزيز الشعيبي،المدينة المنورة: المعهد العالي للدعوة الإسلامية، ١٤٠٧.

١٧٩. كنيسة مصر، أثناسيوس المقاري، ط١، القاهرة: دار نوبار، ٢٠٠٧.

١٨٠. كنيستي الأرثوذكسية، بيشوي حلمي، ط٤، القاهرة: دار نوبار، ٢٠٠٧.

١٨١. الكهنوت، البابا شنودة الثالث، ط٨، القاهرة: الكلية الإكليريكية، ٢٠٠٧.

- ل -

١٨٢. اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة، يوحنا سلامة، ط٣، القاهرة: مكتبة مار جرجس، ١٩٦٥.

١٨٣. اللاهوت الطقسي، الأنبا غريغوريوس، القاهرة: جمعية الأنبا غريغوريوس، ٢٠٠٥.

١٨٤. اللاهوت العقيدي في أسرار الكنيسة السبعة، الأنبا غريغوريوس، القاهرة: جمعية الأنبا غريغوريوس، ٢٠٠٥.

١٨٥. لاهوت المسيح حقيقة إنجيلية تاريخية أم نتاج مجتمع نيقية؟، القس عبد المسيح بسيط أبو الخير، ط١، مصر: مطبعة المصريين، ٢٠٠٧.

١٨٦. لاهوت المسيح، البابا شنودة الثالث، ط١١، القاهرة: الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، ٢٠٠٧.

١٨٧. اللاهوت المقارن، الأنبا غريغوريوس، القاهرة: جمعية الأنبا غريغوريوس، ٢٠٠٣.

١٨٨. اللاهوت المقارن، البابا شنودة الثالث، ط٥، القاهرة: الكلية الإكليريكية، ٢٠٠٧.

١٨٩. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، ط١، بيروت: دار صادر.

١٩٠. لماذا القيامة، البابا شنودة الثالث، ط٨، القاهرة: الكلية الإكليريكية، ٢٠٠٨.

١٩١. لماذا نرفض المطهر؟، البابا شنودة الثالث، ط٦، القاهرة: مطبعة الأنبا رويس الأوفست، ٢٠٠٦.

- م -

١٩٢. المؤهلون للسماء والممنوعون منها، لوقا الأنطوني، ط١، القاهرة: مكتبة المحبة، ٢٠٠٢.

١٩٣. مئة سؤال وجواب في العقيدة المسيحية الأرثوذكسية، الأنبا بيشوي، ط١، القاهرة: دار نوبار، ٢٠٠٤.

١٩٤. المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر، رياض سوريال، القاهرة: مكتبة المحبة، ١٩٧٠.

١٩٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، بيروت: دار الفكر، ١٤١٢.

١٩٦. المجيء الثاني للرب، لوقا الأنطوني، القاهرة: مكتبة المحبة.

١٩٧. المجيء الثاني والدينونة، أبانوب حنا إبراهيم، ط١، القاهرة: دار نوبار، ٢٠٠٦.

١٩٨. محاضرات في النصرانية، محمد أبوزهرة، ط٢، بيروت: دار الفكر العربي.

١٩٩. المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.

٢٠٠. مختار الصحاح، محمد بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٥.

٢٠١. المختصر في تاريخ مصر، تحقيق: علي شعيب، ط١، بيروت: دار ابن زيدون.

٢٠٢. المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة، إبراهيم البريكان، ط٤، الخبر: دار السنة، ١٩٩٦.

٢٠٣. مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ط٢، القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٧.

٢٠٤. مسابقات في العقيدة اللاهوتية، البابا شنودة الثالث، ط٣، القاهرة: الكلية الإكليريكية، ٢٠٠٦.

٢٠٥. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفي عبد القادر عطا، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠.

٢٠٦. المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية، طارق البشري، ط١، بيروت: دار الحمراء، ١٩٨٢.

٢٠٧. المسيح عيسى ابن مريم مصدِّقٌ لما بين يديه من التوراة، عبد الله الشعيبي، مكة المكرمة: مطابع رابطة العالم الإسلامي.

٢٠٨. المسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها، عبد المنعم فؤاد، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٢.

٢٠٩. المسيحية في العصور الوسطى، جاد المنفلوطي، دار الجيل، ١٩٧٣.

٢١٠. المسيحية في عقائدها، تعريب: كيرلس سليم، ط١، بيروت: المكتبة البولسية، ١٩٩٨.

٢١١. المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جنيبير، ترجمة: عبد الحليم محمود، بيروت: المكتبة العصرية.

٢١٢. المسيحية، أحمد شلبي، ط١٠، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ٢٠٠٠.

٢١٣. مشاكل الأقباط في مصر وحلولها، نبيل لوقا بباوي، القاهرة: دار الكتب المصرية، ٢٠٠١.

٢١٤. مشكلة بناء وترميم الكنائس بين الإسلام والواقع المصري والحل قانون دور العبادة الموحد، نبيل لوقا بباوي، القاهرة: دار السعادة.

٢١٥. مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة، أبوالبركات ابن كبر، القاهرة: مكتبة المحبة.

٢١٦. مصر الإسلامية درع العروبة ورباط الإسلام، إبراهيم العدوي، القاهرة: مطبعة هيئة الآثار المصرية.

٢١٧. مصر العربية والإسلامية، علي حسني الخربوطلي، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

٢١٨. مصر في العصور الوسطى، محمود الحويري، ط٢، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، ٢٠٠٢.

٢١٩. مصر في القرن الثامن عشر، محمود الشرقاوي، ط٢، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٧.

٢٢٠. مصر في عصر السادات، عبد العظيم رمضان، ط١، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٨٩.

٢٢١. مصر والعرب عبر التاريخ لمحات تاريخية وبيولوجية، توفيق حفناوي، بيروت: دار الفكر العربي.

٢٢٢. مصر والفتح الإسلامي، عبد المنعم حمادة، القاهرة: مطابع الإهرام.

٢٢٣. مصطلحات ورموز في الكتاب المقدس، البابا شنودة الثالث، ط١، القاهرة: الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، ٢٠٠٨.

٢٢٤. المصنف، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣.

٢٢٥. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥.

٢٢٦. معجم الإيمان المسيحي، صبحي حموي اليسوعي، ط٢، بيروت: دار المشرق، ١٩٩٨.

٢٢٧. معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، بيروت: دار الفكر.

٢٢٨. معجم اللاهوت الكتابي، كزافييه ليون اليسوعي، ترجمة: المطران أنطونيوس نجيب وآخرون، بيروت: دار المشرق.

٢٢٩. معجم المصطلحات الكنسية، أثناسيوس المقاري، ط١، القاهرة: دار نوبار، ٢٠٠٢.

٢٣٠. معجم المصطلحات الكنسية، أثناسيوس المقاري، ط٢، القاهرة: دار نوبار، ٢٠٠٨.

٢٣١. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفي وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية،: دار الدعوة.

٢٣٢. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،ط٢، بيروت: دار الجيل، ١٩٩٩.

٢٣٣. المعمودية بين المفهوم والممارسة، مكرم نجيب، ط١، القاهرة: دار الثقافة.

٢٣٤. المعمودية والخلاص، بيت التكريس لخدمة الكرازة، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ٢٠٠٨.

٢٣٥. المعمودية والروح القدس، نصحي عبد الشهيد، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ٢٠٠٨.

٢٣٦. المغرب في ترتيب المعرب، ناصر بن عبد السيد الخوارزمي، المكتبة الشاملة الثالثة، نسخة ألكترونية.

٢٣٧. مفهوم الحياة والموت في المسيحية، ميخائيل إسكندر، القاهرة: مكتبة المحبة.

٢٣٨. مقابلة المسيح مع نثنائيل، كميل نصري، ط١، سوهاج: الخدمة الكرازية.

٢٣٩. مقارنة الأديان، سعدن الساموك، ط١، عمّان: دار وائل، ٢٠٠٤.

٢٤٠. مقارنة الأديان، محمد الطيب، ط١، عمّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨.

٢٤١. مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ط٥، بيروت: دار القلم، ١٩٨٤.

٢٤٢. مقدمة في علم اللاهوت الكرازي، الأنبا أنطونيوس مرقس، ط٣، القاهرة: مطبعة الأنبا رويس، ١٩٩٨.

٢٤٣. الملائكة، البابا شنودة الثالث، ط٦، القاهرة: الكلية الإكليريكية، ٢٠٠٦.

٢٤٤. الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٤.

٢٤٥. من القبطية إلى الإسلام.. قصة فتح مصر، حامد سليمان، القاهرة: مطابع الأهرام.

٢٤٦. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرحمن بن علي الجوزي، ط١، بيروت: دار صادر، ١٣٥٨.

٢٤٧. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢.

٢٤٨. منهج ودروس التربية الكنسية، الأنبا بيمن، ط١٠، ملوى: مطرانية ملوى، ٢٠٠٨.

٢٤٩. المواطنة والعولمة: الأقباط في مجتمع متغير، هاني لبيب، ط١، القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٤.

٢٥٠. الموت والقيامة، حنا إبراهيم، ط١، القاهرة: دار نوبار، ٢٠٠٦.

٢٥١. موسوعة الأنبا بيمن، الأنبا بيمن، ط٣، ملوي: مطبعة مطرانية ملوي، ٢٠٠٨.

٢٥٢. موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، علي بن نايف الشحود، نسخة إلكترونية.

٢٥٣. الموسوعة العربية العالمية، المكتبة الشاملة الثالثة، نسخة إلكترونية.

٢٥٤. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مانع الجهني، ط٣، الرياض: دار الندوة العالمية والنشر والتوزيع، ١٤١٨.

٢٥٥. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، المكتبة الشاملة الثالثة، نسخة إلكترونية.

٢٥٦. موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية، زكي شنودة، ط١، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٤.

٢٥٧. موسوعة طقوس الكنيسة القبطية، ميخائيل إسكندر، القاهرة: مكتبة المحبة.

٢٥٨. موسوعة علم اللاهوت، ميخائيل مينا، تحقيق: ميخائيل إسكندر، القاهرة: مكتبة المحبة.

٢٥٩. موسوعة علوم الدين، ابن المكين، تحقيق: ميخائيل إسكندر، القاهرة: مكتبة المحبة.

- ن -

٢٦٠. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين يوسف بن تغري الأتابكي، القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

٢٦١. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، محمد بن عبد الله الحموي، ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٩م.

٢٦٢. النصرانية تاريخاً وعقيدة، مصطفي شاهين، القاهرة: دار الاعتصام.

٢٦٣. النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد أحمد الحاج، ط١، بيروت: الدار الشامية، ١٩٩٢.

٢٦٤. النقد الكتابي، البابا شنودة الثالث، ط١، القاهرة: الكلية الإكليريكية، ٢٠٠٤.

٢٦٥. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٧٩.

- هـ -

٢٦٦. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، محمد بن أبي بكر ابن القيم، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية.

٢٦٧. هل المسيح هو الله؟ أم ابن الله؟ أم هو بشر؟، القس عبد المسيح بسيط أبو الخير، مطبعة المصريين.

٢٦٨. هل حقاً صُلب المسيح؟، ميخائيل إسكندر، القاهرة: مكتبة المحبة.

- و -

٢٦٩. الوجيز في الأحوال الشخصية للمصريين غير المسلمين، فتحي عبد الرحيم، ط٢، الإسكندرية: المعارف، ٢٠٠١.

- ي -

٢٧٠. اليوبيل الفضي لأسقفية الخدمات العامة والاجتماعية، القاهرة: بطريركية الأقباط الأرثوذكس، ١٩٨٧.

٢٧١. اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، عبد الباري فرج الله، ط٢، المنصورة: دار الوفاء، ١٩٩٢.

٢٧٢. اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة، يسر محمد سعيد، ط١، الدوحة: دار الثقافة، ١٩٩٢.

ثانياً : الصحف والدوريات:

١. صحيفة الأخبار.
٢. صحيفة الأهرام.
٣. صحيفة إيلاف.
٤. صحيفة البديل.
٥. صحيفة الدستور.
٦. صحيفة الرأي الكويتية.
٧. صحيفة روز اليوسف.
٨. صحيفة السياسي الإلكترونية.
٩. صحيفة الشرق الأوسط.
١٠. صحيفة الشروق.
١١. صحيفة المصري اليوم.
١٢. صحيفة المصريون.
١٣. صحيفة النهار.
١٤. صحيفة وطني.
١٥. صحيفة اليوم السابع.
١٦. مجلة الكرازة.
١٧. مجلة المجتمع.

ثالثا : المواقع الإلكترونية:

1. HTTP: //AR.WIKIPEDIA.ORG
2. HTTP: //COPTICNEWS.CA
3. HTTP: //COPTICWAVE.COM/START.HTM
4. HTTP: //COPTICWAVEWORLD.ORG/TAKS/AGBIA1.HTM
5. HTTP: //COPTICWAVEWORLD.ORG/TAKS/MAINAGBIA.HTM
6. HTTP: //POPEKIRILLOS.NET/AR/FATHERSDICTIONARY
7. HTTP: //WWW.AAWSAT.COM/DETAILS.ASP?SECTION=4&ISSUENO=8218&ARTICLE=40388&FEATURE=
8. HTTP: //WWW.AGHAPY.TV
9. HTTP: //WWW.AHRAM.ORG.EG/ARCHIVE/INDEX.ASP
10. HTTP: //WWW.ALANBAMARCOS.COM/ANBAMARCOS_AR/COLLEDGEBOOKS/COLLEDGEBOOKS.ASP?BOOK=1704
11. HTTP: //WWW.ALEPPORTHODOX.ORG/MODULES/NEWSCENTER/INDEX.PHP?PAGE=NEWSCENTER&OP=DISPLAY_NEWS_DETAIL&NEWS_ID=126
12. HTTP: //WWW.ALJAZEERA.NET/NR/EXERES/61D91C54-CCAD-4275932-E-9F96876F59A8.HTM

13. HTTP: //WWW.ALMUJTAMAA-MAG.COM/DETAIL.
ASP?INNEWSITEMID= 261561
14. HTTP: //WWW.ASHARQALARABI.ORG.UK/MU-SA/B-
MUSHACAT-432.HTM
15. HTTP: //WWW.BESTLIFE-ADDICTION-AIDS.ORG/
PROGRAM.HTM
16. HTTP: //WWW.BUSTROS.ORG
17. HTTP: //WWW.BUSTROS.ORG/TEXT.PHP?ID=102
18. HTTP: //WWW.BUSTROS.ORG/TEXT.PHP?ID=105
19. HTTP: //WWW.BUSTROS.ORG/TEXT.PHP?ID=54
20. HTTP: //WWW.CHRISTUSREX.ORG/WWW1/OFM/1GOD/
CONCILI/VATICANO-II/LUMEN-GENTIUM/LUMEN-
GENTIUM-2426-.HTM25#
21. HTTP: //WWW.CHRISTUSREX.ORG/WWW1/OFM/1GOD/
CONCILI/VATICANO-II/LUMEN-GENTIUM/LUMEN-
GENTIUM-1417-.HTM
22. HTTP: //WWW.CHRISTUSREX.ORG/WWW1/OFM/1GOD/
DOCUMENTI/DENZINGER/830839-.HTM
23. HTTP: //WWW.COPTCATHOLIC.NET/SECTION.
PHP?HASH=AWQ9MJCZNW3%D3%D
24. HTTP: //WWW.COPTICASSEMBLY.COM/SHOWART.
PHP?MAIN_ID=634

25. HTTP: //WWW.COPTICNEWS.CA/A_WHOAREWE.HTM

26. HTTP: //WWW.COPTICPOPE.ORG

27. HTTP: //WWW.COPTREAL.COM/DEFAULT.ASPX

28. HTTP: //WWW.COPTS.COM/ARABIC/INDEX.PHP?OPTION=COM_CONTENT&TASK=VIEW&ID=3819&ITEMID=33

29. HTTP: //WWW.COPTS.NL/TABID/174/LANGUAGE/EN-US/DEFAULT.ASPX

30. HTTP: //WWW.COPTS-UNITED.COM/

31. HTTP: //WWW.COPTS-UNITED.COM/ABOUTUS.PHP

32. HTTP: //WWW.EBNMARYAM.COM/ALTA7REEF2/ALTA7REEF2.HTM

33. HTTP: //WWW.EEAA.GOV.EG/ARABIC/MAIN/MINISTER.ASP

34. HTTP: //WWW.ELAPH.COM/ELAPHWEB/POLITICS/2006140054/4/.HTM

35. HTTP: //WWW.FORUMTIERSMONDE.NET/ARABIC/SOCIAL_ACTIONS_IN_ARAB_COUNTRIES/COPTIC_CENTER_SOCIAL_STUDIES.HTM

36. HTTP: //WWW.ISLAMICNEWS.NET/DOCUMENT/SHOWDOC08.ASP?DOCID=111946&TYPEID=8&TABINDEX=2

37. HTTP: //WWW.KALDAYA.NET/INDEX.ASP

38. HTTP: //WWW.KALIMATALHAYAT.COM/DOCTRINE/CATHOLICDOCTRINESINTHEBIBLE/CATHOLIC_DOCTRINES.HTM

39. HTTP: //WWW.KATIBATIBIA.COM

40. HTTP: //WWW.KL28.COM/ENC.PHP

41. HTTP: //WWW.KL28.COM/ENCR.PHP?SEARCH=-1043729371

42. HTTP: //WWW.MECA-HUMANRIGHT.ORG/TABID/63/LANGUAGE/AR-EG/DEFAULT.ASPX

43. HTTP: //WWW.METROPLIT-BISHOY.ORG

44. HTTP: //WWW.MINIA.GOV.EG

45. HTTP: //WWW.SOHAG.GOV.EG

46. HTTP: //WWW.STGEORGECZ.ORG

47. HTTP: //WWW.WAGDIGHONEIM.COM/NEW/ARTICLES.PHP?DO=VIEW&ID=313

48. HTTP: //WWW.YOUTHBISHOPRIC.COM/ABOUTUS/ABOUTUS.ASP

49. HTTPS: //WWW.EUCOHR.COM/COPTICFIGURES.PHP?ID=50

50. HTTPS: //WWW.EUCOHR.COM/COPTICFIGURES.PHP?ID=51

51. HTTPS: //WWW.EUCOHR.COM/EUCOHRABOUTUS

فهرس الموضوعات

طبعت في

